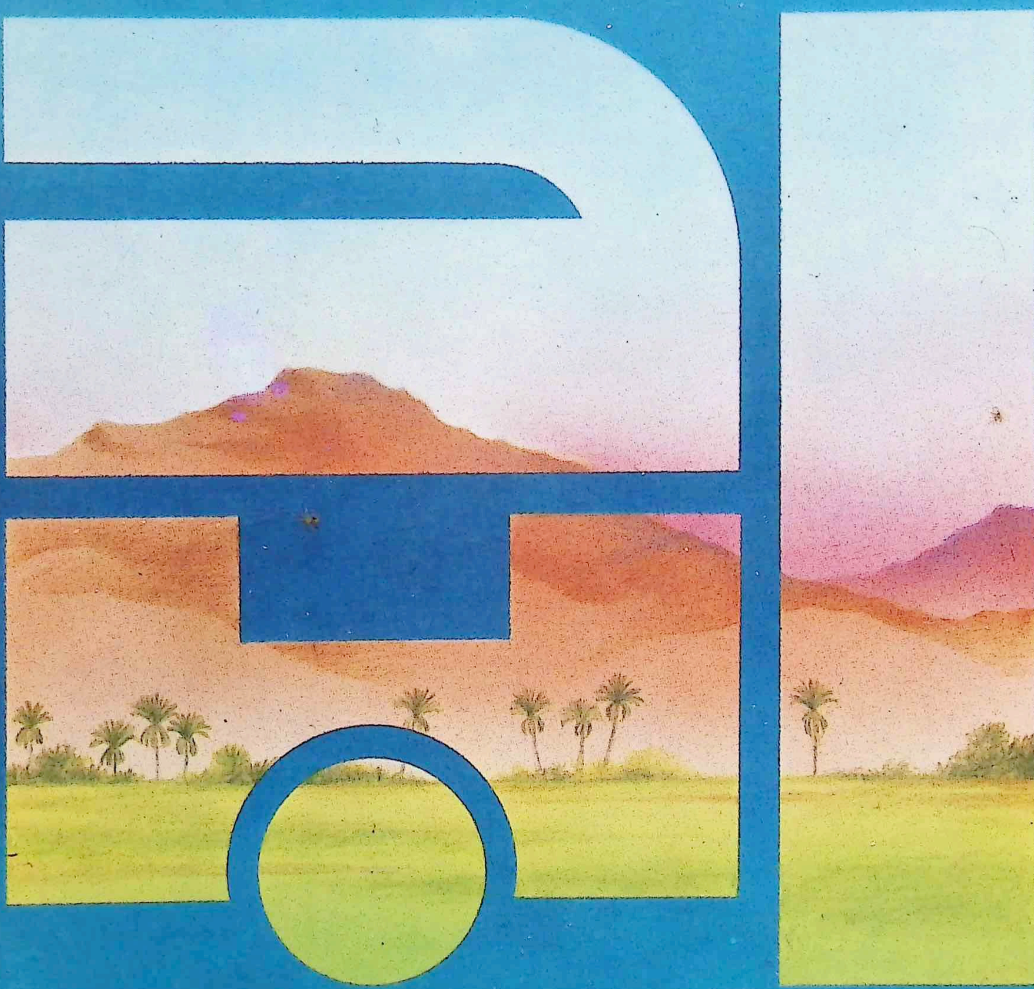
الجغرافية الأدبية

من كتاب صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار

تأليف الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد



حققه وصحّحه وعلّق عليه

الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن محمد بن حسين

الجزء الأول

الجغرافية الأدبية

من كتاب صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار

تأليف الشيخ

محمد بن عبد الله بن بليهد

الجزء الأول

حققه وصححه وعلق عليه

الأستاذ الدكتور / محمد بن سعد بن محمد بن حسين

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
المعذر ٤٨٢٤٩٨٣
٤٨٢٤٨٦٥
الملز ٤٧٨٨٥١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقــدمة

بقلم: عبدالله بن محمد البليهد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

فلقد حفل كتاب (صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار) لوالدى/محمد بن عبد الله البليهد ــ رحمه الله ــ بالكثير من الشواهد الشعريه لشعراء هذه البلاد المباركة في العهد الجاهلى وصدر التاريخ الاسلامي والتي أوردوا فيها أسماء الأماكن والبقاع، وذكروا فيها الوديان والموارد والجبال والسهول.

ولقد كان ما ورد في ذلك الكتاب من الشعر العربي على جانب كبير من الأهمية لكثرته وجودته الأمر الذي دفعني إلى التفكير في جمعه في كتاب مستقل، وذلك خدمة للغة العربية وآدابها، إلى جانب ما فيه من قضاء بعض الحق لآثار والدى ــ رحمه الله ــ ولكن شغلنى عن هذا العمل من شئون الحياة ماشغلنى، فوكلت هذه المهمه إلى أحد المختصين بعلوم اللغة العربية وأدابها وهو الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين لصلته المباشرة بآثار والدى، وعنايته بها.

وقد تصدى لهذه المهمة فأنجز العمل علي أحسن ما يكون الانجاز، وصدر هذا الكتاب المسمى: الجغرافيا الأدبية والمنتزع من كتاب صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار وأنني اذ أقدمه لك أيها القارى الكريم لأرجو أن يكون نافعاً لأبناء العربية وعشاقها، ومفيداً لطلاب العلم والمعرفة. وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه الخير أنه سميع مجيب.

مقـــدمة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾

(آيه (١) سورة الكهف)

انزله بلسان عربي مبين اختاره واصطفاه وشرفه بنزول الكتاب به قال تعالى

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آية ٢ سورة يوسف)

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ (اية ١٩٥ سورة الشعراء).

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آيه ٣ سورة الزخرف)

أحمده سبحانه وأشكره على ما منَّ به عليّ من خدمة لغة الكتاب وآدابها.

وأصلي وأسلم على سيدنا وحبيبنا محمد الذي قال ــ مفاخراً أو مخبراً ــ (أنا افصح العرب بيد أنّي من قريش).

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، واجعلنا منهم، آمين.

ثم إن اللغة العربية في الجاهلية، وصلت إلى أعلى درجات الترقي التي تمتلكها اللغات الكبيرة، ولا سيما الساميّة، فلا تعادلها لغة آراميّةٌ كانت أو

عِبْرِيَّةٌ، ولا غيرهما من اللغات، وسمت حتى امتازت من اللغات الآرية بسعة اشتقاقها، ومرونتها، واستيعابها، فإذا افترضنا ما يمكن تسميته علم الاشتقاق المقارن، لوجدنا اللغة العربية، أوفرَ وأوسع وأغنى، ولكانت أكثر مرونة، وتلبية للمعاني.

هذا إلى جانب ما تزخر به اللغة العربية من المعاني المجازية وما عرفت به من الاختزال اللغوي، وأمور أخرىٰ كثيرة يطيل اللغويون وفقهاء اللغة الحديث عنها لا سيما في الاشتقاق والنحت والتركيب، إلى آخر ما تحفل به لغة القرآن الكريم.

وفي حياة العرب صور كثيرة وكبيرة في لغتهم : فقد كان لهم ملاحظات دقيقة فيما يقع عليه حسّهم، فالإبل والخيل والأرض، لكل شيء منها اسم؛ فإذا طرأ أي تغيير وضعوا له اسماً خاصاً، فإذا قصّرت اللغة في شيء، ففي ما لم يكن يقع تحت حسّهم، كمستخرجات البحار، وأنواع النباتات والحيوانات التي تنتج في غير إقليمهم(١).

★ ★

هذه المرونة التامة، وهذا الاشتقاق والمجاز والقلب والإبدال والنحت؛ هو الذي جعل اللغة العربية تستطيع أن تكون لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وما فيهما من معانٍ في منتهى السمو والرفعة، وما فيهما من تعبيرات دينيّة واجتماعيّة وتشريعيّة، لا عهد للعرب بها في جاهليتهم، كما استطاعت بعد أن تكون أداة لكل ما نقل من علوم الأمم الأخرىٰ(٢).

وقد حفظوا لكل مكان من الأرض اسمه ولقبه، ووصفه أحياناً فكان ارتباطاً رائعاً بين الإنسان العربي وأرضه دعاه إلى حفظه وتسجيله شعراً ما له فيها من أهل وأحباب وذكريات وعشيرة ومودّة. وتكرر ذكر المواضع من

(١) انظر أحمد أمين، فجر الإسلام ص ٦٢، ومابعد.

(٢) وانظر أحمد أمين، ضحىٰ الإسلام جـ ١ ص /٢٩١ ومابعد.

الأرض لدى الشعراء، حتى صار ارتباط الشاعر بالأرض يحدد لنا مسار حياته، وحياة قبيلته، وصرنا ـــ معشر المعاصرين ـــ من العرب نعرف منازل كل قبيلة عربية كانت في الجاهلية أو الإسلام من خلال الأمكنة والمواضع التي ذكرها شاعر القبيلة أو غيره كما وردت في المعلقات أو في غيرها.

كما أن ذكر هذه المواضع يجعلها وثائق علمية صحيحة يمكن الاعتماد عليها في دراسة الحياة العربية اجتماعياً واقتصادياً وفكرياً على ضوء من تحديد أماكن تجمّعهم، وعيشهم، ويفسّر لنا كثرة أيام العرب وما دار فيها من صراعٍ دامٍ، كما يفسّر لنا علاقة القبائل العربية مجتمعة مع غيرها من الأمم المجاورة للجزيرة العربية.

فهي ليست مجرد أسماء لمواضع وأمكنة، ولكنها ذات صلة وأبعاد ثقافية متعددة الوجوه والجوانب. وقد أغنى ذكرها الثقافة العربية بما اقترن به هذا الذكر من أحداث اجتماعية، كما أغنى المكتبة الجغرافية العربية بما ألقاه من أضواء صارت صوىً ومعالمَ يهتدي بها الباحثون فلا غرابة إن قلنا عن مجموع المواضع والأمكنة التي ذُكرتَ في شعر المعلقات، وغيره من الشعر الجاهلي أنها تكون (دائرة معارف) جغرافية خاصة بالأمكنة العربية التي كانت تعج بالحياة، موسميّةً كانت أو عامة دائمة، حاضرة كانت أو بادية.

كما أن ذكر هذه الأماكن والمواضع يسهّل على الدارسين والشارحين فهم المعاني والألفاظ، مما يجعل اتصالنا بتراث الأجداد عبر القنوات اللفظية الجغرافيه سهلاً ميسورا.

★ ★

وحين قام الشاعر الأديب والباحث الجليل الشيخ محمد بن عبد الله البليهد (رحمه الله)، بإصدار كتابه (صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب

من الآثار) الذي اعتمد فيه تحديد المواضع والأمكنة التي ورد ذكرها في المعلقات، وغيرها من مشهور الشعر الجاهلي، فإنه قد قام بأمر جلل يعد عند اللغويين دراسةً جادةً لمتابعة حياة الألفاظ العربية والتاريخ لها، والوقوف على الدارس منها وتمييزه من الحي الباقي.

ويعده الجغرافيون دراسة ميدانيّةً لمعرفة المواضع والأمكنة العربية في جزيرة العرب، والوقوف على الأماكن التي انعدمت فيها سبل الحياة، وكانت في الجاهلية آهلةً بالسكان عامرة بالحياة، وتمييزها مما هو قائمٌ باقٍ باسمه إلى أيامنا هذه.

وتعد عند دارسي الأدب وباحثيه ثروة عظيمة تتصدر بحوث الأدب العربي، اهتماماً ومكانةً، ولها في الجغرافيا الأدبية قصب السبق. وهذا ما حدا بي أن أعود إلى هذا الكتاب، لأقدّمهُ بحلّة جديدة، وأضفي عليه عملاً جديداً، وهو جدير باهتمام الباحثين والدارسين، لأنه عمل جليل فيه جهد جهيد، وفيه سد لفجوة كبيرة كانت ناقصة في الأدب العربي جاء هذا البحث ليسدّها.

ثم إن ابن بليهد رحمه الله خص بعض أرباب المعلقات بشئ من العناية فتحدث عما في شعرهم من الأماكن إلى جانب ما في معلقاتهم، ومن هؤلاء امرؤ القيس. وأعرض عن شعر بعض الشعراء خلا المعلقة كمثل لبيد، على أنه عاد في آخر الكتاب، فتحدث عن بعض شعر أولئك.

ولا شك أن هذا البحث ـــ كما ذكرت ـــ يحتاج إلى خدمات أخرىٰ كثيرة، وقد سألت الله أن يأخذ بيدي لأشارك المؤلف ـــ يرحمه الله ـــ في خدمة هذا الاتجاه المتمثل بالجغرافيا الأدبية، ولابد لي من الاعتراف في بداية عملي أنني كنت أمام عمل شاق ومتعب ذلك أنني وجدت نفسي أمام عمل ميداني كبير، وأمام مكتبة كاملة، ومازالت أقوال المؤلف

رحمه الله بعد مرور (٣٧) سنة على ظهور الكتاب في طبعته الأولىٰ، ثابتة راسخة.

ومن باب خدمة هذا البحث، جاءت دراستي فيه وتعليقاتي عليه وما وضعته في متنه وهوامشه، ويمكن إجمال الجديد الجاد في عملي بالآتي:

١ ــ **بيان ما فات بعض من كَتَب في الأماكن والمواضع.**
وذكره المؤلف رحمه الله (مثل كشف محل جو ناعط الذي ذكره ابن بليهد ج ١/٦٣).

٢ ــ تخليص البحث من بعض الإشكال الذي فيه بين المتن والحاشية.

٣ ــ البحث عن الأماكن التي لم يعرف مكانها المؤلف رحمه الله، في كتب الجغرافية والأدب. مثل كتب ابن خميس، وحمد الجاسر، والعبودي. وكتب : الحماسة، وجمهرة أشعار العرب، وشرح القصائد العشر صنعة التبريزي، وشرح القصائد التسع المشهورات صنعة أبي جعفر النحاس.

٤ ــ ما لم يعرفه ابن بليهد ووجدته عند حمد الجاسر أو ابن خميس أو غيرهما.

٥ ــ ما بينته مصادر أخرىٰ ومراجع ضافيه.

٦ ــ أتدخل أحياناً فأضطر إلى رفع ما جاء في المتن، فأنقله إلى الحاشية.

٧ ــ أُخرّج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية غير المُخرّجة.

٨ ــ تصحيح بعض الآيات وتخليصها من أخطائها المطبعية.

٩ ــ شرح بعض الأبيات معتمداً الشروح الشهيرة التي تناولت المعلقات.

١٠ ــ إضافة علامات ترقيم أحياناً مما وقع في الطبع.

١١ ــ ترجمة بعض الشخصيات الأدبية من كُتَّاب وشعراء، مما ورد

ذكرهم دون ترجمة، ورأيت أنهم بحاجة إلى ترجمة إمّا لكونهم مغمورين، وإما لضرورة يتطلبها البحث.

١٢ ــ وضع مصادر ومراجع عن بعض التراجم.

١٣ ــ حذف ما تكرر طبعه والإشارة إلى بعض المكرر.

١٤ ــ تصحيح بعض ما وقع في البحث من أخطاء، وتعديل بعضها من العامي إلى الفصيح، إلا ما غلب على الذهن روايته عن العامة بنصه فقد تركته كما هو.

١٥ ــ تحقيق بعض الأبيات الشعرية، وبيان الروايات المختلفة للبيت الواحد أحيانا، ورد بعض الأبيات الشعرية إلى أصحابها الذين عرفوا بها.

١٦ ــ حدث أثناء الطبعات السابقه أنّ أرقاماً سقطت حواشيها فكان عليٍ أن أبحث عن هذه الحواشي وأثبتها في مكانها.

١٧ ــ الوقوف في عملنا عند الصفحة ١٣٧ من الجزء الثاني. وذلك لانتهاء ذكر أسماء الأماكن والمواضع الواردة في المعلقات وفي شعر غير أصحاب المعلقات مما يكون مسحاً لأغلب الأمكنة والمواضع المعنية في ديار أصحاب المعلقات وسواهم، داخل الجزيرة العربية.

١٨ ــ صنع الفهارس الفنية المتعددة التي تساعد الباحث والدارس، ومعلوم لدىٰ القارىء أن الدراسة الجادة تحتاج إلى الفهارس التوضيحيّة اللازمة.

١٩ ــ وكنت نويت تحلية الكتاب بمصورات (خرائط) الأماكن والبقاع ووضعها حيث يكون الحديث عن المكان، غير أن الأستاذ الدكتور اسعد عبده صنع في ذلك مالا مزيد عليه.

من هنا أثرت إحالة القارىء على ماصنع الأستاذ الدكتور اسعد عبده في كتابه (معجم الاسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية).

ولا يفوتنى في نهاية هذه الكلمة أن أقدم الشكر لابن المؤلف الشيخ عبد الله بن محمد بن البليهد، فلولاه بعد الله ما كان هذا العمل الذي أرجو من الله تبارك وتعالى أن يثيبني وإياه على إنجازه ونشره خدمة لتراث أمتنا، وفكر رائد من رواد هذه الأمة في عصرها الحديث. رحم الله الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد ونفع بهذا العمل طلاب العلم والمعرفة.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ..

ا.د محمد بن سعد بن محمد بن حسين

١ من محرم سنة ١٤٠٧هـ

٤ من سبتمبر سنة ١٩٨٦م

في حي الملز بمدينة الرياض العامرة

مُقدّمَة الطبْعَة الثانيَة[1]

حظيت الجزيرة العربية باهتمام الباحثين والدارسين، إذ أنها منبع الفصاحة ومصدر الالهام لكثير من الشعراء الذين وقفوا على أطلالها وناجوا شعابها ووديانها وجبالها، وخلدوا في شعرهم كثيرا من معالمها.

غير أن كثيراً مما كتبه الأقدمون عنها كان لا يخلو من نقص بالإضافة إلى الأوهام الجمة التي تابع فيها بعض اللاحقين من سبقهم.

لذا فعندما قام والدي ــ رحمه الله ــ بإصدار كتابه «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» ذلك الكتاب الذي اعتمد فيه في تحديده للمواضع بالإضافة إلى المؤلفين الثقات ــ على الدراسة الميدانية وذهب في التحقيق بعيداً مما كلفه الكثير من الجهد وهو جهد لا أسترسل في الحديث عنه وإنما أدع الحديث عنه لغيري.

أقول : للمنهج الذي سار عليه المؤلف رحمه الله استُقْبِلَ الكتَابُ من القراء بتشجيع وإقبال كبيرين. ولم يمض إلا وقت يسير حتى نفدت الكمية المطبوعة وتوالت علينا الطلبات من القراء الكرام لاقتناء نسخ منه مما اضطرنا إلى إعطاء الكمية القليلة التي كنا قد احتفظنا بها لأنفسنا ثم لم نجد أخيراً بُداً من الاعتذار.

ولقد كان ذلك الإقبال الذي نعتز به والتشجيع الذي نشكره ونقدره خير ثمن تقاضاه مؤلف الكتاب مقابل ما بذله من جهود في تأليفه.

منذ ذلك الحين عقدت العزم على أن أعيد طبع الكتاب تلبية لرغبة القراء الكرام ورأيت أن يزود بخرائط جغرافية تحدد المواضع الهامة التي يتناولها بجانب بعض الاضافات الأخرى ليكون النفع أعم والفائدة أشمل وأكبر.

---

(١) من كتاب (صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار).

ولكن ظروفاً دراسية ــ آنذاك ــ وطبيعة العمل ــ بعد ذلك حالا بيني وبين ما أريد ووجدت أنني أمام أحد أمرين :

فإما أن أؤجل صدور الطبعة الثانية حتى استكمال مانوهت عنه وهذا قد يكون سبباً في تأخرها بعض الوقت، وإما أن نعيد طبع الكتاب كما هو على أن ينفّذ ما ارتأيته من إضافات في الطبعة الثالثة.

وأخيراً وأمام اهتمام جلالة الملك المعظم ــ حفظه الله ــ بإعادة طبع الكتاب، وأمام الاهتمام الكبير من صاحب السمو الملكى الأمير سلمان ابن عبد العزيز أمير منطقة الرياض بذلك، واستجابة للإلحاح المتواصل من القراء الكرام لم نجد بُدًّا من الإسراع في طبع الكتاب كما هو.

وإنني إذ أضع الكتاب في طبعته الثانية بين يدي القارئ الكريم لأجدد الوعد بتنفيذ ما نوهت عنه من إضافات في الطبعة الثالثة ــ إن شاء الله ــ شاكراً للقراء الكرام اهتمامهم وتشجيعهم، والله ولي التوفيق.

عبد الله بن محمد بن بليهد

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

أحمد الله تعالى على نعمائه، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه، وعلى آله وأصحابه وأحبائه.

أما بعد؛ فإن الدوافع التي أثارت همتي إلى تصنيف هذا الكتاب، والاصطبار على ما بذلت من جهد في تحقيق مباحثه، واحتمال العناء المضني والنصب المبرح في سبيله، ترجع إلى ثلاثة أمور :

أولها : أنه كان من سوالف الأقضية أن سافر مولاى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير المعظم فيصل آل سعود نائب مولاي حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود ووزير خارجية المملكة العربية السعودية إلى أمريكا لحضور مؤتمر سان فرانسيسكو في عام (١٣٦٦هـ) (١٩٤٥) الميلادي وهناك تشرف بالسلام على سموه كثيرٌ من رجالات الأدب العربي في المهجر، ولما آنسوا من سموه صفات العربى النبيل والحرص الشديد على مفاخر العرب ومآثرهم أبدوا لسموه ــ حفظه الله ــ ما يشعرون به من حاجة ملحة إلى معرفة ماورد في الأشعار الجاهلية ــ وخاصة للمعلقات ــ ومن الأودية، والجبال، والمياه، والتلول، والرمال، والرياض، والبلدان العامرة، والدارسة، ومعرفة ما بقى منها إلى يوم الناس هذا على اسمه الأول، وما اعترى اسمه شئ من التغير، وذكروا أن في هذه المعرفة عونا للأديب الذي يتمرس بدراسة آثار أولئك الشعراء الخالدة آثارهم، الباقية على الدهر أسماؤهم.

وإنما دعاهم إلى إبداء هذه الرغبة ما أدركوه من أنّ دراسة البيئة الطبيعية التي عاش فيها الشاعر أو الأديب أحد العوامل التي تعين على فهم شخصيته، وعلى تلمس بعض دواعي القول الذي فاض على لسانه، ثم ما قد يجر ذلك ــ إذا ما توغل الباحثون في الاستقصاء والتتبع ــ من معرفة

---

(١) مقدمة المؤلف رحمه الله.

شيء من خصائص لغات القبائل المختلفة ولهجاتها، فإن لم يؤد هذا إلى تمييز تام بين لغات القبائل فقد يؤدى إلى نوع من التمييز يهون في سبيله بذل الجهد والوقت والمال، وإن بدا اليوم هذا بعيد المنال فسيظهر بتتابع الجهود ميسوراً قريب الجنى، إن شاء الله، وإن لم يتيسر باديء الأمر التمييز بين لغات القبائل المختلفة في مفرداتها وتراكيبها جميعاً، فلن يعدم البحث الدائب الظفر بأحد هذين، ولو أن علماءنا الأوائل ــ رحمهم الله ــ قد جعلوا بعض عنايتهم مصروفاً إلى بيان ما كان من المفردات من لغة قوم دون قوم لكان ذلك أقرب إليهم وأدنى إلى اليسر، ذلك بأنهم كانوا يشافهون القبائل العربية في مساكنها؛ ولو أنهم فعلوا لكانوا قد أسدَوْا يداً إلى العربية مشكورة، ولكنا قد حصلنا على مغنم أي مغنم، ولكنهم لم يبالوا ذلك ولم يحفلوا به، إذ كان أعظم وكدهم أن يجمعوا المفردات العربية، غير عابئين بمن تكلم بها، فاجتمع لنا تراث عظيم، لكنه كحبات اللؤلؤ الغالية القيمة، لا يضمها نظام، ولا يؤلف بين ما تشابه منها ثم ينخله فيميزه أنواعاً وفصائل عرفان جوهري بارع، وليس من المعقول عند أحد أن تكون هذه الكثرة الفائقة الحد من المترادفات والأضداد، وهذه الأنواع الكثيرة من الاشتقاق والقلب والإبدال من لغة قبيلة واحدة. والله سبحانه المستعان.

ومن النقص الملموس في الأدب العربى أن تبقى مجهولة تلك الأماكن التي انطلقت فيها قرائح أولئك الشعراء، وأن تظل مغمورة هذه الأجواء التي سبحت فيها أخيلتهم، وسلس لهم فيها قياد القول، وتفجرت بين هضابها ووديانها ينابيع البيان من أفواههم، هذه الأماكن التي تكون البيئة الطبيعية التي درج فيها العربي الأول : يناغم كثبانها، ويضرب في صحاريها الفسيحة، ويستظل بسمائها الصافية، ويهتدي بنجومها الزاهرة، راضياً بذلك، قرير العين به، صابراً على ما يكابد من شظف العيش وقلة وجوه الاكتساب، مكتفيا بأنه يعيش في منازل آبائه وأجداده وفيها مجالس

أنسهم، ومسارح لهوهم، ومعترك حروبهم، وفيها نواديهم التي كانوا يتنافرون فيها ويتفاخرون.

من النقص الملموس في الأدب العربي أن تبقى تلك الأماكن مجهولة، وما فيها مكان إلا له ذكريات تهز مشاعر العربي الصميم، وتبعث في نفسه ألواناً من البطولة والمغامرة والإقدام، لأنها تقترن بمجد العرب وحضارتهم ولغتهم وآدابهم. والعرب هم أولئك الذين نزل كتاب الله تعالى بلغتهم، وبُعِثَ أشرفُ الخلق صلى الله عليه وسلم من أنفسهم، فطافوا بأرجاء العالم المعروف لهم يومئذ، يحملون مشاعل النور رسلاً للإنسانية، وزعماء للإصلاح في مختلف نواحي الحياة، بما أوحي إليهم دينهم وما حباهم الله به من فطرة صافية، ومنطق عذب، وقوة دائبة يباركها الإخلاص في نشر ذلك المبدأ السامي العظيم، حتى دانت لهم المشارق والمغارب، واحدثوا ذلك التطور الخطير المفاجئ في العقيدة، والتفكير، والاجتماع.

قال عطاء بن أبي رباح فقيه الحجاز، لما وفد على سليمان بن عبد الملك: «يا أمير المؤمنين، إن أهل الحجاز ونجد هم أصل العرب، ومادة الإسلام دوخوا الجبابرة، وفتحوا الأمصار، وأعز الله بهم الإسلام، وأحب أن تضع صدقاتهم في فقرائهم» فأعطاه ذلك.

وإذا كنا نعتبر الآثار المادية شواهد ناطقة على ما وصلت إليه الأمم من تقدم في الصناعة، والذوق، ومقاييس الحياة، فيجدر بنا أن ننقب عن البيئات الطبيعية بقدر الإمكان ــ بل نشاهدها عياناً ــ اذا استطعنا ذلك ــ لنقف على مدى ما أثر في الفكر العربي في تلك العصور، ولنكشف تلك المساتير المغلقة، فلا تظل مطوية على تعاقب الأجيال، فقد نجد في دراسة تلك البيئات ومشاهدتها واستيحائها ثروة فكرية لا يقدر قدرها، ومثل علماء الفكر كمثل علماء الطبيعة والاقتصاد، يجد كل واحد منهم بغيته في بحثها، ألم تر إلى الجزيرة العربية نفسها في العصر الحاضر وقد

اكتشف في أحشائها من معادن مطمورة لفتت إليها الأنظار بعد أن كانت لا تثير من الناحية الاقتصادية أدنى اهتمام.

وقد استجاب مولاي سمو الأمير فيصل لرغبة أولئك الأدباء المهجريين فأمر ــ حفظه الله ــ أن أكتب في هذا الموضوع ــ على صعوبته ــ مبينا كل ماء، أو جبل أو وادٍ، أو كثيب، وأبين مع ذلك ما كان منها باقياً باسمه القديم إلى اليوم، وما تغير اسمه. لكثرة تجوالي في نجد، ودراستي معالمها وآثارها دراسة وافية، وفي المثل السائر «قتل كل أرض خبيرها».

على أني لم أكتف بمعلوماتي الخاصة، فقد أنشأت أسفاراً جديدة؛ حباً في الوقوف على الحقيقة إلى بلاد مختلفة منها «الشَّعْراء» وهي بلدة متوسطة في عالية نجد، يختلف إليها الأعراب من كل ناحية. وبلغ بي الأمر ــ إذا اشتبه عليّ موضــع لم أذهب إليه ــ أن أرسل بعض الأعراب الذين يعرفون البقاع في بلاد العرب إلى المكان الذي أتحرى وجوده فيه، ليبحثوا عنه ويأتوني بالخبر، فأبذل لهم الجوائز لقاء تعبهم. وأضرب لذلك مثلاً واحدا، فقد أشكل عليَّ اسم «راكس» هل هو باق بهذا الاسم أو دارس؟ لأنه مقرون في بعض الأشعار «بَرحْرِحَان» ورحرحان معروف بهذا الاسم إلى عصرنا هذا، فطلبت من بعض الأعراب أن يبحث عن ذلك، وحددت له الأرض التي تحريت وجوده فيها؛ فركب راحلته، وبعد شهر من ذلك وصل إليَّ فأخبرني أنه وجد جبلا أسود، قرب وادي الرمة ــ كما حددت في هذا الكتاب ــ وحوله كثيب من الرمل يقال له الآن «أبرق راكس» والأبرق هو كثيب الرمل، وراكس : هو الجبل.

الامر الثاني : أني رأيت كثيراً من الباحثين في الأدب والتاريخ ــ حينما يتعرضون للكلام على مواضع جزيرة العرب ــ يخطئون في تحديد بعض تلك المواضع وعذرهم في ذلك واضح؛ لأنهم يعولون على المعاجم العربية القديمة، وتلك المعاجم ــ مع احترامي لمؤلفيها، واعترافي بفضلهم ــ لا

تخلو من نقص؛ لأن أكثر مؤلفيها لم يكتبوا ما كتبوه عن مشاهدة، بل عن نقل.

ويستثنى من ذلك :

١ ــ الاصمعي في كتابه (مياه جزيرة العرب) وهو كتاب مخطوط، يوجد منه ــ فيما بلغني ــ نسختان : احداهما لدى الأستاذ «رشدى ملحس» والثانية في مكتبة الشيخ «محمود الألوسي» رحمه الله!.

٢ ــ رسالة عرام بن الاصبغ السلمى الأعرابي (جبال تهامة ومحالها[١]» التي رواها عنه أبو الأشعث الكندي. وقد نقل عنها أبو عبيد عبد الله البكري في «معجم ما استعجم» كما نقل عنها ياقوت الحموى شيئاً كثيراً، وتوجد قطعة من أصل تلك الرسالة في إحدى مكاتب الهند، استنسخ منها فضيلة الشيخ «محمد نصيف» نسخة، وقد شرع في طبعها الآن، كما ذكر لي فضيلته.

٣ ــ كتاب محمد بن إدريس بن أبي حفصة اليمامي عن نجد، وهو كتاب تدل النقول التي نقلها عنه ياقوت على تحقيق، ومعرفة جيدَة، ولم أطلع على أصل هذا الكتاب، ولا عثرت له على ذكر في المكاتب.

٤ ــ كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني، وهو كتاب جليل القدر، مفيد جداً، ولا سيما في ذكر المواضع الجنوبية من الجزيرة، وقد طبع الكتاب بمدينة بريل سنة ١٨٩١م في مجلد أضاف إليه طابعه المستشرق مللر Miiller مجلداً ثانياً لفهارسه وغيرها[٢].

وأما بقية المعاجم العربية ــ كمعجم البلدان، ومعجم أبي عبيد البكري، وأمثالهما ــ فمع جلالة قدر مؤلفيها يحتاج الباحث إلى التثبت في النقل منها.

---

(١) حققه ونشره عبدالسلام هارون في مجموعة نوادر المخطوطات.

(٢) تم طبعه مرتين، الأولى بتحقيق ابن بليهد نفسه، والثانية بتحقيق (الاكوع).

وإنك لترى العجب العجاب حين ترى ما وقع فيه بعض رجالات الأدب العربي وتاريخ الحضارة العربية من أغاليط، سببها الثقة البالغة بما سطره أصحاب معاجم الأمكنة والبقاع، ولَكَم تملكني العجب ــ كما تملك غيري ــ عندما قرأت مقدمة كتاب «محاضرات الأمم الإسلامية» الذي دبجه يراع الأستاذ محمد الخضري بك ــ رحمه الله تعالىٰ ــ وكتاب «تاريخ الإسلام السياسي» الذي وضعه الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن بك، والبحثين الطريفين اللذين كتبهما الدكتور محمد صبري بك عن امرئ القيس، وذي الرّمة، وكتاب «مهد العرب» الذي صنّفه الدكتور عبد الوهاب عزام بك، وغير هذه الكتب مما يتوفر على اخراجه جماعة من زعماء الأدباء والمؤرخين[١].

والأمر الثالث : إن قوماً ممن أشرب الله قلوبهم حب العرب والعربية ما فتئوا يثيرون اهتمامي لهذا البحث، ويتقاضوننى الانقطاع له، ومن هؤلاء الأماثل الأستاذ الفاضل «رشدي ملحس» فلقد كتب إليّ كتابا يقول فيه «يهمني جداًمعرفة حدود الأماكن التي ورد ذكرها في المعلقات العشر. وقد عنيت لأجل ذلك بجمع ما تيسر تحقيقه، وبما أنك من الخبيرين بمثل هذه الأمور جئت بكتابي هذا أرجوك مساعدتي في هذا البحث، وأن تكتب إليّ مطوّلا عما لديك من التحقيقات عن هذه الأماكن، مع بيان حدود كل منها، وتعريفها تعريفاً وافياً».

وأرفق كتابه هذا بقائمة فيها أسماء المواضع التي أشكلت عليه من بقاع وجبال ومياه، ووضع كل لفظ بين قوسين، فبعثت إليه بما عندي من المعلومات عن ذلك.

وقد رأيت يومئذ أن من الخير أن أشرك القراء معنا في هذا البحث والذي أعتقد أن كل دارس للأدب العربي ــ وللشعر الجاهلي منه بصفة

(١) يعني ماوقع فيها من خلط في اسماء الأماكن.

خاصة ــ لا يستغني عنه، فنشرت فصولاً من هذا البحث في جريدة «البلاد السعودية» الغراء التي تصدر بمكة المكرمة، وفي أثناء تلك المدة التي نشرت فيها تلك الفصول وصلني كتاب من الأستاذ الكبير المرحوم جميل داود المسلمي المستشار للوزير المفوض للمملكة العربية السعودية بلندن قال فيه : بعد السلام «اطلعت في جريدة البلاد السعودية على تلك الفصول الممتعة التي تناولتم فيها بالبحث المواضع الواردة في المعلقات، وأرجو موالاة هذه البحوث النافعة، فقد تهافت علينا كثير من المستشرقين وأدباء العرب الموجودين في لندن، وسألونا : هل يجمع أمثال هذه البحوث كتاب مصنف؟ فإن عزمت على تأليف كتاب على هذا النمط فأنا أول من يساهم في طبع ذلك الكتاب».

ولما أتممت كتابة هذه الفصول تفضل صاحب المعالي وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان بطبعه على نفقته، فأسدى بذلك إلى مؤلف هذا الكتاب وإلى المتطلعين إليه يداً كبيرة، كشأن معاليه في المسارعة إلى كل مشروع نافع، حفظ الله معاليه رائد لنهضة البلاد، وساعداً أيمن للعاملين في شتى ميادين الإصلاح!.

وها أنذا أخرج اليوم هذا الكتاب في هذا الموضوع الخطير ــ بعد أن تَوَفَّرْتُ على كتابته سنين طوالا ــ وأرجو أن أكون بهذا العمل قد سَدَدَتُ خللاً كان ينبغى أن يعمل علماء العرب على سده منذ أمد طويل، فأكون بذلك قد أسديت إلى قومى اليد التي طالما تطلعوا إلى من يسديها إليهم. والله سبحانه المسئول أن يجعل هذا العمل نافعاً، وأن يكتبه لنا في سجل الحسنات، آمين.

القسم الأول

من الكتاب

في ذكر أماكن وردت في المعلقات العشر وبعض أشعار أربابها

تصدير

بذكر الأماكن التي طاف بها أصحاب المعلَّقات

من المعروف أن العربي الأول لم يكن يميل إلى استيطان موضع مُعَيَّن؛ فقد اضطرته عوامل التكوين، ومطالب العيش، وظروف الحياة، إلى أن ينزح من مكان إلى آخر انتجاعا لمواقع القطر، ومنابت الكلأ؛ لأن عليها مدارَ مَعَاشه.

والشاعر بصفةٍ خاصةٍ من أكثر العرب تنقلاً في البلاد، فقد دأب أكثر الشعراء على أن يَفِدَ على الملوك وسادات القبائل، مادحاً ومستجدياً، لما للشاعر من مكانة في نفوسهم، وما يلقاه عندهم من الترحيب وجزيل المواهب.

وإذ كان موضوع بحثنا في الجزء الأول من هذا الكتاب بيان المواضع الواردة في المعلقات فسنُلْمِعُ هنا موجزين إلى منازل أصحابها، وإلى الأماكِنِ التي طافوا بها في حياتهم، ليقف القارئ ـــ قبل كل شئ ـــ على إشارة عن منازلهم، وتنقلاتهم، تمهيداً للفصول التالية.

١ ــ امرؤ القيس[١]

بلدته «ذوجرة» قرية بمخلاف «السكاسك» في اليمن، وهو رجل كان كثير التنقل في أول شبابه، ولذلك ورد في شعره كثير من أسماء المواضع في مختلف أنحاء الجزيرة؛ فذكر مواضع من حضرموت، كدَمُّون وعَنْدَل، ومواضع في شمال نجد كأُسَيْس والطها وتَيْمَاء السَّمَوْءَل، ومواضع في عالية نجد الشمالية كمنْعِجٍ وعَاقِلٍ، ومواضع في عالية نجد الجنوبية، كالدَّخُولِ وحَوْمَلَ وتُوضِح والمِقْرَاة.

ومن عادة الشعراء المتقدمين ذكر المواضع المتباعدة في القصيدة الواحدة. بل في البيت الواحد وقد وفد على قيصر ملك الروم، وهو يقول في هذه الرحلة :

بَكَىٰ صَاحِبِي لمَّا رأىٰ الدَّرْبَ دُوْنَهُ   وأيْقَـنَ أنَّـا لَاحقَـانِ بِقَـيْصَرَا

واذا كان الحديث يجر بعضُه بعضاً فإني أحب أن أشير إلى غلط وقع فيه كثير من الباحثين في المواضع، وهو الاعتقاد بأن بلد الشّاعر صاحب هذه المعلقة هي «مَراة» المعروفة في الوَشْم[٢].

وأوُل من علمته وقع في هذا الخطأ كاتب نشر في جريدة «أم القرى» منذ ثلاث وعشرين سنة تقريباً رحلة بعنوان «الرحلة السلطانية». ثم أتى كاتب آخر فنشر رحلة أخرى في جريدة «صوت الحجاز» في سنتها

(١) انظر ترجمته في طبقات الشعراء ٤٣، الشعر والشعراء ١ /١٠٥، الأغاني ٩ /٧٦، شرح شواهد المغني ٢١، الخزانة ١ /١٦٠.

(٢) الوشم ــ بفتح فسكون ــ موضع في اليمامة يشتمل على قرى من أشهرها : مراة، وثرمداء، وأثيفية، وذات غسل، وهي بلد المصنف، ونسبه في بني خالد. وستذكر قريباً.

الأولى قال فيها : إن «مَرَاة» هي «المقراة» التي وردت في شعر امرئ القيس[1]. ثم جاء كاتب ثالث فقال في كتاب مطبوع معروف : ان امرأ القيس ولد في «مراة» وآخر من علمته وقع في ذلك الخطأ : الأستاذ أحمد حسين في كتابه «مُشَاهداتي في جزيرة العرب» .

ومنشأ هذا الخطأ أن «مَرَاة» قد نسبت في بعض مؤلفات القدامى إلى امرئ القيس، ولكن اسم امرئ القيس اسم شائع في العهد الجاهلي، واشتهر به كثير من الشعراء وغيرهم، وللأستاذ حسن السندوبى بحث ممتع عن «الْمَرَاقسة» طبعه مع ديوان امرئ القيس، وفي «المزهر» للسيوطي و«شعراء النصرانية» لليسوعي تفصيل عنهم. والذي وقع في مؤلفات أسلافنا من العلماء صحيح. ولكن امرأ القيس الذي تنسب إليه «مَرَاة» ليس هو امرأ القيس بن حجر الكندي، صاحب المعلقة، فقد جاء هذا الخطأ من الاغترار بذكر «امرئ القيس» وإنما هو امرؤ القيس بن زيد مناة بن تميم، وتميم هم سكان الوَشْم[2] في العهد القديم. فمراة لبني امرئ القيس، وثرمداء لبني سعد، وأثيفية لبني يربوع من بني حنظلة الذين منهم بلال الشاعر، وذات غسل لبنى العَنْبَر. وامرؤ القيس بن حجر الشاعر المشهور لم يسكن مراة المعروفة في بلاد الوشم.

٢ ــ زُهَيْرُ بنُ أبي سُلْمىٰ المُزَنِيُّ[3]

ولد في بلاد قومه «مُزَيْنَةَ» من نواحي المدينة، وخرجَتْ به أُمُّه بعدَ وفاة أبيه ــ وكان صغيراً إذ ذاك ــ إلى بلاد قومها بني عبدالله بن غَطَفَان ونشأ فيها، وتفتَّحَتْ شاعريتُه على مراتع الْمَهَامن رُباٰ نَجْدٍ، وقد أطنبَ في مدح

(١) لعل مما يعنيه الرحلة الملكية ليوسف ياسين التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قبل عامين.

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٦، والخزانة ٢ /٢٣٤.

(٣) انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ٤٣، الشعر والشعراء ١ /١٣٧، الأغاني ١٠ /٢٩٨، شرح شواهد المغني ١٣١، الخزانة ١ /٣٧٥، توفى سنة ٦٣١م.

رؤسائهم، كهرَمِ بن سنان والحارث بن عَوْف.

وطَبَعي أن يكثر في قصائده ذكرُ المواطن التي نشأ فيها من بلاد عَطَفَان وهي من القصيم إلى قرب المدينة، فمن ذلك : غِمَارٌ، والْمَرَوْرَاة، ونَخْل، والرَّسُّ، والرَّسيس، والْقَصِيم، وجُرْثُم، والمُتَثَلّم، والرّقْمَتَانِ، وغيرهما مما ذكرناهُ مفصّلاً عند دراسَة أثر الشاعر.

قال أحد الشعراء يهجو زهيراً(١).

وَأنْتَ أمْرَؤٌ من أهْلِ قُدْسٍ وآرَةٍ أحَلَّتْكَ عَبْدُالله أكْنَافَ مُبْهِلِ.

قلت : البيت لمزرد، وقد جاء في ذيل ديوانه ص ٨٠ ــ ٨١.
تحقيق د . خليل العطيه. طبع بغداد، مطبعة أسعد ١٩٦٢م : ورواية البيت في الديوان :
وَانْتَ امرؤٌ مِنْ أهْلِ قُدْسٍ أُوَارَةٍ أحَلَّتْكَ عَبْدُالله أكْنَافَ مُبْهِلِ

وجاء في حاشيته قدس أوارة : جبل لمزينة، وهو في واقع الحال، كما ذكره ابن بليهد.

والبيت من مقطوعة في أربعة أبيات وحكايته أن الحطيئة طلب من كعب بن زهير أن يذكره في شعره، ففعل هذا ناكرا أباه في قصيدته التي منها :
(فَمَنْ للقَوافِي شَانَهَا مَنْ يَحُوْكهَا) (الخ)
فغضب المزّرد لعدم ذكره، وقال هذه الأبيات، وهي :

وَبـــاِسْتِكَ إذ خَلفْتَنِـــي خلْـــفَ شَاعـــرٍ
منَ النَّـــاس لم أكفـــئْ وَلَـــمْ أتنحّـــلِ

---

(١) البيت لمزرد بن ضرار الغطفانى يهجو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزنى.

فَإِنْ تجشبــــــا أجشبُ وإن تتنخّـــــــلا
وَإن كُنْتُ أفتـــىٰ منكمـــا ـ أتنخَّـــلِ

ولستُ كحسان ـ الحسام ـ بن ثابتٍ
ولسَتُ كَشَمّـــــــاخٍ ولا كالمخبَّـــــــلِ

وَأَنْتَ امـــرؤٌ من أهـــل قُدْسِ أُوَارَةٍ
أحلّـــتْكَ عَبْـــدُ الله أكنـــافَ مُبْهِـــلِ

أما «قدس[1] وآرة» فهما في بلاد مزينة قرب المدينة يعرفان بهذا الاسم إلى عهدنا هذا. وأما مبهل فهو واد في بلاد غطفان يصب في الجهة الجنوبية من وادي الرمة.

٣ ـ طَرَفَةُ بنُ العَبْدِ البَكْرِيُّ[2]

ولد في شمال الجزيرة في بلاد ربيعة ـ وهي من العراق إلى خيبر ـ وأكثر إقامته فيها، وقد أكثر التجوال في بقاع نجد، وذكر في معلقته المشهورة بقاعا مترامية الأطراف : منها دجلة في شرقي الجزيرة، وحومل في

(١) قدس : بضم فسكون، وآرة : بهمزة فألف فراء مهملة مفتوحة، وفيهما يقول البعيث الجهني، وهو يدل على أنهما من مساكن مزينة :

ونحـــن وقعنـــا في مزينـــة وقعـــة
غداة التقينـــا بيـــن غيـــق وعيهمـــا

ونحـــن جلبنـــا يوم قدس وآرة
قنابـــل خيـــل تتـــرك الجـــو أقتمـــا

ووقع في معجم ياقوت «يوم قدس أوارة» محرفاً فإن أوارة من بلاد تميم في اليمامة، وأين غانة من فرغانة؟.

(٢) انظر مصادر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ١١٥، الشعر والشعراء ١٨٥ سمط اللآلي ١ /٣١٩ الخزانة ١ /٤١٤.

غربيها، وثهمد قرب نفى في وسط نجد، وضرغد الذي يسمى اليوم ضرغط يقع بين بلاد بنى أسد وبين بلاد طى في شمال نجد الغربى، ودَدٌ في نواحي البحرين.

ووفد على عمرو بن هند[1] ملك الحيرة من قبل كسرى، وحظى بالقرب منه، ولكنه مل حياته الرتيبة، على ما فيها من مناعم الحياة، فهجاه هجاء كثيراً منه قوله :

فَلَيْتَ لَنَا مكانَ المَلْك عَمْرٍو ... رَغُوْثاً حَوْلَ قُبَّتِنَا تخُور[2]

وانتهى الأمر بقتله على يد (المكعبر) عامل عمرو بن هند على البحرين فانتصر له ابن عمه عمرو بن كلثوم، فقتل عمرو بن هند.

قلت : هذا التعليل غير صحيح، وعمرو بن كلثوم لم يقتل عمرو بن هند لقتله هذا الأخير طرفة بن العبد، ويمكن الرجوع إلى جمهرة النسب لابن الكلبى الجزء الثالث ص ٣٠٠ وما بعد لمعرفة سبب مقتل عمرو بن هند.

انظر : جمهرة النسب لابن الكلبي ج ٢/ ٣٠٠ طبع دار اليقظة العربية دمشق ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م تحقيق محمود فردوس العظم.

٤ ــ لَبِيْدُ بنُ ربيعةَ الْعَامِرِيُّ[3]

ولد في عالية نجد، وكان كثير التَّجْوَال فيها في جاهليته، وبعد إسلامه،

(١) هند أم عمرو : هي بنت الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور، وهي عمة امرىء القيس بن حجر الكندي.

(٢) الرغوث ــ بفتح الراء ــ كل مرضع، وقيل : المرضع من النعاج خاصة، وربما استعملت في النوق، وتخور : تصوت، وأصل الخوار ــ بضم الخاء، وفتح الواو مخففة ــ صوت البقر خاصة، وربما استعمل في الابل وغيرها.

(٣) انظر مصادر ترجمته في : الشعر والشعراء ١ /٢٧٤، الأغاني ١٥ /٢٩١ شرح شواهد المغنى ١٥٢، الخزانة ١ /٣٣٧. وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وهو صحابي توفي سنة ٤١هـ وقيل سنة٦٠هـ.

وله أشعار ذكر فيها بقاعاً كثيرة : كمنى، وغول، ورجام، وتدوم، ووجرة، وهى مواضع في عالية نجد، وكشعب جبلة في وسط نجد، قال لبيد :

* (وَنَحْنُ غَدَاةَ الشّعبِ حِيْنَ تَحَالَفَتْ)البيت*

وفي هذا الشِّعْب يوم من أيام العرب انتصرت فيه بنو عامر على بني أسد وبني ذبيان وبنى تميم، وقتل في ذلك اليوم لقيط بن زرارة سيد بني تميم[1] :

ومن المواضع التي ورد ذكرها في شعره بيشة[2] وتبالة في جنوبي الحجاز.

وقد وفد على النعمان بن المنذر في الحيرة ــ وهو غلام ــ مع رؤساء بني عامر، ونزل الكوفة بعد إسلامه.

★ ★ ★

٥ ــ عَمْرو بنُ كَلْثُومٍ التَّغْلِبيُّ[3]

هو صاحب المعلقة المشهورة، وأحد فتاك العرب، ولد في بلاد قومه بني تغلب في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة. وتجول في تلك الناحية وفي الشام والعراق ونجد. ويدل على ذلك ما ذكره في معلقته من الأماكن

(١) انظر حديث يوم جبلة في تاريخ ابن الأثير ١ /٢٤٣ بولاق، وفي معجم أبي عبيد البكري ٢ /٣٦٥ وفي معجم ياقوت ٣ /٥٢ ويسمى أيضاً «يوم تعطيش النوق» وكان في العام الذي ولد فيه النبي ﷺ.

(٢) بين تبالة وبيشة يوم واحد، وبينها وبين الطائف ستة أيام، وبينها وبين مكة ثمانية أيام، وإليها ينسب أبو أيوب سليمان بن داود بن سالم بن زيد التبالي، سمع منه أبو حاتم الرازي.

(٣) انظر مصادر ترجمته : طبقات فحول الشعراء ١٢٧، الشعر والشعراء ١ /٢٣٤، الأغاني ١١ /٤٦، معجم الشعراء ٦، سمط اللآلي ٢ /٦٣٥، الخزانة ١ /٥١٩ توفى سنة ٥٢ ق. هـ.

كدمشق وبعلبك وقاصرين. وهذه الأماكن الثلاثة قريب بعضها من بعض، وقد ذكر اليمامة، وهي الجبل المشهور : طرفه الشمالي قرب الغاط البلد المشهور، وطرفه الجنوبي قرب وادي الدواسر، ويقع في الجهة الشرقية من نجد، وقد حددته في كتابنا هذا تحديداً شافياً على شرح هذا البيت :

فَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْمَخَرَّتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِى مُصْلِتِيْنَا

وقد ذكر خزاز، وأشار في ذكره إلى ايقاد ربيعة النار في رأس ذلك الجبل، وهو في عالية نجد، وكان به يوم من أيام العرب بين العدنانيين واليمانية[١]، وهو أول يوم هزمت فيه العدنانية اليمن، ثم ذكر وراط، وهو من أودية سدير الواقع في اليمامة، وذكر ذا طلوح الذي يقال له اليوم «الطليحي»، وذكر الشامات، وهي : أكثبة بيض يقال لها اليوم «شامات زرود» تقع في شمالي زرود في شمالي نجد.

وقد وفد على عمرو بن هند مع رؤساء قومه بنى تغلب

★ ★ ★

٦ ــ عَنْتَرَةُ بنُ شدّادِ العَبْسِيُّ[٢]

ولد في بلاد قومه غطفان، وهي ــ كما ذكرنا عند كلامنا على زهير ــ من القصيم إلى قرب المدينة غرباً، يحدها من جهة الشمال بلاد بني أسد، ومن جهة الجنوب بلاد بني عامر بن صعصعة.

وقد طاف في جميع أنحاء نجد، وذكر في قصيدته مواضع بعيدا

(١) انظر بعض خبر يوم خزاز في معجم أبي عبيد البكري ٢ /٤٩٦ ومعجم ياقوت ٣ /٤٢٩ وفي تاريخ ابن الأثير ١ /٢١٣ قالوا «ولولا عمرو بن كلثوم ماعرف يوم خزاز».

(٢) انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ١ /٢٥٠، وشرح شواهد المغني ١ /٤٨١، والأغاني ٨ /٢٣٥.

بعضها من بعض كالجواء الواقع غربى القصيم، والحزن الذي يقال له اليوم «الحزل» شرقي الدهناء، وذكر الصمان؛ وهو شرقي الدهناء، والمتثلم : جبل قرب الجواء، وذكر عُنَيْزَتَيْنِ[1]، وهي بلدة «عنيزة» الآن؛ وذكر الغَيْلم وهو في جنوب اليمامة؛ وذكر ذا العشيرة؛ وهو (جو في) الصمان يقال له الآن «جو عشرى» وذكر الدُّحْرضَيْن وهما دحرض ووَشِيْع مما يلِي الخرج تفصل بينهما الدهناء، وذكر الديلَم، وَهي الآن عاصمة الخرج، ويقال لها الآن «الدلم»، وذكر الرِّدَاعَ، وهو في عالية نجد.

★ ★ ★

٧ ــ الحارثُ بنُ حِلِّزَةَ الْيشْكُرِيُّ[2]

ولد في بلاد قومه بني يشكر في بلاد ربيعة، وتجول في بلاد قومه، وفي عالية نجد وجنوبها وشمالها، وفي بلاد طيء، وبلاد بني أسد وبلاد غطفَان.

ذكر «الخَلْصَاءَ» وهي في الدهناء و«بُرْقَةَ شَمّاء» وهي في حمي

---

(١) من عادة شعراء العرب أن يثنوا اسم البلد أو يجمعوه، ويريدون بالتثنية جانبيه، ويريدون بالجمع عدة أجزائه وذلك كثير في كلامهم، وقد ثنى الفرزدق المربد في قوله :

* **عشية سال المربدان كلاهما** *

وجمع مطرود بن كعب غزة في قوله :

ميت برومان وميت بسلمان وميت عند غزات

فإذا اعتبرنا تثنية عنيزة من هذا القبيل فهي من البلاد الباقية على اسمها إلى اليوم. هذا، وفي عنيزة قتل مهلهل بن ربيعة جساس بن مرة قاتل أخيه كليب بن ربيعة، وفي هذه الوقعة يقول مهلهل :

كأنــــــا غدوة وبنــــــي أبينـــــا
بجـــــنب عنيــــزة رحيـــــا مديــــــر

(٢) انظر مصادر ترجمته في : الشعر والشعراء ١ /١٩٧، الأغاني ١١ /٣٧، وقيل توفى سنة ٥٢٠م وقيل بل ٥٨٠م.

ضَرِيّة. وذكر «المُحيَّاة» ويقال لها اليوم «مُحَيْوَة» جبل رفيع في بلاد غطفان بالقرب من أبان؛ وذكر «فُتق[1]»وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد قرب بلد حائل، وذكر «رياض القطا» وهي قرب الدهناء وذكر «الشعبتين» وهي باقية بهذا الاسم في بلاد بنى أسد، فلما انقرضت[2] بنو أسد نزلها قسم من قبيلة الأسلم من شمر، وذكر «أبلى» وهي في عالية بلاد بني عبد الله بن غطفان، وذكر «العقيق» وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد : أعلاه قرب عشيرة، وينتهي بالقرب من المدينة، وذكر «شخصين» وهما جبلان في شمالي جبل كشب المشهور، وذكر «ملحة» بالقرب من «بيشة» في عالية نجد الجنوبية، وذكر «الصاقب» وهو جبل في عالية نجد باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، وذكر «البحرين ، والحساء» والبحرين يطلق على مقاطعة هجر، إلى غير ذلك من المواضع التي سنذكرها مفصلة مع بيان حدودها عندما نتعرض لقصيدة الشاعر.

وقد وفد على عمرو بن هند بالحيرة، شاعراً لبكر، وقصته مع عمرو مشهورة.

★ ★ ★

---

(١) قد ورد بلفظ «فتاق» بزنة الكتاب ــ في شعر الحارث بن حلزة، وفي قول الأعشى :

بكميت عرفاء مجمرة الخف غذتها عوانة وفتاق

وفي قوله أيضاً :

أتاني وغور الحوش بيني وبينه
كرانس من جنبي فتاق فأبلقا

والفتق ــ بضم الفاء والتاء جميعاً ــ جمع فتاق (وانظر الهامشة رقم ١ في ص ٣١).

(٢) لعله يريد انقراض بني أسد من الشعبتين، وأما بنو أسد اليوم فقسم منهم في العراق، وقسم في تركيا في الرها.

٨ ـ الاعشى مَيْمُونُ بنُ قَيْسٍ[١]

صاحب المعلقة المشهورة، ولد في بلدة منفوحة قرب مدينة الرياض[٢]، وكان رحالة كثير التجوال، وفد على ملوك نجران بني عبد المدان، وعلى الغسانيين بالشام، وعلى اللخميين بالعراق، ووفد على رسول الله ﷺ بقصيدة دالية قال فيها :

فَآلَيْتُ لا آرثى لها من كَلَالَةٍ ... وَلَا من حفاً حتّى تلاقي محمَّدا
متى ما تُنَاخِي عندَ بابِ ابنِ هاشِمٍ ... تُرَاحِي وتَلْقَىٰ من فَوَاضِلِه نَدَىٰ

فصدته قريش، ورجع إلى بلدته منفوحة، ومات بها، فلما سمع رسول الله ﷺ هذه القصيدة قال «كاد أن يسلم».

ورد في داليته ذكر «النجير»، وهو قصر في اليمن لكندة[٣]، و«صرخد» وهو من قرى الشام، فانظر إلى هذا التباعد بين الموضعين في قوله :

وَأَبْتَذِلُ الْعِيسَ الْمَرَاقِيلَ تَغْتَدِي ... مسافة ما بين النُّجَيْرِ فَصَرْخَدَا[٤]

وذكر في معلقته مواضع كثيرة «كرياض الحزن»، ويقال لها اليوم

---

(١) انظر مصادر ترجمته في الشعر والشعراء ١ /٢٥٧، الأغاني ٩ /١٠٤. معجم الشعراء ٣٢٥، سمط اللآلي ٨٣/١ شرح شواهد المغني: ٢٤٠ وقد توفي سنة ٧ هـ.

(٢) احتوتها الآن مدينة الرياض.

(٣) صرخد، بلدة معروفة في بلاد الشام من أعمال محافظة السويداء السورية في جنوب سورية، وهي مازالت معروفة بهذا الاسم الجاهلي، مع تبديل طفيف حل بالراء فيقال لها: (صلخد)، وفيها آثار قديمة.

(٤) العيس : الأبل، واحدها أعيس أو عيساء، والمراقيل : جمع مرقال وهي السريعة السير.

الحزل وذكر «درنا»[١]، وهي من قرى اليمامة، وذكر «نمار» وهو في أودية اليمامة، وذكر «الخال» وهو جبل واقع على وادى الدفينة وذكر «العسجدية» وهي جبال في جبل كشب المعروف ويقال لها اليوم «العسلجيات» ومفردها عسلج، وذكر «الأبلاء» وهي واقعة في عالية بلاد بني عبد الله بن غطفان. وذكر «الرجل»[٢] وهي كثيرة في نجد، وذكر «خنزيرا» وهو جبل في عالية نجد الجنوبية، وذكر «روض القطا» وذكر «كثيب الغينة»[٣] وهو في شرق اليمامة يقال له في هذا العهد : «عريق ببان» والغينة هي القرية المسماة الآن «غيانة» وذكر «يوم الحنو»[٤] وهو في شمالي الحجرة وكان يقال له «حنو قراقر» ولا يزال له هذا الاسم إلى اليوم. وبه يوم من أيام العرب لربيعة على قسم من العرب والفرس، وفي ذلك اليوم قال رسول الله ﷺ «هذا هو أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم، وبي نصروا».

---

(١) وذكر «درنا» في غير المعلقة أيضاً، في قوله :

حل أهلي مابين درنا فبادولي وحلت علوية بالسخال

(٢) الرجل ــ بكسر الراء وفتح الجيم ــ مسايل الماء، واحدها رجلة.

(٣) الغينة : يروى بكسر الغين وفتحها.

(٤) يوم الحنو : هو المشهور بيوم ذي قار (تاريخ ابن الأثير ١ /١٩٦)، وفيه يقول الأعشى :

فَصّبحَهُم بالحنْوِ حَنْوِ قَرَاقِرٍ
وَذِي قَارِهَا منها الجنودُ فَقَلَّتِ

على كلّ مِحبوكِ السّراةِ كأنّهُ
عقابٌ سَرَت من مرقبٍ إذ تدلّتِ

وقال من معلقته :

نحنَ الفوارسَ يَوْمَ الحنو ضاحيةٍ
جَنْبَى فُطَيْمَةَ لا مِيْلٌ ولا عُزُلُ

٩ ـ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ(١)

ولد في بلاد غطفان، وتنقل في جميع بلاد العرب، ووفد على الملوك اللخميين، وآثر النعمان بن المنذر على جميع الشعراء، ولما غضب عليه وفد على الغسانيين.

وذكر في قصائده مواضع كثيرة في نجد وغيرها : ذكر «الجليل»(٢) وهو جبل بالشام يمتد إلى قرب حمص، وذكر «وجرة» وهي في عالية نجد، وذكر «تَدْمُرَ» وذكر «تُوضِحَ» وهي أرض متسعة يقال لها اليوم «التوضحيات» بعالية نجد الجنوبية، وذكر «جِلَّق» وهي دمشق، وذكر «الملح» إشارة إلى أملاح عبد الله بن غطفان، وهي عالية بلادهم، وذكر «الأمرار» وهو الملح المذكور يقال لها في هذا العهد «أملاح عبد الله» وذكر «حُساً» ويعرف الآن «بحِسِي عَليا» في عالية نجد الشمالية وذكر «لصاف» وهو منهل باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، وذكر «ثَبْرَة» وتسمى في هذا العهد «وبرة» ويقع الموضعان في شرقي الصمّان، وذكر «لابَة ضَرْغَد» التي يقال لها اليوم «ضرغط» وغير ذلك من المواضع المفصلة في هذا الكتاب.

* * *

= وفي رواية (يوم العين) انظرَ شرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس تحقيق أحمد خطاب القسم الثاني ص /٧٢٧. والحنو : واد يبعد عن السليّل ٤٠ كيلا جنوباً للوداعين.

(١) انظر مصادرترجمته في : الشعر.والشعراء ١ /١٥٧ الأغاني ١١ /٢٣ سمط اللآلي، ١ /٧٩، شرح شواهد المغنى : ١ /٧٨، الخزانة ١ /٢٨٧، توفي سنة ١٨ قبل الهجرة.

(٢) وذكر «ذا الجليل» في قوله :

كأن رحلي وقد زال النهار بنا
بذي الجليل على مستأنس وحد

١٠ ـ عبِيْدُ بنُ الأَبْرَصِ الأَسَدِيُّ(١)

ولد في بلاد قومه بني أسد، ويحدها بلاد عبد الله بن غَطَفَان جنوبا وبلاد طيئ شمالاً. وجبال بني أسد : رَمَّان وحَبَشِي، وغِمَار الذي يقال له اليوم الغَيْمَار.

ذكر «مَلْحُوب» وهو في بلاد بني أسد يقال له اليوم «مكحول» قرب سَمِيْرَاء(٢) وذكر «القُطَبّيات»(٣) وذكر أنها قرب جبل سُوَاج، ويقع في عالية نجد الشمالية، وذَكر «الذُّنوب» وهي باقية بهذا الاسم إلى عهدنا هذا، وتقع في عالية نجد بالقرب من الدفينة(٤)، وذكر «راكسا» وهو باق

= وأصل الجليل الثمام ـــ بضم الثاء ـــ وهو نبت يحشى بها خصائص البيوت، وذكر صاحب اللسان أن ذا «الجليل» وادٍ لبني تميم ينبت الجليل الذي هو الثُّمَامُ.

(١) انظر مصادر ترجمته في مقدمة قصيدته.

(٢) سميراء ـــ بفتح فكسر ممدودا ـــ وردت في خبر طليحة الأسدى لما ادعى النبوة، وذلك «أنه عسكر بسميراء» وقال مرة بن عياش الأسدي ـــ

جلت عن سميراء الملوك، وغادروا
بهاشرقين لايضيف ولا يقرى

فأما الذين ذكر أنهم رحلوا عن سميراء فهم بنو حبيب بن أسامة من أسد، وأما الذين ذكر أنهم استوطنوها فقبيلة من بني نصر يقال لهم بنو حجران وهو يهجوهم بأنهم عبيد لاينزلون الضيفان عندهم، ولا يقرونهم إن طرقوهم.

(٣) في اللسان ما معناه : أراد عبيد القطبية فجمع كأنه يعني الماء وماحوله (وانظر الهامشة رقم ١ ص ٣١).

(٤) وقد ورد الدفين أيضاً في شعر عبيد مكرراً، فمن ذلك قوله :

تغيرت الديار بذى الدفين
فأودية اللوى فرمال لين

ومن ذلك قوله :

ليس رسمٌ من الدّفين ببِالِ
فَلِوَىٰ ذَرْوَةَ فَجَنْبَى ذِيالِ.

بهذا الاسم إلى هذا العهد، ويقع في شمالى نجد، وذكر «ذات فرقين» وهو جبل له رأسان، تراه إذا كنت في بلدة نفي، ويعد من جبال المخامر، وذكر «ثَعَيْلَبَات» ويقال له الآن «التعيلبى» من مياه طي، وذكر «عَرْدَةَ» وهي باقية بهذا الاسم إلا أنها ذكرت وثنيت فقيل لها «عردان» وتقع في عالية نجد، وذكر (حِبِرّاً) وهو جبل أسود في عالية نجد الشمالية.

وهؤلاء الشعراء العشرة كلهم من نجد، ما عدا امرأ القيس، أربعة منهم من ربيعة وهم : عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وطرفة بن العبد، والأعشى. وأربعة من قيس عيلان وهم : زهير بن أبي سلمىٰ، ولبيد بن ربيعة العامري، والنابغة الذبياني، وعنترة بن شداد العبسي، وعبيد بن الأبرص من بني أسد، وامرؤ القيس من اليمن، وأكثر إقامته في نجد.

* * *

ذكر الأماكن التي وردت في المعلقات

١

امْرُؤُ القَيْسِ بنُ حُجر الكِنْدِيّ

امرؤ القيس
مات سنة ٨٠ قبل الهجرة (٥٦٥ للميلاد) تقريباً

هو امرؤ القيس بن حجر، نسبه في بني مرتع بن كندة من كهلان[١] نذكر أولاً : المواضع الواردة في معلقته، وهذا مطلعها:

١ ــ قِفا نَبْك مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيْبٍ، وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللِّوَىٰ، بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[٢]

فَتُوضِحَ،فَالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسْمُهَا
لِمَا نَسَجَتْهَا، من جَنُوبٍ، وَشَمْأَلِ

ونبادر قبل أن نتحدث عن الأماكن فنذكر أن أهل المعاجم القديمة ذكروا أن هذه المواضع في اليمامة، قال ياقوت في معجمه[٣] : توضح والمقراة قريتان من قرى اليمامة، وتبعهم حسن السندوبي في شرحه لهذه القصيدة وذكر أن جميع هذه المواضع في اليمامة.

ولم أر أحداً من أهل الأخبار ذكرها في موضعها اليوم، إلا عبارة واحدة وردت في معجم البلدان أثناء ذكر الدخول. قال : إن الدَّخُول[٤] بئر ثم

(١) لامرىء القيس بن حجر ترجمة في الأغاني ٨ /٦٣ وفي طبقات الجمحي ١٥ أوربة وفي خزانة الأدب ١ /١٦٠ وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة ٣٧ أوربة. وانظر الشعر والشعراء ١ /١٠٥ وشرح شواهد المغنى ٢١ ورجال المعلقات ٥٢.

(٢) القصيدة من البحر الطويل، وقافيتها من المتدارك.

(٣) المعجم ٢ /٤٣٠.

(٤) المعجم ٤ /٤٥.

عزز هذا القول بقوله : حكى نصر أن الدخول موضع في ديار بنى بكر بن كلاب.

سقط اللوى سقط اللوى[1] : السقط لغة : يطلق على طرف كل كثيب، أما الذي عناه امرؤ القيس في قصيدته، فهو سناف يقال له اليوم مشرف، واسمه في الجاهلية شراف، كأنه كثيب من الأبارق والرمال طرفه من جهة الغرب قريب حومل، وطرفه من جهة الشرق قريب الدخول، والدخول وحومل باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

الدخول أما الدخول فهو ماء عذب معروف الآن بهذا الاسم يقع شمالي الهضب المعروف بين وادي الدواسر ووادى رنية، وذلك الماء تحت يد ابن نوير الشيباني اليوم؛ وفي شعر حذيفة بن أنس الهذلي :

فَلَوْ أسْمَعَ القومَ الصّراخُ لَقُوْرِبَتْ　　مصارِعُهم بَيْنَ الدَّخُولِ وَعَرْعَرَا

---

(١) سقط اللوى : وهو اليوم (مشرف) وفي الجاهلية (شراف) وانظر حمد الجاسر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية القسم الثالث : ص /١٣٤٧ ــ ١٣٤٨ مادة (شرف) وانظر المعجم الجغرافي شمال المملكة القسم الثاني ص/٧١٠مادة(شراف)،ص١٢٣١ مادة /مشرفة.

والجديد الفريد فيما ذكره ابن بليهد هنا أنه أوضح شكلاً كان غامضاً عند الذين تطرقوا إلى هذه اللفظة من شراح المعلقات، ذلك أنهم لجأوا إلى التعريف اللغوي لهذه العبارة (سقّط اللّوَىٰ) فذهبوا إلى أن السقط منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه، والسقط أيضاً مايتطاير من النار، والسقط أيضاً المولود لغير تمام، وفيه ثلاث لغات سِقْط وسَقْط وسُقْط واللوىٰ : رمل يعوج ويلتوي.

انظر : شرح المعلقات السبع للزوزني، وشرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس، وشرح القصائد العشر للخطيب التبريزي، وغيرهما. فقد كان حديث الشراح عن سقط اللوى لغوياً، وذلك لجهلهم مكانه مع قرب زمانهم وبعد زمان المؤلف، ومع هذا كان عليهم أن يذكروه كما ذكروا ما بعده الدخول وحومل مع أنهما موضعان، ولكنهم لم يفعلوا ولم يقولوا وانظر لسان العرب مادة (سقط) فانك لن تجده اسماً لمكان.

وعرعر : ماء ببطن الهضب بينه وبين الدخول مرحلتان للإبل، يسمى اليوم «عراعر».

أما حومل : فهو جبل قريب من الدخول في جهته الغربية الجنوبية، يبعد مسافة نصف يوم عن الدخول.

والمقراة : واد ينصب إلى جهة الجنوب بين الهضب والسوادة، وقد حرف اليوم إلى القمرا، فهذا الوادى المذكور يسمى اليوم «القمرا» في ألسن جميع أهل نجد؛ وجميع هذه المواضع المذكورة متقاربة.

وتوضح : أرض قريبة من الهضب يقال لها اليوم «التوضحيات» تقع عن جبل الحمل جنوبا، والحمل : جبل يقع جنوبي الهضب، فجميع هذه المواضع بعضها قريب من بعض : منها ما يبعد عن الثاني مرحلة، ومنها ما يبعد مرحلتين، وقد ذكرنا أن سقط اللوى هو طرف الأبارق التى يقال لها اليوم مشرف، واسمها في الجاهلية شراف، قال الشماخ في شطر بيت[1]:

★ مَرّتْ بِنَعْفَيْ شَرَافٍ وَهْىَ عاَصِفَةٌ ★

وقال زميل بن زامل الفزاري قاتل ابن دارة :

لَقَدْ عَضَّني بالجوَ جوَ كُتَيْفَةٍ ... ويوم التقينا من وراء شَرَافِ[2]
قصرت له الدعصى ليعرف نسبتي ... وأنبأته أنّي ابنُ عَبْدِ مَنَافِ
رفعَتُ له كفِّي بأبيضَ صارمٍ ... وقلت الْتحفْهُ دُوْنَ كُلِّ لِحَافِ

وشراف هذا هو الذي أشار إليه امرؤ القيس بقوله «بسقط اللوى» سِقْطُهُ : طَرّفُه، واللوى : الأبارق منه أكثبة متراكمة، والدخول وحومل والمقراة وتوضح : كلها تقع من جبل السوادة في الجنوب الغربي، بينها

(١) هكذا رواه ياقوت (شراف) ونسبه للشماخ، ولكني بحثت ديوان الشماخ من أوله إلى آخره فلم أجده فيه.

(٢) هكذا رواه ياقوت، ورواه صاحب اللسان (ش ر ف) * لقد غظتني بالحزم حزم كتيفة * وذكر أن شراف ماء لبني أسد.

وبين الهضب الذي يقال له اليوم «هضب آل زايد» وآل زايد : الدواسر، وتوضح يقال لها اليوم «التوضحيات» تقع جنوبي جبل الحمل، وموقعها من الهضب من جهة مطلع الشمس.

قلت : وقد ذكر ابن خميس في معجم اليمامة ج١/ ٢١٠ قال : قلت : ومن هذه الأقوال المتقدمة لابد لنا أن ندرك أنها مسميات ثلاث : توضح العادية وهي التي نص عليها ابن بليهد قرب جبل الهضب، ولا شك أنها التي عناها امرؤ القيس لقرب الأمكنة التي ذكرها في شعره معها لقربها منها ...

وتوضح قرقرى، وهي التي عناها يحيىٰ بن طالب الحنفي ونص عليها الهمداني غير أنها ليست التي عناها امرؤ القيس كما قال ... وهذه لا توجد الآن ولم نعثر لها على ذكر عند أهل المنطقة، وهذا لا ينافي وجودها سابقاً فكم من أعلام انطمست وكم من أسماء تغيرت ...

وتوضح الخرج، وهذه موجودة وتسمى (التوضحية)، تقع شرق (السهباء)فالقة جنوبي العرمة فِلقاً واقعة بين نخشيها، الشمالي والجنوبي سيلهما يدفع فيهما مع سيل وادي (التّرابي)، ووادي (وسيع) وما حولهما وتنتهي بالدهناء، ويمر الخط الحديدى من المنطقة الشرقية إلى الرياض مع شماليها، وهي الآن مزدرع كبير لمحمد ابن سعود آل سعود وأصبح جانب منها مزدرعا للأمير سلمان بن عبد العزيز في مدفع (أم العلاق) منها ... وهي روضة أجمل ما ترى من الرياض وأحسنها منظراً وأطيبها مرتبعاً ..

ولا شك أن هذه هي التي عناها الهمداني أيضاً بقوله : وكذلك توضح باليمامة بنهية بين رمل ... أهـ.

أما سبب تسمية الدخول فإنه واقع بين هضبتين والماء بينهما، ولا يُدْخَل إليه إلا من بين الهضبتين، وفي هضبة من هضابه ماء ليس بالكثير

في عرض الهضبة يجتمع من الأمطار، فلا ينقطع أبداً، ولا يصل إليه الرجل إلا وهو جاث على ركبتيه، فتسميه البادية اليوم «الدخل» أعني هذا الرس الذي في الهضبة نفسها، قال سعيد بن عمرو الزبيدي يذكر هضاب الدخول :

وإن يَكُ لَيْلي طَالَ بالنِّير أوْ سَجَا　　فقد كان بالجَمَّاء غير طَوِيلِ[1]
ألَا لَيْتَنِي بُدِّلْتُ سَعْياً وأهلَهُ　　بِدَمْخ وأضراب بِهَضْبِ دَخُوْلِ

والنِّير وسَجَا ودَمْخ كلُّها باقية بهذه الأسماء. سجا: ماء يحميه سمو الأمير فيصل لإبله وخيله، وهو من أحسن مياه البادية، والنِّير ودَمْخ : جبلان عظيمان في عالية نجد، فإن مرَّ لهما ذِكْرٌ في إحدى القصائد زدناهما إيضاحاً. سجا والنير ودمخ

أما هضب آل زايد فهو يقرب من الدخول مسافة يوم تقريباً، ومن مياهه: الضيران والغُبِّيَّة، وسَقْمان، وصلاصل[2]، ومشينه، وعَرَاعِر، ومَأْسَل ومُوَيْسِل.

فأما عراعر وصلاصل ومأسل ومويسل فهذه أسماؤها في الجاهلية، وما تغيرت إلى يومنا هذا، غير أنهم جمعوا «عرعرا» على نهج أسلافهم فقالوا «عراعر» وقد قال امرؤ القيس في ذكر عرعر :

سَمَا بك شوقٌ بعْدَمَا كان أقْصَرَا　　وَحَلَّتْ سُلَيْمَىٰ بَطْنَ قَوٍّ فَعَرْعَرَا

---

(١) الجماء المذكورة في هذا البيت : هي ماء الجمانية المعروفة في جهة النير في غربيه الشمالي.

(٢) صلاصل : ماء لبني أسمر من بني عمرو بن حنظلة، قاله السكري في شرح قول جرير :

عفا جو، وكان لنا محلاً　　إلى جوى صلاصل من لبينى

وقال شاعر من بني كلاب في سَقْمَان :

رعــىٰ الــقسورَ الجونــيَّ من حَوْل أشْمُسٍ
ومــن بطــن سَقْمَــان الدعــادِعَ سِدْيَمَــا[1]

وقال تليد العبشمي على ذكر صلاصل :

أَتَتْنَا بنُو قَيْس بِجَيْشٍ عَرَمْرَمٍ وشنّ وأبناءُ العمودِ الأكَابِرُ

إلى أن قال :

سَقَيْنَا القليلَ من سَمير (وجَعْوَنٍ) وأفلتنا ربُّ الصَّلاصِل عَامِرُ

ربه : يعني راعيه الذي يسكنه، وموقعه في الهضب، والهضب في القديم لبني عامر ابن صعصعة، ومأسل : يأتي عليه الكلام إن شاء الله، وفي مويسل يقول راجز من بني عقيل بن عامر :

ظَلَّتْ علـى مُوَيْسِل حَيَامَىٰ ظَلَّتْ عليـه تَعْلُكُ الرُّمَامَــا

★ ★ ★

٢ ـــ وقال امرؤ القيس :

كَدَأْبِكَ، مِن أُمِّ (الحويرِثِ)، قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا، أُمّ الرَّبَاب بِمَـأْسَلِ

مأسل : ماء في الهضب مجاور لتلك المواقع التي ذكرها، وهذا الاسم مأسل

---

(١) وقد أنشده ياقوت ولم ينسبه، ووقع في ياقوت «الدعادع ديما» ووقع في لسان العرب «الدعادع سديما» وذكر عن ابن بري أنه أنشده «الدعاع» بدال واحدة بزنة الغراب (المديما) أي الذي جادته الديمة وهو المطر الدائم، والدعادع في الرواية الأخرى : نبت يكون فيه ماء في الصيف، وسديم : بزنة درهم وأصله السدم، وهو الحريص على الشيء ويقال : فحل سدم، إذا كان قد أرسل في الابل فهو يهدر بينها، وفي شرح القاموس «أشمس : موضع، وسديم : فحل».

يطلق على ثلاثة مواضع في جهة نجد الجنوبية.

أحدها : في وسط الهضب، وهو الذي عناه امرؤ القيس بقوله هذا.

والثاني : مأسل الجمح يقع شمالي عرض شمام.

والثالث: في حصاة[1] آل عليان، بين الركا والسوادة، وهي التي يقال لها اليوم الحصاة: حصاة[1] آل عليان، وحصاة آل حويل، والجميع: من قحطان؛ حصاة آل حويل : جبال سود، وحصاة آل عليان : جبال حمر، وبينهن ريعان وطرق؛ واسمها في الجاهلية : الحصاء؛ لأن جبالها خالية من النبات والشجر؛ فسميت الحصاء لذلك، فإن كل شيْ خال من النبات يقال له : أحص، وهي في ديار بكر بن كلاب، وفيها يقول معقل بن ريحان :

جَلَبْنَا من الحَصَّاءِ كُلَّ طِمِرَّةٍ مُشَذَّبَةٍ فَرجاءَ كَالْجذْعِ جِيدُهَا

وهي التي ذكرها أخو عطاء حين رثى أخاه، وهو مولى لبنى بكر بن كلاب :

لَعَمْرُكَ إنّي إذ عطاء مُجَاوِرِي لزارٍ على دُنْيا مُقِيْمٍ نَعِيْمُهَا

إلى أن قال :

أَتَتْهُ على الحَصَّاء تهوي، وَأَمْسَكَتْ مصارعَ حُمَّى تصرعنه وَمومها
فَيَا حبَّذَا الحصاءُ والبرْقُ والعُلَا ورِيحُ أتانَا من هُنَاكَ نَسِيْمَهَا

---

(١) الحصاة : هي التي فيها الوادي المشهور الذي يسمى «خيم» وفيه بئر عذبة تسمى «خيم» وهي التي عناها جرير بقوله، لما وفد على أمير من الأمراء في زمن عبدالملك بن مروان فقال :

أَقْبَلْنَ من ثَهْلَان أَوْوَادِي خَيْم
على قلاصٍ مثل خَيْطَان السّلم

وخيم باقية بهذا الاسم إلى اليوم لم تتغير. ذكَرها صاحب الأغاني في ترجمة جرير ج ٨ ص ٤١ بولاق.

وبلغنى أن في جبلى طيئ ماءين يقال لأحدهما : مَأْسَل، وللثاني مُوَيْسِل.

★ ★ ★

٣ ــ وقال امرؤ القيس :

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لي مِنَ الْبِيْضِ صَالِحٍ وَلَا سِيَّما يومٍ بدارةِ جُلْجُلِ(١)

دارة جلجل الدارات في كلام العرب كثيرة، مضافة وغير مضافة، وأما دارة جلجل التي عناها امرؤ القيس فهي باقية إلى اليوم في بطن الهضب، تقع في جهته الجنوبية الشرقية، ويقال لها اليوم «دارة جلاجل» وهو الموضع الذي عناه عمرو بن الخثارم البجلى بقوله :

وَكُنَّا كَأنَّا أصلُ دارة جُلْجُلٍ مُدِلٌّ عَلَىٰ أشْبَالِه يَتَهَمْهَمُ

وهي دارة عظيمة تحيط بها هضبات باقية على هذا الاسم، وفي كتاب جزيرة العرب للأصمعي « دارة جلجل : من منازل حجر الكندي بنجد» وهذه العبارة صحيحة .

★ ★ ★

٤ ــ وقال امرؤ القيس :

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنَ أسِيْلٍ، وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

وجرة وجرة : معروفة بكثرة الظباء، وقد أطال الكلام عليها أهل المعاجم،

(١) قلت والرواية المشهورة لهذا البيت وهي :

ألا رُبَّ يَوْمٍ، لك منهــنَّ، صالــحٍ

ولاسِيَّمــا يومٍ، بدارةِ جُلجُــلِ

والرواية التي أوردها ابن بليهد أقوم عروضياً.

وهي ركبة الشمالية وأما ركبة الجنوبية فهي التي يسلكها طريق السيارات من عشيرة إلى المويه، ووجرة التي يسلكها اليوم طريق السيارات من عشيرة إلى المهد هي التي يقول فيها جرير :

حييت لسْتُ غداً لَهُنَّ بصَاحِبِ ... بحَزيزِ وَجْرَةَ إذ يَخِدْنَ عِجالا

قلت : وهناك وجرة أخرى، وهي من قرى قنا والبحر، في إمارة بلاد عسير ووجرة من إضم بمنطقة الليث. انظر حمد الجاسر : المعجم الجغرافي القسم الثالث / ١٥٠٥.

وقال بعض العشاق :

أرْوَاحَ نَعْمَان هَلّا نسمة سَحَرا ... وماءَ وَجْرَة هَلَّا نَهْلة بِفَـمِ

وقال أعرابي :

وَفي الْجِيْرةَ الغادِيْن مَن بَطْن وَجْرَة ... غَزَالٌ أحَـمُّ المُقْلَتَيْـن رَبِـيْبُ
فَلَا تَحْسَبِى أنَّ الغرِيبَ الذي نَأىٰ ... ولكنَّ مَنْ تَنْأيْنَ عنهَ غَرِيْبُ

وقال بعض الأعراب :

أتَبْكى عَلَىٰ نَجْدٍ وريَّا ولَنَ تَرَىٰ ... بِعيْنَيْكَ ريَّا ما حيِيتَ وَلَاَنَجْدَا
ولا مُشْرِفاً ما عِشْتَ أنقارَ وَجْرَةٍ ... وَلَا وَاطِئاً من تُرْبِهنَّ ثَرىً جَعْدا[1]
ألَمْ تَرَ أنَّ الليلَ يَقْصرُ طولهُ ... بِنَجْدٍ، وَتَزْدَادُ الرِّيَاحُ به بَرْدَا

★ ★ ★

٥ ـــ وقال امرؤ القيس لما ذكر البرق :

---

(١) الانقار : جمع نقرة، وهي الوهدة المستديرة في الأرض.

يُضْيءُ سَنَاهُ أوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ أهَانَ السَّلِيطَ بالذُّبَالِ الْمُفَتَّلِ[١]
قَعَدْتُ وَأصحَابِي لَه بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ الْعُذَيْبِ بَعْدَمَا مُتَأمَّلِ[٢]

ضارج

ضارج : جبل في بلاد بني أسد، تغير اسمه اليوم عن هذا الاسم، وقد اختص به بنو الصيداء، وهم بطن من بني أسد، وقال الشاعر :

وَقُلْتُ تَبَيَّنْ هَلْ تَرَىٰ بَيْنَ ضَارِجٍ[٣] ونَهْيَ الأكُفِّ صارخاً غَيْرَ أعْجَمَا

وهذا هو الذي عناه امرؤ القيس في معلقته، فأما ضارج الذي في البيت الثاني من قوله :

وَلَمَّا رَأتْ أنَّ الشريعَةَ هَمُّها وَأنَّ بَيَاضاً مِنْ فَرائصِها دَامِي[٤]
تَيَمَّمَتِ العينَ التِي عند ضَارِجٍ يَفيءُ عَلَيْهَا الظلُّ عرمَضُهَا طَامِي[٥]

فهو من جبال الحجاز.

العذيب

فأما العذيب فإنه يطلق على ثلاثة مواضع : اثنان منها في جهة العراق،

---

(١) السنا : الضوء، والسليط : الزيت، والذبال : جمع ذبالة وهي الفتيلة.
قلت : والرواية المشهورة لهذا البيت هي :
تُضِيءُ الظَّلامَ، بالعشاءِ، كأنّها
مَنَارةُ مُمْسَىٰ راهبٍ، مُبَتّلِ

(٢) بعد: بضم الباء وسكون العين على أنه فعل دال على التعجب، وأصله بعد ـــ بوزن كرم ـــ فنقلت ضمة العين للباء، وكأنه قال: ما أبعد ما تأملت، ويروى «بعد» بفتح الباء وسكون العين، وهذه الرواية تحتمل أن الأصل في الرواية الأولى الا أنه حذف الضمة العين ولم ينقلها إلى الباء، وتحتمل أن «بعد» ظرف، وكأنه قال: نظرت إليه بعد أن تأملته.

(٣) قلت وجاء في معجم الشيخ حمد الجاسر، المعجم الجغرافي، القسم الثاني/٨٧٣ ضارى (ضارج) من قرى الشقة من أعمال بريدة بمنطقة القصيم.

(٤) البيتان في وصف حمر وحشية، والشريعة: مورد الماء، وهمها: مقصدها.

(٥) تيممت: قصدت، والعرمض ـــ بفتح العين والميم جميعا وبينهما راء مهملة ساكنة ـــ الطحلب.

وقد أكثر الشعراء من ذكرهما، وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص «إذا كان يوم كذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس، وشرق بالناس وغرب بهم ــ الخ» وهذا دليل على أن هناك عذيبين. والعذيب الثالث في بلاد عذرة، وهو الذي عناه كثير في شعره حين قال :

خَلِيْلَيَّ إنْ أُمُّ الحكيمِ تَحمَّلَتْ وَأَخْلَتْ بِخَيْمَاتِ الْعُذَيْبِ ظلالَهَا
فَلا تَسْقِيَاني من تِهَامَةَ بَعْدَهَا بلالاً، وَإنْ صَوْبُ الرَّبِيْع أسالها
وَكُنْتُمْ تَزِيْنُونَ البلادَ فَفَارَقَتْ عَشِيَّةَ بِنْتُمُ زَيْنَهَا وَجَمَالَهَا

وهناك عذيب رابع بئر جاهلية قديمة يقال لها العذيب من آبار أثيفية، تقع في جنوبها عليها نخل ومزارع، وهي معروفة بهذا الاسم إلى اليوم عند أهل تلك الناحية، وهم أهل الوشم.

وظني أن امرأ القيس لم يعن في قصيدته إلا عذيباً قد تغير اسمه في عالية نجد؛ لأن المواضع التي ذكرها كلها في عالية نجد.

قلت : وجاء ذكر العذيب في كتاب بلاد العرب. قال[١] :

(ثم ترد واقصة. وهي ماء لطيء، ثم تصير إلى العذيب وهو ماء عليه نخل لطيء).

وهذا يدل على أن بطوناً من طيء تسكن في أطراف العراق، وصلة طيء بملوك الحيرة يدل على هذا أيضاً.

وفي «معجم البلدان» : العذيب تصغير العذب وهو الماء الطيب : وهو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وإلى المغيثة ٣٢ ميلاً، وقيل : هو واد لبني تميم، وهو من منازل حاج الكوفة وقيل : هو حد السواد. وقال أبو عبد الله السكوني : العذيب يخرج من قادسية

---

(١) ص ٣٣٤.

الكوفة إليه، وكان مسلحة للفرس، بينها وبين القادسية حائطان متصلان بينهما نخل، وهي ستة أميال، فإذا خرجت منها دخلت البادية وقد أكثر الشعراء من ذكرها. وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: إذا كان يوم كذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس، وشرق بالناس وغرب بهم، وهذا دليل على أن هناك عذيبين. انتهى.

وقال موزل[١] : عذيب الهجانات اسم كان أطلق على رأس الوادي (وادي حسم ــ حسب) حيث ينبثق نبع العذيب (عين السيد) والهجانات إحدى اناث الجمال المعدة للركوب، وهذا الموقع سمي كذلك لأن نوق الملك النعمان المعدة للركوب كانت ترعى هناك.

وقال أيضا[٢] (العذيب هو عين السيد، والمسافة التى حددها ابن خرداذبه بينها وبين القادسية ستة أميال (٢ ــ ١٠ أكيال) بينما هي ثمانية بواسطة الطريق المباشر، وتسعة ونصف إذا تحول عن هذا الطريق).

العذيب ــ أيضاً ــ قال النابلسي في رحلته : سرنا في صبح يوم الثلاثاء من عيون القصب ــ حتى وصلنا قبيل الظهر إلى واد بين أودية كثيرة، يقال له وادي العذيب ــ بصيغة التصغير ــ وهو ذو أعشاب نضيرة، وربيع وافي، وماء مطر عذب صافي ــ ثم أورد من شعره فيه :

سَقَىٰ وَادِى الْعُذَيْب هزيمُ وَدْقٍ ... يصبُّ به العَشيّةَ وَالبكُورَا
جبـاَلٌ بَيْـنَ أَوّديَـةٍ غُزَالـــىٰ ... سَحَائِبُهـــا تدرُّ بهَـــا درُورَا
بَدَت أعْشَابُـــه متلوّنــــاتٍ ... وقَدْ فَتَحَتْ مع الصُّبْح الثُّغُورَا
تروقُ الخيلُ والبكرات حتّى ... نَأتْ عَنْهَا وَقَد عظُمَتْ نحُوْرَا

---

(١) «العرب» ٧ ص ٢٦٥.
(٢) «العرب» ٧ ص ١٩٦.

نَزَلْنـاَ ذلك الـوادِي صَبَاحَـاً وَقُلْنَا فيه، نَصْعَدُ منه طورَا
وَنَهْبطُ في وِهَادٍ وهو غَصٌّ ولستَ تَرَىٰ به ماءً شُهُورَا
سوى ماءَ الغمامةِ ظلَّ يَجْرِى سيـولاً أشْبَـهَتْ فيـه النُّهُـورَا

وقال : ثم لما دخل وقت العصر ركبنا وسرنا إلى أن وصلنا بعد العشاء الأخيرة إلى قلعة المويلح). انتهى ملخصا.

وهذا العذيب بين عيون القصب وبين ميناء المويلح.

العرادية : ــ نسبة إلى العراد الشجر المعروف : من قرى بني رشيد بقرب الحائط (فدك قديما) غرب مدينة حايل بنحو ٢٤٠ كيلا[١].

★ ★ ★

٦ ــ وقال امرؤ القيس :

عَلَا قَطَناً بِالشَّيِم أَيْمَنُ صَوْبِهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَـى السِّتَـارِ فَيَذْبُـلِ

علا : فعل ماضٍ نَصَبَ قطنا.

وقَطَنٌ : جبل معلوم قريب الفَوَّارة، وهو جبل أحمر، وعنده أكمة بيضاء يقال لها «خيمة قطن» لبياضها، وهو في بلاد غطفان، يقع شمالي وادي الرمة وغربي أبان الأسود[٢]، وهو لبنى عبس في الجاهلية[٣]، وقال الشاعر: قطن

أَيْنَ انْتَهَى يابن صُمَيْعَاء السَّنَنْ ليس لِعَبْسٍ جبلٌ غَيْرُ قَطَنْ

(١) انظر حمد الجاسر، المعجم الجغرافي، شمال المملكة القسم الثالث ص /٨٩٠ — ٨٩١.

(٢) وجاء في المعجم الجغرافي، القسم الثالث للشيخ حمد الجاسر ص /١١٦٨ قطن بفتح القاف والفاء المهملة وآخره نون : من قرى منطقة بريدة بمنطقة القصيم.

(٣) ويسكنه اليوم بنو حرب، على اختلاف بطونهم، وحرب : قبيلة معروفة في الجاهلية ومازالت تحمل هذا الاسم إلى اليوم.

وقال شاعر من الأعراب :

سَلِّم على قَطَنٍ إنْ كُنْتَ نازلَهُ … سلامَ مَنْ كان يَهْوَىٰ مرَّةً قَطَنا
أحبُّه والذي أرْسَىٰ قواعِدَه … حُبّاً إذا أعلنت آياته بَطَنَا
ياليْتَنَا لا نَرِيمُ الدُّهْرَ ساحتَه … ولَيْتَهُ حين سرنا غربةً معَنَا
ما من غريبٍ وإن أبدىٰ تجلُّدَهُ … إلّا تذكّرَ عِنْدَ الغُرْبَةِ الوَطَنَا
انظر وَأَنْتَ بَصيْرٌ هل تَرَىٰ قَطَنَا … مِنْ رَأْسِ حَوْرانَ؟ مَنْ آتٍ لنا قَطَنا(١)
يَاوَيْحَهَا نظرةً لَيْسَتْ بِرَاجِعةٍ … خيراً، ولَكنّها من غيرِه قَمِنَا

وقال كثير عزة(٢) :

فإنّك عَمْرِي هل أريك ظَعَائِنَا … بِصَحْنِ الشَّبَا كالدَّوْم من بطن تِرْيَمَا(٣)
نظرت إليهَا وهي تنضو وَتَكْتَسِي … من القفرِ آلاءً فما زالَ أقْتَمَا
وَقَد جَعَلَتْ أشْجَانَ بَرْكٍ يَمِيْنَهَا … وذاتَ الشَمَالِ من مُرَيْخَةَ أشْأَمَا
مُوَلِّيَةً أيْسَارَهَا قَطَنَ الحِمَىٰ … تَوَاعَدْنَ شِرْباً من حمامةَ مُعْظَمَا

وهو باق بهذا الاسم، وغزوة قطن مشهورة، قتل بها مسعود بن عروة، وأمير جيش رسول الله ﷺ سلمةُ بن عبدِ الأسدى، وذكره في المغازى كثير وفي أشعار العرب كذلك.

---

(١) وقطنا منطقة قريبة من دمشق.

(٢) هي أبيات في ديوان كثير ١ /١٦٥ وفي معجم ياقوت ٧ /١٢٦.

(٣) وقع في ياقوت «بصحن الشتا» تحريف، وصحن الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة وذكره ياقوت في أبيات أخرى لكثير ٥ /٢٢٥ على الصواب.

السّتار والستار : جبل في حمى ضَرِيَّةَ يعرف بهذا الاسم إلى اليوم بين قرية ضَرِيَّةَ وبين شعبى الجبل المشهور في حمي ضَرِية يقع في جنوب مسكة الغربي، ويوم الستار يوم عظيم بين بكر بن وائل وبني تميم، قتل فيه قتادة بن سلمة الحنفي فارس بكر بن وائل، قتله قيس بن عاصم، وفي ذلك يقول شاعرهم :

قَتَلْنَا قَتَادَةَ يَوْمَ السِّتَارِ وزيداً أَسَرْنَا لدى مُعْنِق

وقال جرير :

إن كان طِبُّكم الدلاَلَ فإنَّه حَسَنٌ دلالُكِ يا أميمَ جَمِيْلُ[1]
أمّا الفؤادُ فليس يَنْسَى حُبَّكم مادام يَهْتِفُ في الأَرَاكِ هَدِيْلُ
أيقيمُ اَهْلُكِ بالسِّتار وأصعدَتْ بين الوَرِيْعَةِ وَالمَقَادِ حُمُولُ

وهذا هو الذي عناه امرؤ القيس في قصيدته، وفي كتاب الأصمعى عن جزيرة العرب «الستار : أَجْبُل سود مُنْقادة لبني بكر بن كلاب» والستار الذي ذكره الأصمعي على اسمه إلى اليوم، مازال يقال له الستار لم يتغير، وهو قريب من الدخول وحومل، والستار الأول الواقع قريب مسكة هو الذي عناه امرؤ القيس؛ لأنه ــ حين ذكره ــ ذكر قطنا معه، وهو قريب من قطن، وذلك أقرب للصواب، وهو باق على اسمه إلى اليوم.

يذبل يَذْبلُ : جبل يعرف في الزمن القديم بهذا الاسم، وموقعه في عالية نجد الجنوبية، قال في معجم البلدان[2] : «قال أبو زياد : يذبل جبل لباهلة» وهذا صواب، وقال النابغة الجعدى وهو مخضرم :

---

(١) الطب : الدأب والعادة، وقال فروة بن مسيك :

فما ان طَّبنا جُبْنٌ، ولكن
منايانا ودولة آخرينا

(٢) المعجم ٨ /٥٠٢.

مَرِحْتُ وَأطْرَافُ الكلاليب تتقى فقد عَبَطَ الماءُ الحميمُ وَأسْهَلا
فإَن كُنْتَ تَلْجَاه لتنقلَ مَجدْنَاَ لِسَبْرة فانقلْ ذا المناكِب يَذْبُلا
وإنّى لأَرْجُو إن أَرَدْتَ انتقالهَ بكفيك أن يأبىٰ عليكَ ويثْقُلَا

أما اسم هذا الجبل فقد تغير، ولم يعد يذكر بهذا الاسم، وهو الذي يسمى اليوم «صبحا» وهو واقع بين الحصاة وعرض ابنى شمام؛ وصبحا : جبل أحمر رفيع، وتسميته صبحا تسمية حديثة، حدثت عند توغل القبيلة التي يقال لها مطير في نجد وهم علوى وبريه، وكان قوم من علوى يستوطنون تلك الناحية عند الجبل المسمى يذبل، وهو جبل رفيع أحمر أصبح المنظر، فكان فارسهم عند الطعان يقول : (خَيَّال صبحا جبلى)[(١)] ، ويطلق هذا الاسم على يذبل، وتكرر ذلك حتى نُسِيَ اسمه الأول وصار اسمه صبحا،

وقال شاعر من العرب :

إذا كنتَ في الحِصَّاء أو في بجادَةٍ نظرتَ حُدوج الحي في سَفْح يذبل

والحصاء : هي المعروفة اليوم بالحصاة، والبجادة : جبل صغير منقطع من الحصاة، وإذا كنت في الحصاة فما بينك وبين صبحا إلا مسافة قريبة، وهي تبعد عن ثَنِية ابن عصام الباهلي حاجب النعمان بن المنذر مسافة يوم ونصف يوم، ولا يوجد في جميع المعاجم «صبحا» إلا أرض مسطحة ليس فيها جبال تقع شرقي وادي سدير، وقد ذكروا أنها سميت صبحا باسم رجل من العماليق يقال له «صبح» هلك ودفن فيها فسميت صبحا باسمه، فصبحا اليوم هو الجبل المشهور في عالية نجد الجنوبية، والذي كان يسمى يذبل فيما سبق.

★ ★ ★

(١) يريد أنا فارس صبحاً الذي هو جبلي.

٧ ـــ وقال امرؤ القيس :

وَأَضْحىٰ يَسِحُّ الماءَ حَوْل كُتَيْفَةٍ يَكُبُّ علَىٰ الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

كُتَيفة التي ذكرها امرؤ القيس في هذا البيت : جبل صغير في أعلى مُبْهِل ومبهل : واد لبني عبد الله بن غطفان يصب في وادي الرمة، وهي تقع شمالي بقيعى اللهيب على مسافة ساعتين وجنوبي أبان الأحمر، على مسافة يوم، وهي التي عناها امرؤ القيس، وهي واقعة من الستار المذكور على مسافة يوم في جهته الشمالية الشرقية، وكتيفة أيضاً : جبل صغير بين ثهلان ودمخ، في منازل بني عمرو بـن كلاب، قال أبو جابر الكلابي : كتيفة

أَيَا نخْلَتَيْ وادى كُتَيْفَةَ حَبَّذَا ظلالُكُما لو كنت يوما أنالَهُاَ

وماؤكما العَذب الذي لو شَرِبْتُهُ شفاءٌ لنفسٍ كان طال أعْتِلَالهُاَ[1]

مُعَنى على طولِ الهيَامِ غَلِيْلُهُ بذكر مياهٍ ما يُنَالُ زلالُهَا

★ ★ ★

٨ ـــ وقال امرؤ القيس :

كأنَّ مَكَاكِيّ الْجِوَاءِ غُدَيَّةً صُبِحْنَ سُلَافاً مِنْ رَحِيْقٍ مُغَلْغَلِ

الْمكَاكي : نوع من الطير يطرب عند نزول المطر، فتراه يصعد إلى السماء وينزل إلى الأرض في سرعة، وله تغريد، وهو المعروف بأم سالم، واشتقاقه من المُكَاء، وهو الصفير، قال تعالى : (**وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية**).[2]

وقال الشنفرى :

وَلَا خرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤَادَهُ يَظَلُّ بهِ الْمَكَّاءُ يَعْلو وَيَسْفُلُ

(١) «كان» في هذا البيت زائدة، وجملة «طال اعتلالها» صفة لنفس.

(٢) الأنفال / ٣٥.

الجواء : قطعة من القصيم تقع في شماليه الغربي، وكله واقع شمالي وادي الرُّمة[1].

والجواء : قرى ومزارع ونخيل وجبال، وأغلب أسماء أماكنه اليوم هي الأسماء التي كانت لها في الجاهلية : فمن قراه المعمورة : وُثال، والروض، والعيون، والقرعى، والشقة، والشيحية، وكلها باقية بهذه الأسماء إلى اليوم، فأما وثال فقال في معجم البلدان[2] : هو بضم أوله وأطال الكلام عليه، ثم قال (هو منزل للحاج بين البصرة ومكة) وقال «هو حصن في بلاد بني عبس بالقرب من بلاد بني أسد» وكلا القولين صحيح : أنه ينزله الحاج، وأنه لعبس، قال كثير :

أرْمِي الفِجَاجَ إذا الْفِجَاجُ تَشَابَهَتْ أعْلَامُهـا بَمَهَامِـهٍ أغْفَـالِ
بركَائبٍ من بَيْنِ كلّ ثَنيّـةٍ سرُحُ الْيَدَيْنِ وبازِلٍ شمْـلَالِ
إِذْهنَّ في غَلَسِ الظَّلَامِ قواربُ اعدادَ غُيْنٍ مَن عِيُون أِثَالِ

وقال مُتَمم بن نويرة اليربوعِي أخو مالك بن نويرة الذيِ قتله خالد بن الوليد رضي الله عنه على البطاح، والبطاح باق إلى الآن بهذا الاسم، محاذ للجِواء، بينهما وادي الرمة، قال متمم :

وَلَقَدْ قَطَعْتُ الْوَصْلَ يَوْمَ خِلَاجِهِ وَأخُو الصَّرِيْمةِ في الْأُمُور الُمزْمِعُ
بِمُجِدَّةٍ عَنْسٍ كأنَّ سَرَاتَهَا فَدَنٌ تطيفُ به النَّبِيْطُ مرَفَّعُ
قَاظَتْ أثالَ إلى الملا، وَتَربَّعَـتْ بالحـزْنِ عازِبـةً تُسَنَّ وتُـوْدَعَ
حتّى إذا لَقِحَتْ وعُوْلَى فَوْقَهَا قَرِدٌ يَهُمُّ به الغرابُ المُوقِعُ
قَرَّبْتُهَـا للرحْـلِ لمـا اعْتَادَنِـي سَفَرٌ أهُمُّ بِهِ وَأمْرٌ مُجمَـعُ

---

(١) قلت قال الشيخ. حمد الجاسر في المعجم الجغرافي في القسم الأول ص /٣٣٨ الجواء بكسر الجيم وفتح الواو وبعدها ألف ممدودة : منطقة في القصيم ذات قرى منها عيون الجواء وغاف.

(٢) انظر المعجم ١ /١٠٧.

هذا المتعلق بأثال وذكره، فأما الروض المجاور لأثال فهو باقٍ على اسمه إلى اليوم، وهو اسمه القديم، قال النابغة الشيباني :

خَرَجُوا إِنْ رَأَوا مَخِيلَةَ غَيْثٍ   من قصورٍ إلىٰ رياضِ أُثَالِ

قال في معجم البلدان(١) «العيون : جمع عين الماء، وهو في مواضع؛ ومن أشهرها عند العرب الذي على طريق مكة إذا خرجوا من واسط فينزلون في طريقهم العيون» وعيون الجواء المذكورة هي هذه التي على طريق مكة والقرعاء التابعة للجواء. قال في معجم البلدان(٢) : «هو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة» وذكر الخبراء عند ذكره القرعاء، والخبراء باقية بهذا الاسم بين الجواء والقصيم، وفي القرعاء ملازم ماء وركايا قديمة، وكان بها وقعة بين بني دارم بن مالك وبنى يربوع، وهاج بعضهم على بعض عند الماء، والشقة تسمى اليوم بهذا الاسم ومنهم من يقول لها «الشقق»، واسمها في الجاهلية الشقوق قال في المعجم(٣) «هو منزل في طريق مكة» وهى كما ذكر على طريق مكة. والشيحية باقية على اسمها إلى اليوم، واسمها في الجاهلية الشيحة قال في المعجم(٤) «بينها وبين النباج أربع مراحل» وهذا صحيح ثم قال «وقيل : الشيحة ببطن الرمة» وليست هي ببطن الرمة، وإنما تقع شماليه.

أما جبال الجواء فهن : صارات، وصارة، وساق، والأصابع، والموشم وجميع هذه الأسماء التي كانت لها في الجاهلية باقية إلى يوم الناس هذا،

---

(١) المعجم ٦ /٢٥٩.

(٢) المعجم ٧ /٥٥.

(٣) المعجم ٥ /٢٨٣.

(٤) المعجم ٥ /٣١٨.

وفي صارات يقول الصمة بن الحارث الجشمي[1]:

أَلَا أَبْلِغْ بَنِـيَّ وَمَـنْ يَليهِـم بأَنَّ بيانَ ماَ يبْغُون عِنْدِى
جَلَبْنَا الخَيْلَ من تَثْلِيْثَ إنّا أَتَيْنَـــا آل صاراتٍ فَرَقْـــدِ

«صارة» قال في معجم البلدان[2] «هو جبل في ديار بنى أسد» وهو كذلك، قال لبيد بن ربيعة العامري :

فَأَجْمَادَ ذِى رَقد فَأُكْنَاف ثَادِقٍ فصارةَ تُوْفِى فَوْقَهَا فالْأَعَابِـلَا

وقال محمد بن عبد الله الفقعسى[3] :

سَقىٰ الله حيّاً بَيْنَ صَارَةَ والْحمىٰ حِمَى فَيْدَ صوبَ المُدْجنَات المواطِرِ
أَمِينَ وردَّ الله من كانَ منهمُ إِلَيْهِمْ وَوَقَّاهم صروفَ الْمقَادِرِ
كأنّى طَرِيْفُ الْعَيْنِ يومَ تطَالَعَت بنَا الرَّمْلَ سلانُ القِلاص الضَّوَامِرِ
أَقُولُ لِقَمْقَامِ بنَ زيدٍ : أماتَرىٰ سَنَا البرقِ يَبْدُو للعيونِ النَّواظِرِ
فَإِنْ تَبْكِ لِلْوَجْدِ الذي هيَّجَ الجوىٰ أَعِنْكَ،، وَإِن تَصْبِر فَلَسْتُ بِصَابِرِ

و«ساق» باق بهذا الاسم إلى اليوم، وهي هضبة ململومة شامخة إلى السماء، وقد أكثر الشعراء من ذكره.

وقال ياقوت[4] : «وساق الفريد في قول الحطيئة :

نَظَرْتُ إِلىٰ فَرْتٍ ضُحَياً وَعَبْرتي لَهَا من وَكِيْف الرَّأْس شَنٌّ وَوَاشِلُ
إِلىٰ الْعِيْر تُحْدَىٰ بين قَوٍّ وضَارِجٍ كما زالَ في الصُّبح الأَشاء الحَوَامِلُ
فَأَتْبَعْتُهمُ عينىَّ حتّـى تَفَـرَّقَتْ مع الليل عن ساق الفريد الجَمَائِلُ

وساق الجواء : موضع آخر، وساق الفروين جبل في أرض بنى أسد، كأنه قرن ظبى، ويقال له ساق الفروين، وأنشد الحفصى :

(١، ٢، ٣) انظر معجم البلدان ٥ /٣٣١.

(٤) المعجم ٥ /١٠.

أَقْفَرَ مَن خَوْلَةَ ساقُ فُرْوَيْنْ فالحَضْرُ فَالرُّكْنُ من أبَانَيْنْ

وساق، والحضر، وأبانين : متقاربات من كان بأحدها يرى الآخر. وأهل نجد يسمونه إلى اليوم ساق الجواء وشاهد هذا قول زهير بن أبي سلمى :

نَشَزْنَا من الدَّهْنَاء يَقْطَعْنَ وَسْطَهَا شقائقُ رَمْلٍ بَيْنَهُنَّ خمائلُ
فلمّا بَدَت ساقُ الْجِوَاءِ وصارةٌ وفرش وَحَمَّاوَاتُهُنَّ القَوَابِلُ

الأصابع : آكام صغار متفرقة، وهي بهذا الاسم إلى اليوم، في أعلاها أحجار كالأصابع، وهي التي عناها حسان بن ثابت رضي الله عنه في مطلع قصيدته التى قالها في فتح مكة حين قال :

عَفَتْ ذاتُ الأَصَابعُ فَالِجْوَاء إلى عذراءَ مَنْزِلُهَا خَلاءُ
دِيَارٌ من بنى الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ تعفيها الروامس والسماء

ويضاف إلى الأصابع ماءة يقال لها اليوم «بقيعا أصبع» وتسمى في الجاهلية بَقْعَاء، قال جرير :

وَقَدْ كَانَ في بَقْعَاء رِىّ لشائِكُم وتلعةُ والْجَوْفَاءُ يجْرى غَدِيْرُهَا

وماؤها مُرٌّ، وهي لبني عبس، وقد تزوجت امرأة من بني عبس في بني أسد، ونقلها زوجها إلى «لينة» الماء المعروف اليوم، وماؤها عذب، وكان زوجها الأسدى عنينا، ففركته، واجتوتَ الماء، فاختلعت منه ورجعت إلى بلادها، وتزوجها رجل من أهل بقعاء فقالت :

فَمَنْ يُهْدِلي من ماء بَقْعاَء شَرْبَةً فإنَّ له من ماء لِيْنَة أَرْبَعَا
لَقَدْ زَادَنى وَجْداً ببقعاءَ أَنَّنِي وَجَدْتُ مطايانا بلِيْنَة ظُلّعَاً
فَمَنْ مُبْلغٌ تِرْبَيَّ بالرَّمل أَنَّنِى بَكَيْتُ فَلَمْ أَتْركْ لِعَيْنَيَّ مَدْمعَا

وبقعاء المذكورة مُسمَاةَ اليوم «بقيعا» وقد جهز إليها أبو بكر رضي الله

عنه جيوش المسلمين لقتال أهل الردة، وهي على طريق البِطاح من المدينة[1] فكانت بعد ذلك وقعة البطاح المشهورة.

الموشم : باق بهذا الاسم إلى اليوم، واسمه في الجاهلية «موشوم» قال عبد الله بن الصمة:

أسقى الأجارع من نجد فَحُصَّ به سعدٌ فبطنُ بليات فَمَوشُومُ

وقال جرير:

وَأبنَىْ شَرَيْكٍ شريكِ اللؤْم إذ نَزَلا بالْجَزْع أسفَلَ مِنْ أَطْوَاء مَوْشُوْم
ياقبَّحَ الله عَبْداً مِنْ بَنِى لَجَإٍ يَأْوي إلىٰ نسوة رُضْعٍ مَدارِيْمِ

انتهينا من ذكر الجِواء مفصلا.

وأما لفظ «الجواء» فقد أكثر الشعراء من ذكره، ولكنهم مختلفون، وسنذكر ما جاء من الصواب في ذكره، قال عنترة :

وَتحُلُّ عَبْلَةُ بالُجِوَاء وَأهْلُهَا بِعُنَيْزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بالْغَيْلَمِ

وقال زهير بن أبي سَلمى:

عَفَا من آلِ فاطمَة الْجِوَاءُ فَيُمْنٌ فَالْقَوَادِمُ فَالْحِسَاءُ

وكان بالجِواء وقعة بين المسلمين وأهل الردة من غَطَفان وهَوَازن في أيام أبي بكر، فقتلهم خالد بن الوليد شر قتلة، وقال أبو شَجَرَةَ :

---

(١) هي تلقاء نجد، على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة، وانظر تحديدها وما قيل فيها من الشعر في المعجم ١ /٢٥١. وقد ذكر ياقوت أن أبابكر رضي الله عنه ــ خرج إليها، لكن الذي في كتب التاريخ أنه أنما خرج إلى بقعاء ذي القصة (كامل ابن الأثير ١٤٣/٢ بولاق) وهي غير هذه.

وَلَو سَأَلَتْ جُمْل غداةَ لِقَائنَا كما كنتُ عَنْهاَ سَائِلاً لو نَأَيْتُهَا
نصبْتُ لَهَاَ صَدْرِى وَقَدَّمْتُ مُهْرَتِي على القوم حتى عاد وَرْداً كُمَيْتُهَا[1]
إذا هي حَالَتْ عَن كَمِيّ أُرِيْدُه عدلت إليه صَدْرَهاَ فَهَدَيْتُهَا
لقيتُ بنى فهْرٍ لِغِبِّ لِقَائِنَا غداةَ الجِواءِ، حاجة فَقَضَيْتُهَا

٩ ــ وقال امرؤ القيس :

وَمَرَّ عَلَىٰ الْقَنَانِ مِنْ نَفَيَانِه فَأَنْزَلَ مِنْهُ العُصْمَ من كُلِّ مُنْزَلِ[2]

القنان

القَنَان : جبل مشهور، في بلاد بني أسد باق بهذا الاسم إلى اليوم، وهو مما يلي بلاد بني عبد الله بن غطفان، وهو واقع بين الجواء وسميراء، وكان لبني فقعس قوم من قطاع الطريق كانوا يلجأون إلى هذا الجبل مخافة أن يفتك بهم السلطان، قال الشاعر :

ضَمِنَ القَنَانُ لِفَقْعَسٍ سوآتِها إنَّ القنانَ لِفَقْعَسٍ لَمُعَمَّرُ

★ ★ ★

١٠ ــ وقال امرؤ القيس :

وَتَيْمَاء لَمْ يَتْرُك بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ وَلَا أُطُمَاً إلّا مَشِيْداً بِجَنْدَلِ[3]

تيماء السموأل

تيماء هذى : هي تيماء السموأل الواقعة في القطعة الشمالية من نجد، وهي بلدة قديمة جاهلية بهذا الاسم، ولما بلغ أهل تيماء في سنة تسع

(١) الورد ــ بفتح الواو وسكون الراء ــ الفرس الأحمر، هنا. والكميت ــ بزنة التصغير ــ الفرس بين السواد والحمرة. يريد أن ماسال من دماء اقرانه كثير، حتى انه غير لون فرسه من السمرة إلى الحمرة، يصف نفسه بالشجاعة.

(٢) هذه رواية التبريزي، وذكر أنه يروي «من كل منزل» بزنة مسجد، ويروي الاصمعي صدره «وألقى ببسيان مع الليل بركه» وعليها شرح الأعلم.

(٣) الأطم ــ بزنة العنق ــ الحصن أو البيت المسقف، وجمعه آطام، ويروي «ولا أجما» ــ كعنق أيضاً ــ وهو كالاطم وزناً ومعنى وجمعاً.

وطيءَ النبي ﷺ وادي القرى أرسلوا إليه وصالحوه على الجِزْية وأقاموا ببلادهم وأرضهم بأيديهم، فلما أجْلى عمر رضي الله عنه اليهود عن جزيرة العرب أجلاهم معهم، قال الأعشى:

وَلَا عَادِياً لم يَمْنَع اِلْمَوْتَ مالهُ ... وَوِرْدٌ بتيماءِ اليهوديِّ أبْلَقُ

وقال بعض الأعراب :

إلى الله أشْكُو، لا إلىٰ النّاسِ، أنّنِي ... بتَيْمَاءِ تيماءِاليهودِ غريبُ
وأني بِتَهْبَابِ الرِّياحِ مُوكَّلٌ ... طَرُوبٌ إذَا هَبَّتْ عليَّ جَنُوْبُ
وَإِنْ هَبَّ عُلْوِي الرّياح وَجَدْتِنِي ... كأنّي لِعُلْوِيّ الرّياحِ نسيبُ

★ ★ ★

قلت : وتيماء بلدة مشهورة قديماً، وتعد الآن تابعة لامارة تبوك، وكانت قبل بضع سنوات تابعة لاقليم حايل إدارياً، ويبلغ عدد سكانها قرابة (٣٥٠٠) نسمة[١].

١١ — وقال امرؤ القيس :

كَأنَّ أَبَاناً فِي عَرَانِينِ وَبْلِهِ ... كَبِيْرُ أُناسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ[٢]

أبان

أبان : يثنى ويفرد، وهما جبلان عظيمان، يقال لأحدهما وهو الشمالى : أبان الأسود، ويقال للآخر : أبان الأحمر، وهو الجنوبي ومجرى وادي الرمة بينهما، يقال لذلك المسلك «الخنق» وهما في الجاهلية لبني عبس وبني فزارة[٣]، وقرية النَّبْهَانيةتحت أبان الأسود، وكان بعضُ الأعراب يقطع

(١) حمد الجاسر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية شمال المملكة القسم الأول /٢٧١.

(٢) يروي «كأن أبانا في أفانين وبله».

(٣) قال ياقوت «أبان الأبيض، وأبان الأسود، فأبان الأبيض شرقي الحاجز فيه نخل وماء يقال له أكرة، وهو العلم، لبني فزارة وعبس، وأبان الأسود جبل لبني فزارة خاصة، وبينه وبين الأبيض ميلان».

الطريق فحبسه والى اليمامة، فحن إلى وطنه، فقال :

أَقُوْلُ لِبوابَيَّ والسِّجْـنُ مُغْلَقٌ وقَدْ لَاحَ بَرْقٌ : ما الذى تَرَيَانِ؟
فقالا : نرى بَرْقاً يلوحُ، وما الذي يَشُوقُكَ من بَرْقٍ يَلُوحُ يَمَانِي؟
فقلت : افْتَحَا لِي البابَ أنْظُرُ ساعةً لعلي أرىٰ البَرْقَ الذي تَرَيَانِ؟
فقالا : أُمِرْنَا بِالْوثَاق، وَمَا لَنَا بمَعْصيةِ السُّلْطَانِ فِيْكَ يَدَانِ؟
فَلَا تَحْسِبَا سِجْنَ اليمَامةِ دَائِماً كَمَا لَمْ يَدُمْ عيشٌ لنا بأَبَـانِ؟

وقال بشر بن أبي خازم ذكرهما بالتثنية :

أَلَا بَانَ الخليطُ ولَمْ يُزَارُوا وَقَلْبُكَ في الظَّعُائِنِ مُسْتَعَـارُ
أُسَائِلُ صاحِبِي وَلَقَـد أرانـِي بَصِيْراً بالظَّعَائِنِ حَيْثُ صَارُوا
تؤمُّ بِهَا الحُدَاةُ مياهَ نَخْلٍ وَفِيْهَـــا عن أَبَانِيْـــنَ ازْوِرَارُ

وأبان : هو حَدُّ القرى المعمورة من مقاطعة القصيم مما يلي الغرب على وادي الرُّمَّةِ.

قلت : وقد كتب الأستاذ محمد بن ناصر العبودي في المعجم الجغرافي (بلاد القصيم) ٢٢١/ كتابة مطولة عن أبان يمكن تلخيصها بالآتي، فقال : أبان جبل من أشهر جبال المنطقة في القديم والحديث، وهما جبلان : أحدهما أبان الأسمر، وكان يسمى قديماً أبان الأسود، وهو الشمالي بالنسبة لمجرى وادي الرمة، والثاني أبان الأحمر وكان يسمى قديماً الأبيض، وهو الجنوبي من مجرى الوادي،... ويقعان إلى الغرب من مدينة الرس على بعد حوالي ٥٠ كيلًا منها على تفاوت بينهما في ذلك.

١٢ ــ وقال امرؤ القيس :

كأنَّ ذُرَىٰ رَأْسِ الْمُجَيْمِرِ غُدْوَةً مِنَ السَّيْلِ وَالْغُثَاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ[١]

(١) الذري : الأعالي، واحدها ذروة، ويروي «من السيل والاغثاء» على أن الأغثاء جمع غثاء، وقال أبو جعفر النحاس: «من رواه من السيل والأغثاء فقد أخطأ لأن جمع الغثاء الأغثية وانما يكون أفعال جمع المقصور نحو رحي وأرحاء» أهـ ويروى «كأن قليعة المجيمر» ويروي :«كأن طمية المجيمر».

المجيمر

المُجَيمر(١): على اسمه إلى اليوم لم يتغير، جبيل أسود صغير في أعلى مُبْهِل ومبهل : يصب في وادي الرمة، يقع في بلاد غطفان، ويقال له اليوم «المجيمير» قال عباد بن عوف المالكي، ثم الأسدي :

لِمَنْ دِيَارٌ عَفَتْ بالْجَزْعِ مِن رمَمِ ... إلىٰ قُصائِرة فَالْجفْرِ فَالْهِدَمِ
إلى المُجَيْمِرِ وِالْوَادِى إلى قَطَنٍ ... كَمَا يُخطُّ بياضُ الرَّقِّ بِالْقَلَمِ

★ ★ ★

١٣ ــ وقال امرؤ القيس :

وَأَلْقىٰ بِصَحْرَاءِ الْغبَيطِ بِعَاعَهُ ... نُزول اليَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحَمّلِ

صحراء الغبيط

صحراء الغبيط : معلومة في بلاد بني يَرْبوع، والصحراء : المستوية من الأرض، وقال «صحراء الغبيط» لأنها منخفضة الوسط وطرفها مرتفع كالغبيط الذي هو من مراكب نساء البادية. وبين قَطَن ووادي الرمة أرض يقال لها اليوم « الصحراء» وهي التي عناها شاعر من بنى عبس بقوله :

تَبَدَّلْتَ بُؤْسَاً من صحَيَر وَأَهْلِهِ ... ومن بُرَقِ التّينَيْنِ نَوْطَ الْأَجَاوِلِ

وأما «صحراء الغبيط» فهي واقعة جنوبي وادي الرمة في بلاد بني يَرْبوع ويوم الغبيط(٢) : من أيام العرب بين تميم وربيعة، قال جرير :

وَلَا شَهِدَتْ يومَ الغبيطِ مُجَاشِعٍ ... وَلَا نَقَلانَ الْخَيْلِ مِن قُلّتَىْ نَسْرِ

---

(١) وقد ذكره الشيخ حمد الجاسر في كتابه المعجم الجغرافي /شمال المملكة القسم الثالث /١١٩٠، قال : المجمر : بكسر الميم الأولى واسكان الجيم وفتح الميم الثانية، وآخره راء. قال موزل : فأما هضبة ساق، العمودية الشكل، ويفيض مياه بيضاء نثيل فإنه يقع في سهل المجمر، الذي يحده من الغرب هضاب الشهبة، ومن الجنوب أم لحم والبويب، وأورد قول البكري وياقوت أن المجيمر أرض لفزارة، وأرى أن ماذكراه هو جبل المعروف الواقع بقرب طمية، وهو مصغر لاماذكر موزل.

(٢) انظر يوم الغبيط في ياقوت ٦ /٢٦٨ واللسان (غ ب ط) وكامل ابن الأثير ١ /٢٥٠ بولاق.

وهذا اليوم الذي أسر فيه عُتَيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي بسطام ابن قيس ففدى نفسه ثم أطلقه وجز ناصيته، فقال الشاعر :

رَجَعْنَ بهانِئٍ وَأصبَنَ بِشْرَاً وَبَسْطَامٌ تَعَضُّ بِه الكُبُولُ

وقال لبيد بن ربيعة العامرى :

فإنّ امرأً يَرْجوُ الفلاحَ وَقَد رَأىٰ سَوَاماً وَحيّا بِالْإفاقَةِ جاهِلُ
غَدَاةَ غَدَوْا مِنْهَا وآسر سربهم مَوَاكب يُحْدَى بِالْغَبِيْطِ وَحَامِلُ

وصحراء الغبيط لا تعرف اليوم بهذا الاسم في نجد، ولكنا إذا تتبعنا أقوال الشعراء فيها وأردنا تحديدها تبين أنها تقع بين المخامر ووادي الرمة، وتكون من القصيم في جهة الجنوب الغربية.

قلت جاء في «معجم البلدان» : الغَبِيْطُ بفتح أوله وكسر ثانيه كأنه فعيل من الغبطة وهو حسن الحال أو من الغبط، وهو قريب من الحسد، عند بعضهم وبعضهم فرّق فقال : الحسد أن يتمنى المرء انتقال نعمة المحسود إليه، والغبط أن يتمنىٰ أن يكون له مثلها، والغبيط من مراكب النساء، والغبيط : اسم واد، ومنه صحراء الغبيط.

وقال نقلاً عن ابن السكيت : الغبيط أرض لبني يربوع وسميت الغبيط لأن وسطها منخفض وطرفها مرتفع كهيئة الغبيط وهو الرحل اللطيف. وفي كتاب نصر : وفي حزن بنى يربوع ــ وهو قف غليظ مسيرة ثلاث في مثلها وهو بين الكوفة وفيد ــ أودية منها الغبيط واياد وذو طلوح وذو كريت[1]. ويوم الغبيط من أفضل أيامهم. ويقال له يوم غبيط المدرة وغبيط الفردوس، وهو في ديار بني يربوع يوم لبني يربوع دون مجاشع قال جرير :

وَلَا شَهِدَتْ يومَ الغَبِيْطِ مُجَاشِع وَلَا نَقَلَانَ الخَيْلِ من قُلَّتىْ نَسْرِ

---

(١) صوابه : كريب ولكن كذا ورد في مخطوطة كتاب نصر.

وهذا اليوم الذي أسر فيه عُتَيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي بسطام بن قيس، ففدى نفسه بأربع مئة ناقة، ثم أطلقه وجز ناصيته فقال الشاعر :

رَجَعْنَ بهانِيءٌ وَأصْبَنَ بِشْراً وَبَسْطَامٌ تَعُضُّ بهِ القيُودُ

وقد ذكر في يوم العظالى . وقال لبيد بن ربيعة :

فإن امرءاً يرجو الفلاحَ وَقَد رأىٰ سَوَاما وحيّاً بالْأفَاقَةِ جَاهِلُ
غدَاة غَدَوا منها وآزر سربهم مَوَاكب تُحْدَىٰ بالغَبِيْطُ وَحَامِلُ

وأقول : هما غبيطان غبيط الفردوس وغبيط المدرة كما تقدم عن البكري، وكما يفهم من النصوص المتقدمة، وهما متجاوران.

أما تحديد موقعهما فإن ما تقدم من الأقوال يمكن تلخيصه في :

١ ـــ يفهم من خبر يوم الغبيط أن الغبيط يقع في الطريق بين صحراء فلج وبين بلاد عجل وشيبان من بكر بن وائل، وكانت في ذلك الوقت حول الكوفة، أي غرب فلج، حيث بلاد بني يربوع فالغزاة مروا بعد إغارتهم على الثعالب على بنى مالك فأغاروا عليهم ومعهم بنو يربوع فهزموهم بالغبيط.

٢ ـــ أن الغبيط من أودية الحزن ـــ كما في كتاب «بلاد العرب» وكما قال نصر. ويظهر أنه من أوديته الشمالية التي تقع في الطريق بين فلج وبين الكوفة أي في أسفل الحزن.

٣ ـــ أن الغبيط أرض منخفضة الوسط مرتفعة الجوانب، كما يفهم من كلمة الغبيط وكما فسرها ابن السكيت. وكما يفهم من قول مالك بن نويرة الذي أورده ياقوت[١] ونصه : ويوم البردين من أيام العرب وهو يوم

(١) معجم البلدان ـــ البردان ـــ

الغبيط، ظفرت به بنو يربوع ببنى شيبان فقال مالك بن نويرة :

فأقررت عَيْنَىْ يومَ ظَلُّوا كأنَّهمُ ببطنِ الغَبيْطِ خشبُ أُثْلٍ مُسَنَّدُ

إلى أن قال :

وأصبح منهم بَعْدَ فَلّ لِقَائِنا َ بقيقـاءة البُرْدَيْـنِ فل مطـردُ

٤ ـــ كانت وقعة يوم الغبيط في بطن الإياد[١] حيث لقيت بنو يربوع الغزاة منصرفين فهزموهم، وبطن الاياد في حزن بني يربوع ويفهم من خبر الوقعة أنه في أسفل الحزن حيث يقع طريق عجل وشبيان من صحراء فلج إلى بلادهم.

وفي «العقد الفريد» في خبر يوم مخطط أن بكر بن وائل غزوا بني يربوع حتى وردوا عليهم ماء بالفردوس، وهو بطن الاياد. بينه وبين مخطط ليلة وقد نذرت بهم بنو يربوع فالتقوا بمخطط. وتقدم أن الغبيط مضاف إلى الفردوس وأن الاياد أسفل الحزن مما يلى الكوفة.

٥ ـــ القول بأن يوم الغبيط هو يوم الصمد ويوم الجمد كما في كتاب «النقائض» يدل على قربة من الموضعين. وهما في حزن بني يربوع. ولهذا وقع الخلط بين الأيام التي وقعت في مواقع متقاربة.

وفي ديوان جرير[٢] :

أناَ ابنُ الفَوارسِ يومَ الغَبيْطِ وما تعرفُ العوذُ أمْهَارَهَـا
لَحِقْنَـا بِأبجْـرَ والحَوْفَـزَان وَقَد مدّت الخيـلُ أعْصَارَهَا

هذا يوم أود. كذا قال شارح الديوان. وإن دل على شيء فعلى تقارب الموضعين وأود من الحزن. وقد تقدم ذكره في موضعه.

٦ ـــ أن الغبيط في بلاد بني يربوع وهم الذين انتصروا في يومه على

(١) «النقائض» ١٠٦٨.

(٢) ص /٢٦٢.

بني عجل وبني شيبان ومن معهم. ولهذا كثر افتخار جرير بذلك اليوم، فقال :

أعبْتُ فوارسَ يَوْمَ الغَبِيْطِ وأيام بِشْرٍ بنَي مَرْثِدِ؟

وقال :

أحسبت يَوْمَكَ بالوقيطِ كَيَوْمناَ يوم الْغَبِيطِ بِقلّة ألأرْحَالِ

وقال[1] :

فَماَ شَهِدَتْ يَوْمَ الغبيطِ مُجاَشِعٌ ولا نَقَلاَن الْخَيْل مِن قُلّتَىْ نَسْرِ

هذا يوم الغبيط. وقلتاه : أكمتان عنده، ونسر موضع بالدهناء وهو نسر محرك فسكنه. وفي مخطوطة أخرى : وعنى يوم غبيط المدرة.

وقال[2] بشر بن عمرو بن مرثد :

قَادُوا الهذيْل بِذى بهدىٰ وَهُمْ رَجَعُوا يَوْم اَلغَبِيْط بِبشرٍ وَهوْ مغلُوْلُ

وأكثر الأوصاف التي تقدم ذكرها تنطبق على صحراء واسعة من الأرض واقعة غرب وادي فلج (الباطن) بعيدة عنه، في شمال الحزن أسفله يفصل بينها وبين السهول والمنخفضات الواقعة جنوب العراق مرتفعات الحجرة التي هي امتداد للحزن، تلك الصحراء تدعى البطن، وليس من المستبعد أن تكون ما يعرف قديماً باسم بطن الغبيط، وبطن الاياد فنُسِيِ الاسمان الأخيران، واستعيظ عنهما باسم (البطن). والبطن أرض منخفضة خالية من الجبال، ممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الغربي بمحاذاة الحزن، تلب به من الشمال من أنصاب إلى المعانية. ويحف بها من الشمال الشرقي مرتفعات أرض الحجرة ومن الشمال الغربي والغرب مرتفعات تدعى ظهرة البطن.

(يقع البطن بين خطي الطول ٠٠ ــ ٤٣° و ٠٠ ــ ٤٥°

---

(١) ديون جرير ص ٤٢٣.

(٢) انظر حمد الجاسر : المعجم الجغرافي، شمال المملكة، القسم الثالث ص /٩٧٧ ــ ٩٧٩.

وخطي العرض ٣٠ ــ ٢٩°و ٠٠ ــ ٣٠° تقريباً)[١].

قلت: هذه أماكن أخرى وردت في قصائد أخرى لامرئ القيس وقد عقب على ذلك المؤلف ــ رحمه الله ــ فقال:

انتهى ما ورد في معلقة امرئ القيس من أسماء البقاع، وقد وضحنا كل شئ على قدر الإمكان.

ونبتدئ الآن في قصائد امرئ القيس الأخرى، وما ورد فيها من البقاع والجبال والمياه والتلول، وسنوضح الذي يظهر لنا توضيحه وتحديده في جهته.

١٤ ــ وقال امرؤ القيس :

سَالَتْ بِهِنِ نَطَاعِ في رَأْدِ الضُّحَىٰ وَالْأَمْعَــــزَانِ وَسَالَت الْأَوْدَاءُ

نَطَاع : ماء معروف إلى اليوم بهذا الاسم في بلاد عبد القيس، لم يتغير وهو واقع في مياه الطف بين الدَّهْنَاء وساحل البحر، جميعُ أهل نجدٍ يعلمون اسمه ومكانه. نطاع

والأوداء ــ بالمد ــ ماء لبني تَيْم الله بن ثعلبة بن عكابة، قاله ياقوت[٢] وأنا لا أعلم موقع هذا الموضع اليوم. الأوداء

وأود ــ بالضم ثم السكون وآخره دال مهملة ــ موضع في بلاد بني تميم، ثم لبني يربوع منهم، بنجد في أرض الحزن. قال بعضهم : أود

وَأعْرَض عَنّىَ قَعْنَبٌ فَكَأَنَّمـاَ يَرَىٰ أهلَ أُودَ من صُدَاءَ وَسَلْهَمَا

---

(١) وهي قرية ذات امارة لها قرى وموارد من امارات المنطقة الشرقية ــ انظر المعجم الجغرافي (المختصر) حمد الجاسر، القسم الثالث /١٤٧٢.

(٢) المعجم ١ /٣٦٨.

وقال ابن مقبل :

للمازِنِّيـة مُصْطَـافٌ وَمُرْتَبَـعُ ... مما رَأتْ أُودُ فالْمِقْرَاةُ فَالْجَرَعُ[1]

وقال آخر :

كأنَّها ظَبْيَةٌ بِكرٌ أطَاعَ لهَاَ ... مِنْ حَوْمَلٍ تلعاتُ الجوِّ أوْ أُودَا

ولا أعلم لهذا الاسم أيضاً ذكراً في بلاد العرب اليوم، ولكن الذي يظهر لى أن «أودَ» واقع في شرق اليمامة، وأن اسمه قد تغير، والذي يؤخذ من هذه الشواهد أنه في عالية نجد.

فأما قول امرئ القيس في بيته «وسالت الأوداء» فالذي يظهر لي أن الأوداء : ماء لبني تميم يقع شرقي اليمامة، وأنا لاأعرفه اليوم بهذا الاسم وأنت ترى ابن مقبل قد ذكر «اود» وقَرنَه بالمِقراة، وكذلك ترى صاحب البيت الذي بعده قرنه بحَوْمَل، والمقراة وحومل في عالية نجد الجنوبية، ولا شك أن «أود» قريب منهن، ولكني لا أعرفه بهذا الاسم.

قلت : قال البكري : قال ابن حبيب : أود لبني يربوع، وأنشد لابن مقبل : (للمازنية مصطاف ومرتبع) .. (البيت).

وفي شعر جرير أود لبنى يربوع، قال :

وَاحمينـا الأيـاد وُقلّتَيْـهِ ... وَقَـد عرفت سنابكُهـنّ أودُ

وقال سحيم عبد بني الحسحاس :

عَفَتْ من سليمىٰ ذاتَ فِرقٍ فَأَوْدهَا ... وَأَخْلَقَ مِنْهَا بَعْدَ سَلْمىٰ جَدِيْدُهَا

قلت : قال ابن خميس : هذا الموضع ليس بمعروف الآن، ويجوز أن

---

(١) رأت،، ههنا : أي قابلت.

حذاء اليمامة أود، وفي عالية نجد أود آخر[١]..

١٥ ـــ وقال امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها :

خَلِيلىَّ مُرَّا بى عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ   لِتُقْضي لُبَانَاتُ الفُؤَادِ الْمعَذَّبِ

قال :

تَبَصَّرْ خَلِيْلى هَلْ تَرَىٰ من ظَعَائِنٍ   سَوَالِكَ نَقْباً بَيْنَ حَزْمَىَ شَعَبْعَبَ؟

النقب : يطلق على كل ثنية سلكت أو لم تسلك.

شعبعب : موضع باليمامة بين وادي نساح ووادي الحائر لبني قشير، ولكن هذا الاسم قد درس ولم يبق اليوم منه شيء، وقد قال الصمة بن عبد الله القشيري يذكر شعبعب وهو بالسند، وهي قصيدة طويلة قال فيها :

طَوَالِعُ الخَيْلِ من تِبْرَاكَ مَصعدةٌ   كَمَا تتابَعَ قَيْدَامٌ مِنَ السُّفُنِ
يَالَيْتَ شِعْرِى وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ   والعين تَذْرِفُ أحْيَاناً من الحَزَنِ
هَلْ أجْعَلَنَّ يدِى للخَدِّ مِرْفَقَة   على شَعَبْعَبَ بَيْنَ الحَوْضِ والْعَطَنِ[٢]

وتبراك الذي ذكره في هذه الأبيات : يقع من المواضع التي ذكرنا أن شعبعب يقع عندها في شماليها الغربي، بينها وبينه كثيب جو اليمامة على مسافة يوم ونصف للإبل التي تحمل الأثقال وهناك موضع بين وادي نساح ووادي الحائر يقال له «الحويض» اليوم، ويمكن أن يكون هو الحوض الذي قرَنه الصمة بن عبد الله بشعبعب، ويكون شعبعب قد تغير اسمه، ولكنه في تلك الناحية التي فيها تبراكُ والحويض، بدليل أنهما قرنا به.

---

(١) : عبدالله بن خميس، معجم اليمامة الجزء الأول /ص ١٢١.

(٢) قد عثرنا على بئر في تلك الناحية قرب العقبة التي يقال لها «أبو القد» يقال لتلك البئر: «العطينة» ولاشك أنها هي التي يقول فيها الشاعر «بين الحوض والعطن» لأنها مجاورة لتلك المواضع.

قلت : وقال عبد الله بن خميس : قلت وما ذكره ابن بليهد هنا فيه بعد .. أما شعبعب فلا يوجد الآن له اسم. ولم يحدد موضعه بالضبط. كل ما في الأمر أنه يقع غرب رمل (الوركة) ــ نفوذ قنيفذة الآن ــ وشرق (الهلباء) حدباء قذلة الآن ــ مما يحاذي (تبراك) لا يبعد عنه .. فهناك مناهل في حضن رمل (قنيفذة) غرباً. اسماؤها مستحدثة .. فيجوز أن يكون أحدها .. والله أعلم(١).

* * *

١٦ ــ وقال امرؤ القيس :

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَىٰ مِنْ تَفَرُّقٍ   أَشَتَّ وَأَنْأَىٰ من فِرَاقِ المُحَصَّبِ
فَرِيْقَانِ مِنْهُمْ جَازِعٌ بطنَ نَخْلَةٍ   وَآخَرُ مِنْهُمْ قَاطِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ

يعلم القارئ أن العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام إذا نَفَرت من مِنًى نزلت المحصبّ، وطرفُهُ الذي يلي مكة في طرف جبل الخندمة الشرقي الذي أمام بيت سمو الأمير فيصل، وتسميه العرب «المُنْحَنَى» لانحناء الطريق عنده إلى منى، وطرفهُ الثاني على حدود منى، وكانت العرب تجتمع فيه يوم النفر من منى، وتبيت هناك حتى تنتهى من مناسك حجها وغيره، ثم ينصرفون إلى أوطانهم، قال كُثيَر عزة :

فَلَمَّا قَضَيْنَا من مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ   ومَسَّحَ بالْأَرْكَان مَنْ هُو مَاسِحُ
أَخَذْنَا بأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنا   وَسَالَتْ بِأَعْناقِ المَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
وَجَدْتُ بِهَا وَجْدَ الْمُضِلّ رِكَابَـهُ   بِمَكَّـة وَالركبـانُ غَادٍ وَرائِحُ

فالذاهبة من الابل لا يظفر بها صاحبها إذا تفرق الناس .

ومن قال : إن المحصب في منى واستدل لما ذهب إليه بقول عمر بن أبى ربيعة :

(١) معجم اليمامة الجزء الثاني /٥٥.

نَظَرْتُ إِلَيْهَا في المُحَصّبِ مِنْ منىَ وَلي نَظَرٌ لولا التحرج عَارِمْ

فقد أخطأ الفهم، ولم يفرق بين اسم المكان المعين، واسم المكَان الذي يراد به المعنى الاشتقاقي.

المحصب

أما المحصب الذي ذكره امرؤ القيس فهو الواقع بين منى ومكة، ويسمى المحصب إلى اليوم، أما الذي ذكره عمر بن أبي ربيعة فهو لم يقصد مكاناً بعينه، وإنما هو رجل رأى معشوقته ترمى الجمار، والعرب تُسمى الجمار والحجارة الصغار: الَحصْبَاء، فإذا رمى احدٌ بالحجارة الصغار قالوا : حَصَب بالحجارة، فالمحصب في كلامه اسم مكان مشتق من التحصيب أي رمى الحصباء وكأنه قال : نظرت إليها في المكان الذي ترمى فيه الجمار من منى.

قلت : والمحصب يمتد حتى يقارب (الحجون) فويق (مقبرة المعلاة) ومسافته ألف واثنان وأربعون متراً. فهم يحددونه مما يلى أعلى مكة المكرمة بالمعلاة، ويمضي صعدا حتى (سبيل الست) من أعلى (المعابدة) يشكل بطحاء ممتدة ذات حصباء نقية تغسلها سيول الوادي كل آونة، وما بها من عمران ولا سكان تفقدها صفة النظافة والنقاء .. ينزل الحاج بالمحصب بعد انصرافه من (منى) اقتداء بفعله عليه السلام، واستكمالا لاستعدادات السفر من مكة، فقد جاء عن ابن عباس قال: (المحصب ليس بشيْ انما هو منزل نزله رسول الله ﷺ) وقال عطاء : لا تحصب ليلتئذ إنما هو مناخ الركبان وكان أهل الجاهلية يحصبون. قال ابن جريح: وكنت أسمع الناس يقولون لعطاء : إنما نزل رسول الله ﷺ ليلتئذ المحصب ينتظر عائشة فيقول : لا، ولكن إنما هو مناخ للركبان فيقول من شاء حصب ومن شاء لم يحصب. ويدعى مكان المحصب (خيف بني كنانة) وهو الذي تقاسمت فيه قريش على الكفر حينما حالفت كنانة على بني هاشم أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يوارثوهم إلا أبا لهب

فإنه لم يدخل الشعب مع بني هاشم وتركته قريش لما تعلم من عداوته للنبي ﷺ. أما بنو هاشم مسلمها وكافرها فقد احتمت للنبي عليه السلام ..)[1].

وقد أثر عنه عليه السلام أنه قال: «إذا قدمنا مكة إن شاء الله تعالى نزلنا بالخيف الذي تحالفوا علينا فيه» فنزله ﷺ حينئذ ثم نزله في حجته.

كل ذلك وعمران مكة لم يتجاوز المعلاة إلا من بعض بساتين ومنتزهات في أعلى الوادي وعلى حفافيه أما الآن فقد غمر العمران كامل المحصب وامتد إلى قرابة منى وقامت هنالك الدارات الجميلة والقصور الفخمة والشوارع المنسقة .. فالحمد لله على ما أنعم، وحقق من دعوة إبراهيم، ببركة محمد .. ما نعلم وما لا نعلم ونسأله المزيد، والإعانة على الشكر. ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[2]

وموضع رمي الجمار من (منى) يقال له: (المحصب) مأخوذ من الحصب وهو الرمي بالحصباء. وإياه عنى عمر بن أبي ربيعة حينما قال:

نَظَرْتُ إليهَا بالمحصّب من منىً
وَلِي نَظَرٌ لولا التّحرُّجُ عارِمُ

فَقُلْتُ: أشمسٌ أم مصابيحُ بيعةٍ
بَدَت لك تَحْتَ السّجفِ أَمْ أنْتَ حَالِمُ؟

بعيدةُ مَهْوى القرْط إمّا لنَوْفَلٍ
أبُوهَا وإمّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ

وُمدّ عليهَا السجفَ يَوْمَ لَقِيْتُهَا
على عَجَلٍ تباعَهاوَالْخَوَادِمُ

---

(١) اخبار مكة المكرمة ٢ص ١٥٩ وانظر، المجاز بين اليمامة والحجاز ص /٣٠٥و ٣٠٦و ٣٠٧و ٣١٠.

(٢) آيه ٣٧ سورة إبراهيم.

فَلَــمْ أستطعهَــا غَيْــرَ أنْ قَدْ بَدَا لَنَــا
عشيّــــة رَاحَتْ كَفُّهَــــا وَالْمَعَــــاصِمُ

معـاصمُ لم تَضْرِب على البُهْـم بالضُّحـىٰ
عَصَاهَــا وَوَجْـــهُ لَمْ تلحْـــهُ السَّمَائِـــمُ

نَضَار تَرَىٰ فيـــه أساريـــعُ مَائِـــهِ
صبيـــحُ تُفَادِيـــه الأكُـــفُّ النَّواعِـــمُ

إذا مَا دَعَتْ أتْرَابهَــــا فَاكْتَنَفْنَهَــــا
تَمَايَلْــــنَ أوْمَــــالَتْ بهِـــنَّ الْمَآكَـــمُ

طَلَبْــنْ الصّبــا حتّـــى إذَا مَاَ أصبْنَــهُ

نَزَعْـــنَ وَهُـــنّ الْمُسْلِمَـــاتُ الظَّوَالِـــمُ

المحصب والأقحوانة : ويرون ان محصب (منى) غير المحصب الذي بأعلى مكة بينها وبين (منى) ومأزما منى هما الجبلان اللذان يحفان به مما يلي جمرة العقبة فأسفل منها .. حتى تنحسر الجبال ويفضي الطريق إلى الأباطح من أعلى مكة حيث مسيل (الرباب) وغربي (ثبير غيناء) و (حراء) و (الثقبة) و (السرر) وسدرة خالد .. وغيرها من الجبال والشعاب التى تصب في وادي إبراهيم. حيث (العدل) و (الاقحوانة) و (المحصب) متنفس أهل مكة. ومرتاد سمرهم وأماسيهم الحلوة .. حيث يتذكرها مغتربهم فيقول :

مَنْ كَانَ ذَا شجن بالشّامِ يَحْبسُهُ فَإنَّ في غَيْره أمْسَىَ لي الشَّجَنُ
وّإنَّ ذا القَصرْ ناءٍ مابةِ وطَـني لَكنْ بِمَكّة أمْسَى الأهْلُ وَالْوَطَنُ
مَنْ ذا يُسَايِل عَنّا أيْنَ مَنْزِلَنَا فَالأقْحُوَانَـةُ مِنّـا مَنْـزِلٌ قَمِـنُ
إذ نُلْبسُ العيش صَفْواً ماَ يُكَدِّرُهُ قَوْلُ الْوُشَاةِ ولَا يَنْبُو بِنَا الزّمَنُ

ويقول آخر :

فَيَا أَيْنَ أَيَّامٌ تولّتْ على الْحِمَىٰ وَلَيْلٌ مع الْعُشَّاقِ فِيه سَهِرْنَاهُ
وَنَحْنُ لِجيْرَان المُحصَّبِ جيْرَةٌ نُوْفي لَهُمْ حسنَ الْودَادِ وَنَرْعاهُ
فَهَاتِيْك أَيَّامُ الْحَيَـاةِ وَغَيْرُهَـا مَماتٌ فَيَا لَيْتَ النَّوىٰ مَا عَهِدْنَاهُ

ولابن جُماعة :

يَاسَائِقَ اَلْأَظْعَان إِنْ جُزْتَ الْحِمىَ سَلّمْ عَلَى مَنْ بِالْمُحصَّبِ دَارُهُ
وَاشْرَحْ لَهُ مَا يلْتقِي مُشْتَاقَهُ مِنْ فَرْطِ شَوْقٍ أَحْرَقَتْهُ نَارُهُ

ولابن الصّاحب :

عَلَى اَلأَبْطَحِ المكيّ طِيْبُ سَلامِي وَأَزْكَىٰ تَحِيّات كَمِسْكِ خِتَامِ
إِذَا ذَكَرُوا في الحي طِيْبَ حَدِيْثِه خَلَعْتُ على السمّار ثَوْبَ مَنَامِ
مَنَازِلُ أَفْرَاحِي وَأُنْسِي وَلَذَّتِي وَمَوْسِمُ أَعْيَادِي وَدَارُ هِيَامِي

حراء : ومن هذا المكان، مفضى السيول، وملتقى البطاح، ومفترق الطرق، و مخيم الحجيج ..نشاهد يميننا الجبل المبارك الأشم (حراء) جبل النور ــ ومكان التحنث، ومتنزل الوحي، مقصد نبي الإسلام بين يدى خبر السماء، ومنتجعه يخلو بنفسه، ويعبد ربه، ويتجرد من ملذات الحياة وزهرة الدنيا.. ليتلذذ بمناجاة ربه والأنس بقربه .. عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءته مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه ــ وهو التعبد والتبرر الليالي ذوات العدد ــ ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة ابنة خويلد فيتزود بمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ، قال : فقلت : ما أنا بقارئ، قال : فأخذني فغطنى حتى بلغ منى الجهد

ثم أرسلني فقال : اقرأ، فقلت : ما أنا بقارئ، فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني، فقال : اقرأ، فقلت ما أقرأ، فقال : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ (١)

قال عرام بن الأصبغ : عن حراء (جبل شامخ أرفع من ثبير في أعلاه قلة شامخة زلوج ذكروا أن رسول الله، ﷺ، ارتقى ذروته ومعه نفر من أصحابه فتحرك، فقال رسول الله ﷺ : «**اسكن يا حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**». وليس بها نبات ولا في جميع بطن نخلة في الطريق السالك إلى نجد، وهما نخلتان : نخلة اليمانية، ونخلة الشامية.

قلت: ثم تابع المؤلف رحمه الله، فقال:

بطن نخلة

بطن نخلة في الطريق السالك إلى نجد، وهما نخلتان: نخلة اليمانية، نخلة الشامية.

أما نخلة اليمانية فتبتدىء من الزيمة وتنتهي على حد بهيته.

وأما نخلة الشامية فتبتدىء من عين المضيق، وتنتهي في أرض واسعة يقال لها مكة، وسيول نخلة اليمانية أعلاها من وادي قرن، وتجتمع جميع الأودية في ذلك الوادي وتصب فيه، وتأتي عن طريق بطن نخلة اليمانية، وسيول نخلة الشامية تأتي من أودية الضربية، وتسلك بطن نخلة الشامية، وسيول الواديين تجتمع في بستان ابن عامر، هذا اسمه القديم، وهو اليوم موقع عين الجديدة، وإذا اجتمعا سلكا وادي مر، المسمى اليوم وادي فاطمة حتى يصب في البحر الأحمر، قال جرير:

كَمْ دُوْنَ ميّة مَن مُسْتَعْمِل قُذُفٍ ... ومِن بلادٍ بها تُسْتَوْدَ عُ العِيْسُ

حَنَّتْ إلىٰ نَخْلَةَ الْقُصْوىٰ فَقُلْتُ لَهَا ... بَسْلٌ حَرَامٌ ألَا تِلْكَ الدَّهَارِيْسُ

أُمِّي شَآمِيَّةٌ إذ لا عِرَاق لَنَا ... قوماً نَوَدُّهُم إِذْ قَوْمُنَا شُوسُ

وقال كُثَير عزة في نخلة الشامية :

حَلَفْتُ بِرَبّ المُوْضِعِيْن عَشيَّةٍ ... وَغَيْطَانُ فَلْجٍ دُوْنَهُم والشَّقَائِقُ

(١) من آيه ١ إلى آيه ٥ سورة العلق.

يحثونَ صُبْحَ الحرِّ خُوْصاً كَأَنَّهَا بِنَخْلَةَ من دون الوَجِيْفِ المطارِقُ
لَقَد لَقِيَتْنَاَ أمُّ عَمْرٍوٍ بِصَادِقٍ من الصَّوْمِ أَوْضَافَتْ عليها الخَلائِقُ

وقال ذو الرمة :

أَمَا وَالّذِي حجَّ الملبُّونَ بَيْتَهُ شِلالاً وَمَوْلىٰ كُلِّ بَاقٍ وَهَالكِ
وَرَبِّ قلاصِ الخوصِ تَدْمَىٰ أُنُوْفُهاَ بِنَخْلَةَ والدَّاعِيْنَ عِنْدَ الْمَنَاسِكِ
لَقَدْ كُنْتُ أَهْوَىٰ الأَرْضَ ما يَسْتَفِزُّنِي لَهَا الشَّوْقُ إلا أَنَّهاَ من دِيارِكِ

وفي بطن نخلة يوم من أيام الفِجَار بين قيس عَيْلان وقريش، وفيه انهزمت قريش حتى دخلت الحرم، وفي ذلك يقول ابن زهير، هكذا قالوا، وهو خداش بن زهير شاعر من هوازن :

ياشَدَّةَ مَا شَدَدْنَا غير كاذبةٍ على سَخِينَة لَولا الليلُ وَالْحَرَمُ

قال في معجم البلدان(١) في الكلام على نخلة اليمانية : وادٍ يصب فيه يَدَعَان، وبه مسجد لرسول الله ﷺ، وبه عسكرت هوازن يوم حُنَين. ويدعانُ لم يتغير اسمه إلى اليوم إلا أن جميع أهل الحجاز ونجد أبدلوا ياءه جيما فقالوا «جدعان»(٢).

ونخلة اليمانية التي طريقها على قرن المنازل هي مسلك حجاج أهل نجد في الجنوب، وأخصُّ من نجد القطعة الجنوبية والحساء وعُمان واليمن.

فأما نخلة الشامية النافذة إلى ذات عِرْقٍ فيسلكها حاجّ العراق وحاج القسم الشمالي من نجد، وسكان أهل نخلتين هم : هُذَيل من عهد الجاهلية إلى يومنا هذا.

---

(١) المعجم ٨ /٢٧٥.

(٢) وليس ذلك بعجيب، بل ان في لغة أسلافهم العرب الذين يحتج بكلامهم ابدال الجيم ياء، فقد قالوا في شجرة وشجرات : شيرة وشيرات، وقال الشاعر :

اذا لم يكن فيكم ظل ولا جنى فأبعدكن الله من شيرات

وكبكب: هو الجبل المطل على عرفة، من جهته الشرقية، ونَجْدُهُ: الأرض المرتفعة المحيطة به قال ساعدة بن جؤيَّةَ الهُذَلي، وهو من سكان تلك الناحية: كبكب

كِيْدُوا جَمِيْعَاً بآناسٍ كَأَنَّهُـمُ أفْنَادُ كَبْكَبَ ذاتِ الشثِّ والخَزَمِ

الأفناد: جمع فند ــ بالكسر ــ وهو الشمراخ من شماريخ الجبل، والشث والخزم: من نبات أرض الحجاز.

والمحصَّبُ ونخلة وكبكب كلها باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

قلت: وفي كبكب يقول ابن خميس:

«كبكب: أما الجبل الأشم الممتد من الشرق إلى الغرب الذي يصحبنا من اليمن فهذا هو (جبل كبكب) أبرز جبل هنالك منفك من الجبل الأكبر وهو سلسلة جبال متصلة لكل قمة منها اسم يصاحب (نعمان) شماليه حتى حدود (عرفات) فلنأخذ في ذكر هذه المسميات من (جبل كبكب) حتى نهايتها..

يتصل بقمة (كبكب) من الغرب جبال (برم) ويليها (جبال ضلعة) ويليها غربيها أيضا (جبال برقة) ويليها جبال (الوقر) وشعبه ويلي الوقر (ريع وسيق) وهو ثنية تفصل بين (الوقر) والجبل الواقع غربيه في نفس السلسلة وهو جبل (العقم) ويتصل به جبال متداخلة تضاف إليه. ومنه تنبع (عين زبيدة) أو من قربه على ما يقال.

ومن (العقم) يأخذ الطريق ذات اليمين ويفارق (نعمان)، هنالك يقوم بينه وبينه هضاب متقاودة من الغرب إلى الشرق بمحاذاة الطريق يقال لها: (هضاب عوف).

وقبيل (عرفة) ينشعب طريق من لا يمر بمكة المكرمة ولا بالمشاعر المقدسة آخذاً ذات الشمال تجاه نعمان. أما طريقنا فلم يلبث بعد انشعاب الطريق إلا قليلاً حتى يعلو ثنية بين جبال يقال لها: (جبال

الجلية) ومنها ينحدر على عرفة ..

و(كبكب) يحمل هذا الاسم من القديم وله ذكر في كتب المنازل والديار وعلى ألسنة الشعراء. قال ياقوت : (كبكب : بالفتح والتكرير : علم مرتجل لاسم جبل خلف عرفات مشرف عليها : قيل هو الجبل الأحمر الذي تجعله بظهر له إذا وقفت بعرفة، وهما كبكبان : فكبكب من ناحية الصفراء وهو نقب يطلعك على بدر، وكبكب آخر يطلعك على العرج وهو نقب لهذيل، قال الأصمعي : ولهذيل جبل يقال له : كبكب وهو مشرف على موقف عرفة، وقال ساعدة بن جؤية الهذلي :

كِيْدواً جَميعاً بآناس كَأنَّهُـمُ أفنادُ كَبْكَب ذات الشثِّ واَلخُزَمِ

أفناد، جمع فند : وهو الشمراخ من شماريخ الجبل وهو طرفه وما تدلى منه. ونجد كبكب موضع آخر، قال امرؤ القيس :

تَبَصّر خَلِيْلِي هَلْ تَرَىٰ من ظَعَائِنٍ سَوَالَك نَقْبِ بَيْنَ حَزْمَىْ شَعَبْعَبَ؟
فَرِيْقَان منهمُ قاطعُ بَطْنِ نَخْلةَ وآخرُ مِنهُم جازعُ نَجْدِ كَبْكَب

وقال البكري : (كبكب بفتح أوله وإسكان ثانيه بعدهما مثلهما. قال الطوسي: كبكب : هو الجبل الأحمر الذي تجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الإمام بعرفات. وقال الأخفش : هو الجبل الأبيض عند الموقف قال الطوسي وهو مؤنث. قال الأعشى:

وَتَدْفُن مِنْهُ الصَالِحاَتُ وَانْ يُسيءْ يَكُنْ مَا أسَاءَ النّار في رَأْس كَبْكَبا

فلم يصرفه. قال أبو حاتم : كبكب : ثنية، ولذلك لم يصرفها. وكبكب هو الذي كان ينزله سامة بن لؤي فغاضب قومه فرحل إلى عمان، قال المتلمس :

كَانوا كسامة إن شِعْفُ مَنَازِلهُ ثم استمرّت به البُزْلُ الْقَنَاعِيْسُ

وله نجد يضاف إليه، ويقال : نجد كبكب ..) اهـ

وتشير بعض هذه الأقوال أن كبكب هو الجبل المطل على عرفات من الناحية الشرقية بحيث يكون خلف مستقبل القبلة مباشرة .. وهذا ليس بصحيح فالذي يلي عرفات من الجبال مباشرة هما جبلا (السعد) و (أبو خشبة) وإذا كنت في نمرة رأيت شماريخ (كبكب) تطل عليك من خلف هذين الجبلين يخالف لونهما وتكوينهما..

وكبكب من جبال هذيل منذ القدم في قول الأصمعي. وقال الهمداني: (منازل هذيل عرنة وعرفة وبطن نعمان ونخلة ورحيل وكبكب والبوباة وأوطاس وعروان ..) اهـ

قلت وقد قال حمد الجاسر: (.. وهو جبل عظيم ذو شعاب كثيرة، وسكانه من هذيل يدعون (الكباكبة) اهـ.

ذو المجاز : وإذا ذكر ذو المجاز سوق العرب المشهورة ذكر كبكب ــ غالباً ــ لأنه بسفحه[1].

١٧ ــ وقال امرؤ القيس :

على أَبْلَقِ الْكَشْحَيْنِ ليس بِمُعْرِبِ ... بمُجْفَرَةٍ حَرْفٍ كأنَّ قُتُودَهـاَ

يُمجُّ لعَاعَ البَقْلِ في كُلِّ مشْرَبِ ... أقبَّ رَبَاعٍ مِنْ حَمِيْرِ عَمَايَةٍ

بِأسْفَلِ ذِي مَاوَانَ سَرْحَةُ مَرْقَبِ ... عَظِيْمٍ طَوِيْلٍ مُطْمَئِنٍ كَأنَّـهُ

قد اختلف أهل المعاجم والأخبار في ذكر الجبال والمياه، وقد ذكرت طرفاً من ذلك في أول كتابنا هذا، وقد اختلفوا في عَمَاية، منهم من قال أنها بالبحرين، ومنهم من قال : أنها في عالية نجد في سواد باهلة، والروايتان كلتاهما مجانبة للصواب، فعماية وعلية جبلان عظيمان في عارض اليمامة.

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز ص /٢٨١ ــ ٢٨٣.

أما عليه فهي باقية بهذا الاسم إلى اليوم، وذكرها صاحب المعجم بهذا الاسم

قلت : قال عبد الله بن خميس : ويسكن مياه (علية) ومستقرتها الآن قوم من (آل شامر) يرجعون (ليام) وقوم من (القرنية) يرجعون حسب تقسيماتهم إلى قبائل شتى، ولكن الحلف جعل منهم قبيلة واحدة كشأن عادات العرب واصطلاحاتهم وفي أودية (علية) داخل الجبل مياه أثما وأوشال ومناهل معروفة ومخصصة لذويها .. وبحكم قرب (علية) من (حوطة بني تميم)، فإن لهم عليها دالة ... ويتحدث عن وهم ياقوت في ذكره العلية والعلاة. ثم قال : كما وهم بعض الباحثين حينما قال إن (علية) هي (عمايه).. وهو قول لا يؤيده الواقع ولا تقاربه الحقيقة .. وقد تعاقبت أقوام على (علية)، فمن بني هزان الوائليين آل بني قشير وحيدة العامريين، إلى بني مزيد الحنفيين. إلى آل شامر اليامين، والقرينية الأحلاف. هذه (علية) قلعة (اليمامة) الحصينة وطودها الأشم، وهامتها المتأبية[1].

عماية وعماية وحدها جبل ذو هضبات متقاربة كان ذوبان العرب في الزمن القديم يأوون إليها، فإذا دخل أحدهما عماية عمى خَبَرُهُ، ومسالكها منيعة، إذا دخلتها لم تهتد إلى طرقها كأنك أعمى، فمن هنا سميت عماية، وقد زال اسمها اليوم فلم يبق منه شئ وهي تثنى وتفرد، قال جرير في تثنيتها :

لَوْ أنَّ عُصْمَ عَمَايتَيْنِ وَيَذْبُلِ   سَمَعَتْ حَدِيْثَكَ أنْزَلَ الأَوْعَالا

وأفردها جرير في قوله لما توعده الحجاج ودخلها :

---

(١) معجم اليمامة الجزء الثاني ص ١٧٩.

وَخِفْتُكَ حتّى اسْتَنْزَلَتْنِي مَخافَتِي　　وَقَد حَالَ دُوْني من عَمَايَة نِيْقُ
يُسِرُّ لَكَ البَغْضَاءَ كلُّ مُنَافِقٍ　　كَما كلُّ ذِي دَيْنٍ عَلَيْكَ شَفِيْقُ

وقال القتال الكلابي واسمه عبد الله بن مجيب، وكان كثير القتل والفتك بالناس، فهرب ودخل عماية :

جَزَىٰ الله خَيْراً والجزاءُ بِكَفِّه　　عمايـةَ عَنّـا أمَّ كلِّ طريْـدِ
فَلَا يْزدَهِيْهَا القومُ إن نَزَلُوا بِهاَ　　وَإنْ أرسَلَ السلطَانُ كلَّ بَرِيْدِ
حَمَتْنِى منها كلُّ عَيْطَاء عَيْطَلٍ　　وَكَلُّ صفاً جَمِّ القِلاتِ كَؤُوْدِ

وقد أكثر الشعراء من ذكرها، وكذلك أهل الأخبار، وهي جبل في عارض اليمامة الواقعة عن وادي بريك جنوباً، يقسمها وادي برك قسمين : ما كان بين بريك وبرك يقال له : عماية، وكذلك الذي بين برك والأفلاج يقال له : عماية، فسميت عمايتين أخذت هذا الخبر عن الشاعر الكبير الشيخ محمد بن عثيمين الساكن في بلد الحوطة الواقعة في وادي برك.

وأما ماوان فقد غلط فيه أناس كثيرة، قال حسن السندوبي عن ابن السكيت : هو واد فيه ماء بين النقرة والربذة، وكانت فيه منازل عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والربذة، وفيه يقول عروة بن الورد العبسي:

وَقُلْتُ لِقَوْمى في الكَنِيفِ تَرَوَّحُوا　　عشيَّةَ بِتْنَا دُوْنَ مَأوَانَ رُزْحِ
تَنَالُوا الغِنَىٰ أوْتَبْلَغوا بنُفُوسِكُم　　إلىٰ مُسْتراحٍ من حَمَامٍ مُبْرِحِ
وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذا عِيَالٍ ومُقْتِراً　　من المال يَطْرَحْ نَفْسَه كلَّ مَطْرَحِ
لِيَبْلُغَ عُذْراً أو ينال رَغِيْبَـةً　　وُمْبلِغُ نَفْسٍ عذرهَا مثلُ مُنْجِحِ

ولقد أخطأ في بعض ذلك وأصاب في بعض : أخطأ في استشهاده بهذه الأبيات على بيت امرىٔ القيس، لأن ماوان الذي عناه امرؤ القيس غير «ماوان» المذكور في هذه القصيدة، وأصاب في ذكر ماوان، أما «ماوان»

الذي ذكره عروة ابن الورد فإني أعرفه وأعرف الذي ذكره امرؤ القيس مثلما أعرف منازل بيتي، والذي أعرف أنه جبل واقع بين بلاد بني عبس وبلاد بني أسد، ويقال له «ماوان» إلى يومنا هذا، وهو جبل أسود مرتفع عن الأرض، ليس بالكبير، عنده ماءة يقال لها : الماوية، أضيفت إلى هذا الجبل، تقع شمالي بلغة الماء المعروف على مسافة نصف يوم وتقع في الجهة الجنوبية الشرقية من النقرة على مسافة يوم أو أقل.

وأما «ماوان» الذي ذكره امرؤ القيس فهو واد عظيم في وسط علية الجبل المشهور في عارض اليمامة، وهو من أمنع جبال نجد، ومما يجري على لسان العامة إذا كان على أحد جُرْم والتجأ إلى بعض الرؤساء وعزم على حمايته قال له «كأنك في رأس علية» وهي واقعة بين بريك ونساح، وفي ماوان قصور ومزارع، وفي كلام أهل نجد مما يجرى مجرى المثل « لعل ماوان يكفي أهله» وسيولهُ مع سيول علية تنصبُّ إلى جهة الخرج ووادي بريك يحد العلية جنوباً، ونساح يحدها شمالاً، ومن قراه المعمورة : الحريق، والمفيجر ونعام.

قال شاعر من بنى عقيل :

فَمَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ طريقُ بَرْكٍ وإن صَعَّدَتْ في وَادِى نَعَامِ

وهو لبني هزان في الجاهلية، وفيه بقايا منهم إلى هذا اليوم، قال شاعر جاهلي من بني جُشَم :

أَنْسَتْكَ هَزَّانُكَ من نَعَامِهَـــا وَمَـن عليّـة وَمِـنْ آكَامِهَـــا

وفي بريك ــ غيرَ الحريق والمفيجر ونعام ــ قسم من قرى الحوطة المعمورة وأما «برك» فهو أعظم من بريك، وهو من أكبر أودية عارض اليمامة، وغلط فيه كثير من أهل المعاجم، قال ياقوت لما ذكر «بَرْكَ

الغماد» وذكر «برك» بغير إضافة، وقال : هو ناحية باليمن، وقال[1] في عبارته «وبرك أيضاً ماء لبني عقيل بنجد» هذا كلام ياقوت. قال أبوعبيد البكري في معجم ما استعجم[2] «برك ونعام : موضعان في أطراف اليمن» وهذا خطأ.

وبرك ينصبُّ من الغرب إلى جهة الشرق في جنوبي وادى بريك، وفيه قسم عظيم من قرى الحوطة حوطَةِ بني تمِيم، وفيه : الحلوة، والقويع، والعطيان، وقُرىً كثيرة. لا تحضرني أسماؤها ساعة كتابة هذا.

وفي برك وبريك من النخيل والمزارع والآبار شئ لا يحصيه إلا الله، وقد سئل رجل من أهل الحوطة : كم فيها من بني تميم؟ وكم سكانها؟ فقال فيها أربعة آلاف بئر كل بئر فيها أربعة نفرٍ من الموالى للأعمال ليسوا من بني تميم، فعدد العُمَّال ستة عَشَرَ ألف نفر غير سكانها وغير أهلها التميميين، وسيول الأودية تنصب إلى بلد الخرج.

وبرك هذا هو الذي عناه أوس بن حجر في قوله[3]:

تَنكَّرَ بَعْدِى من أُمَيْمَةَ صائِفُ   فبَرْكٌ فَأَعْلىٰ تَوْلَب فَالْمَخالفُ
فَبطْنُ السُّلَىِّ فالسِّخَالُ تُعذَّرتْ   فَمَعْقَلة إلىٰ مُطَارٍ فواَحِف
فَقَوٌّ فَرِهْبىٰ فالسليل فعاذب   مطافيلُ عوذُ الوحشِ فيها عواطف

قد ذكر في ثلاثة الأبيات هذه مواضع باقية على أسمائها إلى يومنا هذا: برك هو الوادي المشهور، بطن السُّلَي : موضع يقال له السلي بينه وبين الرياض أقل من نصف يوم، وهو في جهته الشرقية، ولا يزال باقياً بهذا

(١) انظر معجم البلدان ٢ /١٥٠، ١٥١ وبرك في هذه العبارة بكسر الباء.
(٢) انظر معجم ماستعجم ١ /٢٤٤ وفيه ذكر برك ونعام أنهما بأطراف اليمن.
(٣) ثلاثة الأبيات في معجم ماستعجم (١ /٢٤٤) وذكر أن المواضع التي ذكرت فيها من بلاد بني تميم.

الاسم، ومَعْقَلة : ملزم ماء في أدنى الصّمان يقال له اليوم «معقلى» والسليل: بلد عظيم معمور في أسفل وادي الدواسر. وأما رِهْبى وعاذب ومطار وواحف فلها ذكر في الأشعار القديمة، وأغلبُها ملازم ماء في جهة الصُمان.

★ ★ ★

١٨ ــ وقال امرؤ القيس في وصف فَرَسه :

وَأسْحَمُ رَيَّانُ الْعَسِيْبِ كَأَنَّهُ غَثَاكِيْلُ قِنْوٍ مِنْ سُمَيْحَةَ مُرْطِبِ

سميحة

سميحة : بئر قديمة في المدينة عليها نخل، وقد أكثر الشعراء من ذكرها، قال كثير[١]:

كأنَّ دُمُوْعَ العَيْنِ لمّا تَخلَّلَتْ مَخَارِمَ بِيضاً من تَمَنِّى جَمالُهَا
قَبْلَنَ غُرُوباً من سُمَيْحةً أَنْزَعَتْ بِهِنَّ السَّوانِي واسْتَدَارَ مَحَالُهَا

وقد أجابه علقمة بن عَبْدَةَ التميمي على هذه القصيدة، وهو رجل جاهلي، وكلمته مذكورة في ديوان امرئ القيس، وقد عزمنا إن وجدنا بها شيئاً من المواضع أن نورده في كتابنا هذا.

★ ★ ★

١ ــ قال علقمة بن عَبْدَةَ :

لَيَالِيَ لا تَبْلى نصيحةٌ بَيْنَنا لَيَالِي حَلُّوا في السِّتَّار فَغُرَّبِ

الستار وغرب

أما الستار : فقد مضي الكلام عليه في معلقة امرئ القيس[٢]. وأما

(١) البيتان في معجم البلدان ٥ /١٣٤ وديوان كثير ١ /٢٤١.
(٢) انظره في الصفحات: ٥٣ ــ ٥٥ ــ ٥٧ من هذا الكتاب

غرب فهو اسم مشترك يقع على مواضع كثيرة في بلاد العرب، والذي عناه الشاعر أقرب ما يكون لبلاد تميم واقع بين حقيل وجمران، وهي خمس أَكَماتٍ صغار سود، ووصفت بالسواد نسبة إلى سواد الغُرَاب، فسميت غَرّبَ، وهي على اسمها إلى اليوم، وقال مالك بن الرَّيْبِ المازني :

عليّ دِمَاءُ ٱلبُدْن إن لم تُفَارقِي أَبَا حَرْدب يوماً وأصحاب حَرْدَبِ
سَرَت في دُجَىٰ لَيْلٍ فَأَصْبَح دُوْنَهَا مفاوزُ جُمْرَان الشّرِيْف فَغُرَّبِ
تطالع مِنْ وَادِى الكِلاب كَأَنَهَا وقد أنجدت مِنْهُ فَرِيدَة رَبْرَبِ

أما وادى الكلاب الذي ذكره مالك فسنبينه إن شاء الله في موضعه.

وأما جمران الذي ذكرت عنده غرب في أبيات مالك بن الريب فهو جبل صغير أسود مرتفع يقع بين غُرَّب وجبلة، وجمران باقٍ باسمه الأول إلى يومنا هذا.

وقد أكثر الشعراء من ذكر جمران، قال ربيعةُ بنُ مَقْرُوم :

أَمِنْ آل هِنْدٍ عَرَفْتَ الرسُوْمَا بجمران قَفْراً أبت أَنْ تَرِيْمَا

وكان يوم من أيام العرب في وادي النشاش الذي يقع غربى جمران على مسافة نصف يوم، والنشاش : اسم جاهلى وهو باق بهذا الاسم إلى يومنا هذا، ويوم النشاش كان بين بني عقيل وبنى حنيفة، فمرت حنيفة بجمران وهى منهزمة فقال شاعر بني عقيل :

وَلَوْ سُئِلَتْ عَنّا حَنِيْفَةُ أخبَرَتْ بما لَقِيَتْ مِنّا بجمران صِيْدُهَا

وحقيل المذكور : وهو جبلٌ[1] أَشْقَرٌ منقطِعٌ من جبال السر يقال له اليوم «حقيل» أيضاً فهو باق على اسمه الجاهَلي، وفيه يقول الراعى :

(١) ذكر ياقوت (المعجم ٣ /٣٠٧) أن حقيلاً واد في ديار بني عكل بين جبال من الحلة وأنشد عليه أبيات الراعي هذه، ونحن نتكلم عن عيان ومشاهدة، وماراء كمن سمعا.

جَمَعُوا قُوىً مما تضمُّ رِحَالُهُم   شَتّى النِّجار ترى بهن وُصُوْلَا
فَسَقَوْا صَوَادى يَسْمَعُونَ عشيَّةً   لِلْمَاءِ في أَجْوَافِهُنَّ صَلِيْلَا
حتّى إذا برد السِّجَالُ لَهَاتَهَا   وَجَعَلْنَ خَلْفَ عروضُهُنَّ ثَمِيْلا
وَأَفَضْنَ بعد كظومهنَّ بحَرَّة   من ذى الأَبَارِقِ إذ رَعَيْنَ حَقِيْلَا[1]

★ ★ ★

٢ — قال علقمة بن عَبْدَةَ :

وَمَا أَنْتَ أَمْ ماَ ذِكْرُهَا رَبعِيَّةً   تَحِلُّ بإير أَوْ بِأَكْنَافِ شُرْبُبِ

إيــر   إير هو جبل في بلاد غَطَفان، وله ذكر في أشعار العرب، وبه وقعة، قال الشّماخ[2] :

عَلَى أَصْلَابِ أَحْقَبَ أَخْدَرِيٍّ   من اللائي تَضَمَّنَهُنَّ إِيْــرُ

وإير : يسمى الآن عيرا، وعير : جبيل في بلاد غطفان في أعلاها شمالى وادى الرمة، وقال زهير بن أبى سلمى، وهو من سكان تلك الناحية وشعرائها :

ألا أَبْلغْ لَدَيْكَ بَنِى سبيعٍ   وأيامُ النَّوَائِبِ قد تَدُوُر
فإن تَكُ صُرْمَة أخذَتْ جِهاراً   لِغَرْس النَّخْلِ أَزْرَهُ الشَّكِيْرُ[3]
فإنَّ لكم مآقِط عَاسياتٍ   كيوم أضَرَّ بالرؤساء إيــرُ

(١) في ياقوت عن ثعلب أن ذا الأبارق وحقيلا اسمان لموضع واحد، وأطال في تخريج هذا البيت.
(٢) البيت في معجم البلدان ١ /٣٨٨ وفي ديوان الشماخ ٣٥ «على أصلاب جأب أخدري» والجأب : حمار الوحش، والأخدري : الأسود.
(٣) الأبيات في المعجم ١ /٣٨٨ وديوان زهير ٣٣٧، ووقع في ياقوت «أرزه الشكير» وأثبتنا مافي الديوان.

قلت : وقال البكري في معجم ما استعجم : «اير بكسر أوله وراء مهملة مثل عير ـــ قال يعقوب : اير جبل بنى الصارد بن مرة، وأنشد لمزرد ابن ضرار :

فَأَيَّهْ بِكَنْدِيرٍ حمارِ بن واقع   رآك بإيْرٍ فاشْتَأَىٰ من عُتائد

وعتائد : هضاب أسفل من إِير لبنى مُرَّة ـــ ويروى : رآك بكير».

وقال حمد الجاسر في المعجم الجغرافي، شمال المملكة، القسم الثالث، بعد أن استشهد بمجموعة أشعار : «يفهم من الأشعار المتقدمة أن اير بقرب بثقب، وأنه في بلاد بني مرة من غطفان، وليس بعيداً من عوارض. وله صلة ببلاد طيئ كما في شعر الطائي الذي يتشوق إلى شرب ماء أبطح بقربه.

ثم علق الشيخ حمد على قول ابن بليهد أن ايرا يسمى الآن عيرا وهو جبيل في أعلى بلاد غطفان في أعلاها، شمالي وادي الرمة». ولعل هذا استنتاج من النصوص المتقدمة، ولم أجد من يعرف عيرا (ص ١٦٠).

وأما شربب فلم أجد له ذكراً في هذا العصر، ولكن بقرب الطائف وادياً يقال له شَرِبٌ يصب سيلهُ إلى عُكَاظ، وفيه حدثت وقعة الفِجار العظمى وفي هذا اليوم قيَّدَ حربٌ وسفيانُ وأبو سفيان أبناءُ أمية أنفسهَم كيلا يفروا، فَسُمُّوا العَنَابس، وحضر هذه الوقعةَ رسولُ الله ﷺ ولم يقاتل، قال ابن هَرْمَةَ :

عَهْدي بهم وسَرَابُ البيض منصدع   عنهم وقد نزلوا ذا لُجَّةٍ صَخِبَا
مُشَمِّرا بارز السافَيْن مُنْكَفِتَا   كأنه خافَ من أعدائه طَلَبَا
وقد رَمَوْا بهضاب الحَزْنِ ذا يَسَرٍ   وخَلَّفوا بعد من ايمانهم شَرِبَا

وثمة موضع آخر يقال له شِرْب بكسر الشين وسكون الراء وفيه يقول ابن مقبل :

قد فَرَّقَ الدَّهْرُ بينَ الحى بالظَّعَنِ وبين أثناء شِرْب يوم ذى يَقَن
تَفْريق غير اجتماع ما مَشَى رجل كما تفرّق بين الشّام واليَمَن

وشُرْبُبٌ الذي ذكره علقمة : هو ـــ فيما ذكر ياقوت[1] ـــ وادٍ في ديار بني سُلَيم، وفيه يقول أرطاة بن سُهَّية :

أجْلَيْتُ أهلَ البرك من أوْطانِهِم والخمس من شُعبىٰ وأهل الشّرّبب

ولست أعلم موضعاً بهذا الاسم يقال له الشربب، إلا أن يكون نائياً عنّا لم نحط به علماً.

★ ★ ★

٣ ـــ وقال علقمة :

فَفَاءَتْ كما فَاءَتْ من الأُدْم مُغْزِلٌ بِبِيْشَةَ تَرْعىٰ في أَرَاكٍ وَحُلَّبِ

بيشة : يأتى الكلام عليها إن شاء الله في معلقة لبيد.

★ ★ ★

٤ ـــ وقال علقمة :

كأنَّ بِحَاذَيْهَا إذا ما تَشَذَّرَتْ عَثَا كِيْلُ قِنْوٍ مِنْ سُمَيْحَةَ مُرْطِبِ

سميحة : تقدم عليها الكلام في قصيدة امرئ القيس [2].

انتهت قصيدة علقمة بن عبدة الفحل.

١٩ ـــ وقال امرؤ القيس في قصيدته التى مطلعها :

أرانا مُوضِعِينَ لِأَمْرٍ غيبٍ ونُسْحَر بالطّعام وبالشّرابِ

إلى أن قال :

وقد طَوَّفْتُ في الآفاق حتى رضيتُ من الغنيمة بالإياب

(١) المعجم ٥ /٢٤٨.
(٢) انظر ص ٨٨ من هذا الكتاب في شرح البيت رقم ١٨.

إلى أن قال :

أبَعْدَ الْحَارِثِ الملكِ ابنِ عَمْروٍ ... وَبَعْدَ الْخَيْرِ حُجْرٍ ذي القِبَابِ
وَأعْلَمُ أنَّنى عَمَّا قَلِيلٍ ... سَأنْشبُ في شَبَا ظُفْرٍ وَنَابِ
كَمَا لَاقَى أبِي حُجْرٌ وَجَدِّى ... وَلَا أنْسَىٰ قَتِيْلاً بالْكُلَابِ

الكلاب

قد اختلف أهل التاريخ وأهل المعاجم في موضع وادي الكلاب، قال صاحب معجم البلدان[1] «قال أبو زياد : الكَلَابٌ : واد يسلك بين ظهري ثهْلَان، وثَهْلَان : جبل في بلاد بنى نُمَير» أهـ. والمكان الذي يقارب اسمه هذا الاسم وادٍ يقال له اليوم «وادي الكلبة» وهو واقع بين ثهلان ومجيرة، ينصب سَيْلهُ في وادي الشعراء، وتحفه سيولها بجبل ثهلان من جهته الشرقية، ويتفرع سيله من حذُنَّة، وحذُنَّة : جبل أسود صغير رفيع يقع في جهة مطلع الشمس من بلد الشعراء على مسافة ساعة ونصف ساعة بالسير على الأقدام، ويليه هضباتٌ حمرٌ في جهته الشرقية يقال لها اليوم مجيرة، وحذنه يقال لها اليوم الحذني، وكلا الجبلين حذنة ومجيرة باقيان بهذا الاسم من العصر الجاهلى إلى يومنا هذا،

قال محرز بن المكعبر الضبي :

دَارَتْ رَحَانا قليلاً ثُمَّ صَبَّحَهم ... ضربٌ تَصَيَّحُ منه حلّةُ إلهَامِ
ظَلّت ضِبَاعُ مُجيْرَاتٍ يَلُذْنَ بِهِمِ ... وألحموهُنَّ منهم أىَّ إلْحَامِ
حتّى حُذُنَّة لم تترك بها ضَبُعَاً ... إلا لها جَزَر من شلْوِ مِقْدَامِ

أما وادي الكُلَاب فأغلب الظن أن اسمه في العصر القديم قبل أيام الكلاب شئ غير هذا الاسم، وأن هذا الاسم لم يطلق عليه إلا بعد تلك المعارك التي وقعت بين العرب وكانت به، وأنهم إنما سموه بذلك لما لَقُوا فيه من التكالب والشر، والذي نعتقده أن اسمه الذي كان قبل ذلك

---

(١) معجم البلدان ٧ /٢٦٩.

«وادي قحقح» ووادي قحقح باقٍ إلى اليوم بهذا الاسم.

ومما يؤيد هذا أنهم ذكروا في أخبار أيام العرب في اليوم الأخير من أيام الكلاب أن مسعود بن القُرِيم فارس بكر بن وائل قُتِلَ في وادي الكلاب الذي كانت به الوقعة قتله حشيش بن نمران، وقد قال الشاعر :

وَنَحْنُ تَرَكْنَا ابنَ القُرَيْمِ بِقُحْقُح صَرِيْعاً مكبًّا لليدينِ وَلِلْفَمِ

فإذا قَرَنت هذا البيت بما ذكروه في أخبارهم تبين لك أن وادى الكلاب الذي كانت الوقائع به هو وادى قحقح، وهذا الاسم باقٍ إلى يومنا هذا، وعلى هذا يكون كل ما ذكر من الشعر في وادى الكلاب إنما حقيقته أنه في وادى قحقح.

ويدل لذلك أيضاً أنهم قالوا : إنه يبعد عن طرف ثهلان الجنوبي مسافة يوم أو أقل، وأن سيل وادي الكلاب يصب في وادى السرة ثم يندفع إلى وادى الركى، ووادى قحقح هو الذي ينطبق عليه هذا التحديد، قال لبيد بن ربيعة:

لَاقَى الكلابَ البَدِى فَاعْتَلَجَا سَيْلُ أَتِيِّهِمَا لِمَنْ غَلَبَا
فَدَغْدَغَا سُرَّةَ الرَّكَاءِ كَمَا دَغْدَغَ ساقِي الأعاجِمِ الغَرَبَا

ووجه ثالث يؤيد ما ذهبنا إليه، وذلك أنهم ذكروا أن وادي الكلاب تقاتَلَ العرب فيه وهم يشربون ماء العويند، والعويند باقٍ إلى اليوم بهذا الاسم، وهو ماء كثير الجم يقع بين كثيبين، وأهل قُحْقُح اليوم قاطنون على ماء العويند وهم يرعون إبلهم في وادي قحقح.

هذا، وقد ذكر صاحب معجم البلدان العويند، وذكر العويند الذي بأرض اليمامة، وكلا الماءين لم تتغير أسماؤهما إلى يومنا هذا.

قلت، وقال عبد الله بن خميس في معجم اليمامة[1] :

العوينة : بضم العين، وفتح الواو، وإسكان الياء، وكسر النون، فدال .. قرية بـ (اليمامة) لبني خديج أخوة بني منصر، قاله ياقوت عن الحفصي، وقال أبو زياد : من مياه بني نمير. وذكرها الهمداني، وأثبت أنها لبني خديج. قلت: ويسكنها الآن (آل ونيان)أسرة من (الكتمة) من بني علي من (حرب). وهي قرية صغيرة بها قليل من النخل والمزارع، وواديها ينحدر من (الصفراء) التي تلب بجبل (طويق) مما يلي (أم الرحال) (والثرماني) وما حولها.

وقيل أن (العويند) هو (البرة السفلى) إذ كانوا يقولون (البرة العليا) (والبرة السفلى)، ويقول يحيىٰ بن طالب :

خَليْلَيّ عُوْجَا باركَ اللهُ فِيكُمَا   على البرّةِ العُلْيَا صدورَ الرّكَائِبِ
وَقُوْلَا إذَا مائَوه القَوْمُ بالقُرَىٰ   ألَا في سَبِيْلِ الله يحيى بنُ طَالِبِ

وقيل : إن المراد بـ (البّرة العليا) : (الثرماني)، وبـ (البرّة السفلى) : (البرّة) الموجودة الآن.

يوم الكلاب الأول

أما وادي الكُلاب فكانت به وقعتان في الجاهلية : الوقعة الأولى[2] بين شرحبيل بن الحارث الكندي وأخيه سلمة بن الحارث الكندي، ومع شرحبيل من قبائل العرب : ضبة، والرباب كلها، وبنو يربوع، وبكر بن وائل، ومع سلمة من قبائل العرب : تغلب، والنمر، وبهراء، ومن تبعهم من بني مالك بن حَنْظلة، وعليهم سفيان بن مجاشع، وعلى تغلب السفاح بن خالد بن كعب بن زهير، وإنما كان افتراق القبيلتين بكر بن وائل وتغلب لعداوة قديمة كانت بينهم، فدارت معركة كبيرة بين الفريقين، وانتهت بقتل شرحبيل بن الحارث الكندى، وانهزم أصحابه، قتله عُصَيم بن النعمان بن

---

(١) ج ٢ / ١٩٣.

(٢) انظر في يوم الكلاب الأول تاريخ ابن الأثير ١ /٢٢٦ وما بعدها.

مالك الجشمى، وانتهى إلى عصيم أن سلمة بن الحارث يسأل عنه ليكافئه عن قتل أخيه شرحبيل، ففطن عصيم إلى أنه إنما يريد قتله، فهرب، وعصيم هذا يدعى أبا حنش، فلما بلغ سلمة أنه هرب قال :

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا حَنَشٍ رَسُوْلاً فَمَا لَكَ لا تَجِيءُ إِلَى الثَّوَابِ
لِتَعْلَمَ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ طُرّاً قَتِيلٌ بَيْنَ أَحْجَارِ الكُلَابِ
تَدَاعَتْ حَوْلَهُ جُشَمُ بنُ بَكْرٍ وَأَسْلَمَهُ جعَاسِيْسُ الرَّبَابِ

ويروى أن أبا حنش أجابه بقوله :

أُحَاذِرُ أَنْ أَجِيْئَكَ ثَمَّ تَحْبُو حَبَاءَ أَبِيْكَ يَوم صُنَيْبِعَاتِ
وَكَانَتْ غَدْرَةٌ شَنْعَاءُ تَهْفُو تقلَّدَهَا أَبُوْكَ إِلَى الْمَمَاتِ

وقال جابر بن حُنَى التغلبى والعرب تعيّر تغلب بالنصارى :

وَقَدْ زَعَمَتْ بَهْرَاءُ أَنَّ رِمَاحَنَا رِمَاحُ نَصَارَى لا تَخُوضُ إِلَى الدَّمِ
فيوم الكُلَابِ قَدْ أَزِالَت رِمَاحُنَا شَرْحَبِيْلَ إِذ آلى أَلِيَّةَ مُقْسِمِ
لينزعنّا أَرْماَحَنَا فَأَزَالَهُ أبو حنشٍ عن ظَهْر شَقَاء صَلْدَمِ

وفي قتل عصيم بن النعمان لشرحبيل يقول الأخطل وهو يخاطب جريرا:

أَبنِي كُلَيْبٍ أنّ عَمّيَ اللّذا قَتَلا الملوك وَفَكَّكا الْأَغْلَالَا[1]

وذكر هذه الوقعة طويل في أخبار المؤرخين.
أما الحارث بن عمرو أبو شرحبيل فانه مات ببطن عاقل ودفن هناك،

---

(١) اللذا: أراد اللذان، فحذف النون استخفافاً لطول الموصول بالصلة، ونظيره كثير في شعر العرب، ومنه قول الأشهب بن رميلة وقد حذف نون «الذين» :

وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يأم خالد

وعاقل واد قريب من الرس ولا يزال بهذا الاسم إلى يومنا هذا، غير أنه يقال له العاقلى، وفيه يقول زهير :

لِمَنْ طَلَلٌ كَالْوَحْيِ عافٍ مَنَازِلُهْ　　عَفَا الرَّسُ منه فالرُّسَيْسُ فَعَاقِلُه

يوم الكلاب الثاني

وأما يوم الكلاب الثاني[1] فكان بين سعد والرباب، ورئاسة بني سعد لمقاعس، ورآسة الرباب لتيم، فرأس الناس في آخر ذلك اليوم قيس بن عاصم المنقرى، وهو اليوم الذي قتل فيه عبد يغوث بن وقاص الحارثي بعد أن أسر، فقال وهو مأسور قصيدته المشهورة التى منها :

أيَا رَاكِباً إمَّا عَرَضْتَ فَبلِّغَنْ　　نَدامَايَ مِنْ نَجْرَانَ ألَّا تَلاقِيَا
أبا كَرْبٍ وَالْأيْهَمَيْن كِلَاهُمَا　　وَقَيْساً بَأعْلىٰ حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا
وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ　　كأن لم تَرَىٰ قَبْلى أسيْرَاً يَمَانِيَا
أقَوْلُ وَقَد شدُّوا لِسَانِي بنَسْعَةٍ:　　أمَعْشَر تيمْ أطَلقُوا لِي لِسَانِيَا

وماء العويند وما يليه من وادي الكُلَاب نعده خَبْرَاء[2] من الدم؛ لما جرى فيه من الوقائع العظام، وقدمنا ذكر وقعتين على الاختصار وقد حدث عنده من الوقائع الحديثة ثلاث وقائع عظام : أما الأولى : فهي بين هادي ابن قرملة رئيس قحطان في زمنه، وقحطان جُنْدُه، وبين الحميدى الدويش رئيس مطير، فكانت معركة عظيمة انهزمت فيها مطير، أما الوقعة الثانية فكانت بين محمد بن هادي بن قرملة رئيس قحطان وبين تركي بن حميد ومعه رؤساء من عتيبة، وكانت الهزيمة في ذلك اليوم على قحطان، وقد دامت المعارك دائرة بينهم خمسة أيام، وأما الوقعة الثالثة فكانت بين تركي ابن حميد ومعه من رؤساء عتيبة الهيظل وابن جامع وجندهم عتيبة، وبين الدويش رئيس مطير، وانتهت المعركة بهزيمة مطير بعد قتال عظيم، وهناك

(١) انظر خبر يوم الكلاب الثاني في تاريخ ابن الأثير ١ /٢٦٠.
(٢) الخبراء في الأصل : الارض التي تمسك الماء، والكلام هنا على الاستعارة.

شجرة أعرفها بينها وبين ماء العويند كثيب الماء الذي يحيط بماء العويند، ويقال لها شجرة أبي صفرة، أضيفت إلى أبي صفرة لأنه قتل عندها، وهو من رؤساء مطير.

وقد أشار ابنُ بشر مؤرخ نجد في تاريخه إلى هذه الوقائع الأخيرة الواقعة قرب العويند(١).

---

(١) قال لي بعض أصحابنا — حين ذكرنا وادى الكلاب، ووادي قحقح، وذكرنا أنه هو وادي البدي، وذكرنا وادي الجلة، وذكرنا العويند — قال: إن ابن بشر ذكر العويند في تاريخه ونحن أشرنا إلى ماذكره ابن بشر، ولكن صاحبنا لم يتثبت، فتتبعت تاريخ ابن بشر، فلم أجد للعويند ذكرا، ولكني ذكرت في كتابي هذا أن قليلا من المواضع الذي حدث فيه يوم من أيام العرب الأقدمين أو المتأخرين ثم لم يحدث فيه يوم آخر، وقد أشرنا إلى مواضع في كتابنا هذا تكررت الأيام فيها، وهذه عبارة من عبارات ابن بشر في تاريخه، قال في سنة ١١٦٦هـ، وذكر بعض الحوادث، ثم قال: وفيها وقعة «السبلة» وهو موضع معروف بين بلد الزلفى وبين الدهنا، وهذه الواقعة بين الظفير وبين بنى خالد، وذلك أن بنى خالد ساروا إليهم وقائدهم: عبد الله بن تركى بن محمد بن حسين آل حميد، فواقعوهم، وصارت على الظفير هزيمة، وأخذوا عليهم نعماً كثيرة، وقيل: إنها بعد دخول السابعة بعد الستين، وكان في السنة السابعة والأربعين بعد الثلاثمائة والألف وقعة «السبلة» أيضاً وهي مشهورة بين جلالة الملك وبين قوم من عتيبة وغيرهم: خرجوا عن الطاعة، وخالفوا الجماعة، واستباحوا الدماء والأموال، فشمر جلالة الملك لمناجزتهم، والتقوا في السبلة الموضع الذي التقى فيه بنو خالد والظفير، وهي بين الزلفى وبلد الأرطاوية، فانهزم البغاة، وقتلوا قتلا ذريعاً في المعركة، ولكن جلالة الملك — حفظه الله! — أمر ألا يتبع المدبر؛ وكف الفرسان عن أثرهم. وانظر عجيبة أخرى من عجائب التاريخ، الفئة التي قاتلها أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه في جهة النهروان كان قتاله إياهم في اليوم التاسع عشر من شوال سنة ٣٧ من الهجرة، واليوم الذي ناجز فيه جلالة الملك هؤلاء هو التاسع عشر من شوال سنة ١٣٤٧هـ، فهذا تصادف عجيب : تاسع عشر شوال، وسنة سبع وكذا من الهجرة، كلتا الوقعتين اجتمعت في هذا اليوم، واليوم الذي بين بنى خالد وبين الظفير في هذا الموضع صادف السنة السابعة أيضاً.

التصادف الثاني : قال ابن بشر في تاريخه : ثم دخلت السنة ١١٨٧هـ، وفيها كانت الوقعة المشهورة على حماد المديهيم ومن معه من السعيد والظفير، سار إليهم =

أما وادي الكُلاب فقد بينا أنه هو الوادى الذي يقال له اليوم قُحقُح — بضم القافين واسمه جاهلى، وبينا أنه أضيف إلى الكُلَاب في فترة من الزمن لكثرة القتال والتكالب فيه بين العرب، ثم زال عنه هذا الاسم، ورجع إليه اسمه الأول القديم ومازال ماء العويند باقياً اسمه إلى اليوم.

★ ★ ★

٢٠ — وقال امرؤ القيس :

سَقَى وَارِدَاتٍ والْقَلِيْبَ ولَعْلَعاً ... فلثّ سِماكِيّ فَهَضْبَةَ أَيْهَبَا
فَمَرَّ علىٰ اَلخَبْتَيْنِ خَبْتَىْ عُنَيْزَةٍ ... فَذَاتِ النِّقَاعِ فَأَنْتَحَىٰ وَتَصَوَّبَا
فَلَمَّا تَوَلّىٰ مِنْ أَعَالِى طَمِيَةٍ ... أَبَسَّتْ بِهِ رِيْحُ الصَّبَا فَتَحَلّبَا

واردات : تقع بهذا الاسم في ثلاثة مواضع : الأول : قريب نفي في واردات

= عبدالعزيز رحمه الله تعالى، ومعه غزو أهل الرياض مع دواس بن دهام، فأغار عليهم وهم على جراب ماء معروف بين سدير والدهنا، فأستاصل جميع أموالهم، وقتل منهم نحو الثلاثين رجلاً، وفي سنة ١٣٣٢هـ الوقعة المشهورة على جراب الماء الذي كانت الوقعة عليه بين عرب نجد، ودارت فيه معارك عظيمة بين الفئتين، وتكرار الوقائع في البقاع في نجد لا يحصى.

قال ابن بشر في تاريخه : ثم دخلت سنة ١٢٤٧هـ وفي صفر منها سار فيصل بن تركي بشوكة المسلمين من أهل العارض والجنوب وسدير والوشم وغيرهم ومعهم أخلاط من أعراب سبيع والسهول والعجمان وبنى حسين فقصدوا عالية نجد، فشنوا الغارة على أعراب مجتمعة على طلال الماء المعروف في عالية نجد من عتيبة وغيرهم ورئيسهم سلطان بن ربيعان، فانهزم الأعراب، فسار المسلمون في ساقتهم يقتلون ويغنمون، إلى آخر عبارة ابن بشر، وبعد مضي سنين تقرب من ثلاثين سنة، وقد مات الامام رحمه الله؛ اجتمعت الأعراب على هذا الماء المعروف الذي مر ذكره طلال والأعراب القاطنون عليه يرأسهم أخو الرئيس الأول مصلط بن ربيعان وجاءهم ابن الرئيس الأول سعود بن فيصل، فشن الغارة عليهم كما شنها عليهم والده، فكانت معركة عظيمة بين الفريقين، انظر تكرار المعارك في هذه البقاع، بل نحن نقول : إن المواضع التي تكون فيها معارك في العصر الجاهلي ثم لاتكون فيها معارك أخرى في العصر الحديث أقل من المواضع التي تتكرر فيها المعارك بين القديم والحديث.

جهته الشمالية الشرقية وهي هضاب سود تبعد عن نفى مسافة نصف يوم، وهي التي كان بها اليوم المعروف بين بكر وتغلب قُتل فيه بُجَير بن الحارث بن عُبَاد بن مرة، فقال مهلهل :

فَإنْ يَكُ بالذَّنائبِ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ أبْكِي من اللَّيْل القَصِيْرِ
فَإنّـــى قَدْ تَرَكْتُ بِوَارداتِ بُجَيْراً في دَمٍ مِثْـلِ الْعَبِيْـرِ

قلت : وفي واردات، قال الشيخ حمد الجاسر في كتابه المعجم الجغرافي شمال المملكة[١] : واردات : جاء في «معجم البلدان» : ــ جمع واردة ــ موضع عن يسار طريق مكة وأنت قاصدها. قال أبو عبيدة السكوني : الربائع عن يسار سميراء، وواردات عن يمينها، سمر كلها، وبذلك سميت سميراء.

وأقول : يطلق اسم واردات على مواضع منها هذا الذي ذكر ياقوت وقد أضافه الطرماح إلى الأريمين ... وورد في تاريخ الطبري : أن طليحة وأنصاره من بني أسد، وغيرهم من المرتدين استقروا في واردات. ويحدد موزل واردات بأنها إلى الشمال الشرقي من سميراء على بعد خمسة وعشرين كيلاً.

وأضيف : يطلق اسم واردات على جبل يقع شمال بلدة سميراء بميل نحو الغرب ــ لا الشرق ــ وهو يطل عليها يرى رأى العين، ويناوحه من جهة الجنوب جبل غسل ــ غير غسل الذي في غرب شمال أجا ــ ويمر وادي توز (التوزي) في شرقي واردات، وسيل الجهة الشرقية من واردات يدك فيه.

ويلاحظ أن الاسم قد يشمل ما يقرب من الموضع من أرض (جبل

(١) : القسم الثالث/١٣٤١.

واردات) يقع بقرب خط الطول ٢ ــ ٤٢ وخط العرض ٣١ ــ ٢٦). ويبعد جبل واردات عن مدينة حايل بنحو ١٦٠ كيلا في الجنوب الشرقي.

وهناك واردات موضع آخر ورد في خبر حرب البسوس وهذا في عالية نجد.

وقال ابن مقبل:

وَنحْــنُ القَائِــدُوْنَ بِوَارِدَاتِ ضبابَ المَوْت حَتَّى يَنْجَلِيْنَا

وواردات الثانية : جبال سمر قريب سميراء معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

وواردات الثالثة : هضبات تقع عن وادى رنية شمالاً، مسافة نصف يوم. وكلها معروفة بهذا الاسم إلى اليوم، فواردات الأولى : في بلاد غنى بن أعصر، وواردات الثانية : في بلاد بنى أسد، وواردات الثالثة في بلاد عقيل ابن عامر.

القليب

وأما القليب فمعروفة عند العرب، وقد يضاف إليها فيقال «هضب القليب[١]» وهي تقع عن جبل كشب في جهته الشمالية الشرقية في أعلى الشربّة والقليب هذه هي التي أجْرِيَتْ فيها داحس والغبراء، وكانت الحرب بين بنى فزارة وبني عبس بعد ذلك، قال الأعشى :

مِنْ دِيَارٍ بِالْهَضْبِ هَضْبِ اِلقُلَيْبِ فاضَ ماءُ السّرُوْر فَيْضَ الغُرُوْبِ[٢]

وقال مطير بن الأشيم الأسدى:

أبالصُّمِّ من هَضْبِ الْقَلِيْبِ أمَرْتِنِى هُنَيْدَةُ ؟ لا يرضى بذاك المخيَّبُ

(١) وربما سموا القليب «ذات الاصاد».

(٢) الغروب : جمع غرب، وهو الدلو.

وهضب القليب بهذا الاسم قد درس، والباقي من اسمه يقال له «هضب الشرار» وليس للقليب فيه ذكر.

لعلع — ولعلع : واد فيه مزارع ومياه في عرض ابنى شمام، باقٍ بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وفيه قصور ومزارع. قال المسيب بن عَلَس الضُّبَعى :

بَانَ الخَلِيْطُ ورُفّعَ الخُرُقُ   وفؤاده في الحي مُعْتَلِقُ
منعوا كلَامَهُمُ ونائِلَهُمْ   يَوْمَ الفِرَاقِ، ورَهْنَهُم غَلِقُ
قَطَعُوا الْمَزَاهِرَ واستتبَّ بِهِم   يَوْمَ الرَّحِيْلِ لِلَعْلَع طُرُقُ

هضبة أيهب — هضبة أيهب : مضافة إلى أيهب، ذكره الشعراء في بلاد بني أسد ويقرن في الأشعار والأخبار بِشَرْج، وَشَرْج : معروف إلى اليوم بهذا الاسم وهو قريب جبل رمان، قال النابغة[1] :

كأنَّ قُتُودَى والنُّسُوعَ جَرَىٰ بهَا
مصكٌّ يُبارى الْجَوْن جَأبٌ مُعَقْرَبُ

رَعَى الرَّوْضَ حتّى نشت الغُدْرُ وَالْتَوَتْ
بِدِجِلَاتِهَا قِيْعَانُ شَرْجٍ وَأَيْهَبُ

الخبت — أما الخَبْتُ : فهو المستوى من الأرض المنخفضة، وعنيزة : هي عنيزة الموجودة اليوم الواقعة في شرقي القصيم الجنوبي، وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله :

تَرَاءَتْ لَنَا يَوْماً بِسَفْحِ عُنَيْزَةَ   وَقَدْ حَانَ مِنْهَا رِحْلَةٌ وَقُلُوصُ

قال أبو عبيدة[2] السكوني : استخرج عنيزةَ محمد بن سليمان بن

(١) المعجم ١ /٣٩٧ والديوان ٢٠.
(٢) معجم البلدان ٦ /٢٣٤.

على بن عبد الله بن عباس وهو أمير على البصرة. وقيل : بل بعث الحجاج رجلاً يحفر المياه في الشجا بين البصرة ومكة. فقال له : احفر بين عنيزة والشجا حيث تراءت للملك الضليل، يعنى امرؤ القيس، حين قال : عنيزة

تَرَاءَتْ لنا بَيْنَ النَّقَا وَعُنَيْزَةَ وَبَيْنَ الشَّجَا ممَّا أحَالَ عَلَىٰ الْوَادِي

وقال جرير :

أمْسَىٰ خَلِيْطُكَ قَد أجَدَّ فِرَاقَاً هاج الحزِيْنَ وَهَيَّجَ الْأشْوَاقَـا

إلى أن قال :

أنَّ الْفُؤَادَ مَع الّذيْنَ تَحمّلوُا لَمَ يَنْظُـروا بِعُنَيْـزَةَ الإشْرَاقَـــا[1]

وقال كليب أخو مهلهل :

غَدَاةَ كَأنَّنَـــا وَبَنـــى أبِيْنَـــا بِجَـنْبِ عُنَيْـزَة رَحَيَـاَ مُدِيْـــرِ

وقال رجل من الأعرابَ وأدخل عليها الألف واللام :

لَعَمْرى لَضَبٌّ بالْعُنَيْزَة صَائِفٌ تَضَحَّى عَرَاداً فهو يَنْفُخُ كاَلْقَرِمِ

أَحَبُّ إلَيْنَـــــا أنْ يُجَـــاِوِرَ أَهَلُهَـــــا
من السّمكِ اْلجــرِّيْثِ وَالسَّلْجَـــمِ الْوَخْـــمِ[2]

والصحيح : أن الذي اكتشفها هو عبد الله بن عامر بن كريز الذي اكتشف النباج المسماةُ اليوم الأسياح.

(١) لم ينظروا : معناه هنا لم ينتظروا.

(٢) في معجم البلدان «من السمك الخريت والسلجم الوخم» وهو تحريف ماأثبتناه، والجريث: نوع من السمك.

النقاع

النقاع : قال في معجم البلدان[1] النقايع : جمع نقيعة، وهو الموضع الذي يجتمع فيه الماء، وهي خبارى في بلاد بني تميم. والباقي بهذا الاسم إلى اليوم «النقيعة» وهي : روضة تمسك الماء، وفيها قصر ومزارع، وهي واقعة بين ضَرَمىٰ[2] وبين طريف الحبل، وقد كان لها هذا الاسم قديماً، قال جرير:

خَلِيْلَيّ هِيجَا عَبْرَةً وَقِفَا بِنَا ... عَلَى مَنْزِلٍ بَيْنَ النَّقِيْعَةِ فَالْحَبْلِ

والنقيع : هو النقيع المجاور للمدينة، قال عبد الرحمن بن حسان في قاع النقيع :

أرقت لِبَـرْقٍ مُستَطِيْـرٍ كَأَنَّـهُ ... مصابيحُ تَخْبُو ساعةً ثم تَلْمَحُ
يُضيءُ سناه لي شَرَوْرَىٰ، وَدُوْنَه ... بقاعُ النَّقِيْعِ أَوْ سَنَاَ الْبَرقِ أَنْزَحُ

وقال ابو صخر الهذلى :

قُضَاعِيـةٌ أَدْنَىٰ ديـار تَحَلّهَـا ... قناةٌ، وأَنَّى من قناة المحصَّبُ؟
ومن دُوْنِهَا قاعُ النَّقِيْعِ فأسقف ... فبطنُ الْعَقِيْقِ فَالخبِيْثُ فَعَنْبَبُ

ونقيع المدينة، ونقيعة اليمامة : كلها باقية بهذه الأسماء لم تتغير إلى يومنا هذا.

قلت، في معجم اليمامة[3] : «النقيعة : بضم النون المشددة، وفتح القاف، وإسكان الياء، وفتح العين، فهاء .. روضة كبيرة من رياض (قرقرى)، تقع خلف سلسلة جبل (قرادان) من الغرب، بينها وبين رمل (الغزيز) ــ (الوركة) سابقاً وهي تزرع سقياً وَبَعْلاً ويعضد عشبها، ويصب فيها من الأودية : وادي (الأحور)، و(غدير الحصان)، وما حولها من

(١) المعجم ٨ /٣٠٦.
(٢) ضرمى يقال لها في العهد الجاهلي قرما انظر المعجم (ص ٦١ ج ٧).
(٣) : ج ٢ /٤٢٢.

الشعاب التي تقع عنها شمالاً وشمال غرب» .

طمية

وأما طمية فهضبة رفيعة في بلاد بني أسد، باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا، ويليها جبل يقال له «عكاش» وفي أخبار الأقدمين ــ إذا تزوج الرجل أمرأة، ودامت عشرتهما ــ قالوا : تزوج عكاش طمية، وعكاش وطمية : باقيان بهذا الاسم قريب الحاجر والنقرة، قال الشاعر :

تزوَّجَ عكـاشٌ طِمْيَـةَ بَعْدَمَـا تأيَّـم عكـاشٌ وَكَـادَ يَشِيْبُ

وقال السمهريُّ اللص :

أعنّى عَلَىٰ بَرْق أرِيْك وَمَيْضَهُ يشوقُ إذا استَوْضَحْتَ برقاً عَنَانِيَا
أرِقْتُ لَهُ، وَالْبَرْقُ دُوْنَ طِمِيَّةٍ وَذَى نجْبٍ، مَا بَعْدَهُ من مَكَانِيَا

وقال الشاعر :

أتَيْنَ عَلـى طَمْيَـةَ، وَالْمَطَايَـا إذا اسْتُحْثِثْنَ أتْعَبْنَ الجُـرُوْرَا

وقال عمرو بن لَجَأ :

تأوبني ذِكْـرٌ لَزْولَـةَ كالْخَبْـلِ وما حيث يلقى بالكثيب ولا السَّهْلِ
تَحُلُّ وركْنٌ من طَمْيَةَ حَزْنُهَا وجرفاءُ مِمَّا قَدْ يَحُلُّ به أهْلى
تريدين أن أرْضَى وأنتِ بَخِيْلَةٌ وَمَن ذا الذي يُرْضِي الأخلّاءَ بالبُخْلِ

وطمية وعكاش : واقعان في ربوة مرتفعة شمالي وادي الرمة.

قال مصنف هذا الكتاب : اني قد مررت بهما كثيراً في أسفاري وتجولاتي في نجد.

* * *

٢١ ــ وقال امرؤ القيس :

وهي من أحسن قصائده لكنها خالية من المطلوب الذي نحن فيه :

قَدْ أشْهَدُ الْغَارَةَ الشَّعْواءَ تَحْمِلُنى جَرْدَاءُ مَعْرُوْقَةُ اللَّحْيَيْنَ سرُحُوْبُ
كأنَّ صاحِبَهَا إذْ قامَ يُلْجِمُهَا مَعْدٌ على بَكْرَةٍ زوراءَ منصوبُ(١)

---

(١) المغد ــ بالفتح ــ الدلو العظيمة.

إذا تَبصَّرهَاَ الرَّاؤُوْنَ مُقْبِلَـةً لَاحَتْ لَهُمْ غُرَّةٌ مِنْهَا وَتَجْبِيْبُ[١]

إلى أن قال :

كَأَنَّهَـا حِيْـنَ فاضَ المـاءُ وَاحْتَفَـلَتْ
صَقْعـاءُ لَاحَ لهـا في المَـرْقَبِ الـذِّيْبُ[٢]

صُبَّتْ عليـه وَمَـا تَنْصَبُّ من أَمَـمٍ
إنَّ البـلاءَ علـى الأَشْقَيْـنَ مَصْبُـوبُ

كالدلـو ثَبْتٌ عُرَاهـا وَهْـيَ مُثْقَلَـةٌ
إذْ خانَهَـا وَذَمٌ مِنْهـاَ وَتَكْـرِيْبُ[٣]

والذي دعانا إلى إيراد هذه الأبيات أن الدلو وعراها ووذمها والتكريب وجميع هذه الألفاظ بمعانيها باقية من عهد امرئ القيس إلى يومنا هذا، والوذم : حبيلات تشد بها عراقى الدلو، والكرب : حبل في العراقي يجعل فيه الرشاء.

★ ★ ★

٢٢ ـ قال امرؤ القيس :

غَشِيْتُ دِيَارَ الحيِّ بالْبَكِرَاتِ فَعَارِمَـةٍ فَبُرْقَـةِ الْعِيـرَاتِ
فنفى فَحِلِّيتٍ فَأَكْنَافِ مَنْعِجٍ إلى عَاقِلٍ فَالْجُبِّ ذي الْأَمَرَاتِ[٤]

أما البَكَرات وعَارِمة والعيراتَ، فكلها متقاربة، وهي باقية على أسمائها إلى يومنا هذا في جهة الوشم.

البكرات — والبَكَرَات : بين القصب وثادق من بلدان الوشم وهي هَضَبات سود.

(١) التجبيب : ارتفاع البياض حتى يصل إلى جنب الفرس.
(٢) الصقعاء : العقاب.
(٣) الوذم ـ بالتحريك ـ السيور تكون بين آذان الدلو.
(٤) رواية الديوان «فغول فحليت فأكناف منعج» وفي معجم ياقوت «فغول فحليت فنفى فمنعج».

قال جرير :

هَلْ رَامَ جَوّ سُوَيْقَتَيْنِ مكانهُ   أو أَبْكرُ الْبَكَرَاتِ أَوْ تِعْشارُ[1]

وأعظم البكرات : هضبة يقال لها : الغرابة، وهي سوداء.

قلت : وعلّق ابن خميس على قول ابن بليهد، فقال[2] : قد جعل ابن بليهد رحمه الله ثادقا من بلدان الوشم، وجعل (الغرابة) من البكرات .. والأمر ليس كذلك، فثادق قاعدة (المحمل)، (والغرابة) منفصلة عن البكرات وليست منهن .. وهي واقعة بين (ثادق) و(رغبة).....

وتابع يتحدث عن (البكرات)، فقال : أما البكري، فقال على قول امرئ القيس المتقدم : قال الأصمعى : بين عاقل وبين هذه المواضع المذكورة مسيرة أيام .. قال : وقد أرانى أعرابى هذه المواضع، فإذا هى قارات رؤوسها شاخصة ... (وقال البكري أيضاً) البكرات قارات سود برحرحان .ا. هـ.

وذكرهن الهمداني، فقال ... ثم تنزل من نقيل طحبل إلى بطن العتك، وإلى البكرات (وقال أيضاً) : .. ثم من ضرية إلى مطلع الشمس فكبشان هضب، والبكرات هضبات فيهن بئر تسمى البكرة .. أ.هـ.

وعلى ما ذكره الهمداني أخيراً يكون المراد بقول امرئ القيس بكرات تلك الناحية من (ضرية) لا هذه ... لا سيما وقد أورد البكرى رواية البيت (فعاذمة) لا (عارمة) فيكون كل ما أراده هنالك، والله أعلم.

أما ياقوت، فقال : قال ابن أبي حفصة : البكرات : ماء لضبة بأرض اليمامة، وهي قارات بأسفل الوشم ... أ هـ.

---

(١) رام مكانه : تحول عنه.

(٢) : معجم اليمامة ج ١ /١٧٢ ــ ١٧٣.

وما قاله ياقوت، هو عين الصواب بالنسبة لبكرات اليمامة». والله أعلم.

عارمة وأما عارمة : فهي طرف العرمة الواقع على طرف العك مما يلي البَكَرات، وقد أكثر الشعراء من ذكرها في الأشعار، قال الصِّمَّةُ بن عبد الله القُشَيْري:

أَقُولُ لعَّياشٍ إذ صحبنا وجابرٍ وَقَدْ حالَ دُونى هَضْبُ عارمةَ اِلفَرْدُ
قِفَا فَانظُرا نحوَ الحِمَىٰ اليومَ نَظْرَةً فإنَّ غداةَ اليوم من عُهْدَةِ الْعَهْدِ
فلمّا رَأَيْناَ قُلَّةَ البشْر أعْرضتَ لَنَا وجبالَ الحَزْن غَيَّبهَا البُعْدُ
أصابَ جهولَ القَوْمِ تَتَيُّمُ ما به فَحَنَّ ولم يملكْهُ ذو القوةِ الجَلْدُ

قلت : وذكرها ابن خميس، فقال[1]: .. جبل في (نجد) لبني عامر، عن ياقوت. وماء لبني تميم في الرمل، عن أبي زياد : ومنزل من منازل بني قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، عن ابن المعلى الأزدي، وفيها يقول الصمة بن عبد الله القشيرى، ثم ذكر الأبيات السابقة، وقال : ويقول أيضاً عامر بن الطفيل :

عرفت بجوّ عارمة المَقَامَا لِسَلْمَى أَو عَرَفْت لها عَلاَمَا

وقال ابن مقبل :

ألا ليت أنّا لم نَزَل مِثْل عَهْدِنَاَ بعارمةَ الْخرْجَاء وَالْعَهْدُ يَنْزَحُ

وقال الرَّاعي :

أَلَـمْ تَسْأل بعارمـةَ الدِّيــارَا عَن الْحَيّ المفارِق أيْنَ سَارَا
بِجَانِب رامـةٍ، فَوَقَـفْتُ فِيْهَـا أُسَائِل رَبْعَهُـنَّ فَمَـاَ أحَـارَا؟

وقال عبد الله بن الحمير أخو توبة :

تأوّبنـــي بِعَارِمـــةَ الهمـــوُم كَمَا يَعْتَادُ ذا الدَّيْنِ الْغَرِيْمُ

(١) معجم اليمامة ج ٢ /١٣٠.

قلت : وعلى الرغم من أن (عارمة) هذه في (اليمامة) وفي ديار بني عامر بالذات، وأن هذه علم بارز تغنى به الشعراء وتناقل اسمه الرواة، فإنه لا يوجد الآن علم يحمل هذا الاسم حسبما وصل إليه علمي .. إلا أن تكون (العرمة) تحمل هذا الاسم أيضا، رغم أن ياقوتا رسم لـ (عارمة) و(العرمة) .. وأن الصفات التي وصفت بها (عارمة) لا تنطبق في أكثرها على صفات (العرمة).

ولكن (الهجري) قال : ان (عارمة) ردهة في وسط الحمى في حق بني جعفر ابن كلاب بين هضبات .. قال هذا على قول امريء القيس (ثم ذكر بيتيه السابقين)، أما ابن بليهد فتارة قال : أنها (طرف العرمة) مما يلي (العلك)، وتارة قال أنها في بلاد (قشير) جنوب (العارض) ثم قال : أنه لا يعرفها، ولا يوجد في هذا العهد من يعرفها.

برقة العيرات

وأما بُرْقَةَ العِيرَات : فهي واقعة في الكثيب الواقع بين بلدان الوشم، ويقال له اليوم «أبرق العيرة» وهذه المواقع التي سبق ذكرها باقية على أسمائها إلى يومنا هذا، فإذا قلنا : إن الشاعر لم يقصدها بقوله؛ لأنه عطف على البكرات وعارمة وبرقة العيرات نَفْيا وحِلَّيتا وأكناف مَنْعِج ثم قال «إلى عاقل فالجب ذي الأمرات» قلنا: لا، بل ذلك مما يؤيد أنه أرادها، وهذا الذي ذكره امرؤ القيس في أبياته المذكورة تحديد متقارب جميل، أما البَكَرَات، فهي البكرات المشهورة في حدود الحمى في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، تقع من ضرِيَّة على مسافة يوم مما يلي مطلع الشمس، وهي هضبات حُمْر فيها بياض، ويقال لها اليوم «البكرى» ــ يعرفها بهذا الاسم اليوم جميع أهل نجد.

قلت : وقال ابن خميس[1] : أما برقة العيرات هذه، فلا يعلم أين هي

---

(١) معجم اليمامة ج ١ / ١٤٧.

الآن أو يجوز أنها تحمل اسماً غير اسمها .. ثم يأتي بقول ابن بليهد.

نفى وأما نفى فهو واد مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهذا اسمه في الجاهلية، وهو واقع بين جبلة وواردات، وفيه يقول خالد بن سعيد :

كأنّي بالأحِزَّةِ بيْنَ نفْى وبَيْنَ مِنًى على كَتْفَيْ عُقَابِ

وأما منًى : فهي هضبة حَمْراء طويلة تقع من نفى على مسافة يوم من الجهة الغربية، وبها بئر عذبة يأتي الكلام عليها في معلقة لبيد، ونَفْى امتد إليه الحِمىٰ في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان به عين عظيمة في ذلك الزمن فدفنتها غنى بن أعصر في زمن ابن الزبير أيام الاختلاف وهي على دَفْنها إلى يومنا هذا.

حليت وأما حلِّيت : فهو جبال سود تقع من نَفْىْ على مسافة يوم في جهته الغربية الجنوبية، وبه معدن في جبل أسود يقال له «الغرابي» قال الراعي :

*** بِحِلِّيْت أقْوَتْ منهُم وَتَبَدَّلَتْ ***

وحّليتُ باقٍ بهذا الاسم إلى يومنا هذا، ومن مياهه الأرطاوي يقع في شرقيه.

منعج وأما مَنْعِج، فهى جبال «دخنة» البلد المشهورة اليوم بأيدي حَرْب، ولكن هذا الاسم قد تغير اليوم، ويوم منعج[1] : من أيام العرب لبنى يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم على بني كلاب وفي منعج يقول جرير وقد ضم إليه عاقلا :

لَعَمْرُكَ لَا أنْسَى لَيَالِيَ مَنْعِجٍ وَلَا عَاقِلًا إذ مَنْزِلُ الحى عَاقِلُ

عاقل وأما عاقل : فهو واد يصب في وادى الرمة يُنَاوِح « دخنة» التي ذكرنا

(١) انظر أخبار يوم منعج في تاريخ ابن الأثير ١ /٢٣٠ وفي مجمع الأمثال ٢ /٢٦٨ وفي الأغاني ١٠ /٩ ومابعدها.

أنها منعج، وعاقل باق على اسمه إلى اليوم، لكنه يقال له «العاقلي» وقالت حُمْلُ لما ذهبت الفزر بإبلها تشجع قومها(١) :

بَنِي الْفَزْر ماذَا تَأْمُرونَ بِهَجْمَةَ ... تلائد لم تُخْلَطْ بِحَيْثُ نصابُهَا
تَظَلُّ لأبنـاءِ السَّبِيْـلِ مُنَاخَـةً ... عَلَىٰ الماءِ يعطى درُّها وَرِقَابُهَا
أَقُوْلُ وَقَد وَلَوْا بنَهْب كَأَنَّهُ ... قَدَامِيسُ حَوْضَىٰ رَمْلُهَا وَهِضَابُهَا
أَلَهْفَىٰ عَلَى يَوْمٍ كَيَوْم سُوَيْقَةٍ ... شَفَى غُلَّ أَكْبَادٍ فَسَاغَ شَرَابُهَا
فإنَّ لها باللَّيث حَوْلَ ضَرِيَّةٍ ... كَتَائِبَ لا يَخْفَى عَلَيْه مُصَابُهَا
إذا سَمِعُوا بالْفَزْر قَالُوا غَنِيمَةٌ ... وعوذَةُ ذُلٍّ لا يُخافُ انْتِصَابُهَا
بَنِي عامر، لا سَلْمَ لِلْفَزْرِ بَعْدَهَا ... وَلَا أَمْنَ ما حَنَّتْ لِسَفْرٍ رِكَابُهَا
فَكَيْفَ احْتِلَابُ الْفَزْرِ شَوْلِي وَصِبْيَتِي ... أَراملُ هَزْلَىٰ؟ لَا يَحِلُّ احْتِلَابُهَا
وَارْبَابُها بَيْنَ الوَحِيْـد وَمَنْعِـجٍ ... عُكُوفاً تراءى سَرْبُهَا وَقِبَابُهَـا
أَلَمْ تَعْلَمِي يا فَزْرُ كَمْ من مُصَابَةٍ ... أَهِيْنَ بها الأَعْدَاءُ نَابَ مَنَابُهَا
وَكُلِّ دِلَاصٍ ذَاتِ نِيرَيْنِ أحكمت ... على مرّة الْعَافِيْنَ يَجْرِى حِبَابُهَا
وَأَنْ رُبَّ جارٍ قَدْ حَمَيْنَا وراءه ... بِأَسْيَافِنَا وَالْحَرْبُ يَشْرَىٰ ذُبَابُهَا

وقال النابغة :

كَأَنِّى شَدَدْتُ الكُوْر حِيْنَ شَدَدْتُهُ ... عَلَى قَارِحٍ مما تَضَمَّنَ عَاقِلُ

وقال مالك بن حطان السليطى :

وَلَيْتَهِمُ لم يَرْكَبُوا في رُكُوْبِنَا ... وليت سليطاً دُوْنَهَا كانَ عَاقِلُ

وقال جرير :

لِمَـن الدِّيَـارُ بِعَاقِـلٍ فَالْأَنْعُـمِ ... كَالْوَحْيِ في وَرَقَ الزَّبُورِ الأَعْجَمِ

---

(١) ذكر هذه الأبيات ياقوت في معجم البلدان ٨ / ١٨٠.

وقال رجل من المعمرين :

وَأعْقُل حُجْراً ذا أُوَارِ بِعَاقِلٍ وأيَّامِ بَكْرٍ إذْ تَعَادَتْ وَتَغْلِبِ

وقال زهير :

لِمَنْ طَلَلٌ كَالْوَحْيِ عافٍ مَنَازِلُهْ عَفَا الرَّسُ منه فالرَّسَيْسُ فَعَاقِلُهْ

وقال عميرة بن طارق اليربوعى :

وَإنِّي أحبّ الرّمثَ من أرض عَاقِلٍ
وصوتَ القَطَا في الطَّلِّ والمطر الضَّرْبِ

وَإن أكُ في نَجْدٍ ــ سقى الله أهلَهُ
بِمَنَّانة منه ! ــ فَقَلْبي على قُرْبِ

وقال لبيد بن ربيعة :

تَمَنَّىٰ ابْنَتَايَ أنْ يَعيْشَ أبُوْهُمَا وَهَلْ أنَا إلا من ربيعةَ أوَ مُضَرْ
وَنَائِحَتَانِ تَنْدُبَانِ بِعَاقِلٍ أخَا ثِقَةٍ لا عَيْنَ مَنْهُ ولَا أثَرْ

وهذه أشعار متقدمة في ذكر عاقل الذي يسمى اليوم «العاقلى» .

الجب ذو الأمرات

وأما الجبُّ ذو الأمَرَات فهو بئر يقع في طرف «إمرة» لأن الجب يطلق على البئر، وإمرة هي التي ذكرها امرؤ القيس باسم ذي الأمرات يقال لها (امرة) بهذا الاسم إلى يومنا هذا. قال في معجم البلدان[1] : «وامرة : منزل من منازل الحاج في طريق مكة المكرمة من البصرة، وهي بعد رامة» وهذا صحيح أنها بعد رامة لقاصد مكة، قال الشاعر :

ألَا هَلْ إلىٰ عَيْش بِإمَرَّة الْحِمَىٰ وتكليم لَيْلَى ما حييتُ سَبِيْلُ

---

(١) المعجم ١ /٣٣٥ وضبط إمرة هذه بكسر الهمزة وفتح الميم مشدودة بعدها راء مهملة.

وقال الراعى[١] وقد خَفَّف الميم لضرورة الشعر :

قُبٌّ سماويَّـةٌ ظَلَّتْ مُحَـلَّأَة بِرِجْلَةِ الدّار فِالرَّوْحَاءُ فَالْأَمِرِ
كانت مَذَانِبُها خُضْراً فقد يَبِسَتْ وأخلفَتْهَا رِيَاضُ الصَّيِّف بالغُدُر

وإمَّرة : هضبة يكنفها أبارِقُ بالقرب من سواج الجبل المشهور في الجاهلية بهذا الاسم، وفي بطنه مياه كثيرة، وقد غرس به أهل الشبيكية[٢] بلد الذويبى الحربي نخيلاً كثيرة مشرعة في الماء، وهو واقع من امرة في الشمال الغربى على مسافةٍ أقلَّ من نصف يوم.

وقال شاعر أيام الفتوحات في صدر الإسلام :

أَقْبَلْنَ من نير وَمِـنْ سُوَاجِ والقومَ قد مَلُّوا من الإِدْلَاجِ

وقال تميم بن أبيٍّ بن مقبل:

وَحلتْ سُواجا حلْـة فَكَأنَّمَـا بِحَزْمِ سَواجٍ وَشْمُ كفّ مُقَرَّحُ

وقال في معجم[٣] البلدان، ومنهم من يقول : سواج طخفة، وقال على ذكر سواج : النائعان جبلان بين أبان وسواج طخفة، وهذا تحديد صحيح، والنّائعان باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا، يقال لأحدهما ــ «النائع» وللآخر «النويع» وهما بين أبان وسُوَاج، وقال جرير :

---

(١) جعل ياقوت شعر الراعي في موضع اسمه «أمر» بفتح الهمزة والميم جميعاً وذكر أنه موضع بالشام.

(٢) قال الشيخ حمد الجاسر في كتابه المعجم الجغرافي شمال المملكة القسم الثاني /٧٠٥ ــ ٧٠٦ : قلت، والشبيكية من بلاد فزارة، ومن مجامعها «كما في معجم مااستعجم» ويفهم من خبر أورده أنها في أعلى بلادهم مما يلي المدينة.
والشبيكة أيضاً قرية تقع جنوب حائل على بعد ٦٤ كيلاً لقبيلة شمر.
والشبيكة : أيضاً ــ قال في كتاب (المناسك) (وعلى ميل ونصف من التعلبية في بطن الوادي إذا انحدرت بئران قريبتان من الأرض تسمى الشبيكة والطريفة).

(٣) انظر معجم البلدان ٥ /١٥٨.

أن العدوَّ إذا رَمَوْكَ رميتهم بذُرَى عَماية أو بهَضْب سْواج

والاشعار فيه كثيرة.

وجميع المواضع الذي ذكرها امرؤ القيس في أبياته المتقدمة ــ وهي البَكَرات ونفى، وحِلِّيت ، ومنْعِج، وعاقل، والأَمَرات ــ كلها باقية بهذه الأسماء إلى يومنا هذا، أقصاها مما يلى القصيم عاقل الذي يقال له اليوم «العاقلي» وأعلاها مما يلي جنوبي الحِمىٰ «البكرات» التي يقال لها اليوم «البكرى» والتي هي هضاب حمر يغشاها بياض، وهي واقعة في هضاب سود عنها جنوبيَّ كبشات وغيرها، وهضاب حِلِّيت سود كأنها غربان، وما كان من البَكَرات شمالاً فجبالهُ حمر كغول وطخفةَ ومنى التي يقال لها اليوم «منية» يطوف الراكب المجدُّ على هذه المواضع في يومين، وبقية المواضع المذكورة في هذه الأبيات واقعة بين البَكَرات وعاقل، أما عارمة وبرقة العيرات فموضعها كما تقدم ذكره.

★ ★ ★

٢٣ ــ وقال امرؤ القيس، وهو في بلاد الروم في قصيدة هذا مطلعها :

أَلَا أَبْلِغْ بَنِى حُجْر بْنِ عَمْرٍو وَأَبْلغْ ذَلِكَ الحَيّ اَلْجَدِيْدَا
بأنّى قَدْ هَلَكْتُ بأرْض قَوْمٍ بَعِيْداً من دِيَارِكُم بَعِيدَا
وَلَو أَنّى هَلَكْتُ بِأَرْضٍ قَوْمِى لَقُلْتُ الْمَوْتُ حَقٌّ، لا خُلوَدَا
وَلَوْ صادَفْتُهُنَّ على أسَيْسٍ وَحاقَةَ إذْ وَرَدْنَ بنَا وُرُودَا
عَلَى قُلُصٍ تَظَلُّ مُقَلَّدَاتٍ أَزِمَّتُهُنَّ مَا يَعْدقْنَ عُودَا

أسيس أما أُسَيْسٌ فقد قال في معجم البلدان[1] : أسيس في بلاد بني عامر بن صعصعة، واستشهد ببيت امرىء القيس هذا، وأنا لا أعلم في بلاد بني

(١) انظر معجم البلدان ١ /٢٥٠.

عامر موضعاً بهذا الاسم، ثم قال في المعجم عن ابن السكيت : انه في شرقي دمشق، قال هذا في تفسير قول عدي بن الرقاع :

قَدْ حَبَانِي الوليدُ يوم أُسَيْسٍ   بِعِشَارٍ فيها غِنىً وَبَهَاءُ

وظني أن «أسيس» كما ذكر ابن السكيت في شرقي دمشق، وأنا لا أعرف مياه تلك الناحية فإذا صح أن أسيس في شرقي دمشق فالصواب في إنشاد البيت «حافة» في موضع «حاقة» لأنه قال في معجم البلدان[1] الحفة ــ بالفتح والتشديد ــ كورة في غربى حلب فيها عدة قرى، وقيل: أن الثياب الحفية تنسب إليها، فتكون رواية البيت :

ولو صَادَفْتُهُنَّ على أُسَيْسٍ   وحافَةَ إذ وَرَدْنَ بِنَا ورُودَا

قال أبو عبيد البكرى في معجم ما استعجم[2] : إن أسيس : قريب دمشق، واستشهد بقول عدي بن الرقاع العاملي.

ويعلم القارىء أنا نجد بعض أبيات من الشعر تنسب لشعراء الجاهلية ــ كامريء القيس وغيره ــ وليست من شعر الجاهلية، فإن بينها وبين أشعار الجاهلية فرقاً شاسعاً في المعنى، والعهدة في ذلك على من رواها منسوبة إلى هؤلاء الشعراء، ولذلك أمثلة كثيرة ليس هذا محل الإفاضة في ذكرها.

★ ★ ★

٢٤ ــ وقال امرؤ القيس :

لله زَبْدَانُ أَمْسَى قَرْقَراً جَلَداً   وَكَانَ من جَنْدل أصمَّ مَنْضُودَا

---

(١) انظر معجم البلدان ٣ /٣٠٢.

(٢) انظر معجم مااستعجم ١ /١٥٢.

زبدان — يعنى بذلك الزَّبدانىَّ الكورة المعروفة بين دمشق وبعلبك[1]، ومنها يخرج نهر دمشق وقد سكن الباء وحذف الياء لأجل ضرورة الشعر.

★ ★ ★

٢٥ — وقال امرؤ القيس :

تَرَاءَتْ لَنَا بَيْنَ النَّقَا وَعُنَيْزَةٍ وَبَيْنَ الشَّجَا مِّما أَحَالَ عَلَى الْوَادِى

النقا والشجا — وقد تقدم الكلام على عنيزة[2] والنقا : من الأكثبة المتراكمة على جانبها الغربي، فأما الشجا : فلا أعرفه بهذا الاسم اليوم.

قلت وذكر الشيخ حمد الجاسر في المعجم الجغرافي، شمال المملكة الشجي .. قال في «معجم البلدان» .. قال السكوني، والطريق من المدينة إلى البصرة يسلك من الشجي والرحيل. وحفر أبي موسى ثلاثون ميلاً.

وقيل : الشجي على ثلاث مراحل من البصرة — عن نصر — والشجي : ضرب قد شجي به الوادى، فلذلك سمى الشجي، وقال الراجز :

كأنها بين الرحيل والشجي ضاريـــة بخفهـــا والمـــنسج

إلى أن قال : إن أريد من هذا الموضع الوادى، فهو الشجي بالياء لأنه شجى بالربوة فهو مفعول، وإن أريد به الربوة نفسها فهو الشجا بالألف لأنه فاعل.

وعلى هذا فالشجي يقع شرق الحفر، وشرق الوقبا جهة البصرة.

★ ★ ★

(١) معجم البلدان ٤ /٣٧٤.

(٢) انظر ما ذكرناه عنها في الصفحات ٣١ — ١٠٢ — من هذا الكتاب

٢٦ ـــ قال امرؤ القيس في قصيدته التي قالها وهو في طريقه إلى قيصر ملك الروم :

سَمَا بكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمىٰ بَطْنَ قَوٍّ فَعَرْعَرَا
كِنَانِيَّةٌ بانَتْ وَفِي الصَّدْرِ وُدُّهَا مُجَاوِرَةً غَسَّانَ وَالْحَيَّ يَعْمُرَا
بِعَيْنَيَّ ظُعْنَ الحيِّ لمَّا تَحَمَّلُوا لَدَىٰ جَانِبِ الأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ قَيْمَرَا

عرعر : هو ماء في الهَضْب الواقع في القطعة الجنوبية من نجد، يقال ــ لهذا الهضب اليوم «هضب آل زايد» والماء يقال له «عراعر» معروف بهذا الاسم اليوم عند جميع أهل نجد، وهو واقع في الجهات التي ذكرها امرؤ القيس في أول[١] معلقته، وقال شاعر من بني عميرة، ذكره صاحب التكملة لما ذكر عراعر وأنها أرض سبَخة : عرعر

وَلَا تُنبِتُ المرعىٰ سباخ عراعر ولو غُسِلَتْ بالماءِ ستَّةَ أشْهُرِ

الأفلاج : أودية معروفة بهذا الاسم إلى اليوم فيها نخيل وقصور ومزارع، وهي معمورة قال في معجم[٢] البلدان : الأفلاج تقع في العارض في جهة مطلع الشمس، وقد أصاب في هذا التحديد، فما كان في العارض الجنوبي من برك إلى وادى الهدار فهذا كله يقال له الأفلاج، وهي بلد الحمر، والهدار، والستارة، والخرفة، وليلى ـــ وهي عاصمة تلك الناحية ـــ والسيح، والغيل، والعمار، وحراضة، وواسط ووسيلا، ومروان، والزريقية، والروضة، والبديعة، وسويدان، جميع هذه القُرىَ يقال لها الأفلاج، ولا تزال معروفة بهذا الاسم عند أهل نجد إلى يومنا هذا. وقد أطال الكلام عليها صاحب معجم البلدان وذكرها ذكراً وافياً، وأكثره أصاب فيه، وقال رجل من بني هَزَّان : الأفلاج

(١) انظر ما ذكرناه عنها في الصفحات: ٤٢ ــ ٤٣ ــ ٤٥ من هذا الكتاب

(٢) انظر معجم البلدان ١ /٣٠٦ وانظر أيضاً ٦ /٣٩٢ برسم «فلج».

سَلُوا فَلَجَ الأَفْلَاجِ عَنّا وَعَنْكُمُ وأكَمةَ إذ سالت سَرَارتُها دمَا
عشيةَ لو شِئْنَا سَبَيْنَا نِسَاءَكُم ولكن صَفَحْنَا عِزَّةً وتكرُّمَا
عشيّةَ جَاءَتْ مِنْ عُقِيل عِصَابَةٌ تَقَدَّمَ مِنْ أبطَالِهَا مَنْ تقَدَّمَا

وقال الْقُحَيْف العقيلى :

بَدَأْنَا فَقُلْنَا أتأَبَ البحرُ واكتَسَتْ
أسافلَه حتّى ارجَحَنَّ وأَوَّدَا
أم التِّبن في قُرْيانِه ثَمَّ نبتُه
خضيد ولولا لينُه ما تَخَضَّدَا
أم النَّخْلُ من وَادِي القُرَىٰ انحرَفَتْ له
يَمَانِيَّةٌ هنَّ القَنَا فَتَأَوَّدَا
سقى فَلَجَ الأفلاجِ من كل همّة
ذِهَابٌ ترويه دماثا وقوّدا
به نجد الصيّد الغريب، وَمَنْظَراً
أَنِيْقَاً، ورَخْصَاتِ الأَنَامِلِ خرّدا

وقال الجعدى وتلك الناحية لبني جَعْدة وقُشَير وعقيل :

نحنُ بنو جعدة أربابِ الفَلَجْ نَحْنُ مَنَعْنَا سَيْلَه حتى اعْتَلَجْ

ويوم فلج لبني عامر على بني حنيفة، قال القحيف العقيلي، وقد جمع يوم النشاش ويوم فلج في كلا البيتين :

تَرَكْنَا على النّشاشِ بَكْرَ بنَ وَائِلٍ وقد نَهَلَتْ منها السُيوفُ فعلتِ
وبالفلج العادىّ قَتْلَىٰ إذا التقتْ عليها ضباع الغيل بَائِتْ وَظَلَّتِ

والغيل المذكورة في هذا البيت هي من قرىٰ الأفلاج المذكورة بهذا الاسم.

قيمر وَقَيْمُرُ : لم يبق منها اليوم شيء بهذا الاسم إلا موضعاً يقع من الأفلاج في الجهة الجنوبية الشرقية، جبل فيه أبارق يقال له الجنبة، أرض يقال لها الأجمر فيها مياه، وهي قريب من الجنبة بين الأفلاج ووادي الدواسر وهي التي عناها امرؤ القيس بقوله «**لَدَى جانبِ الأفلاج من بطن قَيْمرَاَ**».

٢٧ ــ وقال امرؤ القيس في ذكر الظعينة :

فَشَبَّهْتُهُمْ في الآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا حَدَائِقَ دَوْمٍ أَوْ سَفِيْناً مُقَيَّرَا
أَوِ الْمَكْرعاتِ من نَخِيْلِ ابْنِ يَامِنٍ دُوَيْنَ الصَّفَا اللَّائِى يَلِينَ الْمُشقَّرَا

الصفا أما الصفا : فهو اليوم قَصَبة المبرز الواقعة في بلد الأحساء، ولا يزال بهذا الاسم على تحديد الرواة وأهل المعاجم، قال لبيد بن ربيعة :

سُحُقٌ بَمنْسعة الصَّفَاَ وسرِيّةٌ عُمٌّ نواعِـــمُ بينهـــن كُرُوُمُ

وقال لبيد أيضاً :

فَرُحْنَ كأَنَّ النَّادياتِ عن الصَّفَا مذارِعَهَا والكارِعَـات الحَوَامِـلَا
بِذي شَطَبٍ أَحْداجُهم إذ تحمَّلوا وحث الحُداةُ النَّاجِيَاتِ الذَّوَامِلَا

قال في معجم البلدان(١) عن ابن الفقيه : الصفا قصبة هَجَر، ويوم الصفا من أيامهم.

قال جرير :

تَرَكْتُم بِوَادِى رَحْرَحَان نِساءَكُم ويَوم الصَّفَا لَاقَيْتُمُ الشِّعْبَ أَوْعَرَا

---

(١) معجم البلدان ٥ /٣٦٥.

قلت : وتحدث حمد الجاسر في كتابه (المعجم الجغرافي القسم الثالث ص / ٩٧١) المنطقة الشرقية عن موضع اسمه الصفا، فقال : الصفا بالفتح في «معجم البلدان» :

والصفا أيضاً : نهر بالبحرين، يتخلج من عين مُحَلِّم. قال لبيد :

سُحُقٌ بِمَنْسعَةَ الصّفا وَسَرِيُّهُ عُمٌّ نَوَاعِـــمُ بَيْنَهُـــنَّ كُرُومُ(١)

وقال لبيد أيضاً :

فَرْحْنَ كأنَّ النّادياتِ عن الصَّفَا مَذارِعُها والكارِعَـاتِ الحَوامِـلَا

والصفا : حصن بالبحرين وهجر.

وقال ابن الفقيه : الصَّفا قصبة هَجَر(٢).

ويوم الصَّفَا من أيامهم. قال جرير :

تركتُمْ بِوَادِى رَحْرَحَانَ نِسَاءَكُمْ وَيَوْمَ الصَّفَا لاقَيْتُمُ الشّعْبَ أوْعَرَا(٣)

وذكر ياقوت أيضاً في «المعجم»(٤) : أن الصفا قصبة هجر.

وفي «التهذيب» للأزهرى(٥) : قول لبيد يصف نخلاً نابتاً على الماء حتى طال طواله في السماء، فقال :

سُحُقٌ يمتعها الصَّفَـا وسَرِيّـةٌ عُمٌّ نَواعِـــمُ، بَيْنَهُـــنَّ كُرُومُ

والصفا والسرى نهران يتخلجان من نهر محلم الذي بالبحرين، يسقى قرى هجر كلها. انتهى.

---

(١) في «التهذيب» سحق يمتعها الصفا وسرية. ومثله في «التاج».

(٢) وكذا في «مختصر البلدان».

(٣) انظر عن يوم رحرحان «النقائض» و«معجم ماستعجم» : ٦٣٣ ورحرحان جبل لايزال معروفاً، وفيه أودية.

(٤) رسم (هجر).

(٥) : ٢ — ٢٩٤.

وفيه[1] الصفا نهر بالبحرين، والسرى خليج يتخلج منه ... وفيه[2] :
وبالبحرين نهر يتخلج من عين محلم يقال له الصفا.
وقال جرير يهجو العباس بن يزيد الكندي[3]:

أَلَا أَبْلِغ بني حجر بن وهب بأنَّ التَّمر حلوٌ في الشِّتَاءِ

فَعُـودوا للنَّخِيْـلِ فَأَبِّرُوهَـا وعيشوا بالمشَقّـر فالصّفَـاءِ

وهنا ورد الاسم ممدودا ولعله للوزن، فقد تقدم قول الأزهري أنه مقصور.

ومصدر النصوص المتقدمة عن الأزهرى ــ وهو ممن عرف هذه البلاد تدل على أن الصفا نهر يتخلج من محلم، ومن المعروف أن الأنهار كثيراً ما ينشأ بقربها أماكن للسكن وقصور وحصون، تسمى باسمها.
ونهر محلم أصبح مجهولاً وكذا الصفا.

وفي «تاريخ الأحساء» لا يعرف في الأحساء نهر بهذا الاسم، ولا حصن أيضاً، وإنما توجد قطعة من الأرض بين مدينة الهفوف ومدينة المبرز، تسمى الصفيا، وفيها الآن محطة توليد الكهرباء. انتهى.

وما أرى الصفيا هذه تنطبق عليها أوصاف الصّفا، فهي في مكان مرتفع ولا أثر لمجرى النهر فيها، وليست بقرب عين (أمّ سبعة) التي تنطبق كثير من أوصاف نهر محلم عليها ثم إن الاسم حادث. وكلمة الصّفا وما اشتق منها من كلمات يكثر اطلاقها على كثير من المواضع وسيرد ذكر للصفا في رسمي محلم والمشقر.

---

(١) : ١ ــ ١١٩.
(٢) : ١٢ ــ ٢٤٩.
(٣) : «الأغاني» : ٨ ــ ٢١ ط دار الكتب.

قلت : والصفا أيضاً: اسم موضع ورد في شعر ذي الرّمة، قال :

خَلِيْلَيَّ مُدَّا الطَّرْف حتى تَبَيْنَا أظْعُنٌ بعلياءِ الصّفَا أم نَخيْلُهَا؟
فَقَالا: على شَكٍّ تَرَىٰ أوْ نرىَ لميـة ظعنـا باللّوَىٰ نَستَحِيْلُهَـا

نستحيلها : من حال يحول، ننظر أتتحرك أم لا .

فقلت : أعيد الطرف ما كان منبتاً من النخل خيشوم الصفا فأميلها

الصفا : مكان . خيشومه : طرفه. يقول : ما كان هذا من مواضع النخل.

الأميل : من الرمل حبل قدر نصف ميل(١).

الصفا هنا موضع قريب من الرمل، حيث ذكر الشاعر الأميل، وهو الحبل الممتد من الرمل، وبلاد ذو الرمة التي يذكرها في شعره متصلة بالدهناء والصمان، وهنا تلتقى جبال الرمال بالأرض الجلد التي تكثر فيها الآكام والمرتفعات الصلبة، وهو قد ذكر أن للصفا خيشوماً، أي أنفاً مرتفعاً.

وقد ذكر ياقوت أن صفا بلد هَضْبة ململمةٍ في بلاد بني تميم، ولكنه حين ذكر بلداً أبعد النجعة إذ عده في حمي ضرية.

وما أرى الصفا الذي ذكره ذو الرمة إلا في شرقي الدهنا على مقربة منها.

قلت : والصّفَاويُّ :

ماء يقع شرق مملحة نطاع، غرب جبل يدعى جبل الصّفَاوى. وهناك الصَّفَاوِيَّة :

(١) ديوانه : ١٦٢.

ماء يقع في منطقة الظهران، جنوب نبعة بنحو خمسة أميال على ما جاء في كتاب «دليل الخليج».

قلت: أما المؤلف رحمه الله، فقد قال عن الصفا :

والصفا الذي ذكره امرؤ القيس في هذه القصيدة لا أشك في أنه في نَوَاحِي هجر، لكن لم يهتد إليه أحد، ولا يُعْرف اليوم موقعه بهذا الاسم.

المشقر

والمُشَقَّر : في هَجَر، ولا يعرف اليوم بهذا الاسم، وقال يزيد بن مفرغ يهجو المنذر ابن الجارود رئيس عبدِ القيس في هجر، وكان قد أجارَهُ فَخَفَر عبيدُ الله بن زياد جوارَه، واخذُه منه فنكل به، فقال ابن مفرغ يهجو المنذر[1] :

تَرَكْتُ قُرَيْشاً أن أُجاوِرَ فِيهُمُ وَجَاوَرْتُ عَبْدَ القَيْسِ أهْلَ المُشَقَّرِ
أُناساً أجَارُوْنا فَكَانَ جِوَارُهم أعَاصِيرَ مَنْ فَسْو الْعِرَاقِ المُبَذَّرِ
فهلّا بَنِي اللَّقَّاءِ كُنتم بنى استِهَا فَعَلْتُم فِعَال العَامِريِّ ابنِ جَعْفَرِ
حَمىٰ جَارَهُ بِشْرَ بنُ عَمرو بن مرثِدٍ بألْفِ كَمِيٍّ في الْحَدِيْدِ مُكَفَّرِ

وكانت هَجَر في القديم من الزمان لإياد، ولما قدمت عبد القيس البحرين أخرجوا إيادا منها قهرا، ونزلوا فاستقروا بها إلى الآن، قال عمرو بن أسوى العَبْقَسي :

ألَا أبْلِغَا عمرو بنَ قَيْسٍ رِسَالَةً فَلَا تَجْزَعِنْ من نَائِبِ الدَّهْرِ وأصْبِرِ
شَحَطْنَا إيَادَاً عن وقاع وَقَلَّصت وبَكْرَا نَفَيْنَا عن حِيَاضِ المُشَقَّرِ

ولا يُعْلم في جهات هَجَر اليوم موضع بهذا الاسم، وأما المُشَقَّر الذي ذكره أبو ذُؤَيب الهُذَلي في قصيدته العينية :

---

(١) انظر هذه الأبيات في معجم البلدان ٨ /٦٥.

حتّى كأنّى للحَوَادِثِ مَرْوَةٌ   بِصَفَا المُشَقّرِ كلّ يَوْمٍ تُقْرَعُ

فهو جبل في بلاد هذيل بهذا الاسم.

* * *

٢٨ ـــ وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ دُمىٰ سَقْفٍ على ظَهْرِ مَرْمَرٍ   كَسَا مُزْبِدَ السَّاجَومِ وَشْياً مُصَوّرَا

سقف أما سقف[١] فهو ماء معروف في جَبَل صغير منقطع من جبل رمان الواقع في بلاد طي أعرفه، وقد وردتهُ، يعد من مياه رمان الجبل المشهور، ورّمان طرفه الجنوبيُّ محاذ لبلاد بني أسد وطرفهُ الشمالي واقع في بلاد طي، وسقف : في طرف رمان الشمالي الغربى مما يلي القرية التي يقال لها الغزالة، ولم أر للغزالة ذكراً في كتب المعاجم، إلا رواية عن الأصمعي على ذكر «الغزايل» في معجم البلدان، قال : هو ماء بنَجْد لعبادة خاصة يقال له «ذو غزايل».

الساجوم أما الساجوم : فقد غلط فيه كثير من الشراح، حيث زعموا أنه موضع قريب سقف، ولكنه في هذا البيت بعينه نوع من ألوان الصبغ، وقد قال في القاموس «والساجوم :صِبْغٌ».

قلت، ورد في لسان العرب مادة سجم، ما يخالف هذا، قال : الساجوم: صبغ، وساجوم والساجوم موضع، قال امرؤ القيس :

(كسا مُزْبِدَ السَّاجُومِ وشياً مُصَوَّرا)

* * *

(١) يضبطه قوم بفتح السين ويضبطه آخرون بضمها، وذكر ياقوت (المعجم ٥ /٩٤) عن نصر أن سقفا جبل في ديار طي. وقال بعد ذلك «وقيل : ماء لطي بإزاء سميراء عن يسار المصعد إلى مكة من الكوفة» اهـ.

٢٩ ـــ قال امرؤ القيس :

تَذَكَّرْتُ أهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ أتَتْ — عَلَى خَمَلَى خُوصُ الرِّكَابِ وأوْجَرَا
فَلمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ والآلُ دُونَها — نَظَرْتَ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنَيْكَ مَنْظَرَا
تَقطَّعُ أسْبَابُ اللُّبَانَةِ وَالْهَوَى — عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَمَاةَ وَشَيْزَرَا

خملى أما نجد : فلا أعلم فيها موضعاً يقال له خَمَلَى، ووجدت موضعا في معجم[١] البلدان يقال له « خميل» واستشهد بقول جرير :

ألا حَيِّ الديار وان تَعَفَّتْ — وقد ذَكَّرنَ عهدك بالخميل
وكم لَكَ بالمُجَيْمِرِ من محلٍّ — وبالعزاف من طَلَلٍ مُحِيلِ

أوجر أما أوجر فلا أعلمه في بلاد العرب، لكن قال في معجم[٢] البلدان : أوجار قرية في البحرين لبني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو، وارتفع بهذا النسب إلى عبد القيس .

حوران وأما حَوْران : فهو كُورَةَ واسعة من أعمال دمشق، مشهورة بهذا الاسم، سكنتها العرب بعد الفتوحات، وبقيت فيها إلى يومنا هذا، وتقع حَوْران من دمشق في جهتها الجنوبية أمام المصلى بدمشق المتجه إلى بيت الله الحرام، قاعدتها بُصْرٰى، وفيها قُرىً ومزارع، وفيها جبل الدروز، قال جرير:

هَبَّتْ شَمَالاً فذكرى ما ذكرتكُمُ — عند الصفاة التي شرقيِّ حَوْرَانا
هَل يرجعنَّ، وليس الدَّهْرُ مُرْتَجِعاً، — عيشٌ بنا طالَمَا احْلَوْلَىٰ وَمَا لانا

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد ولِّى علقمة بنُ عُلاثة حَوْران، فقصده الحطيئة الشاعر، فوصل حوران وقد انصرفوا عن قبره، فقال عند ذلك :

(١) المعجم ٣ /٤٦٦.
(٢) المعجم ١ /٣٦٨.

لَعُمْرِي لَنِعْمَ المرءُ من آل جَعْفَرٍ بِحَوْرَان أَمْسَىٰ أَقْصَدَتْهُ الحَبَائِلُ
لَقَدْ أقصَدَتْ مَجْدَاً وجُوْدَاً وسُوْدُدَا وحِلْماً أَصِيْلاً خَالَفَتْهُ المَجَاهِلُ
وَمَا كانَ بَيْنِي لَوْ لَقِيْتُكَ سالما وبين الغِنَى إلا لَيَالٍ قَلائِلُ
فَإِنْ تَحْيَ لَمْ أَمْلِكْ حَيَاتِي، وَأن تَمُتْ فَمَا في حَيَاتِي بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ

وقد افتتحت حوران صلحا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تجد ذلك في كتب التاريخ على ذكر بصرى.

حماة وشيزر

وأما حَمَاة وشَيْزَر : فهما معلومتان بهذا الاسم إلى يومنا هذا، أطال الكلام عليها صاحب معجم البلدان ومما قاله عنهما[1] : ولما افتتح أبو عبيدة حمص وفرغ منها في سنة ١٧ هـ خلف بها عُبادة ابن الصامت، ومضي نحو حَمَاة فتلقاه أهلها مُذْعِنين، فصالحهم على الجزية في رؤسهم، والخراج على أرضهم، ومضى إلى شَيْزَر[2] فكان حالها حال حماة، وقد ذكرها الشعراء في أشعار كثيرة.

★ ★ ★

٣٠ ــ وقال امرؤ القيس :

وَلَمْ يُنْسِنِي مَا قَدْ لَقِيْتُ ظَعَائِناً وَحَمْلاً لَهَا كَالْقَرِّ يَوْماً مُخَدَّرا
كَأَثْلٍ من الْأَعْرَاضِ منْ دُوْنِ بِيْشَةٍ وَدُونَ الْغُمَيْمِ عَامِدَاتٍ بِغَضْوَرَا

أما بيشة : فيأتى الكلام عليها في معلقة لبيد إن شاء الله تعالى.

وأما «الغميم، وغضور» فهما موضعان معروفان بهذا الاسم إلى يومنا

(١) المعجم ٣ /٣٣٦.
(٢) قلت : شيزر : مدينة سورية قديمة على العاصي شمال حماة. فتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه تحصنت دون الصليبيين، وهي مسقط رأس : اسامة ابن منقذ وفيها الآن قلعة قائمة، وانقاض وأطلال.

هذا وأما الغُمَيم : فهو معروف في طرف أجا الغربى الجنوبي، قال شَبيبُ بن البَرْصاء : غميم

أَلَمْ تَرَ أنّ الحىَّ فَرّقَ بَيْنَهُم ... نوىً بَيْنَ صَحْرَاءِ الغُمَيْمِ لَجُوْجُ
فَأَصْبَحَ مَسْرُوراً بِبَيْنِكَ مُعْجَباً ... وباكٍ لَهُ عنْدَ الدِّيَارِ نَشِيْجُ

وقد أكثر الشعراء من القول في هذا الموضع الذي لا يزال معروفاً بهذا الاسم، قال كثير(١):

قُمْ تَأَمَّلْ فأَنْتَ أَبْصَرُ منّى ... هَلْ تَرَىٰ بالغَمِيْمِ من أجْمَالِ
قاضياتٍ لبانةً من مناخ ... وطوافٍ وموقفٍ بالْخَيَالِ
فَسَقَىٰ الله مُنْتَوَى أمِّ عَمْرٍو ... حَيْثُ أمتّ به صدورَ الرِّحَالِ

وقال جرير، وقد صغره :

يا صَاحِبَيَّ هَل الصَّباحُ مُنِيْرُ ... أَمْ هَل لِلَوْمِ عَوَاذِلى تَغْيِيْرُ
أنّى تَكَلَّفُ بالْغُمَيْمِ حاجةً ... نِهْيَا حَمَامة دُوْنَهَا وَجَفِيْرُ
لَيْتَ الزَّمانَ لَنَا يَعُوْدُ بِيُسْرِهِ ... إِنَّ الْيَسِيْرَ بذَا الزّمانِ عَسِيْرُ

وأما «غضور(٢)» : فهو ماء معروف غربي جبل رمان، يقع قريب سَقْف في جنوبيه الغربي، في طرف حَرَّة سوداء، وقد وردته، وهو ماء كثير كأنه عين جارية طام عليه العَرْمَضُ والطحلب، وهو باق على اسمه إلى اليوم يعرف عند جميع الناس بغضور. غضور

قال عروة بن الورد في قصيدة له :

عَفَتْ بَعْدَنا من أُمِّ حسَّان غَضْوَرُ ... وفي الرَّمل منها آيةٌ لا تَغَيَّرُ

---

(١) ذكر ياقوت (المعجم ٦ /٣٠٨) أن أبيات كثير هذه في «الغميم» بفتح الغين، وأبيات شبيب بن البرصاء السابقة في «الغميم» بضم الغين.

(٢) انظر معجم البلدان ٦ /٢٩٦.

وقال رجل من بنى أسد :

تبعتُ الهَوَى ياطيبَ حتى كأنني ... من أجْلِكَ مضروسُ الجَرير قَوُودُ
تَعَجْرف دَهْراً ثم طاوع قَلْبَهُ ... فصَّرفَهُ الرُّوَّاضُ حيثُ تُرِيْدُ
وَإنَّ ذيادَ الحُبِّ عَنْكَ وَقَد بدَتْ ... لِعَينيك آياتُ الْهَوَى لَشَدِيْدُ
وما كلُّ مَا في النَّفْس للنّاس مُظْهَرٌ ... وَلَا كُلُّ مَالَا تَسْتَطِيْعُ تَذُودُ
فَيَا أيُّها الرِّيمُ المحلَّى لَبَانَه ... بِكَرْمَيْنِ كَرْمَى فِضَّةٍ وَفَرِيْدُ
أجِدَّى لا أمشى بَرَّمانَ خالياً ... وَغَضْورَ إلّا قيل : أينَ تُرِيْدُ؟

★ ★ ★

٣١ — وقال امرؤ القيس في وصف راحلته :

كَأنَّ الْحَصَىٰ من خَلْفِهَا وَأمَامِهَا ... اذ نجلته رِجْلهاَ حَذْفُ أعْسَرَا
كَأنَّ صَلِيْلَ الْمَرْوِ حِيْنَ تُطِيرُهُ ... صَلِيْلُ زيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرا[1]

عبقر ذكروا أن «عَبْقَر» مَوْضِعُ في اليمن كثيرُ الجن ، وَإليه تُنْسَبُ الحُلَلُ العبقرية، وأما «عباقر» فهو ماء في نجد لبني فزارة قال ابن عنمة :

أهلِي بنجدٍ، ورَحْلى في بيوتكمُ ... على عَبَاقِرَ من غَوْرِيَةَّ العلَمِ

وأنا لا أعلمه بهذا الاسم اليوم.

قلت : وكتب عبد الله بن خميس في معجم اليمامة، يقول :

عبقر: بفتح العين، واسكان الباء، وفتح القاف، فراء .. موضع بنواحي اليمامة). عن ياقوت .. قال الأعشى :

كهولا وشُبْاناً كجنة (عبقر)

---

(١) هذه رواية ياقوت (المعجم ٦ /١١٢) وفي الديوان ٧١ «كأن صليل المروحين تشذه».

وهذه المادة لها مدلولان : أولهما بلاد في (اليمن) تنسج البرود وتجيدها جداً، ويضرب المثل بها حتى لقد قال القرآن :

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾[1]، وقال ذو الرّمّة :

حَتّى كَأَنَّ رِيَاضَ القفّ أَلْبسَهَا ... منْ وَشْيِ (عَبْقَر) تَجْلِيْلٌ وَتَنْجِيْدُ

وقال الأعشى :

أَصَاحِ تَرَىٰ ظَعَائِنَ بَاكِرَاتٍ ... عَلَيْهَـا العبقريَّـةُ والنّجُـودُ

وقال ابن عنمة :

أَهْلِي بِنَجْدٍ وَرَحْلِي في بيوتِكُمُ ... على (عَبَاقِر) من عَوْرِيّة الْيَمَنِ

وفي حديث عمر : أنه كان يسجد على عبقرى.

وإذن فهذا المدلول يفيذ اتقان صنعه البرود والفرش حتى أنه ليضرب المثل بها.

أما المدلول الثاني .. فيفيد القدرة الخارقة والعظمة الفائقة. والاتيان بأعمال لا يأتي بها إلا ما يعتقدونه في الجن من الخوارق واشباه المستحيلات مما ينسب إليهم من خرق حجارة الأرض في مياه الشواجن وأمثالها، وما يحكم من بناء كقصـة (سدود) و (بستل اليمامة)، وغير ذلك .. وإذا كان هذا معروفاً من أعمال الجن لديهم، فإن هناك جناً يفوقون سواهم في الحذق والمهارة والإعجاز .. هناك جن (عبقر) الذين يقف الجن أمام معجزاتهم حيارى .. وإذن فلينسب كل عمل يأتي به آت فيه إعجاز وحذق إلى (عبقر) تشبيهاً ومماثلة، فيقال هذا عبقري أي كأنه من أولئك الذين يأتون بالمعجزات ويخرقون العادات، ومضى العرب يشبهون

---

(١) سورة الرحمن /٧٦.

بهم ويسندون الأعمال الخارقة إليهم، ولم يلبثوا أن طردوا هذا التشبيه وتوسعوا في هذا المدلول، فسموا السيد والزعيم والبطل بالعبقرى، وجاءت التشبيهات الإسلامية أحياناً ناحية هذا النحى، حتى جاء في الخبر عن الرؤيا التي أريها النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر بعض خلفائه، فقال عن عمر رضي الله عنه : (فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه).

وقال ابن الأثير : ثم اتبع فيه حتى سمي به : السيد، والكبير .. ثم خاطبهم الله تعالى بما تعارفوه : فقال ﴿عَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾[1] .. وركب الشعراء هذا المدلول.

قال لبيد :

وَمَن فادَ مِن إِخوانِهِمْ وبينَهم ... كُهُولٌ وشبّانٌ كَجِنَّةِ عَبقَرِ
مَضَوْا سَلفاً قَصْدُ السّبيلِ عَليهِم ... بَهيٌّ مِنَ السُّلَّافِ لَيْسَ بجَيْدَرِ
أَقِي العِرْضَ بالمَالِ التَّلادِ وأشْتَرِي ... بِهِ الحَمدَ، إنَّ الطالِّبَ الحمدَ مُشترِي
وكَمْ مُشتَرٍ من مالِهِ حُسنَ صِيتِهِ ... لأيّامِهِ في كُلِّ مَبْديً وَمَحْضَرِ

وقال زهير :

بِخَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّـــةٌ ... جَدِيْرُونَ يَوْماً أَنْ يَنَالُوا فَيُسْتَعْلُوا

وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ صَلِيْلَ المرو حِيْنَ تطيره ... صَلِيْلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرا

وقال كثير :

جَزَتْكَ الْجَوَازِى عن صَدِيْقِكَ نَظْرَةً ... وَأَدْنَاكَ رَبِّي في الرَّفِيْقِ الْمُقَرَّبِ
مَتَى تَأْتِهِمْ يَوْماً من الدَّهْر كلِّه ... تَجِدْهُم إلىٰ فَضْلٍ عَلَىٰ النَّاس ترتّبِ
كَأَنَّهُمْ مِنْ وَحْش جِنّ صَرِيْمَةٍ ... بِعَبْقر لَمّا وَجَّهت لم تُغَيّبِ

(١) سورة الرحمن /٧٦.

وذكر الهمداني (عبقرا) في معازف الجن .

والمرجح أن وادي (عبقر) موطن الجنة العبقرية في اليمامة وفي (الجِلهْ) منها، قال ياقوت عطفا على وادى (عبقر) الذي توشّى فيه البُرُد. و(عَبْقَر) أيضاً مَوْضِعٌ بنواحى (الْيَمَامة).

وقال المرار العدوي :

أعَرفْتَ الدَّارَ أمْ أنْكَرْتَهَا بَيْنَ تِبْرَاكٍ فَشِسِي (عَبْقَرِ)

و(تبراك) في طرف (الجِلهْ) من الشرق، لاصق برمل (الوركة) قُنَيْفِذَه الآن.

وما بعبقر وجنَّتِه تَفْخَرُ (اليمامة)، ولكن هكذا وقع(١).

٣٢ ــ وقال امرؤ القيس :

هُوَ الْمُنْزِلُ الْأُلّافِ مِنْ جَوّ نَاعِطٍ بَنِى أسَدٍ حَزْناً مِنَ الْأَرْضِ أوْعَرَا

أما جوناعط فلا أعرف في نجد موضعاً بهذا الاسم، وقد ذكر أهل المعاجم أن في اليمن حصناً في رأس جبل يقال له «ناعط» ذكروا أنه لبعض الأذْوَاء(٢) قُرْبَ عدن. جوناعط

قلت : وهناك جو دون إضَافِتَها إلى ناعط، وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر في كتابه المعجم الجغرافي، شمال المملكة : جو أيضاً أرض لبني ثعل بالجبلين (يريد جبلي أجا وسلمى)، قال امرؤ القيس :

تَظَلُّ لَبُونِي بَيْنَ جَوٍّ ومَسْطَحٍ تُرَاعِي الْفِرَاخَ الدَّارِجَاتِ مِنَ الْحَجَل

ثم قال : وفي كتاب نصر : جَوٌّ أيضاً في ديار طيءٍ لبني ثُعِلَ. وفي

---

(١) معجم اليمامة ج ٢ /١٣٣ ــ ١٣٥.
(٢) الأذواء : ملوك اليمن، كان يقال لواحد منهم : ذو جدن، ولآخر ذو يزن، وهكذا.

كتاب «البلدان» للحازمي ــ وهو مأخوذ من كتاب نصر ــ ما تقدم وزاد (جَوّ الجَوَادَةِ) ثم قال الشيخ حمد : قال ياقوت أيضاً : جَوُّ الْجَوَادَةِ في ديار طيءٍ قال عَبَدَةُ بن الطِّبيْبِ :

وَأرْحُلنَا بَالْجَوِّ، جَوِّ جَوَادَةٍ   بِحَيْثُ يصَيْدُ الآبِدَاتِ الْعَسَلَّقُ

ثم قال .. وأقول : جو : أكبر أودية أجا وأشهرها، ينحدر من أعلى الجبال متجهاً نحو الشمال ونرفرة شعاب من أشهرها الحمرة وصحا وصحى.

ثم يذكر موضعاً آخر اسمه (جو ما يبات به) ويذكره لغرابة اسمه. ولكنه لا يذكر جو ناعط(١).

قلت : وفي لسان العرب(٢)، ناعط حصن في رأس جبل بناحية اليمن قديم معروف كان لبعض الأذواء، وناعط جبل وقيل هاعط باليمن وناعط بطن من همدان، وقيل هو حصن في أرضهم، قال لبيد :

وَأمّننى بَنَات الدَّهْر أربابُ نَاعِطٍ   بمُستَمعٍ دُوْنَ السّماءِ وَمَنْظَرِ
وَأعْوَضْنَ بالدّومي مَن رأسِ حِصْنِهِ   وَأنْزلنَ بالأَسْبَابِ ربّ المشقَّرِ

أعوضن به أي لوين عليه أمره، والدومي هو اكيدر صاحب دومة الجندل والمشقر حصن ربه أبو امرىء القيس.

★ ★ ★

٣٣ ــ وقال امرؤ القيس :

بَكىٰ صَاحِبِى لمّا رَأىٰ الدَّرْبَ دُوْنَهُ   وَأيْقَنَ أنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصرَا
فَقُلْتُ له لَا تَبْكِ عَيْنَاك، إنَّمَا   نُحاولُ مُلْكاً أوْ نَمُوْتَ فَنُعْذَرَا

---

(١) : انظر حمد الجاسر المعجم الجغرافي، شمال المملكة القسم الأول مادة (جو). ص /٣٥٢ وماقبل.

(٢) الجزء التاسع: ص /٢٩٣ (نعط).

لَقَــــد أنْكَرَتْنِــــى بَعْلَــــبَكُّ وَأهْلُهَـــــا
وَلاَبْـــنُ جُرَيْـــجٍ كَانَ فِىَ حِمْصَ أنْكَـــرَا[(١)]

الدرب
أما «الدرب» هذا فهو المَدْخَل إلى بلاد الرُّوم، ويقال له ــ «درب القُلَّة» بضم القاف وتشديد اللام، قال المتنبى :

لَقِيتُ بَدرْب الُقلَّة الفَجْر لَقْيَة   شَفَتْ كمدى والليلُ فيه قَتيلُ

وهذا الدرب هو الذي كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشأنه إلى سلمان ابن ربيعة الباهلى «أن لا يَقْطَع الدرب معك إلا فرس عريب» فقال سلمان : تُعْرَض علي الخيل، فعُرِضت عليه، فقال لعمرو بن معد يكرب : هذه الفرس هجين ــ يعني فرس عمرو بـن معد يكرب ــ فقال عمرو : إنها عريب أيها الأمير، قال سلمان بن ربيعة : اردُدَهَا فإنها هجين قال عمرو بن معد يكرب : صدقْتَ، الهجين عرف الهجين، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إلى عمرو بن معد يكرب ألا تقدم على المدينة حتى تُرضْي أميرك.

بعلبك وحمص
أما بعلبك وحمص فهما معروفان، ولا تزال تذكران بهذين الاسمين، ولكل واحدة منهما ذكر في الفتوح.

★ ★ ★

٣٤ ــ قال امرؤ القيس :

إذَا نَحْنُ سِرْنا خمْس عَشْرَةَ لَيْلَةً   وَراءَ الْحِساءِ مِنْ مَدافِعِ قَيْصَرَا
إذَا قُلْتُ هذا صَاحِبٌ قَدْ رَضيْتُهُ   وَقرَّت لَهُ الْعَيْنَانِ بُدِّلَتْ آخرَا

(١) هذه رواية أبي سعيد السكري، وهي أظرف من رواية غيره «ولابن جريج في قرى حمص أنكرا».

كَذَلِكَ جَدِّى مَا أُرَافِقُ وَاحِدَاً   مِنَ النَّاسِ إلا خَائِنِى وَتَغَيَّرَا

الحساء — الحساء : هي المياه التي وردها امرؤ القيس لما دخل بلاد الروم أما

ومدافع قيصر — مدافع قيصر : فهي المسالح الواقعة على حدوده التي يدفع الأعداء بها.

★ ★ ★

٣٥ — وقال امرؤ القيس :

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ   بِتَاذِفَ[١] ذَاتِ التَّل من فَوْقِ طَرْطَرَا
وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ في قُذَارَانَ ظَلْتُهُ   كَأَنِي وَأَصْحَابِى على قَرْنِ أَعَفْرَا
فَهَل أَنَا ماشٍ بَيْنَ شُوطٍ وَحَيَّةٍ   وَهَلْ أَنَا لاقٍ حَيَّ قَيْس بِنِ شَمَّرَا[٢]

تاذف — «تاذف» قرية من قرى حلب.

طرطر — و«طرطر» قال ياقوت في معجمه[٣] : قرية بوادي بطنان، وهو وادي بزاعة قرب حلب، يسمونه طلطل اليوم.

قلت : وحدثني من رآها أنها تعرف بـ (أبو طلطل) وليس بطرطر؛ وهي اليوم قرية قائمة على الطريق بين حلب والرّقة.

قذاران — «قذاران» اسم رومي لقرية في نواحي حلب، كما رواه[٤] ياقوت وهذه القرية كانت موجودة إلى عهد ياقوت، وكانت معروفة بهذا الاسم وبحلب قرية يقال لها «أقذار» ملك لبني أبي جرادة.

★ ★ ★

(١) قلت : تاذف مازالت إلى اليوم وهي مدينة صغيرة تابعة محافظة حلب السورية وأغلب أهلها يسكنون مدينة الرقة في الجزيرة.

(٢) شوط وحية موضعان في أجا وهو الجبل الأول من جبلى طى. وشمر هم عنصر القبيلة الموجودة اليوم.

(٣) المعجم ٦ /٤١.

(٤) المعجم ٧ /٣٩.

٣٦ ــ وقال امرؤ القيس :

تَبصَّرْ خلِيْلِي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ يُضِيءُ الدُّجىٰ بِاللَّيْلِ مِنْ سَرْوِ حِمْيَراً

«سَرْوُ حمير» أعالي بلاد اليمن، وهذا من تَوجَدُّه على بلاده. سرو حمير

★ ★ ★

٣٧ ــ وقال امرؤ القيس :

أجَادَ قُسَيْساً فَالطُّهَاءُ فَمِسْطَحَاً وَجَوّاً فروّىٰ نَخْل قَيْسِ بْنِ شَمَّرَا

قُسَيْس والطُّهَاء : هذه مواضع في جبال طيء، ولا أعلم لها ذكراً اليوم[1]، فأما جو ومِسْطَح : فإن لهما ذكراً قديماً في أشعار العرب، وهي واقعة في أجأ، قال حاتم الطائي : قسيس والطهاء

ليالِيَ نَمْشِي بَيْنَ جَوٍّ ومِسْطَح نشَاوَىٰ لَنَا من كُلِّ سَائِمَةٍ جَزْرَ

★ ★ ★

٣٨ ــ وقال امرؤ القيس :

ألَا إنَّ في الشّعْبَيْنِ شِعْبٍ بِمِسْطَحٍ وَشِعْبٍ لَنَا في بَطْنِ بُلْطَةِ زَيْمَرَا

وقال أيضاً :

تَظَلُّ لَبُونِي بَيْنَ جَوٍ وَمِسْطَحٍ تُرَاعى الِفرَاخ الدَّارِجاتِ مِنَ الْحَجَل

وقال أيضاً :

وَكُنْتُ إذا ما خِفْتُ يَوْماً ظُلامَةً فإنَّ لها شعباً بِبُلْطَةَ زَيْمَرَا

وقد ظهر لي من هذه النصوص كلها أن قسيسا والطهاء وجوا كل هذه

(١) اتضح لى بعد التحرى الدقيق أن قسيساً والطهاءومسطحا مواضع في اجا لا تزال بهذه الاسماء إلى يوم الناس هذا.

الأسماء المذكورة كائنة في نواحى أجأ، وأنا لا أعلم شيئاً بهذا الاسم في تلك الناحية.

قلت : ذكر المؤلف في حاشية الصفحة السابقة الحاشية الرابعة ــ ما يلي (اتضح لي بعد التحري الدقيق أن قُسَيْساً والطّهاء ومِسْطَحاً مواضع في أجا لا تزال بهذه الأسماء إلى يوم الناس هذا).

قلت : وهذا هو الصحيح فمسطح موضع في جبلي طيء وقد ذكر حمد الجاسر نص صاحب معجم البلدان عن مسطح، فقال :

وفي «معجم البلدان» : مسطح بالكسر ثم السكون وفتح الطاء وحاء مهملة : موضع في جبلي طيء وقال حاتم :

ليالىَ نَمْشِي بَيْنَ جَوّ ومِسْطَحٍ نَشَاوَى لَنَا من كلِّ سَائِمَةٍ جزرُ

وقال امرؤ القيس :

ألا إنّ في الشّعبين شِعْبٍ بِمسْطَحٍ وَشِعْبٍ لَنَا في بَطْنُ بُلْطَة زَيْمَرَا

وقال امرؤ القيس أيضاً :

تَظَلُّ لَبُوني بين جَوّ ومسْطَحٍ تراعي الفراخَ الدّارجاتِ مع الْحَجَل

أي ترعى معها، ولا يكون ذلك إلا في موضع أمن، وجو : ببلاد طيء أرضاً.

قلت : وقد مر ذكر جو، ثم قال : وأقول مسطح : واد يقع في أعلى وادي خرافة، في جوف جبل أجا، ويجتمع سيله بعد أن يفضي إلى خرافة في وادي حايل.

وقد ذكر الأستاذ سليمان الدخيل أن مسطحاً قرية يبلغ عدد نخلها

٧٠٠ والواقع أنه واد فيه نخل وآبار ولا سكان فيه، وقد يطلق الاسم على جبل من جبال أجا، منه تمتد فروع ذلك الوادى[١]

★ ★ ★

٣٩ ــ وقال امرؤ القيس :

أَلَا إِنَّما الدَّهْرُ لَيَالٍ وَأَعْصُرُ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ قَوِيمٍ بِمُسْتَمِرْ[٢]
لَيَالٍ بِذَاتِ الطَّلْحِ عِنْدَ مُحَجَّرٍ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ لَيَالٍ عَلَى أُقُرْ

محجر

أما مُحَجر : فهو معلوم إلى يومنا هذا ولكنه يقال له اليوم «الحجرة» وهو في بلاد غنى ابن أعصر بين شُعَبَى الجبل المشهور في الحمى، وبين الكثيب الذي يقال له «عريق الدسم» تصب في مُحَجر أودية شُعَبَى ويحجرها الكثيب، وليس للسيول منفذ، فسمي مُحَجِّراً لحجرِهِ السيل، وقد سموه اليوم «الحجرة» لهذا المعنى أيضاً قال طُفَيل الغَنوي[٣]:

وهُنَّ الألى أدركْنَ تَبْلَ مُحجّر وقد جعلت تلك التنابيل تَنْشَبُ

وقال طفيل أيضاً :

فَذُوْقُوا كَمَا ذُقْنَا غَدَاةَ مُحْجَر من الحَرّفِي أكْبَادِنَا والتَّحَوُّب

وقال بشر بن أبى خازم :

مُعَالِيَة لاهــمَّ إلا مُحَجَّــرُ وحَرَّةُ لَيْلَىٰ السهل منها فُلُولُها

وقال زيد الخيل :

نَحْنُ صَبَحْنَاهُمْ غَدَاةَ مُحَجَّر بالخَيْل مُحْقَبَةً علىٰ الأبْـدَانِ

---

(١) حمد الجاسر، المعجم الجغرافي، شمال المملكة القسم الأول /١٢٢٦.
(٢) في هذا البيت من الزحاف الكف، وهو ثقيل، ولو أنه قال ✻ ألا إنما دهري ليال وأعصر ✻ لخلا منه، ولكن الشعر الجاهلي قلما يخلو عن مثل ذلك.
(٣) انظر شواهد محجر كلها في المعجم ٧ /٢٩٢.

نُزْجِى المطيّ مُنْعَلًا أخْفَافُهَا ... وَالْجُـرْدَ مرسلــةَ بِلَا أَرْسَانِ
حتَّى وَقَعْنَا في سُلَيْم وَقْعَةً ... في شرّ ما يُخْشَى من الحَدَثَانَ
فَأَسْأَلْ غُرَابَ بَنِى فزارةَ عَنْهُمُ ... وَأَسْأَلْ بِنَا اَلْأَحْلَافَ من غَطَفَانِ
وَأَسْأَل غنياً يوم نَعْفِ مُحَجَّر ... وَأَسْأَل كِلَاباً عن بَنِى نَبْهَانِ[1]
نَرْمِـى بهـنّ بِغَمْـرِةِ مَكْرُوْهَـةٍ ... حتّى يَغِبْنَ بِنَا إلى اَلْأَذْقَانِ

أما محجر الذي بيناه فهو الذي عناه زيد الخيل في كلمته التي روينا، وهو الذي عناه طُفَيل الغَنَوي في بيتَيْه.

ذات الطلح

وأما «ذاتُ الطّلح» : فجميع أودية شُعَبىٰ أغلب نباتها الطلح، وهي معروفة بكثرة الطلح إلى يومنا هذا.

غراب

وغراب الذي ذكره زيد الخيل في مخاطبته بنى فزارة وغطفان : جبل أسود كأنه الغراب، فيه ماء قد وردته، وهو أعلى الشعبة، وهو واقع في بلاد غَطَفان، ويقال له «غراب» إلى يومنا هذا، وهو في حَرَّة سوداء.

أقر

أما «أقُرْ» فهو وادٍ معروف تحميه الملوك، وقد حماه عمرو بن الحارث الغَسَّانى وتربعته بنو ذبيان، فأوقع بهم هناك، فذلك قول النابغة :

لَقَد نَهَيْتُ بَنِى ذُبْيانَ عن أُقُرٍ ... وَعَن تربُّعِهِ من بَعْد إصْفَارِ
وَقُلْتُ ياقومُ إنَّ الليثَ مُنْقَبِضٌ ... على بَرَاثِنِه ذُو الْعدوة الضّارِى

وفي معجم[2] ياقوت عن نصر أن «أقراً» ماءٌ في ديار غطفان قريب من أرض الشربَّة، وهذا الذي عناه امرؤ القيس قريب مُحَجَّر، قال ابن مقبل :

مِنّـا خَنَاذِيْـذُ فرسانٌ وَألْوِيَــةٌ ... وكلُّ سَائِمَةٍ من سارح عَكَرِ
وثروةٌ من رجال لَوْ رَأَيْتَهُمُ ... لقلتَ إحْدَىٰ حِراج الجَرِّ من أُقُرِ

---

(١) قلت وبنو نبهان اليوم من عداد قبيلة القشم العربية المنتشرة في العراق والكويت والسعودية والأردن ومصر وسوريا ولبنان.
(٢) المعجم ١ /٣١٠.

وقال الشاعر[1] :

تَوَزَّعَنا فقيــرَ ميــاه أُقــرٍ لكـلٍّ بَنِـى أبٍ مِنّا فَقِيْرُ
فَحِصَّةُ بَعْضِنَا خَمْسٌ وَسِتٌّ وَحِصَّةُ بَعْضِنَا مِنْهُـنَّ بِيْــرُ

وقال المخبل بن شرحبيل البكري في بني زهيرة. وقد منعوا سعد بن مسعود المازني من التعدي في صدقات بكر وكان يليها :

فدىً لِبَني زهيـرة يوم أُقْرٍ وَقَد خَذَلُوا بِهَا أَهْلِي وَمَالِى
فهم مَنَعوا مظالَم آل بَكْرٍ وَقَد وَرَدُوا بها قَبْلَ السّؤَالِ

وأنا لا أعلم «أقر» بهذا الاسم اليوم في نجد، والذي يظهر لي أنه في بلاد غطفان، وقد تغير اسمه، لأن محجراً مجاور لبلاد غطفان ما بينهما إلا الكثيب الذي يدعى «عريق الدسم».

قلت : أقر ــ بضم أوله وثانيه وبالراء[2] ــ: جبل لبني مرة، وذو أقر واد إلى جنب هذا الجبل، وهو واد نجل واسع، مملوء حمضا، كان حماه عمرو بن الحارث الغسّاني، فتربعته بنو ذبيان فأوقع بهم هناك قال النابغة الذبياني.

(لقد نهيْتُ بني ذُبْيَانَ عن أُقُرٍ) (البيتين)

وقال ابنُ مُقْبِلٍ :

وثروةٍ من رجالٍ لَوْ رَأَيْتَهُم لَقُلْتَ إحدىٰ حَرَاج الجرّ مِنْ أُقُرِ

(١) أقر في هذين البيتين والبيتين بعدهما بضم الهمزة وسكون القاف، وهو فيما قبل ذلك بضم الهمزة والقاف جميعاً، ويظهر من مراجعة ياقوت أنهما يطلقان على شيءٍ واحدٍ وَإِنْ كان ياقوت قد أفرد كل واحد بترجمة، وعلى هذا يكون اسكان القاف للتخفيف، وذلك من سنن العرب في كلامها.

(٢) «معجم ماستعجم» و «معجم البلدان».

وهو من عدنة :

وقال البكرى[1] : (البنانة ــ بضم أوله وفتح ثانيه بعده نون أخرى على وزن فعالة ــ موضع فيما يلى أُقُر. قال النابغة :

أرى البُنَانة أقْوَتْ بَعْدَ سَاكِنِهَا فَذُو سدَيْرٍ، فَأَقْوَتْ مِنْهُمْ أُقُرُ

وقال حكم الخضري المحاربي يهجو ابن ميادة :

فرّ ابنُ ميّادَةَ الرّقطاء من حَكَم بالصّغر مثلَ فرَارِ الأَعْقَد الدَّهِمِ
أصْبَحْت في أقُرُ تَعْلُو أطَاولَهُ تفرُّ منّى، وقَدَ أصْبحَتَ بالرَّقِمِ

وقال ياقوت : (قال نصر : أقر ماء في ديار غطفان قريب من أرض الشربة وقيل : جبل، وقيل : جبال أعلاها لبني مرة بن كعب وأسفلها لفزارة) ــ ثم أورد عن الأزهري قوله : ماء في ديار غطفان قريب من أرض الشربة وأنشد :

توزّعنا فقيـرَ مِيَـاه أقُـرُ لكـلِّ بَنِـى أبٍ مِنّا فقيـرُ
فَحصَّةُ بَعْضِنَا خَمْس وَسِتٌّ وَحِصَّةُ بَعْضِنَا مِنهُنَّ بِيْـرُ

وقد مرّ ذكرهما.

ويتضح مما ذكره المتقدمون عن أقر أن الاسم يطلق أيضاً على مواضع :

(١) موضع بين البصرة والكوفة، فقد نقل ياقوت[2] عن كتاب «العزيزي» لأبي الحسن المهلبى بين الأخاديد وأقر ثلاثون ميلاً، بين أقر وبين السلمان ثلاثون ميلا وهذا شرق السلمان الواقع داخل الحدود العراقية (بقرب خط الطول ٤٤/٣٢ وخط العرض ٣٠/٣٠) وهذا هو الذي يرد

(١) «معجم ماستعجم» ــ البنانة.
(٢) «الأغاني» : ٢ /٩٧.

ذكره في أخبار بكر بن وائل وأشعارهم لوقوعه في بلادهم ولا شأن لنا بذكره، إذ هو داخل الحدود العراقية.

(٢) جبل يقع في ديار غطفان لبنى مرة منهم، وهذا يقع في عدنة، الأرض الواقعة شمال وادى الرمة وشرق الحرة، ويظهر أن الجبل منها، وأنه ذو حراج ـــ جمع حرجة ـــ وهو الشجر الملتف ـــ في أسفله إذ الجر هو سفح الجبل، وقد يكون المقصود الوادي الذي أسفل هذا الجبل، ويفهم من شعر الحكم الخضري أنه عال، بل سلسلة جبال أعلاها لبني مرة من غطفان كما نقل ياقوت.

(٣) أقر واد واسع فيه آبار كثيرة واقع بقرب ذلك الجبل، نباته الحمض وهذا لا ينبت إلا في الأرض السبخة، المالحة التربة، وتكون مياه آبارها غالباً ـــ مرة، وأكثر مياه عدنة مرة. وهذا الوادي ـــ إن كان في بلاد غطفان إلا أنه في موقع يسهل لغيرهم حلوله. كما فعل النعمان بن الحارث، وكما فعلت بنو ذبيان.

وعلى ما تقدم فإن أقر ينبغي أن يكون من جبال الحرة ـــ حرة فدك ـــ الشرقية، وأن واديه أحد أودية الحرة التي تنحدر منها مشرقة، فتفيض في وادي الرمة. يبقى القول في أمور :

١ ـــ ضبط الاسم فياقوت غاير بين ما قافه ساكنة، وما قافه مضمومة (أقر) و (أقر) وأرى أن إسكان القاف لتسهيل النطق لئلا تتوالى ثلاث حركات، وأنه يجوز الوجهان.

٢ ـــ قول نصر والأزهري أنه قريب من الشربة، لا يتنافى مع كونه في عدنه، فالفاصل بين الموضعين هو مجرى وادي الرمة، وكما أشرت سابقاً إلى أنه ينبغى أن يكون من روافد هذا الوادي ـــ أضيف بأن هذا يؤيده قربه من البنانة التي هي في أعلى بلاد بني أسد شمال الوادي والبنانة لا تزال

معروفة (انظر هذا الاسم)، ويؤيده أيضاً قربه من الشربة، وقربه من بلاد بنى ذبيان الممتدة إلى جنوب الوادى في الشربة، وأميل إلى أنه الوادى الذي يقع فيه الحليفتان فكل الأوصاف المتقدمة تنطبق عليه.

٣ ــ قول ياقوت : لبني مرة بن كعب، أراه سبق قلم، فهو لبني مرة القبيلة الغطفانية وأبوهم عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، أما مرة ابن كعب فمن قريش، وبلادهم في تهامة.

★ ★ ★

٤٠ ــ وقال امرؤ القيس :

أُغَادِى الصَّبُوحَ عِنْدَ هِرٍّ وَفَرْتَنَى ... وَلِيْداً وهَل أَفْنَى شَبَابِىَ غَيْرُ هِرّ
إذا ذُقْتُ فَاهَا قُلْتُ طَعْمُ مُدامَةٍ ... مُعَتَّقَةٍ مما تَجِىءُ به التُّجُرْ
كَناعمَتَيْنِ مِنْ ظِبَاء تَبَالَةٍ ... لَدَى جُؤْذُرَيْنِ أَوْ كَبَعْضِ دُمَى هَكِرْ

تبالة «تَبَالَة» وادٍ[١] مجاور لوادي بِيْشَة ينصب من جهة الغرب إلى جهة

(١) وفروع تبالة واقعة في بلاد دوس، وفيها «ذو الخلصة» الصنم المشهور في الجاهلية لدوس وخثعم وبجيلة ومن والاهم من العرب، وقد أطال الكلام عليه أهل التاريخ والسير، قالوا : انه لما قتل حجر والد امرىء القيس الشاعر، قتلته بنو أسد، واستجار ملكاً من ملوك اليمن يقال له مرثد الخير بن ذي جدن الحميري وأمده بجيش، ومر بطريقه على ذي الخلصة فاستقسم عنده بأقداحه وهي ثلاثة : الآمر، والناهي، والمتربص، فخرج له الناهي، فجمع القداح وكسرها وضرب بها وجهه ثم قال :

لو كنْتَ ياذا الخلص الموتُورا ... مثلي وكان شيخُكَ المَقْبُورا
* لم تنه عن قتل العداة زُورا *

فلما أظهر الله تعالى الإسلام بعث رسوله ﷺ جرير بن عبدالله البجلي، وأحرقها وقاتلته عند ذلك خثعم، فقتلهم وهزمهم وتم احراق الصنم وجرير هو الذي يقول فيه الشاعر :

لولا جرير هلكت بَجيْلَهْ ... نِعْم الفَتَى وَبِئْسَتِ الْقَبِيْلَهْ

الشرق، بأعلاه قصور ومزارع، وأسفله مرعى للبوادي تقع قريب بيشة على شاطيء بيشة الشمالي، وينصبُّ سيلهُا في أسفل وادي بيشة. وكان وادى تبالة في الزمن القديم لبني مازن، قال عمرو بن معد يكرب :

أأغْزُو رِجَالَ بَنِى مازنٍ بِبَطْنِ تَبَالةَ أمْ أرْقُدُ؟

وهي التي يضرب بها المثل فيقال «أهون من تبالة على الحجاج» سميت بتَبالة بن جناب ابن منكف من بنى عِمْليق، قال لبيد :

فَالضَّيْفُ والجارُ الجَنِيْبُ كأنَّمَا هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِباً أهْضَامُهَا

وقال القَتَّالُ الكلابيُّ :

وَمَا مُغْزِل تَرعْىٰ بأرضِ تَبَالَةٍ
أراكاً وسِدْراً نَاعِمَاً مَا يَنَالُهَا

وَتَرِعَىٰ بها الْبَرْدَيْنِ ثمّ مقيلُهَا
غياطلُ ملتفاً عليها ظِلالُهَا

بِأحْسَنَ من ليلىٰ، وَلَيْلَىَ بشبهها
إذَا هُتِكَتْ في يَوْمِ عيدٍ حِجَالُهَا

وتَبَالة : باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا على شاطىء بيْشَة الشمالى.

قلت : وكتب حمد الجاسر عن تبالة يقول : واد فيه قرى وفيه مركز، يلحق به قرى ومناهل للبادية، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير(١).

وأما هكر فقد قال في معجم البلدان(٢) عن الأزهرى : هو موضع أراه هكر

(١) حمد الجاسر، المعجم الجغرافي (معجم مختصر) القسم الأول ص /٣١٣.
(٢) المعجم ٨ /٤٦٩ والذي في ياقوت أن رواية الأزهري في موضع يقال له «هكر» بفتح فكسر، وأنشد عليه أبيات امرىء القيس، ورواية ابن الأعرابي في موضع يقال له =

روميا، وقال في رواية أخرى عن ابن الأعرابي : مدينة لمالك بن سقار بن مذحج، وهو حصن باليمن من أعمال ذمار، وأنا لا أعلم في نجد موضعاً بهذا الاسم إلا موضعا يقال له هكران[1] : قريب الموية المعروف.

٤١ ـــ وقال امرؤ القيس والحارث بن التوأم اليشكري، وَكُلٌّ يجيز لصاحبه :

أَحَارِ تَرَىٰ بُرَيْقاً هَبَّ وَهْناً   كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ اسْتِعَارَا؟

إلى أن قالا :

فَلَمّا أنْ عَلَا كَنَفَيْ أُضَاخٍ   وَهَتْ أَعْجَازُ رِيِّقِهِ فَحَارَا
فَلَمْ يَتْرُك بِذَاتِ السّر ظَبْياً   وَلَم يَتْرُك بِقَاعَتِه حِمَارَا

أضاخ أضاخ والسّر : باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا، قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم[2] وعند أضَاخ وجدت نَعْلاَ شرحبيل بن الأسود الذي قتله الحارث بن ظالم فأحمى لهم الأسود الصفا الذي عند أضاخ، وقال: إني أحذيكم نعالاً من هذا الصفا الذي يتوقد، فأمشاهم عليها، فتساقطت أقدامهم قال شاعر من كندة :

على عَهْدِ كِسْرَىَ نَعَّلتكم ملوكُنا   صَفَاً من أُضاخٍ حَامِيَاً يَتلهَّبُ

وقال في معجم ما استعجم أيضاً عن ابن قتيبة : قال الأصمعي : وُجِدَ بِدِمَشْقَ حجر مكتوب فيه : هذا من ضِلَع أضاخ، وقال الجعدى :

تَوَاعَدْنـا أضاخُهَـم صَبَاحَـاً   وَمَنْعَجهُـمْ بِأَحْيَـاءِ غِضَابِ

= «هكرا» بفتح فسكون، ويقال بفتح فكسر، والذي يظهر لنا أن سكون الكاف عند من يرويه بفتح فسكون أصله للتخفيف على ما هو سنن العرب، فظنوه موضعاً آخر.

(١) ذكر ياقوت هكران، وقال عن عرام «هو جبل بحذاء مران» وهذا صحيح.

(٢) معجم ما استعجم ١٦٤/١.

وذكره صاحب معجم البلدان، وأطال عليه، قال في معجم[1] البلدان عن الأصمعي : ومن مياههم الرُّسَيس، ثم الأراطة، وبينها وبين أضَاخ ليلة وأضاخ سوق وبها بناء وجماعة ناس، وهي معدن البُرَم، وأضاخ على هذا الاسم إلى يومنا هذا، وبه تصنع البرم إلى هذا العهد، وهو واقع بين نفي وبين الشقيقة.

أما السّر : فهو كثيب مُرْتَكِمٌ بين اليمامة والشرف : طَرَفُه الجنوبى محاذٍ من اليمامة فروعَ نساح من الجهة الغربية، وعنده ماء يقال له دلقان، وطَرَفُه الشمالي يختلط بأكثبة عظيمة وتندفع شمالاً إلى قريب الجوف الذي كان يقال له في الزمن القديم «دومة الجندل» واسم «السر» يطلق على ما كان من حد القصيم الجنوبي، والمياه التي تلي النفود غرباً يقال لها « مياه السر» وحدُّها الشمالى المربَّع والعمار، وحدها الجنوبي الأنجل ودلقان. السر

قال جرير :

اسْتَقْبَلَ الْحَيُّ بَطْنَ السّر أمْ عَسَفُوا فَالْقَلْبُ فيهم رهينٌ أيْنَمَا انْصَرَفُوا

وقال ضرار بنُ الأزور رضي الله عنه :

وَنحْنَ مَنَعْنَا كُلَّ مَنْبَتِ تَلْعة من النّاس إلّا مَنْ رَعَاهَا مُجَاوِرَا
من السّرِ والسّراءِ والْحَزنِ والمَلَا وَكـنَّ مَخنَّـاتٍ لَنَـا وَمَصَائِـراً[2]

وقد نص ياقوت على أن السر والسراء بنجد في بلاد بني أسد. فأما السر المشهور الذي قال فيه امرؤ القيس والحارث «ولم يترك بِجَلْهَتِهَا حمارا» فهو السر المعروف بهذا الاسم والذي هو أكثبة متراكمة تَقْطَعُهُمَا

(١) معجم البلدان ١ /٢٧٩.
(٢) المخنات : الساحات (ياقوت ٥ /٥٧).

السيارات المتوجهة من مكة إلى الرياض الواقع بين وادي خف وبين مراة.

وقد وردت فيه شواهد كثيرة من الأشعار والأخبار، وأما السرة والسرر والسرار : فهي مواضع معروفة، فالسرة في نجد، وسرار في بلاد بني أسد وسرر: في تهامة.

قلت: في السرر قال ياقوت : قال نصر : (السرر واد يدفع من اليمامة إلى أرض حضرموت) .ا.هـ .

قلت : وقال عبد الله بن خميس في معجم اليمامة[1] تعليقاً على قول ياقوت : (قلت: أننا لا نعرف هذا الوادى الآن .. والمعروف أن الربع الخالي برماله العظيمة المتداخلة، ومساحته العظيمة تقع بين اليمامة) و(حضرموت) .. فكيف يخترق هذا الوادى هذه المنطقة، التي هي بحر من رمل ؟! .. أستبعد هذا جداً).

وجنبات السر المذكورة الغربية كثيرة المياه، فيها أعين جارية، وفيها آبار كثيرة الماء قريبة المنزع، وقد ذكرنا أنه واقع بين اليمامة والشرف، وفيه نخيل كثيرة.

★ ★ ★

٤٢ ــ وقال امرؤ القيس في قصيدة مطلعها :

دِيْمَـةٌ هَطْـلَاءَ فِيْهَـا وَطَـفٌ طَبَـقُ الأَرْضِ تَحَـرَّىٰ وَتَـدُرَّ

إلى أن قال:

ثَجّ حتّى ضاقَ عَنْ آذِيِّـهِ عَرْضُ خَيْـمٍ فَخُفَـافٌ فَيُسُرْ

(١) ج ٢ /٢٣.

أما «خيم» فقد ذكر في معجم(١) البلدان خَيْمَاء، وذكر أنه ماء لبني أسد، وذكر أيضاً : خِيمَاً بوزن قِيَم وقال : أنه اسم جبل بعَمَايتين، وأنشد لابن مقبل. خيم

★ حَتَّى تَنَوَّر بالزَّوْراءِ مِنْ خِيَمِ ★

وهذا غلط : وانما خِيَم ماء في شعب في جبال الحصاء الذي يقال لها اليوم «الحصاة» وهو مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهو الذي عناه المرقش الأكبر بقوله :

هَلْ تَعْرِفُ الدّار بِجَنْبَىْ خيمِ   غَيَّرهَا بَعْدَك صَوْبُ الدِّيَمِ

وقال في معجم(١) البلدان : خَيْم : بوزن غَيْم جبل، عن الغورى.
وقال الحازمي : ذات خَيْم : موضع بين المدينة وبلاد غطفان، ثم قال صاحب المعجم(١) : وذات الخِيَم من بلاد مهرة بأقصى اليمن.

أما التي عناها امرؤ القيس في شعره فهي معروفة بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا، واقعة على وادي الرمة في جانبه الشمالي، يقال لها «الَخيْمة» اليوم لبياضها، وهي : جُبَيل صغير غربيَّ أبانَين في جهة الشمال.

قلت : وقد ذكر حمد الجاسر في كتابه المعجم الجغرافي المختصر ثلاث مناطق باسم خيم، هي :

خيم : بكسر الخاء وفتح المثناة التحتية وآخره ميم : واد ذو قرى زراعية لقبيلة قحطان بمنطقة الحصاة في أمارة القويعية.

خيم : من مناهل البادية، في منطقة القويعية، في إمارة الرياض، ثم ذكر

---

(١) معجم البلدان ٣ / ٥٠١ ولكل واحد من هذه الالفاظ ضبط يخالف ضبط الآخر، عند ياقوت.

الخيمة: من قرى قريش في بجيلة، من بلاد بني مالك، في امارة الطائف وذكر الخيمة هجرة في منطقة رابغ من امارة مكة[1].

قال في معجم[2] البلدان : وعندها ماء يقال لها الغبارة، ولا أعلم في تلك الناحية ماء بهذا الاسم، الا ماء يقال لها العجاجة.

وقال بعض الأعراب :

خيرُ اللّيالِي إنْ سَأَلْتَ بَلَيْلَةٍ   ليلٌ بِخَيْمَةَ بَيْنَ بَيْشَ وَعَثَّرِ
بضجيع آنِسَةٍ كأَنَّ حَدِيْثَهَا   شَهْدٌ يُشَابُ بِمَزْجَةٍ من عَنْبَرِ
وضجيع لاهيةٍ أُلَاعِبُ مِثْلَهَا   بيضاءَ وَاضِحَةٍ كظيط المِئْزَرِ
وَلَأَنْتِ مِثْلُهُمَا وَخَيْرٌ منْهُمَا   بعد الرَّقادِ وَقبْلَ أنْ لَمْ تُسْحِرِ

خفاف وأما «خُفَاف» فقد قال في معجم[3] البلدان : بضم أوله وفاءين — وهو من مياه عمرو بن كلاب، وأنا لا أعلم اليوم في نجد ماء بهذا الاسم وثمة خف وخفيف، وهما واقعان في طريق السيارات المجاورة لنفود السر في بطن الوادي الذي ينصب من وادي حميان والتسرير والدوادمي، وتسلك مع القرنة التي تسلكها السيارات اليوم في صفراء السر، فتنحدر السيول وتمر بخفيف، ثم بخف وتندفع إلى رياض السر، وتجتمع في روضة يقال لها مطربة، وكان وادي خف[4] لبني نُمَير في الزمن القديم، قال الراعي النميري :

---

(١) القسم الأول /٥٥٣.

(٢) معجم ٣ /٥٠٢ وذكر ذلك في «الخيمة» قال نقلا عن الأصمعي «وفيما بين الرمة من وسطها فوق أبانين وبينها وبين الشمال أكمة يقال لها الخيمة بها ماءة يقال لها الغبارة، لبني عبس».

(٣) المعجم ٣ /٤٥١

(٤) قلت لعلها خفاف، لانها جاءت في بيت الراعي خفاف.

رَعَتْ مِنْ خِفَاف حَيْثُ نَقَّ عُبَابُه وحلّ الروايا كلَّ أَسْحَمَ مَاطِرِ

والمجاور لخف من قرى السر المعروفة : بلد البرود، وشرقة، وسنادات، وعسيلة هجرة الحفاة من الروقة، وساجر هجرة الحناتيش منَ الروقة، وأما وادي خف فهو يُعَد من أودية السر، وخف وخفيف تعد من مياهه.

وأما يُسُر[1] فلا أعلم في نجد ماءً بهذا الاسم، إلّا أنَّ المتقدمين ذكروا في كتب المعاجم[2] نقبا في الأرض يمسك الماء لبني يربوع، وذكروا أنه واقع في الدهناء أو قريباً منها، قال طرفة بن العبد : يسر

أَرّقَ العَيْنَ خيالٌ لَمْ يقرْ طافَ والرّكْبُ بصحراءِ يُسُرْ
جَازت الْبِيْدَ إلىٰ أرْحُلنَا آخرَ الليلِ بِيَعْفُورٍ خَدِرْ
ثُمَّ زارتْنِي وَصَحْبِي هُجَّعٌ في خَلِيْطَين لبُرد وَنِمِرْ
لا تَلُمْنِي إِنَّها مِنْ نِسْوَةٍ رُقُدِ الصَّيْفِ مَقَالِيْتَ نُزُرْ

وقال جرير :

لما أَتَيْنَ على خطّابَتَىْ يُسُر أبدىٰ الهوىٰ من ضمير الْقَلْب مَكْنُونَا
فشبهُ القوم أطلالاً بأسنمةٍ ريشُ الحمام فزدْنَ القلبَ تَحْزِيْنَا
دَارٌ يجددها هطالُ مُدْجِنة بالقَطْر حِيْناً وَتَمْحُوهَا الصَّبا حيْنَا

والتحديد المذكور في كلامهم يفيد أنه واقع في القطعة الشرقية من نجد : قلت وذكر حمد الجاسر في المعجم الجغرافي اليسر : من قرى محايل في إمارة بلاد عسير[3].

---

(١) لعله الماء الذي يقال له «الأيسرى» الواقع شرقي نفوذ سبيع. وقد اختلف في ملكيته بين سبيع وقبيلة المقطة فبعد منازعات طويلة جرت بينهم رأى جلالة الملك عبدالعزيز أن يدفن وينقطع النزاع، فدفن وعمى خبره وسبب النزاع طيب فلاته للابل وترغبه البوادي. المصنف.

(٢) انظر معجم البلدان ٧ /٥٠٨.

(٣) المعجم المختصر القسم الثالث /١٥٥٥.

٤٣ ــ وقال امرؤ القيس يصف ناقته :

أرَىٰ نَاقَةَ الْقَنَيْسِ قَدْ أصْبَحَتْ على الْأيْنِ ذَاتَ هِبَابٍ نَوَارَا
رَأتْ هَلَكاً بِنِجَافِ الْغَبِيْطِ فَكَادَتْ تَجُذّ لِذَاك الْهِجَارَا

نجاف الغبيط زعم كثير من الشراح أن «نجاف الغبيط» حبل يشد به الرحل، وليس بشيء، وإنما «نجاف الغبيط» الذي ذكره امرؤ القيس هنا موضع، كقوله في المعلقة :

* **وَألْقَىٰ بِصَحْرَاء الغَبِيْطِ بَعَاعَه** *

وأما الْغَبِيط فقد تقدم الكلام[1] عليه وبينا أنه واقع في بلاد غطفان، وقال في معجم[2] البلدان : النجفة : رملة فيها نخل في شرقي الحاجر بالقرب منه، والحاجر: ماء معلوم بهذا الاسم إلى يومنا هذا قريب النقرة، وهو واقع بين بلاد بني أسد وبلاد غطفان، ولا شك أن « نجاف الغبيط» موضع غير أني لا أعرفه بهذا الاسم اليوم.

★ ★ ★

٤٤ ــ قال امرؤ القيس :

عَفَا شَطَبٌ مِنْ أهْلِهِ فَغُرُور فَمَرْبُولَــةٌ إنّ الديــارَ تَدُورُ
فَجَزْع مُحَيَّاةٍ كأنْ لَمْ تَقُمْ بِهَا سَلَامَةُ حَوْلاً كامِلاً وَقَذُورُ

شطب قد غلط كثير من الشراح في ذكر شَطَب إذ زعموا أنه جبل في بلاد بني أسد، وأنا أقول : لا نعلم أن في بلاد بنى أسد جبلاً يقال له شَطَب، غير أن الذي عناه امرؤ القيس جبل منقطع من ثهلان كأنه منه بلونه

(١) انظر ص ٦٩ من هذا الكتاب في الكلام على البيت رقم ١٣.
(٢) معجم البلدان ٨ /٢٦٧.

وشعابه وطوله، وبينه وبين ثهلان قطعة من الصحراء يمشي فيها السائر على أقدامه أقل من الساعة، ومازال يعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهو يعد من جبال بنى نمير، كما أن ثهلان يعد من جبالهم، وقد قلبوا ثاء «ثهلان» ذالاً، فقالوا : ذهلان، قال بشر ابن أبى خازم:

سَائِل نُمَيْراً غداةَ النَّعْفِ من شَطَبٍ إذ فَضَّتِ الخَيْلُ من ثهلان إن رهقُوا

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي :

دَعَا معاشر فَاسْتَكَّتْ مسامِعُهُم يالهف نَفْسى لو تدعو بَنِى أسَدِ
لو هم حُمَاتُكَ بالحِمَى حُمِيْتَ، ولم يتركْ ليوم اقامَ الناسَ في كَبَدِ
كَمَا حَمَيْنَاك يوم النَّعْف من شَطَبٍ والقصدُ لِلْقَوْم مِن رِيْحٍ وَمِنْ عَدَدِ

وكأن منشأ خطأ الشراح أنهم رأوا عبيد بن الأبرص يذكر شطباً وهو أسدى فظنوا أن هذا الجبل واقع في بلاد بني أسد :

قال لبيد بن ربيعة العامري :

بِذي شَطَبٍ أحْدَاجُهم إن تَحَمَّلُوا وَحَثَّ الحداةُ النّاجيَاتِ الذَّوَامِلَا

وقال عبيد بن الأبرص يصف سحاباً:

يَا مَنْ لِبَرقٍ أبِيْتُ الليلَ أرْقُبُهُ في عَارِضٍ كمضِيءِ الصُّبْحِ لَمَّاحِ
دانٍ مُسِفٍّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُهَ يكادُ يَدْفَعُه مَنْ قامَ بالرّاحَ
كأنّ رَيِّقَهُ لمّا عَلَا شَطَبَاً أقرابُ أبْلَقَ يَنْفِي الخَيْلَ رَمَّاحِ
فَمَن بِحَوْزَتِهِ كَمَنْ بِعَقْوَتِهِ وَالْمستَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِى بِقِرْوَاحِ

قال في معجم البلدان[1] على ذكر شَطَب، عن نصر : جبل في ديار بني نمير، وهو جانب ثهلان الشمالي، أما هذا التحديد : فقد أصاب فيه

(١) المعجم ٥ /٢٦٥.

كأنه يراه، وأما الروايات التي ذكرها قبل هذه الرواية والتي ذكرها غيره من أصحاب المعاجم، فقد أخطأت موضعه، وهو واقع في ظفت وادي الرشا الشرقية، وظفت: وادي الشعراء الغربية، وسيل الواديين يجتمع إذا خَلَّفت شطبا.

غرور أما غرور الذي ذكره امرؤ القيس : فهي ثنية تقع على طرف جبل دَمْخ الشمالي، فيها جُبَيلات سود صغار تقع هي في شماليها، ويُعَدُّ غرور من دمخ، قال في معجم البلدان[1]: غرور جبل بدَمْخ في ديار عمرو بن كلاب، وقد أصاب في قوله : بدمخ، قال السري بن حاتم :

تَلَبَّثَ عن بهيّةَ حَادِيَاهَـا قليلاً ثُمَّ قَامَـا يَحْـدُوَانِ
كَأنَّهمَا وَقـدْ طَلَعَـا غُرُوراً جناحَـا طائـرٍ يَتَقَلَّبَـانِ

وغرور أيضاً: ثنية باليمامة معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا، قال في معجم البلدان[2]، وغرور أيضاً: ثنية باليمامة وهي ثنية الأحيسى ومنها طلع خالد بن الوليد رضي الله عنه في غزوته إلى مسيلمة، والأحيسي هو المسمى «وادي الحيسية» اليوم، وشَطَب معروف بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وغرور أيضاً الواقع في اليمامة: معروف بهذا الاسم إلى يومنا هذا[3].

محياة أما «مُحياة» فهو جبل منقطع من أبان في جهته الجنوبية مما يلي

(١، ٢)المعجم ٦ /٢٨١.

(٣) يروى أن سبب تسميتها بذلك أن خالداً رضى الله عنه جعل كميناً لجيشه، وأمرهم إذا التحم الصفان أن يأتوا عدوهم من هذه الثنية ويقطعوا عليهم خط الرجعة، فكان سبب انتصارهم بعد أن انكشف المسلمون وتذامرت بنو حنيفة، فهنا قالوا «غريتنا ياغرور» أهـ، قال المصنف : اني أعرف هذه الثنية وأعرف موضع المعركة التي دارت بين بني حنيفة وخالد بن الوليد رحمه الله، يبعد بعضها عن بعض مسافة نصف يوم تقريباً، إلا إن كانت بنو حنيفة زاحفة إلى طريق خالد ، لأن الحرب امتد أياماً، ولكن المعركة الحاسمة في عقرباء، وعقرباء معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، والمسافة الواقعة بين عقرباء وثنية غرور أكثر من نصف يوم.

مطلع الشمس، جبيل صغير يعرف بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا، وذلك أنهم يقولون له «محيّوة» قال الراعي:

وَنكَّبْنَ زُوْرَا عن مُحَياة بَعْدَمَا بَدَا الأَثْلَ أثلُ الغينَةِ المتجَاوِرُ

قال في معجم البلدان[1] على ذكر محياة : وهى ماءة لأهل النبهانية، وهذا صحيح أقرب ما يكون لمُحَياة التي يقال لها اليوم «محيوة» من القرى المعمورة قرية النبهانية الواقعة في شرق أبان، وهي باقية بهذا الاسم إلى اليوم «محيوة» وبلغنى أن عندها وادياً كثير المياه بعثه أناس من حرب، ولا يبعد أن تكون عيوناً جارية أو تشرع غرستها في الماء، كما شرعت في جبل سواج وفي جبل غول في هذا العهد الأخير.

فأما الأثل الذي ذكره الراعى في قوله * بدا الأثل أثل الغينة المتجاور * فإن هناك واديين لا يبعدان عن «محيوة» يقال لأحدهما «الذيبية» وللآخر «الدليمية» فيها أثل وطرفاء كثير، ويراها الذي غادر « محيوة» متجهاً شمالاً، ومياههما قريبة كأنها عين، وقد عمرها أناس من حرب واستوطنوها، وهي عامرة اليوم.

★ ★ ★

٤٥ ــ وقال امرؤ القيس لما اشتد به مرضه وهو في بلاد الروم:

أَلِمَّا عَلَىٰ الرَّبعِ الْقَدِيْم بِعَسْعَسَا كَأنِّى أُنادِى أَوْ أكلِّمُ أَخْرَسَا
فَلَوْ أنَّ أهْلَ الدَّار فِيهَا كَعَهْدِنا وَجَدْتُ مَقِيْلاً عِنْدَهُمْ وَمُعَرَّسَا
فَلَا تُنْكِرُونِى إنَّنِى أَنَا ذَاكُمُ لَيَالِيَ حَلَّ الحُى غَوْلاً فَألْعَسَا

عَسْعَس : جبل مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا، واقع من ضَرِية في عسعس

(١) المعجم ٧ /٤٠١.

الجهة الجنوبية، ويليه جبل بينه وبين ضرية يقال له «وسط» وهذا اسمه في الجاهلية، وله دارة يقال لها «دارة وسط» ووسط هذا : في بلاد جعفر ابن كلاب، على مسافة أقل من نصف يوم من ضرية في جهتها الجنوبية الغربية، فإذا كنت عند باب ضَرِية فانظر إلى سُهَيِل فإنك تجده فوق عسعس وتجد وسطا في النصف بين ضرية وعسعس.

قال الشاعر:

دعوتُ الله إن شقيت عِيَالِي ليرزُقَنـي لِذي وسَطٍ طَعَامَـا
فأعطانـي ضريـةَ خيـرَ أرْضٍ تَمُجُّ اَلمـاءَ وَالْـحَبَّ التُّؤَامَـا

ولعسعس دارة يقال لها «دارة عسعس» وقد أكثرت الشعراء من ذكره، قال بشر ابن أبي خازم :

لِمَنْ دِمْنَةٌ عَادِيَّةٌ لَمْ تؤنَّس بسِقْطِ اللّوىٰ بين الكثيبِ فَعَسْعَس

لقد صدق قوله «بسقط اللوى» فإن هناك قريب عَسعس «عريق الدسم» وهو سقط اللوى، وعريق الدسم : كثيبٌ يقف أمام عسعس في جهة الغرب، ويمتد إلى جهة الشمال يباري شُعَبَىَ تاركَهَا عن يمينه ويقف في جهة وادي الرمة. وقد ذكرنا أنك إذا كنت واقفا عند باب ضَرِية ونظرت إلى الجهة الجنوبية منها رأيت عسعسا ووسطا، ونزيدك هنا أن عسعسا جبل رفيع عن الأرض ليس بالكبير أسود تلابسه شقرة، أما وسط فهو جبل أسود نازل للأرض ليس بالرفيع، ذكروا أن رباحا الصانع[١] من سكان ضَرية، وأنا أعرفه، اختصم هو وزوجته بنت عثمان المزيني[٢]، فلما اشتد اللجاج

(١) يطلق لفظ الصانع عند عامة أهل نجد على الذي يصنع الحديد والنحاس،فأما صناعته في النحاس فإنه يصنع منه القدور والجفان والأواني الصغار ويصنع من الحديد حذاء الخيل والمسامير والمساحي والمحاش التي يعضد بها الشجر وغيره.

(٢) المزيني : رجل نجار، والنجار عند أهل نجد : الذي يشتغل في الأخشاب كالأبواب على جميع أنواعها والمحال والدراج التي يستعملها الفلاحون، وجميع مايوضع على ظهور الابل من الأحداج كالأشدة والمسام والهوادج، ولايقوم بهاتين الصناعتين عند أهل نجد الا الموالي.

بينهما قالت: طلقنى، فخرج عند باب ضَرية وقال: يا أهل ضرية اشهدوا أن زوجتي بنت عثمان المزيني طالق عدد مافي مزارع ضرية من الخباز[١] ثم التفت وراء جبل عسعس وجبل وسط، وقال : اشَهْدُا علي ياجبلَ عسعس وياوَسَط أني طلقت، وأهل ضرية أهل كذبٍ، أخشى أن يجحدوا الشهادة.

غول وأما غَوْل : فقد مررنا على ذكره، وهو جبل أحمر فيه ماء، ذكره لبيد ابن ربيعة في معلقته[٢] وهو معروف في الجاهلية بهذا الاسم، ولا يزال معروفاً به إلى يومنا هذا، وكانت به وقعة لضبة على بني كلاب.

قال أوس بن غلفاء :

وقَدْ قَالَتْ أُمَامَةُ يَوْم غَوْلٍ تَقَطَّع يابنَ غلفاءَ الحبالُ

وقال أعرابى :

أَلَا لَيْتَ شِعَرِي هل تَغَيَّر بَعْدَنا معارف ما بين اللِّوى فَأَبَانِ
وهل بَرَحَ الرَّيَانُ بَعْدِى مَكَانَهُ وَغُوْلٌ؟ وَمَن يَبْقَىٰ على الحَدَثَانِ؟!..

والريان باق بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهو واد بين غول وطَخْفَةَ، وغَوْل هذا : هو الذي قتل فيه جَثَّامة بن عمرو بن مُحَلمٍّ الشيباني، قتله أبو شملة طريف بن تميم التميمي في الجاهلية، وفي ذلك يقول شاعرهم :

---

(١) الخباز : هو نبات معروف عند جميع أهل نجد ينبت أيام الربيع، ويكثر في مزارع القرى، وهو نوع من العشب أخضر، ورقه قدر الدرهم، ليس بالرفيع عن الأرض، وهو نوع من الخضار عند أهل بعض البلاد العربية.

(٢) قلت هذا في مطلع معلقته، وهو قوله :

عفت الديـــــار : محلهـــــا، فمقامهـــــا
بمنـــــى، تأبـــــد غولهـــــا، فرجامهـــــا

أَجَثَّامَ مَا أَلْفَيْتَنِي إذ لَقِيْتَنِى هَجِيْناً وَلَا غَمْرا من الْقَوْمِ أَعْزَلَا
تَذَكَّرْتَ ما بَيْنَ النَّجاء فَلَمْ تجد لنفْسِك عَن وِرْدِ المنيَّةِ مَزْحَلَا

وغول وشعب القد، وطخفة، والبكرات ومنى التي يقال لها اليوم «منية» هضباتُهَا حمر كأنها مطلية بذهب، بخلاف الهضبات التي تقع منها جنوباً وشرقاً فإنها سود كأنها غربان كحليت وكبشان هضابه التي تليه.

العس — وأما الْعسَ : فقد قال صاحب معجم[1] البلدان : هو اسم جَبلٍ في بلاد بني عامر بن صَعْصعة والجبال التي ذكرت معه في أبيات الشعر واقعة في بلاد بني عامر بن صَعْصعة، غير أني لا أعرفه اليوم بهذا الاسم.

★ ★ ★

٤٦ ــ وقال امرؤ القيس :

كَأنّي وَرَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبَ قَارِحٍ بِشُرْبَةِ أَوْ طَاوٍ بِعِرْنَانَ مُوْجِسِ
تَعَشّىٰ قَلِيْلاً ثُمَّ أنحَىٰ ظُلُوفَهُ يُثِيْرُ التُّرَابَ عَنْ مَبِيْتٍ وَمَكْنِسِ

شربة — أما شربة وعرنان فهما باقيان بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا، إلا أن شربة استعاضت من الباء ميماً فسميت «شرمة» وهي مجاورة لعرنين، ليست بعيدة عنه، تقع من الخال المجاور للدفينة على مسافة نصف يوم مما يلى مطلع الشمس، قال رجل من غامد :

وَطـيِّبَ نَفْسي أسرةٌ غَامِديَّـةٌ أَطَابُوا شفاءَ يوم شَرْبَة مَقْنَعاً
شَفَوْنِى وَأَرْضَونِي وَأَمْسِيْتُ نَائِمَاً وكنْتُ قليلاً في الْأَيائِم مَضْجَعَا

عرنان — وعرنان هذا جبيل صغير يقع بين الأكموم وجبل هكران الواقع عن بلد الموية المحطة المعروفة في الطريق من مكة إلى الرياض جنوباً، وهو

(١) المعجم ١ /٣٢٤.

معروف بكثرة الوحش، قال الشاعر[1] ـــ:

قُلْتُ لعلاق بعرنَانَ : مائرَى؟ فما كادَ لي عَنْ ظَهْرِ واضحةٍ يُبْدي

وقال بشر بن أبى خازم :

كأنِي وأقتادى على حَمْشة الشَّوَى بشَرْبَة أوطَاوٍ بفَيْفَاء مؤجِسِ[2]
تَمكَّث شيئاً ثم أنْحَىٰ ظُلُوفه يُثِيرُ التُّرَابَ عن مَبِيْتٍ وَمَكْنِسِ
أطاعَ له من جَوِّ عرنَيْنِ بَارِضٌ ونبذ خصال في الخمائِلِ مُخْلِسِ

وقال القَتَّال الكَلَابُّى :

وَمَا مُغْزِل من وَحْشِ عِرْنَانَ أتْلَعَتْ بسنتها أحْلَتْ عَلَيْهَا الأَوَاعِسُ

تنبيه عن اشتباه يقع ـــ أما الموضع الذي ذكره امرؤ القيس مع عِرْنَانَ باسم شربة فغير «شرمة» بالميم التي هي هضبة في رأسها شرم، وقد ذكرها أوس بن حجر مع أبان وذلك في قوله : دفع التباس

تَثُوبُ عليهم من أبان وشُرْمَة وتركب من أهْلِ القِنَانِ وَتَفْزَعُ

فانظر في هذا البيت تجده قرن شرمة بأبان والقنان، أما أبان فهو واقع في وادي الرمة مما يلي القصيم، والقنان مجاور لسميراء واقع بين بلاد بني أسد وبين بلاد غطفان.

واليك شاهداً آخر :

أرِقْتُ لِبَرْقٍ آخرَ اللَيْلِ دُوْنَهُ رِضَامٌ وَهَضْبٌ دُوْنَ رَمَان أفْيَحُ
بِحزنِ شآم كلما قُلْتُ قد وَنَىٰ سَنَا والقرار الخضر في الدَّجْن جُنَّحُ
فَأضْحَىٰ له وبْلٌ بأكْنَاف شُرْمَة أجشُّ سِمَاكى من الوبل أفْصَحُ

---

(١) البيت لشبيب بن البرصاء المري.

(٢) رواية ياقوت (٦ /١٥٩) لهذا البيت «بحربة أوطاو بعسفان موجس» والفيفاء : البيداء البعيدة من الماء.

ذكر أن هذا البرق سَتَرَةُ وضامٌ وهضبٌ دون رمّان، ورمَّان : جبل معروف في شماليِّ بلاد بنى أسد مجاور لجبلَىْ طي أجأ وسَلْمَى، فأما ماذكره امرؤ القيس بلفظ «شربة» فهو المعروف اليوم بشرمة في أرض مستوية كما ذكرنا وهي بئر تردها العرب إلى هذا العهد.

قلت : وقد ذكر حمد الجاسر الشَّرِبَة، والشربة في كتابه المعجم الجغرافي المختصر[1]، فقال :
الشَّرِبَةُ .. من قرى بالأسمر، للعتبة من آل السُّعَيْدِي في جبل ضرم بتهامة في امارة بلاد عسير.
والشربة : من قرى قنا والبحر، بمنطقة إمارة عسير.

★ ★ ★

٤٧ ــ وقال امرؤ القيس بعد الأبيات المتقدمة وهو يصف ظبياً تطرده كلاب القنَّاص :

فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غُدَيَّةً ... كِلَابُ ابنْ مُر أَوْ كِلَابُ ابنْ سِنْبِسِ
مُغَرَّثَـةً زُرْقَـاً كأن عُيُونَهَـا ... مِنَ الذَّمْرِ وَالْإِيْحَاءِ نَوَّارُ عَضْرَسِ
فَأَدْبَرَ يَكْسُوهَا الرَّغَـامَ كَأَنَّـهُ ... عَلَى الصَّمْد وَالآكَام جَذْوَةُ مُقْبِسِ
وَأَيْقَنَ إنْ لَاقَيْنَـهُ أنَّ يَوْمَـهُ ... بِذِي الرِّمْثِ أَوْ مَاوَتْنَهُ يَوْمُ أَنْفُسِ

ذو الرمث

أما ذو الرمث فهو معلوم اليوم بهذا الاسم، الا أنه اختلف قليلاً فسمى «الرميثي» وهو : واد عظيم كثير الرمث يصب من جبل النير مُتَّجها إلى جهة الشمال، يقطعه السالكُ من عفيف إلى القاعية، وإذا سلك سيله طريق السيارات اتجه إلى جهة الشرق واجتمع بوادى غثة، ولم أر لغثاة المعروفة اليوم بهذا الاسم ذكراً، إلا ما ذكره صاحب معجم البلدان[2] قال

(١) القسم الثاني /٧٧٣.
(٢) المعجم ٦ /٢٦٨.

«غثَّ ماء لِغَنِي عن الأصمعي» وفي معجم البلدان عبارة أخرى أقرب من هذه قال «وقال أبو بكر ابن موسى : ذو غُثَث جبل بحمى ضَرِية تخرج السيول منه ومن نضاد» ا. هـ ، أما وادي غثة فهو يتجه إلى جهة الشرق، ويترك جبل نضاد على يمينه، ونضاد موجود بهذا الاسم إلى اليوم يقال له «النضادية»[١] وأما «الرميثي» الباقي بهذا الاسم فهو الذي ذكره امرؤ القيس باسم ذي الرمث سمي الرميثى لكثرة نبات الرمث فيه، والرمث : نوع من الحِمْض ترغَبه الإبل، قال دريد ابن الصمة يذكر هذا الوادي:

وَلَــوْلَا جُنُــونُ اللَيّــلِ أَدْرَكَ رَكْضُنَــا
بذي الـرمث وَالْأَرْطَــىٰ عيــاضَ بنَ نَاشِبِ

وقال لبيد بن ربيعة العامري وهو من أهل تلك الناحية :

بذى شطب أحْدَاجُها قد تَحَمَّلُوا وحثَّ الحداةُ الناجياتِ الذوامِلَا
بِذي الرَّمْثِ والطَّرْفَاءِ لمّا تَحمَّلُوا أصيلا وعالَيْنَ الحمولَ الحوافِلَا

وشطب : طرف ثهلان الشمالي، منفرد منه[٢] والرميثي : يصب من طرف النير الشمالي والمسافة الواقعة بين ثهلان والنير أقل من يوم والمسافة الواقعة بين شطب والرميثي يوم للراكب المُجِدِّ.

★ ★ ★

٤٨ ـــ وقال امرؤ القيس :

تَرَاءَتْ لَنَا يَوْمَاً بِسَفِحْ عُنَيْزَةٍ وَقَدْ حَالَ مِنْهَا رِحْلَةٌ وَقُلُوصُ

---

(١) وهو الجبل المنيف الذي يجعله سالك طريق الرياض على السيارات عن يمينه بعد أن ينكب القاعية ويعلو الثنية المشرفة عليها من شرقيها.

(٢) قلت وقد مر ذكره ص ٧٢.

إلى أن قال :

كَأنّي وَرَحْلِي والِقرَابُ ونُمْرُقِي … إِذَا شُبَّ للْمَرْو الصِّغَارِ وَبِيص
عَلى نِقْقٍ هَيْقٍ لَهُ ولِعِرْسِهِ … بُمِنْعَرَجِ الْوَعْسَاء بَيْضٌ رَصِيْصُ
وَيأْكُلْنَ مِنَ قَوٍّ لَعَاعاً وَربَّةً … تَجبَّرَ بَعْدَ الأكْل فَهُوَ نَمِيْصُ
تَطِيْرُ عَفَاءً مِنْ نَسِيلٍ كأَنَّهُ … سُدُوسٌ أطَارَتْه الرِّيَاحُ وَخُوْص
تَضَيَّفَهَا حتى إذَا لَمْ يُسَغْ لَهُ … نَصِيّ بِأعْلىٰ حَائِلٍ وَقَصِيْصُ

أما عُنَيزة : فهي معلومة اليوم من مُدُن القصيم، وقد تقدم الكلام عليها[1]. وأما الوَعْسَاء فهي أكْثِبة رمل متصل بعضها البعض على طريق الحاج من البصرة إلى مكة، قال ذو الرمة : الوعساء

أيَا ظَبْيَة الْوَعْسَاء بين جُلَاجل … وبينَ النَّقَا أأنْتِ أمْ أُمُّ سَالِمِ

ولا أعلم اليوم موضعاً بهذا الاسم.

قلت : كتب حمد الجاسر في المعجم الجغرافي شمال المملكة[2]، يقول : الْوَعْسَاء : بفتح الواو وإسكان العين المهملة، وفتح السين المهملة بعدها ألف ممدودة : قال في كتاب «المناسك»[3] : وبين السابع من البريد إلى الخزيمية شقائق رمل يقال لها الوعساء، ودون المنزل بثلاثة أميال رمل يقال له حَبْلاً زَرُود، والْمَشْرَف بطرف الوعساءِ على ميل ونصف من الغميس .

وفي معجم البلدان : الوعساء موضع بين الثعلبية والخزيمية على جادة الحاج. وهو شقائق رمل متصلة، قال ذو الرمة .. (ثم ذكر البيت السابق).

---

(١) انظر ص ١٠٢من هذا الكتاب في شرح البيت رقم ٢٠.
(٢) القسم الثالث ١٣٦٨.
(٣) ص /٢٩٧.

قو وأما «قَوٌّ» فقد أكثر الشعراء من ذكره، وقد اختلف الرُّواة فيه، قال في معجم البلدان[١] : قال الجوهري: قَوْ بين فَيْد والنِّبَاج، واستدل ببيت امرىء القيس حين قال :

سَمَالكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كانَ أَقْصَرَا وَحَلّت سُلَيْمَى بطنَ قَوٍّ فَعَرْعَرَا

وقو الذي ذكره امرؤ القيس في هذا البيت وقَرَنه بعرعر يقع في القطعة الجنوبية من نجد، وقد اندرس اسمه، لأن عرعرا الذي قَرَنه امرؤ القيس به واقع في الهضب يقال له اليوم : عراعر، والهضب واقع في جنوبي نجد.

وقال زُرْعَةُ بن تميم الحطَمُ الجعْدي :

وَإِنْ تَكُ لَيْلَى العامريةُ خَيَّمَتْ بِقَوٍّ فإني والجنوب يمانِ
وَمُعْتَرِب من أهل ليلىٰ رعيتهُ بَأسباب ليلى قبل ما تَرَيَانِ
نَشَرْتُ له كَنَّانة من بَشَاشَةٍ وَمِن نُصحِ قَلْبِي شُعْبَةً وَلِسَانِي

وأما قو الذي ذكره الحطيئة لما نزل على الزِّبْرِقان بن بدر وتركته زوج الزبرقان فقال :

أَلَم أَكُ نائِياً فَدَعَوْتُمُونِي فخانتني المواعِدُ والدُّعَاءُ؟
أَلَمْ أكُ جاركم فَتَرَكْتُمُونِي لِكَلْبِي في دِيَارِكُمْ عواءُ؟
أجيل على الخباءِ ببطن قَوٍّ بناتِ الليلِ فاحتُمِل اَلخبَاءُ

فإن قواً هذا الذي ذكره الحطيئة واقعُ في بلاد بني تميم في القطعة الشرقية من نجد، قال في معجم[٢] البلدان : وبطنُ قوّ وادٍ يقطع الطريق، طريق القاصد من البصرة إلى المدينة، إلى أن قال «موضع تدخله المياه ولا تخرج، وعليه قنطرة يعبر القفول عليها يقال لها بطن قو»ا .هـ ولا أعلم

(١) المعجم ٧/ ١٨٦.
(٢) المعجم ٧/ ١٦٨.

شيئاً بهذه الصفة ليس بينه وبين النباج إلا مرحلة واحدة الا أسفل وادي الرمة إذا ترك السالك عُنيزة عن يمينه وانعرج إلى روضة الزغيبية، وهي التي تصب فيها سيول الرمة ولا تخرج.

وقد غلط كثير من الشراح والطباع في لَفْظَةِ. قو. وجو. وخو. فحرفوها، حتى إنهم ذكروا في بيت زهير بن أبى سلمى :

لئن حَلَلْتَ بَجوٍّ في بني أسَدٍ　　في دينِ عمروٍ وحالت بَيْنَنا فَدَكُ

وزهير يعني خوّاً لأنها موجودة اليوم بهذا الاسم يقال لها «الخوة» واقعة من سميراء في جنوبها الشرقي قريبَ الجبل الذي يقال له حبشى، تقع في شرقيه.

حائل أما «حائل» فهي المدينة المشهورة في جبلى طيء، واقعة من جبل أجأ في جنوبيه قريبا منه، وهي باقية على اسمها إلى يومنا هذا.

قال امرؤ القيس :

أبت أجأ أن تُسْلِمَ اَليوْمَ جارَهَا　　فَمَنْ شاءَ فَلْيَنْهَضْ لها من مقاتِلِ
تبيت لَبُوني بالقريَّة أمنــاً　　وأسرحها غِبّاً بأكناف حائِـلِ
بنـو ثُعَلٍ جيرانُهـا وحُمَاتُهـا　　وَتَمْنَع من رجَّال سعدٍ وَنائِلِ

ودخل بدوى إلى الحضر وهو في العراق، فاشتاق إلى بلاده، فقال :

لعمرى لَنَوْرُ الأقحُوَان بحائل　　ونَوْر الُخزامى في ألاءٍ وعرفج
أحبُّ إلينا يا حميدُ بنَ مالكٍ　　من الورد والخِيْري ودُهْنِ البَنَفْسَج
وأكـلُ يرابيـع وَضَبٍّ وأرنب　　أحبُّ إلينا من سُمَانىٰ وتدرج
ونصُّ القِلاص الصُّهبِ تَدْمىٰ أنوفُها　　يَجُبْنَ بنا ما بين قَوّ ومنعج
أحبُّ إلينا من سَفِيْنٍ بدجلة　　ودَرْب متى ما يظلِم الليلُ يُرْتَج

أما حائل فقد ذكرها امرؤ القيس في مواضع كثيرة من شعره، وسنمر على بعض المواضع التي فيها ذكر حائل[1].

★ ★ ★

٤٩ ـــ قال امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها :

أعِنِّي عَلَى بَرْقٍ أرَاهُ وَمِيض يُضِيءُ حَبِيّاً في شَمَارِيخ بِيْضِ

إلى أن قال :

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتي بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْـنَ تِلَاع يَثْـلَثٍ فَالْعَـرِيْضِ
أصَابَ قُطَيَّات فَسَال لِوَاهُمَا فَوَادي الْبَدِيِّ فَانْتَحى لِلأَرِيْضِ

أما ضارج : فقد تقدم الكلام عليه[2] وهو في هذا الشعر واقع بين بلاد بني أسد وبلاد غطفان.

وأما يَثْلثَ : فهو جبل في عالية نجد، يقال له اليوم «أثلث» أبدل القوم ياءه همزة، وهو واقع بين ثهلان ودمخ، جبيل ليس بالكبير بين الشقرة والسواد. يثلث

وأما العريض الذي ذكره امرؤ القيس فهو عرض ابنى شمام، يقع في سواد باهلة، وهو جبال متصل بعضها ببعض، يقال لها اليوم «العرض» وهو يحاذي يثلث المذكور، إذا سال يثلث من سحاب، وهو على مسيره إلى جهة الشرق يسيل منه العرض، وفيه قرى كثيرة ومزارع وأودية عامرة، من أوديته «وادي الخنقة» قال القحيف العقيلي : العريض

تحمَّلْنَ من بَطْنِ الْخَنُوْقَةِ بَعْدَمَا جرىٰ للثريا بالأعاصِيْـر بَارِحُ

---

(١) قلت، وفيها استقر الضياغم في هجرتهم من جنوب نجد، ومنهم ظهرت امارة القشعم في العراق وامارة آل رشيد في حائل.

(٢) انظر ص ٥٠ من هذا الكتاب في شرح البيت رقم ٤.

وقُرَىٰ العرض : أكبرها بلد القويعية، ووادي القويعية أسفله البلد المشهورة بهذا الاسم، وأعلاه ثَنِية ابن عصام الباهلي التي يقال لها اليوم «ريع المشعر» وفي هذا الوادي مما يلي بلد القويعية «بلد مزعل» وسكانها العرافي من جبور بني خالد و«بلد الجفارة» وهي تبعد عن مزعل مسير ثلث ساعة للسائر على قدميه، وأعلى القرى قصور القويع، إذا كنت منحدراً تبدأ بالقويع وتنتهى بالقويعية، وهو منقطع من اليمامة بينه وبينها أربع مراحل، جباله سود، يقال له اليوم «العرض» وهو الذي عناه امرؤ القيس في هذا الشعر بقوله «العريض» وهذا الاسم يطلق على ثلاثة مواضع : العرض الذي تقدم ذكره، والعارض المتصل من العك إلى وادي برك، وهذا يقال له «عارض اليمامة» والعويرض المتصل من وادي برك إلى وادي الهدار وطرف الأفلاج الجنوبي، وهذا الجزء كله يقال له : العويرض، وهو في اليمامة أيضاً.

قلت : وقد ذكر العِرْضَ عبد الله بن خميس في كتابه معجم اليمامة فقال[١]: العِرْض بكسر العين، وإسكان الراء، فضاد .. هو وادي (حنيفة) أحد الأعراض الشهيرة .. فابن خميس يرى العرض أنه وادي حنيفة، ثم تحدث بعد ذلك عن عريض[٢] بضم العين، وفتح الراء، واسكان الياء، فضاد .. يطلق هذا الاسم على علمين في اليمامة فيما أعلم ..

١ ــ (عُرَيض وادي حنيفة) : وهذا يقع جنوب (الرياض) بعدما يمر به (وادي حنيفة)، ويذهب مجنباً ويتجاوز (المصانع) و(الجزعة) و(الْمَنْصُورِيِّة) يفضي إلى متسع هنالك تصب فيه (البواقر) من الغرب، و(دَعْكَنَة) من الشرق، ثم يعود هنالك الوادى فيعترض مغرباً فمجنباً، وتخنقه الجبال بعد هذا المتسع .. هذا هو (عُرَيض وادي حنيفة)، وعلى

---

(١) : معجم اليمامة الجزء الثاني /١٤٤.

(٢) : المصدر السابق ص ١٥٥ ــ ١٥٦.

ضفتيه هنالك مزارع وأرض زراعية، ويدفع فيه قبيل (الحَائِر) ـــ وادى الحفنة ـــ يأتيه من ناحية الشرق، وتدفع فيه شعاب أخرى ليست بذات بال، وفويق الحائر منه أقيم سد هنالك من أضخم السدود التي أقيمت في هذا الوادي.

٢ ـــ (عُرَيْض قَرْقَرَى) : وهذا جبل ممتد من الشمال إلى الجنوب طرفه الشمالي مقابل لطريف الحبل (حَبْل الرَّغَام) وطرفه الجنوبي (هضبة الطُعَيِّنَةَ) المواجهة لقرية (البَرَّة) من الغرب .. هذا الجبل معترض هنالك أمام (المِحْمَل) من الغرب، وأمام (صَفْرَاء الشمس) من الشرق، يبلغ امتداده حوالي خمسة عشر كيلا، وفيه ثنايا وشعاب وفيه حوله مياه، وتكتنفه رياض ومغائض سيول واسمه قديماً (عُرَيْضَة) ويعنيه جران العود النميرى في شعره حيث قال :

تُذَكِّرُنـــا جيراننـــا بعُـــــرَيْضَة وهضب قساء فالتذكّر يَشْعف

وقلت أيضاً : وقد ورد ذكر العِرضْ في قصيدة المتلمس ضمن حماسة أبي تمام(١) إذ يقول :

بهذا أوانُ العِرْضِ جُنَّ ذُبَابُهُ زَنَابِيْـــرُهُ والأزرقُ المُتَلَـــمِّسُ

والعرض واد من أودية اليمامة .

قطيات

وأما «قُطيَّات» فهي هَضَبَات حُمْر معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهذا اسمها في الجاهلية إلا أنه تغيَّر بإبدال بعض الحروف، وفي جنوبيَّ حمى ضَرِيةِ هضبات حُمْر، يقال لها اليوم «مغطيات» زادوا على قطيات ميما، وأبدلوا القاف غيناً، وهي واقعة شرقي جبل شعر المشهور بعالية نجد، تبعد عنه مسافة نصف يوم، وهناك بها هضبات بها ماء وقلات من

(١) حماسة أبي تمام، تحقيق د. عبدالله العسيلان ج١ /٣٣٢.

ضَرِية في جهتها الجنوبية يقال لها «مطيوى ضرية» وهناك هضبات حمر في طرف شُعَبىٰ مما يلى شماليها ويقال لها «المطيويات» وهي واقعة في نفس الحمى حمى ضرية، والأول أقرب لقطيات، قال مُطَير بن أشيَم الأسدي[١]:

فَجَالَ جَأبٌ كَسَفُّودِ الْحَدِيْد لَهْ وَسْطَ الْأَمَاعِز من نقع جَنَابَان
تَهْوي سَنَابِكُ رجليه مُجَنَّبَةً في مكرهٍ من صَفِيْح القُفِّ كَذَّانِ
ينتابُ ماءَ قُطَيَّاتٍ فأخلفَهُ وَكَانَ مَنْهَلهُ ماءَ بَحَوْرَانِ
تَظَلُّ فيه بناتُ الماءِ طَافِيَةً كأنَّ أَعْيُنَهَا أشْبَاهُ خِيلَانِ

البدى — وأما وادي البدى فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في معلقة لبيد.

الأريض — فأما الأريض : فهو كما ذكره امرؤ القيس، لكنى لا أعرفه بهذا الاسم.

★ ★ ★

٥٠ — وقال امرؤ القيس :

لَعَمْرى لَقَدْ بَانَتْ بِحَاجَة ذى الْهَوَىٰ سَعَادُ، وراعَتْ بِالْفِرَاق مرُوَّعَا
وَقَدْ عَمَرَ الرَّوْضَاتِ حَوْل مُخطَّطٍ إلى الُلخِّ مَرْأىً من سُعَاد وَمَسْمَعَا
مَتَى تَرَدَاراً من سُعَادَ تَقِفْ بِهَا وَتَسْتَجِرْ عَيْنَاك الدُّمُوعَ فَتَدْمَعَا

الروضات واللخ ومخطط — أما الروضات ومخطط واللخ فهي مواضع، لكني لم أعرفها بهذا الاسم إلا في جهة اليمن، قال أبو شمر الحضرمي[٢]:

عَفَا مِنْ سُلَيْمَى رَوْضَتَا ذِي المخَابِطِ إلى ذِى العَلَاقِى بَيْنَ خَبْت خطَائِطِ

فهذا شاهد صاحبه يمانٍ، وهناك موضع قريب وادي الرمة يقال له

---

(١) الأبيات في معجم ياقوت ٧ /١٢٨.

(٢) المعجم ٧ /٤٠٢.

«الخطائط» يقع من وادي الرمة في شماليه، ومخطط الذي ذكره امرؤ القيس يمكن أن يكون قريباً من تلك الناحية، وأن اسمه قد تغير وسمى الخطائط، قال مالك بن نويرة في يوم الغبيط حين هزمت يربوع بني شيبان ولم يشهده(١).

وإلّا أكُنْ لَا قَيْتُ يَوْمَ مُخطَطٍ فقَد خبَّر الركْبَانُ ما أتوَّدُ
أتاني بِنَقّلِ الخُبْر لمّا لَقِيْتهُ رزينٌ وركبٌ حَوْلَهُ مُتصعِّدُ
فَأقْرَرْتُ عينى يوم ظَلُّوا كأنَّهمُ ببطن الغَبيْط خُشبُ أثْلٍ مُسنَّدُ(٢)
صَرِيْعٌ عليه الطَّيْرُ تنقرُ عَيْنَهُ وآخرُ مَكْبُولُ يمانٍ مُقيَّدُ

فهذا الشاعر رجل من بني يربوع، ومنازلهم في أسفل وادي الرمة على حدود القصيم، وهو رجل مشهور بفروسيته ومجده، قتله خالد بن الوليد يوم البطاح، وهو الذي رثاه أخوه مُتَمم بن نويرة في قصيدته حين قال:

فلمّا تفرَّقْنا كأنّي وَمالِكاً لِطُوْلِ اجْتِمَاعٍ لم نَبُتْ لَيْلَةً مَعَا

* * *

٥١ ــ وقال امرؤ القيس وهو يرثي الحارث بن حبيب السلمي، وكان قد خرج معه إلى الشام ومات في بصرى:

ثَوَىٰ عنْدَ الوَدِيَّةِ جَوْفَ بَصْرَىٰ أبُو الأَيْتَام وَالْكَلِّ الْعِجَافِ
فَمَنْ يَحْمَى الْمضَافَ إذَا دَعَاهُ وَيَحْمِلُ خُطَّة اَلأنسِ الضِّعَافِ(٣)

---

(١) المعجم ٧ / ٤١٠.

(٢) قلت، جاء في القرآن الكريم وصف للمنافقين بأنهم خشب مسندة، فقال تعالى: ﴿.. وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَولِهِمِ كَأَنَهُم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ للمنافقين/٤.

(٣) وقع في الديوان «فمن يحمي المصاف» وضبطه بفتح الميم وبالصاد المهملة، وفسره الشارح السندوبي بساحة الحرب ومعترك النزال، وليس بشيء، وإنما هو «المضاف» بضم الميم وبالضاد المعجمة ــ وهو الذي ألجأته الحاجة وأثقله الهم والشر، وهي عبارة

وبصرى: قد مضى الكلام عليها(1) وأنها قاعدة حَوْران. وهي باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

* * *

٥٢ ــ وقال امرؤ القيس :

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ فَانْطِقِ
وَحَدِّثْ حَدِيثَ الرَّكْبِ إِنْ شِئْتَ فَاصْدُقِ

وَحَدِّث بِأَنْ زَالَتْ بلَيْلٍ حُمُوْلُهُمْ
كَنَخْلٍ من اَلأَعْرَاضِ غَيْرَ مُنَبَّقِ

جَعَلْنَ حَوَايَا وَاقْتَعَدْنَ قَعَائِداً
وَحَفَّفْنَ عن حَوْكِ العِرَاقِ المُنَمَّقِ

على إِثْرِ حَيٍّ عَامِدِينَ لِنيَّةٍ
فَحَلُّوا العَقِيْقَ أَوْ ثَنِيَّةَ مُطْرِقِ

الأعراض أما الأعراض فهي أعراض اليمامة ذات النخيل،

قلت : وفيها يقول ابن خميس في معجم اليمامة :

اَلأَعْرَاض: جمع عرض ... وهي الأودية يكون فيها النخل والزرع والقرى...

= كثيرة الورود في شعر العرب، فمن ذلك قول البريق الهذلي :

ويحمي المضاف إذا ما دعا
إذا ما دعا اللمة الفيلم

ومن ذلك قول طرفة بن العبد البكري

وكرى إذا نادى المضاف محنبا
كسيد الغضى نبهته المتورد

(1) انظر ص ١٢٥ من هذا الجزء في شرح البيت رقم ٢٩.

قال أعرابي :

لعرض من الأعراض تُمْسِ حَمَامَة ... وتضحي على أفنانه العين تهتفُ
أحبُّ إلى قلبي من الديك رَنَّةً ... وبابٌ إذا ما مال للغَلْقِ يصرفُ

قال في (بلاد العرب): والأعراض: أعراض اليمامة، وهي أودية وجبال فيها نخل، قال:

ياصاحبيَّ قفا على الأطلال ... بالخل فالضفرات من أورَالِ
فبحوطين إلى براق نواضح ... قد طال ما بقيت على الأحوالِ

ومن الأعراض : عرض بني حنيفة .. وادى حنيفة ...
وقال مالك بن حريم الهمداني يذكر أعراض اليمامة وجراد:

إذا سألتْكَ نفسُك أن تَرَانَا ... بملك الجوف فاغترب النجادا
ترانا بالقرارة غير شك ... نقودها مسوَّمةً جيادا
علينا كلُّ فضفاضٍ دلاصٌ ... وأسيافٌ ورثناهنَّ عادا
سَنَحْمِي الجَوْفَ ما دَامَتْ مَعِيْنُ ... بأسْفَله مقابلةً عَرَادَا
وَنَلْحَقُ من يُزَاحِمُنَا عَلَيْه ... بأعراضِ اليمامَةِ أوْجَرَادَا
نَبِيْتَ مع الثَّعَالِبِ حَيْثُ بَاتَتْ ... وَنَجْعَلُ صَمْغَ عَرفطِهِنَّ زَادَا

قلت: من أعراض اليمامة وادى العرض (وادي حنيفة) و(عرض شمام) منطفة (القويعية) وما حولها[1].

العقيق

والعقيق: في هذا البيت يقصد به عقيق اليمامة، وهو واد ينصب من الغرب إلى جهة الشرق بطرف عارض اليمامة جنوبى الأفلاج.

مطرق

وأما مطرق: فهو ملزم ماء في بلاد بني تميم الشرقية، قال ذو الرمة:

(١) معجم اليمامة ج ٩١/١.

تصيّفْنَ حتى اصفر أنواع مطرقِ وَهَاجَتْ لِأَعْدَاد المياهِ الأَبَاعِرُ

وهو واقع بالقرب من عارض اليمامة، قال في معجم البلدان[١] عن الحفصى: ومن قلات العارض المشهورة ـــ يعنى عارض اليمامة ـــ الحمايم، والحجائز، والنظيم، ومطرق. قال مروان بن أبي حفصة:

إذا (ما) تذكَّرتُ النَّظيم ومطْرِقا حَنَنْتُ وأبكاني النظيم ومُطْرَقُ

فأما مطرق: فقد اندرس اسمه هذا، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم اليوم.

النظيم

وأما النظيم: الذي قَرنَه مروان بن أبي حفصة بمُطْرق فهو باق بهذا الاسم إلى اليوم فيه ماء ينصب من ثنية بني سدوس إلى وادي الأحيسي الذي يقال له اليوم «وادي الحيسية» إذا كنت قاصداً الرياض عاصمة نجد وكنت في وادى الأحيسي قبل أن تصل خراب العيينة فالنظيم على يسارك، فيه ملزم ماء لا ينقطع[٢].

عقيق اليمامة

وأما عقيق اليمامة: فهو كما ذكرنا، قال في معجم[٣] البلدان:

قال السكوني: عقيق اليمامة لبنى عقيل، فيه قرى ونخيل كثيرة، يقال له (عقيق تمرة) وتمرة: قرية باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا، أعرفها بتلك الناحية، قال شاعر من بني عقيل في ذكر عقيقهم:

تَرَبَّعُ ليلىٰ بالمُضَيّح فالحمىٰ وَتَحْفِر من بطن العقيق السواقيا

وقال الفرزدق:

---

(١) المعجم ٨ /٨٦ في ترجمة (مطرق).

(٢) والنظيم أيضاً : قلتتان عظيمتان في أعلى وادي صفار غربي بلد الدرعية، وهذا الموضع كمتنزه يرتاده من شاء النزهه من أهل الدرعية وقت الربيع.

(٣) المعجم ٦ /١٩٨.

ألم تر أني يوم جَوّ سُوَيْقَة بكيت فنادَتْنِي هنيدة ماليا
فقلت لها إن البكاء لَرَاحَةٌ به يشتفي من ظَنَّ أن لا تلاقيا
قِفِي ودِّعِيْنَا يا هُنَيْد فإنَّنِي أرى الرّكبَ قد سامُوا العقيقَ اليمانيا

والركب مُتَّجهون من عارض اليمامة إلى اليمن، فجعله الفرزدق عقيقاً يمانياً، وهو موجود اليوم بهذا الاسم واقع بين الأفلاج ووادي الدواسر، وهو إلى الأفلاج أقرب من الوادي، فيه نخل، وسكانه من الدواسر ومواليهم.

* * *

قلت: وجاء في معجم اليمامة[1] الجزء الثاني ص/١٧٠ ـــ ١٧١ ما يلي: العقيق: بفتح العين، وكسر القاف، وإسكان الياء، فقاف .. المراد بالعقيق أصلاً الأرض يعقها السيل فيصيرها وادياً، ثم أصبح علماً على أودية بعينها .. فمنها (عقيقا المدينة المنورة) و (عقيق العشيرة) و (عقيق البصرة)، و(عقيقا اليمامة)، وأعقة أخرى.

وقد أولع الشعراء بذكر الأعقة، كما أولعوا بذكر (رامة) و(زرود) و(طويلع) و (وجرة).

والذي يعنينا هنا (عقيقا اليمامة) : الجنوبي منها يسمى: (عقيق عقيل)، ويسمى: (عقيق تمرة)، ويسمى (عقيق اليمامة) وهو واقع في فج كبير من فجاج جبل (اليمامة) (طويق) فيما بين وادي (الدواسر) من الغرب، و (السليل) من الشرق فج منبسط فيه النخيل البعلية والمياه والأشجار الكثيفة والخمائل الملتفَّة ... وتسيل فيه أودية من الشمال ومن الجنوب، منها وادي (تمرة) يسيل من جنوبي (العقيق)، وبجانبه الشمالي الغربي معدن (الكوكبة) (الكواكب الآن) .. وهو الآن في بلاد الدواسر،

---

(١) : معجم اليمامة، عبدالله بن خميس ج ٢ /١٧٠.

وقديماً كان لعقيل، ولهم به آثار وأخبار وأشعار.

قال أبو زياد الكلابي : (عقيق) بني عقيل فيه منبر من منابر (اليمامة)، ذكره القحيف بن حمير العقيلي حيث قال :

أأمّ ابْنِ ادريس أَلَمْ يَأْتِكَ الَّذي ... صبّحَنَا ابنُ ادريس بِهِ فتقطّرَا
فَلَيْتَكِ تَحْتَ الخافِقَيْن تَرَيْنَـه ... وَقَد جَعَلَتْ دِرْعاً عَلَيها وَمِغْفَرَا
يريدُ العقيقَ ابنُ المهير ورهطَهُ ... ودُوْنَ العقيق الموتُ وِرْدَاً وَأَحْمَرَا
وكيفَ تريدونَ العقيقَ وَدُوْنَهُ ... بَنُو المحصناتِ اللّابِسَاتِ السَّنَّورا

وقال عرام: (عقيق تمرة) هو (عقيق اليمامة)، ثم قال: و(عقيق تمرة) لعقيل ومياهها بثور، والبثر يشبه الأحساء، تجرى تحت الحصي مقدار ذراع وذراعين، ودون ذلك، وربما اثارته الدواب بحوافرها.

قلت: وهذا شيء معروف حتى الآن بهذا (العقيق).

وقد اختلط على الأصمعي الأمر بين (عقيق عقيل)، و(عقيق العرمة) فظنه عقيقاً واحداً، قال: فمنها (عقيق عارض اليمامة)، وهو واد واسع مما يلي (العرمة)، تتدفق فيه شعاب (العارض)، وفيه عيون عذبة الماء.

وقال السكوني: (عقيق اليمامة) لبني عقيل، فيه قرى ونخل كثير، ويقال له: (عقيق تمرة)، وهو عن يمين (الفرط) منقطع (عارض اليمامة) في رمل الجزء، وهو منبر من منابر (اليمامة) عن يمين من يخرج من (اليمامة)يريد (اليمن) عليه أمير، وفيه يقول الشاعر :

تربّع ليلى بالمضيح فَالْحِمَىٰ ... وتحفر من بَطْنِ العَقيقِ السّوَاقِيا

وقال ياقوت: ومنها (العقيق) ماء لبني جعدة وجرم تخاصموا فيه إلى النبي ﷺ، فقضى به لبني جرم، فقال معاوية بن عبد العزى بن ذراع الجرمي شعراً هو:

وَإنّي أخوُ شهمُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُم   وإنّي بَمَا قال النبيُّ لَقَانِعُ
أَلَمْ تَرَ جرماً أنجدت وأبوكُمُ   مع القمل في حَفرِ الْأُقَيْصرِ شَارِعُ
إذا قرة جاءَتْ يقولُ : أصِبْ بِهَا   سوى القملِ إني من موزان ضَارِعُ
فَمَا أَنْتُم من هؤلاءِ الناسِ كلّهُم   بلى، ذنب أَنْتُم علينا وَكَارِعُ
فَإِنَّكَمَا كالخنصرين أخستا   وَفَاتَتْهُمَا في طُوْلِهُنّ الأَصَابِعُ

ولعل هذا العقيق هو الذي عناه بزيع بن جيهان الضبابي بقوله :

إنّ العقيقَ غدا لَوْ أنّ صَرِيْخَنَا   وَرَدَ العقيقَ لَعزّنَا المهيوبُ
وَبِحَافَة الفلجَيْن أكبر عِدْنَا   وَبِجَنْبِ أكمة مصرخٌ وَمُجِيْبُ

وقال عنه الهمداني: ثم (العقيق) مدينة فيها مئتا يهودي ونخل كثير وسيوح وآبار، ثم الفضا، ثم الخل، خل القسوة، ثم المعدن، معدن العقيق... ثم قال: (العقيق) عقيقان: (العقيق الأعلى) للمنتفق ومعه معدن صعاد على يوم أو يومين، وهو أغزر معدن في جزيرة العرب، وهو الذي ذكره النبي ﷺ في قوله (مطرت أرض عقيل ذهباً) .. الخ.

أما (عقيق اليمامة الآخر فهو بطن العتك الأسفل .. وقد مضى الكلام عليه قريبا في رسم (العتك).. فعد إليه إن شئت هنالك.

٥٣ ـــ وقال امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها :

أَلَا عِمْ صَبَاحَاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي
وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ في الْعُصُرِ الْخَالِي

إلى أن قال :

دَيارٌ لسَلْمىٰ عَافِيَاتٌ بذي الْخَالِ   أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّالِ
وَتَحْسَبُ سَلْمىٰ لَا تَزَالُ تَرَىٰ طَلاً   مِنَ الْوَحْشِ أويبضا بميثاءَ مِحْلَالِ
وَتَحْسَبُ سَلْمى لاَ تَزَالُ كَعَهِدِنَا   بِوَادِى الْخَزامىٰ أو عَلَىَ رَأْس أوْعَالِ

الخال

أما الخال فهو جبل مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا، قريب الدفينة الماءِ المشهور في طريق نجد بين المويه وعفيف، يقع من الدفينة في جنوبيها الغربي على مسافة ساعة للماشي المُجِدِّ، وهو الذي قال فيه الشاعر :

أهاجَكَ بِالْخَالِ الحُمولُ الدَّوَافِعُ   فَأَنْتَ لَمهواها من الأرضِ نَازِعُ

وقال عمرو بن معد يكرب :

وَهُمْ قَتَلُوا بذات الخال قَيْساً   وَأَشْعَثَ سلسلوا من غَيْرِ عَهْدِ

قلت: وقد ذكر الخال من الشعراء القدامي الأعشى في معلقته إذ يقول:

قالوا: نِمَارٌ فَبَطْنُ الْخَالِ جَادَهُمَا   فَالْعَسْجَدِيَّةُ فَالأَبْلاءُ فَالرَّجَلُ

وفيه ماء يقال له «خالة» وهو لكلب بن وَبْرة في بادية الشام، قال النابغة:

بِخَالَةَ أَوْ ماء الذّنَابِةِ أَوْ سوىٰ   مظنَّة كَلْبٍ أَوْ مِيَاه الْمَوَاطِرِ

وقد ظننتُ أول الأمر أن النابغة قصد بخالة خال الدفينة، لأن الذنائب قريب منه، ولكننى لما رأيته ذكر «سوى» وهي واقعة في بلاد كلب بن وَبْرة في أرض مضلة، ففي فتوحات خالد ابن الوليد رضي الله عنه أخذ دليلا من طيء لقطع المسافة يقال له رافع، فلما ورد بهم الماء قال الشاعر:

لله دَرُّ رَافِع لَمّا اهْتَدَىٰ   فوز من قَرَاقِرَ إلىٰ سِوَىٰ

وسوى في طريق الشام، لما رأيته ذكر سوى علمت أن خالة هناك في بلاد كلب بن وَبْرة.

أما ميثاء فهى لفظة مستعملة عند العرب للأرض السهلة المستوية. ميثاء
ووادى الخُزَامى لا أعرفه اليوم بهذا الاسم، ولا أشك أنه موضع قد تغير اسمه أو بعضه. وادي الخزامى

وأوعال: جبل أحمر باق على اسمه إلى اليوم، إلا أنه تغير قليلاً فسموه «وعلة» فهو الآن يذكر بهذا الاسم، وموقعه بين جبل كرش، وبين جبل الكبدي، وهو إلى جبل كرش أقرب، وهو في القطعة الجنوبية الغربية من نجد، وجبل كرش وجبل وعلة قريبان من ماء الصخة يقعان منها في الجهة الجنوبية الغربية، وسمى أوعالا لأنه تصطاد فيه الأوعال[1] لأن الأوعال لا ترتع الا في شعاف الجبال، وقال عمرو بن الأهتم: أوعال

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيْبِ وَأَطْلَالِ بِذِي الرِّضْم فالرّمانَتَيْن فَأَوْعَالِ

أما الرضم فهو باق بهذا الاسم إلى يومنا هذا، ولم يتغير، وهو ماء مشهور واقع في فيضة وادي المياه ووادي الجريب إذا قربتا من وادي الرمة، سُمّي الرَّضْم لكثرة الرَّضْم المحيط به من هضبات وغيرها، أما الرّمانتان فهما واقعتان في طرف رمان الجبلِ الواقع في بلاد بني أسد، وهما بهذا الاسم إلى يومنا هذا في طرف رمان، أما أوعال: فهو الذي ذكرنا أنه «وعلة» وهو الذي ذكره عمرو بن الأهتم، وهناك رمانتان في البلاد الشرقية قريب الأحساء، وهما هضبتان صغيرتان واقعتان من بلاد الأحساء في شماليها، قال عرقل بن الحطيم العُكْلي : الرضم

لَعَمْـرُكَ للرُّمَـان إلىٰ بثَـــاءٍ فحزم الأَشيْمَيْـنِ إلـىَ صُبَـاحَ[2]
وأوديـة بِهَـــا سَلَـــمُ وُسَدْرٌ وحمضُ هَيْكَلٍ هدب النَّواحِي
أَسَافِلُهُنَّ تَرْفَضُّ في سُهُـوْبٍ وَأَعْلَاهُـنَّ في لجـــفٍ وَرَاحِ

---

(١) الأوعال : جمع وعل، وهو التيس الجبلي.
(٢) لايتم وزن هذا البيت الا بتخفيف الميم من «رمان» ونص ياقوت أنه بتشديدها، انظر المعجم ٤ /٢٨٣.

نَجِلُّ بها وَنَنْزِلُ حيث شِئْنَا بما بَيْنَ الطَّرِيْقِ إلىٰ رُمَاحِ
أحبُّ إليَّ من آطامِ جَوٍّ ومن أطوابِهَا ذاتِ الْمَنَاحِي

والرمانتان وصُبَاح ورماح، كلها باقيةٌ بهذه الأسماء: أما صباح فهي أرض «صبحا» في أسفل سدير، تقع في الجهة الشرقية. وقد تقدم الكلام عليها وذكرنا سبب تسميتها صبحا(١) ورماح: ماء قديم جاهلى على طريق الأحساء بينه وبين نجد مما يلى الدهناء جهتها الغربية والرمانتان اللتان ذكرناهما قريب بلاد الأحساء في جهتها الشمالية.

قلت: وقال حمد الجاسر في المعجم الجغرافي شمال المملكة عن الرضم:

الرَّضْمُ: بفتح أوله وسكون الضاد المعجمة وآخره ميم: في كتاب «المناسك»(٢) وعلى ستة أميال ونصف من زبالة ــ للمصعد ــ بركة مدورة، يسرة، وهي إحدى الرضمتين وهي رَضْم أبي جعفر، وتعرف بالقَيصوم، لها مصفاة ومسجد وقباب، وخلفها بميل رَضْمُ أمير المؤمنين مُتَعَشّىٰ، وبئر وحوض، ويسمى ذلك كله الرَّضْم.

وفي «معجم البلدان»: الرَّضْمُ موضع على ستة أيام من زُبالة بينها وبين الشقوق فيه بركة، وعلى يمين المصعد منه بركة أخرى للسلطان انتهى. و(أيام) تصحيف أميال.

ذَاتُ الرَّضْم: في «معجم البلدان»: بفتح الراء وإسكان الضاد ذاتُ الرَّضْم ــ : من نواحي وادي الْقُرىٰ وتيماءَ. وقال عمرو بن الأَهْتَم:

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيْبٍ وَأَطْلَال بِذِى الرَّضْمِ فَالرُّمَّانَتَيْنِ فَأَوْعَالِ

(١) انظر ص ٥٦ من هذا الكتاب
(٢) ص ٢٨٥.

وأورد هذا البيت في (روضة العنك) وبعده :

إلـــىٰ حَيْثُ حَالَ الْمَـــيْثُ فِي كُلِّ رَوْضَةٍ
مِن اَلْعَـــنْكِ حَوّاءِ الْعَـــذَانِبِ مِحْـــلَالِ

وفي «معجم ما استعجم»: الرَّضْم في ديار بني تميم باليمامة. قال عَبْدةُ بن الطَّبيب ــ وأنشد البيتين وفيه :

إلى حيثُ سالَ القِنْعُ من كُلِّ رَوْضَةٍ   مِنَ الْعَتْكِ حَوَّاءِ الْمَذَانِبِ مِحْلَالُ

والْقِنْعُ: أرض سهلة بين رمل وجبل، تنبت الشجر الطوال. وأورد البيت الأول منسوبا إلى عبدة في (الرمانتين).

وفي شمال الجزيرة بمنطقة الجوف: الرُّمامين وأمَّ أوْعَال أيضاً. ويمكن أن يكون الشاعر عناهما، وأن ذا الرَّضْم بقربهما. وإن كنت أستبعد ذلك[١] لأن الشاعرين من تميم، وبلادهم بعيدة عن هذه الجهات، ورواية (العتك) بالتاء أقرب إلى الصواب من (العنك) بالنون.

وإن كان قول البكري: أن الرَّضْمَ موضعٌ في بلاد بني تميم مبنيٌّ على أن الشاعر منهم، وهذا لا يصح دائماً فقد يذكر الشاعر مواضع في غير بلاده.

ولو صحت رواية (العتك) بالتاءِ المثناة الفوقية لكان دليلاً لقول البكري.

٥٤ ــ وقال امرؤ القيس :

وَمِثْلُكِ بَيْضَاءُ الْعَوَارِض طَفْلَةٌ   لَعُوبٌ تُنَسِّينِي إذَا قُمْتُ سِرْبَالِى

---

(١) : القول للشيخ حمد الجاسر. * * *

إذَا مَا اسْتَحَمَّتْ كَانَ فَيْضُ حَمِيْمِهَا عَلَىٰ مِتْنَتَيْهَا كَالْجُمَانِ لَدَى الْجَالِي
تَنَوَّرتهَا مِنْ أذْرِعَاتٍ وَأهْلُهَا بِيَثْرِبَ أدْنَىٰ دَارِهَا نَظَر عَالِي

أذرعات

أما أذرعات(1) فهي من نواحي البلقاء بين الشام وعمان، وقد أكثر الشعراء من ذكرها أيام الفتوحات في صدر الإسلام، قال بعض الأعراب(2):

ألا أيها البرقُ الذي بات يَرْتقي وَيَجْلُو دُجَىٰ الظَّلْمَاءِ ذَكَّرْتَنى نَجْدَا
وَهَيَّجْتنِي من أذرعاتٍ وَمَا أرَىٰ بنَجْدٍ على ذِي حَاجَةٍ طربا، بُعْدَا
ألَم تَرَ أنَّ الليلَ يقصُر طُوْلُه بِنَجْدٍ، وتزدادُ الرِّياحُ به بَرْدَا

وأذرعات باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا وليست مجهولة.

يثرب

يثرب: مدينة رسول الله ﷺ، ويثرب: اسم قديم من أسمائها، ذكروا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من قال يثرب فليستغفر الله ثلاثاً، فإنها (طيبة)، وقد أكثر الشعراء من ذكر يثرب، قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة، وهي تخاطب أخاها (ضبا) لمّا حملها إلىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتزوجها، وقُتِل وهي عنده:

أحقّاً تَرَاهُ اليَوم يَا ضَبُّ أنَّنِي مُصَاحِبة نَحْوَ المدينةِ أرْكُبَا
لَقَد كانَ في فتيان حَصْن بن ضَمْضَمٍ لَكَ الويل ما يجزى الخباءَ المحجَّبَا
قضَىٰ الله حَقاً أنْ تَمُوْتِي غريبةً بِيَثْرِب لا تَلْقَيْنَ أُمّاً وَلَا أبَا

وقد قال رسول الله ﷺ لما هاجر «اللَّهمَّ إنّك أخرَجْتَنَي من أحبِّ أرضك إليّ، فأسكني أحَبَّ أرضِكَ إليك» فأسكنه الله المدينة المنورة؛ وإليها تُنْسَب السهام اليثربية، قال كثير عزة(3)

(1) قلت : أذرعات : ويقال لها اليوم درعا، وهي إحدىٰ المحافظات السورية على الحدود الجنوبية مع الأردن وهي قاعدة المحافظة. اشتهرت بآثارها الرومانية.
(2) المعجم ١ /١٦٣.
(3) ديوان كثير عزة ١ /١٣٠.

وَمَـاءٍ كأنَّ الْيَثْرِبيَّـةَ أنْصَلَتْ بِأعْقَـارِهِ دَفْــعَ الإزاءِ نَزُوعِ

* * *

٥٥ ــ وقال امرؤ القيس:

كأنّي بِفَتْخَاءِ الْجَنَاحَيْن لَقْوَةٍ صَيُودٍ مِنَ الْعِقْبَان طَأْطَأْتُ شمْلَالِ
تَخطَّفُ خِزَّانَ الشَّرَبَّةِ بالضُّحَىٰ وَقَدْ حُجرَتْ منْهَا ثَعَالبُ أوْرَالِ

كأنَّ قلـوبَ الطَّيْـر ــ رطْبَـاً وَيَابِسَـاً
لَدَىٰ وَكْرِهَـا الْعُنَّـابُ وَالْـحَشَفُ الْبَالِـى[1]

اختلف الرواة في تحديد الشَّربة، والصحيح أن حَدَّها الشّرقي «عريق الدّسم» المحاذي لِشُعْبَىٰ الجبل المشهور في الحمى، وحدّها الشمالي ماوان والنّقرة، وحدهّا الجنوبي وادي الجريب الذي يقال له اليوم «وادي الجرير» وحدها الغربي جبال الشّعبة التي فيها عَذْنَة ولكن عدنة في عهدنا هذا قد أبدلت عينها باء فهي تسمى اليوم «بدنة» والمياه الواقعة في الشَّرِبَة: الرَّضْم وهو في شرقيها، والجثوم والمضيح وشعب العسيبيات والعسبييات: جبالٌ حمر في جنوبي الشَّرِبَة، وأبو طريفي والغثمة في جنوبيها أيضاً، ومنهم من قال: أن حدودها الغربية تمتد إلى جبال أبلى، وسيأتي الكلام عليها، وجبال هضب الشرار المسمى بهذا الأسم اليوم وهو فيما سبق هضب شَرَوْرَىٰ[2]. الشربة

وأما المياه الواقعة في شمال الشَّرِبَة فهي: طلال وحسى عليا، والنفازى، وبلغة، والماوية. وأما النقرة فهي منقطعة من بلاد غطفان داخلة في بلاد بني

(١) قلت: وهذا البيت من الشواهد البلاغية المشهورة التي يستشهد بها على التشبيه التمثيلي.

(٢) وهضب القتاد: هو الذي كان يسمى فيما سبق «هضب القليب» وعامة أهل نجد يسمونه اليوم «هضب القتاد».

أسد، والمشهور عند جميع الرواة أن الشَّرِبَة واقعة في بلاد غطفان.

وقد سمى الرَّضْم بهذا الاسم لكثرة هضابه، وربما قيل له: رضام، قال السيد الحميري:

وَأَصْبَحَ راسيا برضامَ دَهْراً وسَالَ به الحمائلُ في الرِّمَالِ

الرِّمال: هو «عريق الدسم» الواقع في شرقي الرضم، وقال تميم بن [أبي بن] مقبل:

أَرِقْتُ لِبَرْق آخر دُوْنَهُ رِضَام، وهضب دون رمَّان أفيح

وقال عمرو بن الأهتم التميمي وقد أوردنا هذا البيت فيما مضى على ذكر أوعال:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيْبٍ وَأَطْلَالِ بذى الرَّضْمِ فالرّمانتين فَأَوْعَالِ

وقال الرّاعي في ذكر الجثوم والمضيح:

تروحن من هضب الجثوم، وَأَصْبَحَتْ هضابُ شَرُوْرَىٰ دُوْنَه فالمضيحُ

وهضب شَرَوْرَىٰ هو الذي مرَّ ذكره، وهو اليوم يسمى «هضب الشرار» وقال القتَّال الكلابي في المضيح(١):

عفا لَفْلَف من أَهْلِه فِالمَضيَّحُ فليس به إلَّا الثَّعَالِبُ تَضْبَحُ

وقال الطرماح:

وليس بأدمان الثنية مَوْقِدٌ ولا نابحٌ من آل ظَبْيَة يَنْبَحُ
لَئِنْ مرَّ في كرمان ليلي، فربّما حلا بين تَلَّىْ بابل فَالْمُضَيَّحُ

---

(١) انظر هذه الشواهد في المعجم ٨ /٨٢.

وقال كثير:

فأصبحن باللّعْبَاءِ يرمين بالحصىٰ مدى كل وحشّيٍّ لَهُنّ ومُسْتَمِ
موازنة هضب المضّيح، واتقت جبالَ الحمىٰ وَالْأَحْشَبَين بأخرُمِ

لقد أصاب كثير، لأن اللعباء مشهورة بهذا الاسم إلى اليوم، وهي مقابلة للمضيح في الجهة الشمالية وجبال الحمى في الجهة الشرقية، أما العسيبيات فقد قال الأصمعي: إن في عالية نجد جبلاً يقال له عسيباء، وأما الشعب الذي أضفناه للعسيبيات فلم أر له ذكراً في الشعر القديم، وأما أبو طريفى فهو ماء حديث يعلم خروجه المسِنُّون من أهل نجد، وأما الغثمة: فلم أر من ذكرها في الشعر القديم بهذا الاسم وأما طلال فهو ماء معروف بهذا الاسم في الجاهلية، قال أبو صخر الهذلي[1]

يُفيِـدُون القِيـانَ مُقينَـاتٍ كَأَطْلاءِ النّعَاجِ بِذِى طلالِ
وصُلْبَ الأرحبيـةَّ وِالمَهَـارِي محسنـة تَزَيَّـنُ بالرِّجـالِ

وعنده جبل يقال له جبل طلال، قال الفرزدق:

في جَحْفَلٍ لَجِبٍ كأنّ زُهَاءَهُ جبل الطلال يضعضع الأَمْيَالا[2]

وأما «حسى عليا» فبالقرب منه ماء يقال له: المرير، والمريرة وفي بعض الأشعار يضاف الحسى إليها، قال الشاعر:

أَيَا نَخْلَتّىْ حِسى المريرةِ هَلْ لَنَا سبيلٌ إلىٰ ظليكما أو جَناكُمَا
أيَا نَخْلَتَىْ حسى المريرةِ، لَيْتَنِى أكونُ طوالَ الدَّهْرِ حَيْثُ أَرَاكُمَا

سمى المرير والمريرة لأن ماءه ملح، قال أعرابي، وهو يصبُّ لأبله

---

(١) انظر المعجم ٦ /٥٣.
(٢) رواه ياقوت «جبل الطلاة».

وتكظم عليه ولا تُسيغه:

هذا المريـر فَاشْرَبِيْـهِ أو ذرى إنّ المريرَ قِطْعَةٌ من أحْضرِ

وأما «النفازى» فلم نجد له ذكرا في شعر الجاهلية، وهو بهذا الاسم، وأما بلغة اليومَ فلم نجد لها ذكرا أيضا وهي بهذا الاسم اليوم.

قلت: وقد وَقَفْتُ على ذكر النِّفَازي بكسر النون وفتح الفاء بعدها ألف فزاي مكسورة فياء النسبة في إمارة المدينة (بمنطقة الربدة) سكانه من بني عمرو بن حرب. هكذا ذكره حمد الجاسر[1].

وما وان قد تقدم الكلام عليه في بائية امرىء القيس[2].

وقد حدد الشَّرَّبَة جميع الرواة الخبيرين بنجد وبقاعها كالأصمعي، وآخر تحديد لها تحديد الكاتب الأديب رشدى ملحس، ونحن استقصينا في تحديدها فيما قدمناه قريباً، وهذه التحديدات التي ذكرها الناس وان اختلفت عبارتها فهى متقاربة المعنى، وقال بعض الشعراء[3]:

وإلىٰ الأميرِ مِنَ الشَّرِبَة واللِّوىٰ عَيَّيْتُ كلَّ نَجِيْبَـةٍ شِمْـلَالِ

واللوى الذي قَرَنه بالشَّرِبَة في هذا البيت هو الكثيب الذي ذكرنا أنه حَدُّها الشّرقي الذي يقال له اليوم «عريق الدسم» والعرب تسميه الدّسم في الجاهلية، قال أعرابي يرثى أخاه وقد قبره في هذا العُرَيْق[4]:

وَقَفْنَا على قَبْرٍ بِدَسْمٍ فَهَاجَنَا وذكَّرنَا بالْعَيْشِ إذ هو مُصْحَبُ
فَجَالَتْ بأرجاء الجفون سَوَافِحٌ من الدَّمْع تَستلى الَّتي تتعقَّبُ

---

(١) المعجم المختصر القسم الثالث ص ١٤٧٦.
(٢) ص ٨٥ من هذا الكتاب
(٣) المعجم ٥/٢٤٩.
(٤) المعجم ٤/٦٠.

إذا أبطأتْ عن سَاحَةِ الخدِّ سَاقَهَا دَمٌ بعد دمع إثْرَهُ يَتَصَبَّبُ
فَإن تُسْعِدا نندبْ عبيدا بَعْولَة وَقَلَّ لهُ مِنَّا الْبُكَىٰ والتحوُّبُ

وقال في ذكر الشَّرِّبَّة ضبابُ بن وقدان الظُّهْرِي :

لَعَمْرِى لَقَد طَالَمَا غَالَنِي تَدَاعِى الشَّرِبَّة ذاتِ الشَّجَرْ

واستعمل هشام بن عبد الملك الأسود بن بلال المحاربى على بحر الشام فقدم عليه أعرابي من بني عمه، ففرض له وأغزاه البحر، فلما رأى البدويُّ تلك الأهوالَ قال[١]:

أقولُ وَقَدْ لاحَ السَّفِينُ مُلَجْلِجاً وَقَد بَعُدَتْ بَعْدَ التَّقرُبِ صُورُ
وقد عَصَفَتْ ريحٌ، وللمَوْجِ قاصف، وللبحرِ من تحت السّفين هَدِيْرُ
ألَا ليتَ أجْرِى والعطاء صَفَا لهم وحظى حظُوظ في الزمام وكورُ
فلله رأىٌ قَادَنِــي لسفينــةٍ وأخضر مَوَّار الشَّرَار يَمُــورُ
ترى متنه سهلَا اذا الريح أقلعت وان عصفت فالسَّهْلُ مِنه وعُورُ
فيابْنَ بلالِ للضَّلَال دَعَوْتَنِــي وَمَا كَانَ مِثْلِي في الضّلالِ يَسِيْرُ
لَئِنْ وَقَعَتْ رجلاى في الأرضِ مَرّةً وَحَانَ لأصحَابِ السّفيْنِ بُكُورُ
وسُلِّمْتُ من موج كأن مُتُونه حِرَاء بَدَتْ أركانُــه وثَبِيْــرُ
ليعترَضَّن اسْمى لدى العرض خلقه وذلكَ إن كان الإيابُ يَسِيْرُ
وقد كان لي حولَ الشربَّة مَقعَد لذيذ وعيشٌ بالحديث غَرِيْرُ
ألَا لَيْتَ شِعرى هَلْ أقولن لفتيَةٍ وقَدْ حَانَ مِنْ شَمسِ النهَارِ ذُرُوْرُ
دَعُوا العِيْسَ تُدْنِى للشَّرِبَّة قافلاً له بَيْنَ أمواجِ البِحَارِ وكُورَ

وذكروا أن الشَّرِبَّة هي أشد نَجْدٍ قرّا.

وأما أورال: فلا أعرفه بهذا الاسم اليوم، وذكر أصحاب المعاجم[٢] أن أورال ثلاثة أجبل سود في جوف الرمل، الواحد ورل، فيقال: الورل الأيمن،

(١) المعجم ٥ /٢٤٩.
(٢) المعجم ١ /٣٧٠.

والورل الأيسر، والورل الأوسط وحذاؤهن مَاءَةٌ لبني عبد الله بن دارم يقال لها: الورلة، قال عبيد بن الأبرص:

وكأن أقْتَادي تضمن نَسْعَهَا من وحش أورالٍ هبيط مُفْرَدُ
بَاتَتْ عليه ليلة رَجَبِيَّة نَصْبَاً تَسِحُّ الماءَ أوْ هي أبْرَدُ

وهذا الجبل في بلاد بني تميم[1] وظني أنه هو الذي عناه امرؤ القيس وأما أرال في قول كثيِّر:

ألَا لَيْتَ شِعْرِي هل تَغَيَّر بَعْدَنَا أرَالٌ فِصِرْمَا قَادِم فَتُنَاضِبُ؟!.

فهو جبل بالحجاز، وأنا أعرف تناضب بهذا الاسم اليوم، وقد وردتها، وهي واقعة من بلد الحناكية في جنوبيها الغربي، في واد كثير الشجر، وتناضبه عظيمة، وظنى أنه لم يسم التناضب إلا لكثرة شجره، وهو واد مشهور بهذا الاسم، وظنى أن سيله يصب في أودية المدينة.

قلت : وقد تحدث صاحب معجم اليمامة عبد الله بن خميس في الجزء الأول عن أورال، فقال: أوْرَال : بالفتح، واسكان الواو، وفتح الراء، ولام ... قال ياقوت أجْبُلٌ ثلاثة سود، في جوف الرمل، الواحد ورل، فيقال، الورل الأيمن والورل الأيسر، والورل الأوسط، وحداهن ماءة لبني عبد الله من درام يقال لها: الورلة، قال عبيد بن الأبرص :

وكأنَّ أقْتادي تضمن نسعها
من وَحْش أوْرَال هبيط مُفْرَدُ

باتَتْ عليه ليلة رجبيّة
نصبا تسح الماء أوْ هي أبْرَدُ

وكان يسكنها بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل .... أهـ.

(١) قال ياقوت «وكان يسكنها بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل» المعجم ١ /٣٧١.

وقال في (بلاد العرب): والأعراض، أعراض اليمامة، وهي أودية وجبال فيها نخيل... قال :

يا صاحبي قفا على الأطلال بالخل فالظفرات من أوْرَال
فَبِحَوْضيين إلى براق نواضح قد طال ما بقيت على الأَحْوَالِ

أوْرال: برقةٌ سوادءُ في الرمل من بلاد عبد الله بن بكر ...أ.هـ.

وذكر البكري أورال في بلاد الحجاز ... وقال الهمداني: الأنعيم، وهو الأنعم، وأورال، والدخول، وحوملٍ وتوضح، والمقراة، وماسل ودارة، جلجل... أ.هـ وأنا لا أعرف جبلاً بهذا الاسم زماننا هذا ...

قلت: ثم ذكر أورل، فقال:
أورل: بالفتح، ثم الاسكان، فالفتح، ولام أخيرة ... قال ياقوت: أورل بوزن أحمر، ذو أورل: حصن من حصون اليمامة عادي ... ا.هـ.

قلت: لا نعرف أين يقع هذا الحصن من أرض اليمامة ولا من بناه[1].

* * *

٥٦ ــ وقال امرؤ القيس :

حَيِّ الْحُمولَ بِجَانِب الْعَزْلِ إِذْ لا يُلَائِمُ شَكْلُها شَكْلِي
مَاذَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ ظُعُنٍ إِلَّا صِبَاكَ وَقِلَّـةُ الْعَقْـلِ

قال في معجم البلدان[2]: العزل ماء بين البصرة واليمامة، وهناك موضع يقال له اليوم «المَعِيْزِيْلَة» وهي أكثبة رَمْلٍ قليلة بين اليمامة والدهناء معروفة بهذا الاسم عند أهل نجد. العزل

* * *

(١) المعجم ١/١٢٢.
(٢) المعجم ٦ /١٧٠.

٥٧ ــ وقال امرؤ القيس:

لمّا سَمَا مِنْ بَيْن أقْرُن فالـ أجبال قُلْتُ: فِدَاؤُهُ أهْلِي
هَمٌّ سيبلغه التَّمَامُ فَذَا ظَنِّى بِهِ سِيَنَالُ أوْ يُبْلِي

أقرن أما أقرن فقد قال في معجم البلدان[1]: هو موضع واستدل ببيت امرىء القيس هذا، وهناك موضع يقال له «قرن» جبل أسود في أعلى بلاد غطفان، باق بهذا الاسم، وذكروا أن الأجبال التي عناها امرؤ القيس هي أجبال صبح، وهي كذلك في بلاد غطفان، فسميت بأجبال صبح، وصبح هذا: رجل من عاد كان يسكنها فسميت به، لأنه كان يطيل الإقامة فيها، قال الشاعر:

ألَا هَلْ إلىٰ أجبال صبح بذى الْغَضَىٰ غضى الأثْل من قبل الْمَمَاتِ مَعَادُ؟
بلادٌ بِهَا كُنَّا، وَكُنَّا نُحِبُّهَا إِذِ الأَهْلُ أهَلٌ، والبلادُ بِلَادُ

وأنا لا أعرفها اليوم بهذا الاسم.

* * *

٥٨ ــ وقال امرؤ القيس:
يَا دَارَ مَاوِيَّةَ بِالْحَائِلِ فَالسَّهْبِ فَالْخُبتَيْن مِنْ عَاقِلِ

حائل أما حائل هذه فلا أظن أنه عنى بها حائلاً الواقعة في جبلى طيء. وأما
السهب السهب فهو موضع معروف تصب فيه أودية اليمامة ويقال لها اليوم «السهباء» قال طُفَيل الغَنَوى وقد ذكر السهب[2]:

وَبِالسَّهْبِ مَيْمُون الخلِيْقَةِ، قَوْلُهُ لِمُلْتَمِس الْمَعْرُوفِ أهْلٌ وَمَرْحَبُ

وقال جرير وأتى به مقصورا:

---
(١) المعجم ١ /٣١١.
(٢) المعجم ٥ /١٨٤.

كلفتُ صَحْبِيَ أهْوَالاً علىٰ ثِقَةٍ ... للهِ دَرُّهُمُ ركباً وما كَلِفُوا
سَارَوا إلَيْكَ من السَّهْبَا ودُوْنَهُمُ ... فَيْحَانُ فَالْحَزْنُ فالصمَّانُ فَالْوَكَف
يُزْجُونَ نَحْوَكَ أطْلَاحاً مُخَذَّمة ... قَدْ مَسّها النَّكْبُ وَالْأنْقَابُ وَالْعَجَفُ

والسَّهْبٰا في أسفل بلد الخرج تصبُّ فيها سيولُ أوديةِ اليمامة، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

خبتا عاقل

وأما الخبتان من عاقل فإن أصل الخبت ما انخفض من الأرض، وقد أضاف امرؤ القيس الخبتين إلى عاقل، فمراده بالخبتين المنخفض من جانبي عاقل، وعاقل باق بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهو واد عظيم يصب في وادي الرمة يسمى اليوم بالعاقلي، وقد مضى الكلام عليه(١).

قلت: وقد ذكر السَّهْبٰا كثير من المؤلفين، فقد ذكرها حمد الجاسر في المعجم الجغرافي المختصر (القسم الثاني ص ٧٥٢)، وقال: السَّهْبٰا: بفتح السين المهملة وإسكان الهاء وفتح الموحدة بعدها ألف، والعامة تسكن السين وتفتح الهاء (السهبا): من قرى الخرج، في روضة السهبا في إمارة الرياض.

كما جاء ذكرها في معجم اليمامة صنعة عبد الله بن خميس الجزء الثاني / ٣٩ قال:

السَّهْبٰا: بفتح السين المشدَّدة، واسكان الهاء فباء مفتوحة، فألف تقصر وتمد لغتان فيها: منطقة واسعة من (الخرج)، وروضة من أكبر رياض (اليمامة)، هي منخرق وادي (حنيفة)، ومدفع سيوله يكبر سيله أحياناً ويعظم، ثم ينتهي بهذا المنخرق فيتبدد ويضيع ... غرست امرأة فسيلة لها على ضفة وادي (حنيفة) في مجزر منه يلي مزرعتها، يغطيه السيل أحياناً

---

(١) انظر ص ١١٢ و ١١٤ من هذا الكتاب

ويجزر عنه أحيانا أخرى .. ولما شطت الفسيلة وتربعت في مكانها وآتت أكلها جاءها وادي (حنيفة) في غضبة من غضباته وجعل يلوى بعسبها، ويحفر تحت جذرها، وصاحبتها تشاهد هذا المنظر.. وأخيراً عصف بها وحملها تطفو حيناً وترسب حيناً حتى اختفت عن نظر صاحبتها، فما وجدت من حيلة تبرد من حرارتها على نخلتها سوى أن قالت موعدك (السهباء) ياوادي حنيفة تحد من طغيانك وتكسر من جبروتك .. وهكذا (السَّهْبٰاء) في سعتها.. هكذا تفعل.

امتدت إلى (السهباء) مزارع (الخرج، وأصبح بجانبها بلد ومحطة للسكة الحديدية ومعسكرات ونشاط عمراني وزراعي.

و(السَّهْبٰاء) على مقربة من (الخِضْرِمةَ) قصبة (اليمامة) وقاعدتها الحضارية الأولى أيام بني حنيفة، وأيام بني الأخيضر؟

قال الهمداني: ثم تسير في (السهباء)، ثم تقطع جبيلا قريباً، يقال له (أنقد)، ثم (الرَّوْضَة)، ثم ترد (الخِضْرِمةَ)(جَو الخَضَارِم) مدينة وقرى وسوق، فيها بنو الأخيصر بن يوسف وهي دار بني عدى بن حنيفة، ودار بني عامر بن حنيفة، ودار عجل بن لجيم، وديار هوذة بن علي السحيمي الحنفي، وهي أول (اليمامة) من قصد البحرين. أ هـ.

وقال ياقوت: (السَّهْبٰى) بلد من أعلى بلاد (تميم). أ هـ.

قلت(١): المعروف أن (السهباء) ليست من بلاد (تميم)، بل هي لـ (حنيفة) .. وفي (السهباء) يقول جرير:

كَلَّفْتُ صحبي أهْوَالاً على ثِقَةٍ ... لله درهم رَكْباً وَمَا كَلِفُوا
سَارَوا إليك من السّهبىٰ وَدُوْنَهُمُ ... فيْحَانُ فَالْحَزْمُ فالصمّانُ فالوكف
يُزْجُونَ نَحْوَكَ أطْلَاحاً مُخَدَّمة ... قَدْمَسهّا النّكْبُ وَالْأنْقَابُ وَالْعَجَفَ

(١) : الكلام لابن خميس.

آلو عَلَيْهَا يَمِيْناً لا تكلّمُنَا مِنْ غَيْر سَوْءٍ وَلَا مِنْ رِيْبَةٍ حَلَفُوا
يَا حَبّذَا الْخَرْجُ بِيْنَ الدّامَ وَالأدَمْىٰ فالرَّمْثُ من بَرْقَة الرَّوْحَانِ فَالغَرْفُ

قلت: وقد مرّ ذكر بعض هذه الأبيات.

* * *

٥٩ ـــ وقال امرؤ القيس :

نَطْعَنُهُمْ سُلْكَىٰ وَمَخْلُوجَةً كَرَّك لَأمَيْنِ عَلَى نَابِلِ
إذْ هُنَّ أقْسَاطٌ كَرَجْلِ الدَّبىٰ أوْكَقَطَا كَاظِمَة النَّاهِلِ

كاظمة: منْهَل ماء في الساحل الشرقي مما يلى البصرة، ماؤها على ظهر الأرض، تَرِدها أسراب القطا، وقد أكثر الشعراء من ذكرها، قال الشاعر(١):

يَا حَبَّذَا الْبَرْقُ من أكْنَاف كَاظِمَةٍ يَسْعَى على قَصَرَاتِ المَرْخ والعُشْرِ
لله دَرُّ بيوتٍ كان يَعْشَقُها قَلْبى وَيَأْلَفُهَا إن طيبّت بَصَرِى
فقدتُها فَقْدَ ظمآنٍ إداوَتَهُ وَالْقَيْظُ يَحْذِفُ وَجْهَ الأرض بِالشَّرَرِ
أُمْنِيَّةُ النَّفسِ أنْ تزداد ثَانِيَةً وَحَالُنَا وَالْأمَانِى حُلْوَةُ الثَّمرِ

* * *

٦٠ ـــ وقال امرؤ القيس:

فَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيْحَ في حَجَرَاتِهِ وَلٰكِن حَدِيْثاً ما حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

إلى أن قال:

أَبتْ أجَأ أنْ تُسْلِمَ الْيَوْمَ جَارَهَا فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْهَضْ لَهَا مِنْ مقَاتِلِ
تَبِيْتُ لَبُونِى بِالْقُرَيَّةِ أمْنَاً وَأبْعَثُها غبّاً بأكْنَافِ حَائِلِ

(١) المعجم ٧ /٢٠٨.

أجأ أما أجَأ: فهو الأول من جبال طيء الواقع في الجهة الشمالية من حائل ولا يزال معروفاً بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهو جبل أسود به حُمْرة، به قلات[1] تلزم الماء، وبه نخيل عظيمة.

القرية والقرية مشهورة اليوم باسم عقدة، والقرية المشهورة بهذا الاسم في جهة حائل الجنوبية، فإذا قلتَ القريتان فالقريتان قريب النباج شرقى القصيم، قال معن بن أوس[2]:

لَهَا مَوْرِدٌ بِالْقَرْيَتَيْنِ وَمَصْدَرٌ لفوت فلاة لا تَزَالُ تنازِلُهُ

وقال جرير:

تَغْشَى النباجَ بَنُو قَيْسٍ بنِ حَنْظَلَة والقريتين بِسُرَّاقٍ وَنِزَالِ

٦١ — وقال امرؤ القيس :

نَزَلْتُ عَلَىٰ عَمْرو بْنِ دَرْمَاءَ بُلْطَةً فَيَا كَرْمَ مَا جَارٍ وَيَا حَسْنَ مَا فَعَلْ
تَظَلُّ لَبُونِى بَيْنَ جَوٍّ وَمِسْطَحٍ تُراعى الْفِراخ الدَّارِجَاتِ مِنِ الْحَجَلْ

بلطة أما بلطة فهو موضع معروف بهذا الاسم إلى اليوم، وهو واقع في جبل

---

(١) القلات : جمع قلت — بالفتح — وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء.

(٢) الذي في بيت معن بن أوس وبيت جرير «القريتين» — بفتح القاف وسكون الراء — على لفظ تثنية قرية، لكن الذي في بيت امرىء القيس بضم القاف وفتح الراء وتشديد الياء مفتوحة، وكأنه مصغر قرية، وقد نص أبو عبيد البكري على أن القريتين من منازل تميم، وأنشد فيه قول مالك بن نويرة :

فمجتمع الأسدام من حول شارع
فروى جبال القريتين فضلفعا

وقال : إن شارعا من منازل تميم. وأقول : إن ضلفعا هذه في أعلى القصيم ويقال لها اليوم «الضلفعة».

طيئ في الزمن القديم وقد قال امرؤ القيس في رائيته:

ألا إنَّ في الشِّعْبَيْنِ شَعْبٌ بِمِسْطَحٍ ... وَشِعْبٌ لَنَا في بَطْنِ بُلْطَةَ زَيْمَرَا

وقال سلام بن درماء الطائي[1]:

إِذَا مَا غَضِبْتُ أَوْ تَقَلَّدْ مُنْصُلِي ... فَلَأْيَاً لَكُمْ في بَطْنِ بُلْطَةَ مَشْرَبُ
فَإِنَّكُـمُ وَالْحَـقُّ لَوْ تَدَّعُوْنَـهُ ... كما انتحلت عِرْضَ السّمَاوة أَهْيَبُ
كَسِنْبِسِنا المُدْلِيْنَ في جَوٍّ بُلْطَة ... أَلَا بِئْسَ مَا أَدْلَوْا به وَتَقَرَّبُوا

وقدمت أعرابية من أهل جبلي طيء إلى مصر، فمرضت، فأتاها النساء يعرضن لها ويعللنها بالكعك والرمان وأنواع الفواكه، فقالت:

لَأَهْلُ بُلْطَةَ إذ حَلُّوا أَجَارِعَهَا ... أَشْهىٰ لنفسَى مِنْ أَبْوَابِ سودانِ
جاءُوا بِكَعْكٍ وَرُمَّان ليشفينى ... ياوَيْحَ نَفْسِي من كَعْكٍ وَرمَّانِ

جو بلطة

وأما جو: فهو مضاف إلى بلطة، يقال له «جوبلطة» .

مسطح

ومسطح موضع مشهور على ألسنة الرواة في جبلى طيء بهذا الاسم، وأنا لا أعرفه اليوم بهذا الاسم، ولعل سكان تلك الناحية يعرفونه اليوم بهذا الاسم.

قلت: قد وقفنا بعد السؤال والبحث على تحقيق هذه الأسماء فوجدناها باقية على أسمائها إلى هذا العهد وهي جو، ومسطح، وبلطة، وزيمر، أما بُلطة: فهي عين ماء عليها نخيل وَمَزَارع وموقعها في أجأ، تقع من حائل في الجهة الغربية الجنوبية، وزيمر: واد به ماء يقع شماليه، وأما مسطح فقد تغير اسمه وصار اسمه اليوم «مسيطح» يقع في شمالى حائل، وجو: قريب بُلْطة وهي جميعها في جبل أجأ.

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٢ /٢٧١.

٦٢ ــ قال امرؤ القيس :

قَدْ أَقْطَعُ ٱلْأَرْضَ وَهْيَ قَفْرٌ وَصَاحِبِـــي بَازِلٌ شِمْـــلَالُ
نَاعِمَـــة نَائِـــم أَبْجَلُهَـــا كَأَنَّ حَارِكَهَـــا أَثَـــالُ

وصف امرؤ القيس حاركها[1] بأثال الذي هو القصر، وقد تقدم الكلام عليه في معلقته على ذكر الجِوَاء[2].

* * *

٦٣ ــ وقال امرؤ القيس، وأنا أشك[3] في أنها من شعره، وإن اثر الصنعة لبادٍ عليها :

لِمَنْ طَلَلٌ بَيْنَ الْجُدَيَّة وَالْجَبَلْ مَحلٌّ قَدِيْمُ الْعَهْدِ طَالَتْ به الطِّيَلْ
عَفَا غيرَ مرتادٍ وَمَرَّ كَسَرْحَبٍ وَمُنْخفِضٍ طَامٍ تَنكَّرْ وأُضْمَحلْ
وَزَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْهُ فَأَصْبَحَتْ عَلَى غَيْرِ سُكَّانٍ وَمَنْ سكنْ ارْتَحَلْ

جدية أمَّا جُدَيَّةُ: فهو موضع معروف في الزمن القديم بهذا الاسم في بلاد طيء، قال شاعرهم:

وَهَلْ أَشْرَبَنَّ الدَّهْرَ من ماء مُزْنَةٍ علىٰ عَطَشٍ مما أقر الوقائع
بقيع التناهي أو بهضب جُدَيَّةَ سَرَىٰ الغَيْثُ عَنْهُ وهو في الأرض نَاقِعُ

وأنا لا أعرفها بهذا الاسم اليوم، وأما الجبل: فهو جَبَل أجأ، وهو مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا عند عامة أهل نجد.

* * *

---

(١) الحارك : أعلى الكاهل، وأراد ناقة تامة الخلق قوية على السير.
(٢) انظر ص ٥٩ و ٦٣ من هذا الجزء.
(٣) الكلام لابن بليهد رحمه الله.

٦٤ ـــ وقال امرؤ القيس :

أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غَوْلٌ خَتُولُ الْعَهْدِ يَلْتَهِمُ الرِّجَالَا
أَزَالَ مِنَ الْمَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ وَقَدْ مَلَكَ السُّهُولَةَ وَالْجِبَالَا

المصانع في الأصل: الأبنية، وقد ذكر المفسرون في بيان قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[1] أن المصانع: الأبنية، وقال لبيد: المصانع

بَلِينَا وما تَبْلَى النجومُ الطَّوَالِعُ وَتَبْقَى الدِّيَارُ بَعْدَنا وَالْمَصَانِعُ

والمصانع: التي عناها امرؤ القيس في قصيدته اسم لمِخْلَاف باليمن كان يسكنه ذو رياش، وهو باق على اسمه إلى يومنا هذا، ويطلق هذا الاسم على عدة مواضع: منها موضع من أعمال صنعاء يقال له «المصانع» وفي الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية قرية يقال لها المصانع، ذكرها صاحب المعجم، وذكر أنها لم تدخل في صلح خالد ابن الوليد، ولا تزال باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٦٥ ـــ وقال امرؤ القيس :

كَأَنِّي لَمْ أَسْمُرْ بِدَمُّونَ مَرَّةً وَلَمْ أَشْهَدِ الْغَارَاتِ يَوْماً بِعَنْدَلِ
وَإِذْ نَحْنُ نَدْعُو مَرْثَدَ الْخَيْرِ ربنا وَإِذْ نَحْنُ لا نُدْعَىٰ عَبِيداً لِقَرْمَلِ

فأما دَمُّون: فهي قرية من قرى اليمن القديمة، وقد قال امرؤ القيس غير هذا البيت: دمون

تطاولَ الليلُ عَلَيْنَا دَمُّونْ دَمُّونُ إِنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونْ

* وإِنَّنَا لِأَهْلِنَا مُحِبُّونْ *

---

(١) الشعراء الآية ١٢٩.

عندل وأما عندل فهي واقعة في بلاد اليمن، واستدل عليها أهل المعاجم ببيت امريء القيس وهي مشهورة في أشعار كثيرة، وأنا لا أعلم أهي باقية على إسمها أم تغيرت.

* * *

٦٦ ـــ وقال امرؤ القيس:

خَرَجْنَا من النَّقْبَيْنِ لا حَيَّ مِثْلُنَا   بِآياتِنا نُزجِي اللِّقَاحَ الْمَطَافِلَا

النقبان النقبان: باقيان على اسمهما إلى هذا العهد، وهما في جبل في شمالي أجأ، إذا كنت في مدينة حائل فالنقبان بينك وبين القطب الشمالي وقد أطلق عليهما هذا الاسم لأنها نقبان في وسط جبل من جبال أجأ وإذا طلعْتَ نقبا خرجت منه على نخيل ومزارع وسكان، ثم تطلع النقب الثاني فإذا استويت في أعلى الجبل طلعت على نخيل ومزارع وسكان، وهذا الجبل ينتابه أهل مدينة حائل لتغيير الهواء فيه، وهذه الأسماء باقية من العهد الجاهلى إلى هذا العهد.

وهذا البيت قد أورده ابن كثير رحمه الله في أول تفسيره قبل الفاتحة منسوباً إليه.

* * *

٦٧ ـــ وقال امرؤ القيس:

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِسُحَامِ   فَعَمَايَتَيْنِ فَهَضْبِ ذي اقْدَامِ
فَصَفَا الأطِيطِ فَصَاحَتَيْنِ فَغَاضِرٍ   تَمْشِي النِّعاجُ بِهَا مَعَ الآرَامِ
عوجَا عَلَى الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنَا   نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حذَامِ(١)

(١) قلت: والبيت في رواية أخرى: (.. كما بكى ابن خذام).

سحام أما سحام: فهي موجودة بقريب من هذا الاسم إلى يومنا هذا، وهي واقعة بين دَمْخ وثهلان، ويقال لها اليوم «السحاميات» إذا جمعتها، وإذا أفردت إحداهن قلت لها «السُّحَامية» وهي على شكلين: أما الواقعة في جهة الجنوب مما يلى دمخ فيقال لها «السحامية السوداء» وأما الشمالية فيقال لها «السحامية البيضاء» لأنها كثيرة الأبارق تقرب من طرف ثهلان، بينهما أقل من مسافة نصف يوم، وهي واقعة في بلاد بنى كلاب بن عامر، وفيها يقول عامر بن الكاهن الكلابي[1]

وَمَنْ يَرَنِى يوم السُّحَامة فَوْقَنَا عَجَاجةُ إذْوَادٍ لَهُنَّ حَوَائِرُ
إذا خَرَجَتْ من محضر سد فرجها خفافٌ مُنِيفات وجذع بهازر
دَعُوا الْحَرْبَ لا تَشْجَوا بها آلَ حنتر شَجَا الحلْق إنَّ الْحَرْبَ فيها نَهَابِرُ
ولا تُوعِدُونا بالغِوَار فإننا بني عمنا فيها حُمَاةٌ مَغَاور
على كل جرداءِ السَّرَاة كأنّها عُقَاب إذا ما حَثَّها الحربُ كاسرُ
مُحَالفة للهَضْب صَقْعاء لَفَّهَا بِطَخْفَة يوّم ذو أهاضيبَ ماطِرُ

عمايتان أما عَمَايتان فقد تقدم الكلام عليها في بائية امريء القيس[2].

وهضب ذي اقدام هو الهضب المشهور الواقع في القطعة الجنوبية من نجد، وقد تقدم الكلام عليه في أول أشعار امريء القيس، وقد ذكرنا مياهه ووصفنا موقعه، وكان اسمه في الجاهلية «هضب ذي اقدام» وأما اليوم فيقال له «هضب آل زايد».

صفا الأطيط وأما «صفا الأطيط» فلا أعرفه بهذا الاسم، إلا أن صاحب معجم البلدان قال[3]: إنه موضع، واستدل له ببيت امريء القيس.

---

(١) انظر معجم البلدان ٥ /٣٤.
(٢) انظر ص ٨٥ من هذا الكتاب
(٣) معجم البلدان ٥ /٣٣٠، ٣٦٦.

صاحتان أما صاحتان فهما هضبتان حمراوان يقال لإحداهما «صاحة» وللثانية «صوحة»وهما بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهي التي عناها امرؤ القيس، ويحف بصاحة وادي الركى من ضفته اليمانية فإذا انقطع جبل السوادة فهي في طرفه الجنوبي مما يلي مطلع الشمس، تقع من ماء الأرمض المعروف في بطن الركى في جهته الجنوبية الشرقية بينها أقل من مسافة ثلث يوم، وهي من طرف السوادة كذلك، وأما «صوحة» فهي مُتاخمة لها من جنوب، قال بشر بن أبي خازم:

لَيالـيَ تَسْتَبِيْك بَذِى غُرُوب كأن رُضَابــه وَهْنَــاً مُدَامُ
وأبلج مُشْرِق الخدَّيْن فَخْـم يُسَنُّ علـى مَرَاغِمِـه الـقَسَامُ
تعرض جابة المِدْرَى خَذُولٍ بصاحـة في أسرتهـا السلام
وصاحبُهَا غَضِيْضُ الطَّرفِ أحْوَىٰ يضوع فؤاده منهــا بُغَــام

غاضر أما غاضر: فلا أعرفه بهذا الاسم، أعرف «غَضْوَرا» وهو باق إلى يومنا هذا، وهو واقع في بلاد بني أسد، وقد مضى الكلام عليه في شعر امريء القيس(١) وأسمع في أشعار العرب غضارا وهو جبل في بلاد هذيل، قال ابن نجدة الهذلي:

تغنـــى نسوة كنقـــى غضار كأنك بالنشيـــد لهـــن رام

وثمة موضع يقال له «الغَضَوَّر» في حجاز المدينة، قال الشماخ:
فأوردهـا ماءَ الـغَضَوَّر آجنـاً له عَرْمَض كالغسل فيه طموم

وأما امرؤ القيس فإنه عطف غاضرا على صاحتين، فلا يكون غاضر الا في القطعة الجنوبية من نجد، ولكني لا أعرفه بهذا الاسم اليوم.

* * *

(١) انظر ص ١٢٦ و ١٢٧من هذا الكتاب

٦٨ ـ وقال امرؤ القيس:

أوَمَا تَرَىٰ أظْعَانُهنَّ بَوَاكِراً كَالنَّخْلِ من شَوْكَانَ حِيْنَ صِرَامِ
جُورٌ تُعَلَّلُ بالْعَبِيْرِ جُلودُهَا بِيْضُ الوُجُوه نَوَاعِمُ الْأجْسَامِ
فَظَلْلتُ فِي دِمَن الدِّيار كأنَّنِي نَشْوَانُ بَاكَرَهُ صَبُوحُ مُدَامِ
أُنفٍ كَلَوْنِ دَمِ الْغَزَالِ مُعَتَّقٍ مِنْ خَمْرٍ عَانَةَ أو كُرُومِ شِبَامِ

شَوكان الذي ذكره امرؤ القيس: قرية يمانية في ناحية ذَمَارِ، وهي التي ينسب إليها الشوكاني صاحب «نيل الأوطار، في شرح منتقى الأخبار» المشهور، وهي غير شوكان الواقعة بين سرخس وأبيورد، والتي ينسب إليها أبو الوفاء عتيق بن محمد بن عبيس الشوكاني. شوكان

وأما عانة فهي بلدة مشهورة واقعة بين الرقة وهيت من أعمال الجزيرة، وهي التي عناها الأعشى حين قال[١]. عانة

كأنَّ جَنِيّاً من الزَّنْجَبِيل خالط فيها وَأرْياً مَشُورا
وَإسْفَنْطَ عانَةَ بَعد الرقا دِ شَكَّ الرِّصَافُ إليها غَدِيْرَا

وأنا لا أعلم أهو باق على اسمه إلى هذا اليوم أم تغير[٢]

وأما شبام: فهو جبل عظيم قريب صنعاء، ذكروا أن مياه صنعاء تصب منه، وقالوا: إن بينه وبين صنعاء ثمانية فراسخ، وهو باق بهذا الاسم إلى اليوم، وكان هذا الجبل كثير القر، قال شاعر يماني: شبام

مازال ذا الزمنُ الخبيثُ يُديرني حتّى بَنَى لِيَ خيمةً بِشِبَامِ

* * *

(١) المعجم ٦ /١٠٢.
(٢) قلت : وعانة اليوم في العراق وباقية على اسمها حتى اليوم.

٦٩ ــ وقال امرؤ القيس:

فَجُزِيتِ خَيْر جَزَاءِ نَاقَةَ وَاحِدٍ ... وَرَجَعْتِ سَالِمَةَ الْقَرَى بِسَلَامِ
فَكَأَنَّمـا بَدْرٌ وَوَصْلُ كُتَيْفَـةٍ ... وَكأنّما من عَاقِـلٍ أرْمَـامُ[(١)]

بدر أما بدر: فهو موضع مشهور كانت به الوقعة المشهورة بين رسول الله ﷺ وبين قريش، وهو باق بهذا الاسم إلى يومنا هذا، قال الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العُزيَّ، وقد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن زمعة، وكان يحب أن يبكي على بنيه، وهو قد كُفَّ بصره، وكانت قريش قد منعت النياحة على قتلى بدر، تصنعا لِلجَلَد، ولئلا يشمت بهم المسلمون، فبينا هو ذات يوم إذ سمع نائحةً، فقال لغلام له: اذهب لعله أحِلَّ لنا النحيب، وقد بكت قريش على قتلاهم، لعلي أبكي على أبي حكيمة، يعني زمعة، فإن جوفي قد احترق، فلما رجع الغلام عليه قال: إنما هي أعرابية تبكي على بعيرٍ لها أضلته فقال حينئذ:

أتَبْكِى أنْ يضلَّ لها بَعِيْـرٌ ... ويمنعهـا من النـوم السُّهُـودُ
فلا تبكى على بَكْرٍ، ولكن ... على بدرٍ تقاصرتِ الجُـدُودُ
على بدر سراة بنى هُصَيْصٍ ... ومخزوم ورَهْـط أبـي الوليـدِ
وَبَكيَّ ان بكيتِ على عقيل ... وبكـى حارثـاً اسدَ الأسودِ
وبكِّيهـم ولا تَنْسَىْ جميعـا ... وما لأبى حكيمة من نديد
إلا قد ساد بعدُهُم رِجَالٌ ... ولـولا يوم بدر لم يسودوا

وفي هذه الأبيات الإقواء، وقال في معجم البلدان[(٢)]: وبدر جبل في بلاد باهلة ابن أعصر، وأنا لا أعلم في تلك الناحية المتصلة ببلاد باهلة

(١) في هذا البيت من عيوب القافية الاقواء، وهو اختلاف حركة الروى.

(٢) المعجم ٢ /٨٩.

جبلا يقال له بدر إلا أني أعرف بئراً شرقي الركى يقال لها «البدرية» عذبة الماء، وظني أنها نسبت إلى هذا الجبل المسمى بدراً، لأنها واقعة في جنوبى بلاد باهلة، تقع من الحَصَاة في الجنوب الشرقي، على مسافة يوم.

كتيفة وكتيفة أنا أعرف اليوم ستة أجبل صغار في بلاد العرب يسمى كل واحد منها كتيفة، الأول: واقع في بلاد بني أسد غربي سميراء يبعد عنها مسافة يوم، والثاني: واقع في بلاد غطفان في أعلاها، منقطع من أَبْلىٰ، وهو جبل صغير أسود يقع من أَبْلىٰ في الجهة الشرقية على مسافة نصف يوم، وسيأتى الكلام على أَبْلىٰ في معلقة الأعشىٰ، والثالث: في أسفل بلاد غطفان قريب مبهلٍ الوادي المعروف الذي يصب في وادي الرمة، وهو معروف بهذا الاسم، ولم يذكر صاحب معجم البلدان غيره، والرابع: واقع في حمى ضَرِية قريباً من الجبال المحيطة ببلد ضَرِية وهو في بلاد غنى ابن أعصر، والخامس: واقع غربي السحامية البيضاء، يبعد عنها أقل من مسافة نصف يوم، وهو الذي ذكره امرؤ القيس في أشعاره إلا الذي ذكر في معلقته فإنه كتيفة مبهل(1)، وآية ذلك أنه ذكر الجبال المحيطة به في بلاد غطفان كَأَبَانَين وقَطَن والمجيمر، والسادس: واقع في بلاد عقيل بن عامر في وَسَط عرق سبيع مقابل لماء القنصلية مما يلي مطلع الشمس، يبعد عنها مسافة يوم، قال جابر الكلابي:

أَيَا نَخْلَتَيْ وادِى كُتَيْفَةَ حبذا ... ظلالُكُما لو كنتُ يوماً أنالُهَا
وماؤكما العَذْبُ الذي لو شربتُهُ ... شفاءً لنفسٍ كان طالَ اعْتِلَالُهَا
مُعَنًّى على طول الهُيَام غَلِيْلُه ... بذكر مياهٍ ما يُنَالُ زُلَالُهَا

وكتيفات التي تقدم ذكرهن باقيات إلى عهدنا هذا بهذا الاسم وأماكنهن متباعدة، والنخلات التي ذكرها الشاعر هي في أسفل وادي الخرمة المعروف لبني عقيل بن عامر، وهذه القبيلة باقية إلى اليوم في تلك

(1) قد مضى ذكره في ص ٥٧ من هذا الكتاب

الناحية في الواديين: وادي الخرمة،ووادي رنية، يقال لهم سبيع، ويقال لجماعات منهم إلى يومنا هذا: بنو عامر، وسبيع: بطن من عقيل بن عامر.

عاقل أما عاقل فسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى في أشعار زهير.

أرمام وأرمام: جبل معروف بهذا الاسم في الجاهلية في بلاد غطفان، وهناك جبيلات صغار يقال لها اليوم «الرميم» واقعة عن وادي الرمة شمالا، ولا أظن أنها هذا الجبل الذي ذكره امرؤ القيس، وكانت به وقعة من أيام العرب يقال لها «يوم أرمام» قال الراعي :

تبصّر خليلي هَلْ ترىٰ من ظَعَائِنٍ تَجَاوَزْنَ مَلْحُوباً فَقِلْنَ مُتَالعا
جواعل أرماماً شمالا وصارة يميناً، فقطَّعْنَ الوِهاد الدوافعا

وهناك موضع آخر يقال له «رمرم» وهو واقع في ضفة الشعبة في أعلى بلاد غطفان قريباً من أبلى، ولا أعلم موضعاً آخر يقارب اسمه هذا الاسم إلا هذين الموضعين اللذين ذكرتهما.

قلت: بل أرمام موضع معروف ذكره القدامىٰ والمعاصرون، فقد جاء في المعجم الجغرافي (شمال المملكة القسم الأول ٧٧) مايلي :

أَرْمَام: قال في «بلاد العرب»[1]: (ويصب في الثلبوت واد آخر يقال له أرمام، وبأسفل أرمام ماءة يقال لها الطريفة لبني جذَيمة وفوق ذلك ماءة يقال لها الفناة، بجنب جبل يقال له فنا.. ــ فنا غمر لعبس ــ ثم فوق ذلك ماءة يقال لها الغرقدة لنفر من بني نمير بن نصر بن أسد، ثم فوق ذلك ماءة يقال لها الخربة .. ثم فوق ذلك ماءة يقال له القليب ... ثم فوق ذلك ماءة وتسمى الحوراء لبني نبهان من طيء).

(١) «بلاد العرب».

وفي كتاب «المناسك»[1]: (من لحى جمل إلى بريد أرمام خمسة أميال ونصف) وقد ذكر أن بين لحى جمل وبين فيد ٣٣ من الأميال الأولى ــ وقال ــ : (وارمام وادى، مجمع أودية في الطريق في موضعين في الأول منها عن يمين الطريق بئر عادية يقال لها الطلوب وقباب خربة، وفي الموضع الآخر على أقل من ميل من البريد بيوت الأعراب قليلة عن يسار الطريق وبئر على نحو من دعوة ماؤها غليظ، يقال لها الخربة).

وفي «معجم ما استعجم»[2]: ارمام ــ بكسر أوله ــ موضع في ديار طيء أو ما يليها. قال زيد الخيل لما حضرته الوفاة بفردة، وهي ماء من مياه جرم:

أَمُطَّلِعٌ صحبى المشارقَ غُدْوَةً وأُتْرك في بيتٍ بفرْدَة مُفْرَدِ
سقَىٰ الله ما بين الْقَفِيل فطابَةٍ فبرقة أرمام فما حول مُنْشِد
هنالِكَ لَو أنّى مُرِضتُ لعادِني عوائدُ من لمْ يُشْفَ مِنْهُنَّ يَجْهَدِ

وقال ياقوت: (أَرْمام: واد يصب في الثلبوت من ديار بني أسد، وقيل ارمام واد بين الحاجر وفيد، ويوم أرمام من أيام العرب. قال الراعي:

تبصَّر خَلِيلي هَلْ تَرَىٰ من ظَعَائِنٍ تجاوزن مَلْحُوباً، فَقِلْنَ مُتَالعَا؟
جَوَاعِل أرماماً شمـالاً وصارةً يَمِيْناً، فقطَّعْنَ الوِهَاد الدَّوَافِعا

وفي كتاب «متعة الأديب»: (أرمام موضع وراء فَيْد، بين الحاجر وفَيد، وهو واد)[3].

وفي «معجم البلدان» أيضاً: أزمام ــ بالزاى المعجمة: واد بين فيد والمدينة، على طريق الجادة، كان بينه وبين فيد دون ــ أربعين ميلاً.

(١) ص ٥١٦.
(٢) «معجم ما استعجم».
(٣) «معجم البلدان».

وفي كتاب «متعة الأديب»: أرمام وراء فيد، بين الحاجر وفيد، وهو واد، وهو بالراء المهملة[1] وتقدم.

وأقول[2]: يفهم من أوصاف المتقدمين لوادى أرمام :

١ ـــ أنه يقع شمال طريق الحاج المار بتوز وسميراء والحاجر.
٢ ـــ أنه يقع على طريق حاج البصرة إلى المدينة المار بفيد.
٣ ـــ أنه قبل محاذاة توز فقد ذكر ياقوت أن الغمر بمحاذاة توز والحربي ذكر في «المناسك» أن الغمر بعد أرمام.
٤ ـــ أنه يقع غرب فيد بميل نحو الجنوب حيث الاتجاه إلى الحجاز بـ ٣٨ ميلاً.

ويقول موزل في كتاب «شمال نجد»: (إن رحبة أرمام تقع بين أرينبة وبين مبتدأ وادي الترمس، وفيها خرائب التوزي وآباره، ممتدة على طريق الحج المتجهة صوب مكة).

والظاهر أن وادي أرمام يتصل بوادي (الخلة انظر هذا الاسم) وأنهما يكونان وادياً واحداً، يعرف القسم الشرقي منه باسم أرمام والغربي بوادي الخلة.

وكنت قلت في أحد أبحاثي: أن وادي أرمام هو وادى الخلة لانطباق الأوصاف المتقدمة عليه. قبل أن أطلع على كلام موزل، الذي يفهم منه أن رحبة أرمام لا تزال معروفة، إن لم يكن استنتج هذا الاستنتاج، وعلى كل حال فأوصاف المتقدمين تنطبق على ما يشمله الآن اسم شعيب الْخَلَّة وما يدعى شعيب التُّوزي. وفي كتاب «الجبال والمياه» للزمخشري[3] نص

(١) «العرب» ص ٥٦٥ ج ٩.
(٢) القول للشيخ حمد الجاسر.
(٣) ص ١٠٤ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي.

واضح في هذا وهو: (أرمام واد يصب في الثلبوت). انتهى. وكذا وادي الخلة، يصب في الثلبوت المعروف الآن باسم وادي الشعبة وهذا من أعظم روافد وادي الرُّمَة.[1]

* * *

٧٠ ــ وقال امرؤ القيس:

فَلَمَّا رَأتْ أنَّ الشَّرِيْعَةَ هَمُّهَا وَأنَّ البَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهِا دَامِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الّتِي عند ضَارِجٍ يفيُّ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِي

أما ضارج الذي ذكره امرؤ القيس في معلقته فهو واقع في بلاد بنى أسد، وقد تقدم الكلام عليه[2] وضارج الذي في هذه الأبيات: من جبال الحجاز الواقعة في طريق الشام، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم، وقد أجمع الرواة على ما ذكرنا. ضارج

* * *

٧١ ــ وقال امرؤ القيس وقد توعده المنذر بن ماء السماء ونزل على المعلى أحد بني تميم بن ثعلبة فأجاره ومنعه فقال:

كأنّي إذْ نَزَلْتُ عَلَى المُعَلَّىٰ نَزَلْتُ على البواذخ من شمام
فَمَا مَلِكُ العِرَاقِ عَلىٰ الْمُعَلّىٰ بِمُقْتَدِرٍ وَلَا الْمَلِكُ الشَّآمِـى

أما شمام: فهو جبل أسود عظيم له رأسان واقع في جبال العرض وتنسب إليه هذه الجبال، فيقال «عرض ابني شمام» وهو من سواد باهلة، شمام

(١) انظر كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ص ٤٥١.
(٢) انظر ص ٢٧ و ٥٣ من هذا الكتاب

ويسمي عند أهل نجد «أذنى شمال» ولا نشك أنه هو «ابنا شمام» قال جرير:

عايَنْتُ مُشْعَلِةَ الرِّعَالِ كَأَنَّهَا طيرٌ تُغَاوِلُ في شَمَام وِكُوُرَا

ذكره صاحب معجم البلدان، ومن[1] عباراته أنه جبل له رأسان يسسيان ابنى شمام، إذا رأيت جبال العرض رأيت قُلَّتَيْ ابني شمام مرتفعتين على جميع الجبال التي حولها، قال لبيد ابن ربيعة وهو يرثي أخاه أربد بن قيس، وهو الذي دعا عليه رسول الله ﷺ فقتلته صاعقة رعد، وهو اخو لبيد لأمه، فقال يرثيه:

وفتيانٍ يَرَوْنَ المجدَ غُنْمَاً صبرت بحقهم لَيْلَ التّمامِ
فودِّعْ بالسّلام أبا جرير وَقَلَّ وداعُ أَرْيَدَ بالسّلام
فهل نبئت عن أخوين داما على الأحداث إلا ابْني شَمَامِ؟
وإلّا الْفَرْقَدَيْنِ وآلَ نعشٍ خوالد ما تحدث بانْهِدَامِ

وهذا الجبل العظيم واقع في ضفة وادي الخنقة الجنوبية، وعنده من القرى المعمورة «قرية نخيلان» وهي واقعة من ابني شمام في الجهة الغربية، إذا كان المنادى في ابنى شمام سمعه أهل تلك القرية.

* * *

٧٢ ــ وقال امرؤ القيس:

كلّا، يميُن الإلٰهِ يَجْمَعُنَا شَيْءٌ وَأَخْوَالُنَا بَنُو جُشَمَاَ
حتّىٰ تَزُورَ الضّبَاعُ مَلْحَمَةً كَأَنَّهَا مِنْ ثَمُود أَوْ إِرَمَا

ثمود، وارم: قد أطال أهل التفسير على ذكرهما.

* * *

(١) المعجم ٥ /٢٩٢.

٧٣ ــ وقال امرؤ القيس:

أَتَانى وَأَصْحَابى عَلَى رَأْس صَيْلَعٍ   حَدِيثٌ أطَارَ النَّوْمَ عَنِّى فَأنْعَمَا
فَقُلْتُ لِعِجْلِيٍّ بعَيـدٍ مآبُـهُ   أَبِنْ لي وَبَيِّنْ لي الْحَدِيْثَ الْمُجَمْجَمَا
فَقَالَ: أَبَيْتَ اللَّعْنَ عَمْرٌو وَكَاهِلٌ   أَبَاحُوا حِمَى حُجْرٍ فَأَصْبَحَ مُسْلَمَا

صَيْلع: موضع، وأظنه في جهة اليمن، لأن الرواة ذكروا أنه ورد الخبرُ على امرىء القيس بمقتل أبيه حين قتله بَنُو أسد وهو في اليمن، قال في معجم[1] البلدان: صيلع: موضع، واستدل ببيت امرىء القيس المذكور. صيلع

قلت: وكذلك قال صاحب لسان العرب صَيْلَعٌ موضع[2].

* * *

٧٤ ــ وقال امرؤ القيس:

عَلَى هَيْكَلٍ يُعْطِيْك قَبْلَ سُؤَالِهِ   أفَانِينَ جَرْيٍ غَيْرَ كَزٍّ ولَا وَانِ
كتيسِ الظِّباءِ الأعْفَرِ انْضَرَجَتْ لَهُ   عُقَابٌ تَدَلَّتْ من شَمَارِيخِ ثَهْلَانِ

إلى أن قال:

وَمَجْرٍ كَغُلَّانِ الأنَيْعِم بَالِـغٍ   دِيَارَ العَدُوِّ ذِي زُهَاءٍ وَأرْكَانِ

ثهلان: جبل عظيم أسود في عالية نجد، ومن الرواة من ألحقه بسواد باهلة، ومنهم من قال: ثهلان جبل لبني نمير في الزمن القديم وهو أصح، لأنه واقع في بلاد بني عامر بن صَعْصَعَة، وبنو نمير هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة، وفيه أشعار كثيرة، قال جحدر اللص، وقد ذكر ثَهْلانَ والنير، ثهلان

(١) المعجم ٥ /٤٠٦ وذكر أن فيه ورد الخبر على امرىء القيس بمقتل أبيه حجر.
(٢) لسان العرب مادة صلع.

والنير باق على اسمه إلى هذا العهد.

ذكَرْتُ هنْداً، وما يُغْنِي تذكُّرها ... والقومُ قد جاوزوا ثَهْلَانَ والنِّيرا
على قلائص قد أفنى عرائكَهَا ... تكْلِفُناهَا عريضاتِ الْفَــلاَزُورَا

والنِّير: مقابل لثهلان في الجهة الغربية، بينهما مسافة يوم، ولونه كلونه، وقال محمد بن إدريس ابن أبي حفصة اليمامي :

وَلَقَدْ دَعَانَا الْخَثْعَمِيُّ فَلَمْ يَزَلْ ... يَشْوِي لديه لنا العبيطَ وينشلُ
من لحم تامكة السنَّامِ كأنَّها ... بالسيف حين عَدَا عليها مجدلُ
ظَلَّ الطُّهَاة بلحمها وكأنهم ... مستوثبون قطار نمل ينقلُ
وكأن دَمْخَ كبيرة، وكأنما ... ثَهْلَانُ أصْغَرُ ريدتيه وَيَذْبُلُ
وكأنَّ أصغر ما يدهده منهما ... في الجو أصغر ما لديه الجندلُ

وقال الفرزدق:

إنَّ الَّذي سَمَكَ السّماء بنىٰ لَنَا ... بيتا دَعَائِمُه أعزُّ وَأطْولُ
بيتاً زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنِائِه ... ومُجَاشع وأبو الْفَوَارِس نَهْشَلُ
فَادْفَع بكفّكَ إن أردتَ بناءَنَا ... ثَهْلَان ذا الهَضْبَات هل يَتَحلْحَلُ

وثهلان باق بهذا الاسم إلى اليوم، ومنهم من يبدل الثاء ذالاً فيقول «ذهلان» له قِمم عالية طوله من الشمال إلى الجنوب أكثر من مسافة يوم، ومن الشرق إلى الغرب أقل من مسافة يوم، والجبيلات المحيطة به من جهة الشرق: تيماء، وأم نخيلة، والحذني، ومجيرة إن أفردت وإن جمعت فمجيرات لأنها هضبات متفرقة، والهضيب، والمصلوخة، والقنينة، وأما أبو دخن وشطب: فهما واقعان عند طرفه الشمالى منقطعان منه، وكلها موجودة في عهدنا هذا بهذه الأسماء.

أما «مجيرات» فهذا اسمها الجاهلي، و«الحذني» كان يقال له في

الزمن القديم «حذنّة» قال محرز بن المكعبر الضبي وهو شاعر جاهلي:

دَارَتْ رَحَانَا قليْلاً ثُمَّ صَبَّحَهُم ضَرْبٌ تصيَّحُ منه قلة الْهَامِ
ظَلَّتْ ضِبَاعُ مجيراتٍ يَلُذْنَ بهم وَألْحموهنَّ منهم أىّ الْحَامِ
حتَّىٰ حُذُنَّةُ لم تترك بها ضَبُعاً إلا لَهَا جَزَرٌ من شِلْو مِقْدَامِ
ظلت تدوس بنى كعب بِكَلْكَلِهَا وَهَمَّ يومُ بني نَهْدٍ بإظْلَامِ
إذ خَبَّرت مَذْ حِج عنّا وقد كذبت ان لن يروع عن أحْسَابِنَا حَامِى
فِدىً لِقَوْمِىَ ما جَمَّعْتُ من نشب إذ لَفَّتِ الحَرْبُ أقواماًبأقْوَامِ

وحذنّة ومجيرات: باقيتان بهذا الاسم إلى يومنا هذا، حذنة واقعة بين ثهلان ومجيرة، وهي جبل طويل أسود، وهو صغير المنظر ومجيرات: هضبات حُمْر متفرقة تقع من حذنة في مطلع الشمس على مسافة ساعتين للماشي على قدميه، وأما مياهه الخارجية منه في جهة الشرق فهي: دلعة، والرفايع، ومضلعة، والشعراء: قرية عامرة إلى يومنا هذا، وهي معروفة في الزمن الجاهلي بهذا الاسم، قال الشاعر:

*** خَفَّ الْقَطِيْنُ من الشّعَراءِ وارْتَحَلُوا***

أما صاحب معجم البلدان فلم يذكرها، وقد ذكرها الهَمْدَاني في «صفة جزيرة العرب» لما أتى على ثهلان، قال: ومن مياهه: الريان، والشعراء، والحسى، وأما مياهه الداخلة في وسط الجبل فهي: المطيوى، والركية، والمزيرع، والسدرية، والشطبة، والريان والمنجور، والقليب، والشبرمية: وادٍ عامر فيه مزارع ونخيل وقصور. والريان الواقع في ثهلان بهذا الاسم هو الذي يقول فيه جرير:

يَا حَبَّذَا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَا
وَحَبَّذَا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَّةٍ تَأْتِيْكَ مِنْ جَبَلِ الرَّيَّانِ[1] أحْيَانَا

(١) قلت : وللشطر الثاني رواية أخرى، هي : (تَأْتِيْكَ من قِبَلِ الرَّيَّان أَحْيانَاَ).

وأنا أعرف بهذا الاسم في بلاد العرب ثلاثة أودية: أولها الواقع في ثهلان، وثانيها الواقع بين غول وطخفة، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في معلقة لبيد، والثالث: يصب في وادي الرمة. وأما الجبال المحيطة به من جهة الغرب منقطعة منه فهي: ذريِّع، والخَوَّار، وأبو حسك، ونطاق والأسودة، وقنيفذة، وكويكب. والخوار معروف بهذا الاسم من قديم، قال الشاعر(١)

وَنَحْنُ مَنَعْنَا بِالطِّعَانِ نعامنا ... جنوبا عن الخَّوارِ في الدّمث السّهلَا
بِكُلِّ كُمَيْتٍ مُجْفَرِ الدّفّ سَابحٍ ... وَكُلِّ مِزَاقٍ وردةٍ تَعلّك النّكْلَا

وهو على هذا الاسم إلى يومنا هذا، ونطاق: اسم قديم جاهلي، قال ابن مُقْبل:

ضَحَّوا على عجل ذاتَ النطاقِ، فَلَمْ ... يُبْلَغْ ضحاؤهُم همّى وَلَا شَجَنِي

وقال ابن مقبل أيضاً:

خلدت وَلَمْ يَخْلُد بها مَنْ حَلَّهَا ... ذات النطاق فَبُرْقَةَ ٱلْأَمْهَالِ

قال في اشتقاق الأسماء: سمي بنطاق لأن فيه برقة في أسفله مثل النطاق، فسمي بها، وهو بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

والأسودة هي التي قال فيها أبو عمير الجرمي:

أَلَا ما لعيني لا ترى أَسْوَدَ الْحِمَىٰ ... ولا جبلَ ٱلْأَوْشَالِ إلَّا اسْتَهَلَّتِ
غَنِيْنَا زماناً باللِّوى ثمَّ أصْبَحَت ... براقُ اللِّوى من أهلها قَدْ تَخَلَّت

(١) البيتان لكثير عزة، وقد رواهما ياقوت (٣/ ٤٧٣) ورواية البيت الأول عنده:

ونحن منعنا من تهامة كلها ... جنوب نقي الخوار فالدمث السهلا

وكذلك هما في ديوان كثير ٢/ ١٨، ومجفر الدف: واسع الجنب، وكل مزاق: أراد فرسا سريعة تكاد تتمزق من سرعتها.

وقلت لسلام بن وهب وقد رأى دموعي جرت من مقلتي فَذَرَّت
وشدى ببردى حشوة ضبئت بها يدُ الشَّوْقِ في ٱلأَحْشَاءِ حِيْنَ أَجْزَألَّتِ
أَلَا قَاتَل الله اللِّوَى مِنْ محلة وقاتَل دنيانا بها كَيْفَ وَلَّتِ

ولم نورد هذه الأبيات إلا لأنه عطف جبل الأوشال على هذا الجبل الأسود وجبل الأوشال: هو جبل ثهلان لأنه كثير القلات والأوشال، وقل أن تجد فيه موضعاً خالياً من الماء. وذريع: كانت تسمى في الزمن القديم «ذراعان» وهي واقعة في بلاد بنى عامر بن صعصعة، إذا خرجت من ماء القاعية قاصداً الرياض وأجزت وادى طينان فانظرها مما يلي حجاجك الأيمن، قالت امرأة من بني عامر بن صعصعة(١).

سَقْيَاً وَرَعْيَاً لأَيّامٍ تشوّقُنَا من حيثُ تَأْتى رياحُ الهَيْف أَحْيَانا
تَبْدُو لَنَا من ثَنَايَا الضمر طالعة كأَنَّ علامَها جَلّلنَ سَيْجَانا
هيفٌ يَلذُّ لَهَا جسمى إذا نسمت كالْحَضْرَمَىّ هَفَا مِسْكاً وَرِيْحَانا
يا حبّذاً طارقٌ وَهْناً أَلمَّ بِنَا بين الذِرَاعينِ وَٱلأَحْرَاب مَنْ كَانَا
شبَّهتُ لي مَالِكاً يا حبّذا شبَهَاً إمّا من الأنسِ أو ما كَانَ جنَّانَا
ماذا تذكر من أرض يمانية ولا تذكر من أمسى بِجَوْزَانَا
عَمْداً أخادِعُ نَفْسِي عن تذكّرِكُمْ كَمَا يخادِعُ صاحى الْعَقْلِ سَكْرَانَا

وجوزان: موضع في اليمن، ويمكن أنه جيزان، وذكر الرواة عن قنيفذة أنها موضع لنمير ابن عامر، وهي في بلاد نمير، وهي على اسمها القديم لم تتغير.

وكويكب: جبل صغير أحمر على ضفة الرشا الغربية، بين ثهلان كويكب والخوّار، وهذا اسمه القديم وبه يوم من أيام العرب، وقُتل عند هذا الجبل

(١) روى ياقوت هذه الأبيات ٤ /١٩٢.

زيادة بن زيد بن مالك الحارثي، قَتَله هُدْبة ابن خَشْرَم[1] العُذري، فقال ابنه مِسْوَر بن[2] زيادة:

أبعد الذي بالنَّعْفِ نعِف كويكب رهينةَ رَمْسٍ ذي تُرَابٍ وَجَنْدَلِ
أُذَكَّر بالبُقْيَا على مَنْ أصَابَنِي وبقياى أنّي جاهد غير مُؤْتَلِ
فإن لم أنَلْ ثأري من اليوم أوغد بنى عمنا فالدهر ذو مُتَطَوَّلِ
فَلَا يَدْعُنِي قومي ليوم كريهةٍ لئن لم أعَجِّل ضربة أو أعجَّلِ
أنَحْتُمْ علينا كلكل الحرب مرّةً فنحن مُنيخوها عليكم بكلكل
يقول رجال ما أصيبَ لهم أبٌ ولا من أخ: أقبل على المال تُعْقَلِ
كريمٌ أصابته ذئابٌ كثيرةٌ فلم يَدْرِ حتّى جِئْنَ من كلِّ مَدْخَلِ
ذَكَرْتُ أبَا أرْوَىٰ فأسْبَلْتُ عبرةً من الدَّمْع مَا كَادَت عَن الْعَيْنِ تَنْجَلِي

وهو باق على هذا الاسم إلى هذا العهد، وفيه أشعار كثيرة لشعراء الجاهلية: فأما مسور ابن زيادة هذا فهو شاعر إسلامي في عهد الدولة الأموية.

قال مؤلف هذا الكتاب: الحديث ذو شجون يجر بعضه بعضاً: في شهر صفر سنة١٣٦٥هوأنا في بلد الشعراء جاءنا صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله آل فيصل بن عبد العزيز قانصا فأخذنى بصحبته أيام إقامته قريب بلد الشعراء، وكنا نتجول في تلك الفيافي لاصطياد الظباء والحُبَاري. فبينا نحن عند كويكب يوما إذ عَرَضَ لنا ذئب فهممنا بقتله، ولكني لم أر أعظم من خلقهِ وأقوى منه، ومع الأمير عبد الله صاحب السمو الأمير فهد

---

(١) قلت : هدبة بن خشرم (.. نحو ٥٠ هـ) من بني عامر بن ثعلبة، من سعد هذيم، قضاعة. شاعر فصيح، من أهل بادية الحجاز (بين تبوك والمدينة).

(٢) روى هذه الأبيات في ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزي بتحقيق الاستاذ محمد محي الدين ١ /٢٣٩) وهذه الأبيات يقولها المِسْوَرَ بن زيادة حين عرض عليه سعيد بن العاص سبع ديات فأبى، ويقال : إن قائلها هو عمه عبدالرحمن أخو زيادة القتيل.

بن سعد ونحن في سيارة واحدة فكنا نرميه بالشوازن فتصيبه ولكنها لا تصيب مقاتله فأخذ صاحب السمو الأمير عبد الله بندقية من النوامس ورماه بواحدة، فأنفذ قلبه فخر على وجهه قتيلاً عند كويكب عند مقتل زيادة بن زيد الحارثي.

الأنيعم

أما الأنيعم فهو معروف بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا، يقال له اليوم «وادي النعيم» موقعه في القطعة الجنوبية من نجد، في أرض يقال لها اليوم «العبلة» إذا كنت قاصداً الغرب وأجزت جبال البديعة الماء المعروف في أعلى نجد، وهي الجبال التي يقال لها العقر، ثم أجزت كثيباً يقال له البشارة فيه جبل صغير، خرجت إلى وادي النعيم، وظني أن سيله يصب في وادي خنثل الوادي المعروف الواقع بين بلد سبيع بن عامر وبلد عتيبة في يومنا هذا، والنعيم يتجه سيله إلى جهة الشمال جاعلا جبال البديعة وأكثبة البشارة وجبال المحدث وما يليها من الهضاب عن يمينه حتى يصب في وادي خنثل أو يقرب منه، ووادي خنثل معروف بهذا الاسم من عهد الجاهلية إلى يومنا هذا، وذكروا أن سعد بن صبيح النهشلي نزل على مربع بن وعوع بن ثمامة الكلابي في وادي خنثل المذكور، وغاب مربع يستعذب لأهله الماء، فلما رجع إلى أهله وجد سعد ابن صبيح حدثته نفسه أن يفجر بزوج مربع، فأخبرت مربعاً، فأخذ مربع السيف وقتل سعداً، وقال عند ذلك(١).

فَزِعْتُ إلىٰ سَيْفِى فنازعتُ غِمْدَهُ ... حساماً به أثر قديمٌ مُسَلْسَلِ
فَغادرْتُ سَعْداً والسِّباعُ تنوبُه ... كما ابتدَرَ الوُرَّادُ جَمَّةَ مَنْهَلِ
دَعَا نَهْشَلاً إذ حازه الموتُ دَعْوَةً ... وَأجْلَيْنَ عَنْهُ كالْحُوَار المُجَدَّلِ
فانك قد أوعدتنى غَضَب الْحَصَىٰ ... وأنت بذات الرِّمْثِ من بطن خَنْثَلِ
وقلتُ لَأصْحَابِى النَّجاء فإِنَّمَا ... مع الصّبح إن لم تَسْبِقُوا جمعُ نَهْشَلِ
فَأصْبَحْنَ يركُضْنَ المحاجنَ بَعْدَمَا ... تَجَلّىٰ من الظلماءِ مَا هُوَ مُنْجَلِى

(١) ارجع إلى هذه القصة وأبيات مربع وأبيات الفرزدق في معجم البلدان ٣ /٤٦٩.

وقال الفرزدق في ذلك لأن سعد بن صبيح ابن عمِّ الفرزدق:

بَنِى نَهْشَلٍ هلّا أصَابَتْ رِمَاحُكُم على خَنْثَل فِيْمَا يصادِفْنَ مرْبَعَا
وَجَدّتُمْ زماناً كانا أضعفَ ناصراً وأقربَ من دارِ الهوانِ وَأضْرَعَا
قَتَلْتُم به ثَوْلَ الضِبَاع فَغَادَرَتْ مَنَاصِلُكم منه خصيلا مرصَّعَا
فكيفَ ينامُ ابْنَا صَبِيْحٍ، ومربعٌ على خَنْثَلٍ يُسْقىٰ الحليبَ المقنّعا؟

ومربع المذكور هو الذي قال فيه جرير وهو يهجو الفرزدق :

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أنْ سَيَقْتُل مرْبَعَاً أَبْشِرْ بِطُولِ سَلَامةٍ يا مرْبَعُ

أما الأنيعم الذي ذكره امرؤ القيس في شعره فهو وادي النعيم الذي تقدم ذكره، وقال حضرمي ابن عامر الأسدي:

لَقَد شَاقَنى لولا الحياءُ من الصّبا لميةَّ ربعٌ بَالأَنْيْعِـــمِ دَراسُ
لَيَالىَ إذَ قَلْبى بميّة مُولَـع وَإذْ نَحْنُ جِيْرَانٌ لها مُتَلَابِسُ
وَإذْ نَحْنُ لم نَحْشَ النَّمِيْمَةِ بَيْنَنَا وَلَوْ كَانَ شيء بيننا مُتَشَاكِسُ

وهو معروف عند عامة أهل نجد بوادي النعيم في هذا العهد.

* * *

٧٥ ـــ وقال امرؤ القيس :

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُـهُ فَشجَانِـى كَخَطِّ زَبُورٍ في الْعَسِيبِ الْيَمَانِى
دِيَارٌ لِهِنْـدٍ وَالرَّبَـابِ وَفَرْتَنَـىٰ ليالِيَنا بالنَّعْــفِ مِنْ بَدَلَانِ

قال ياقوت في معجمه[1]: بَدَلَانَ موضع، واستدل ببيت امرىء القيس وأنا لا أعرف في نجد موضعاً بهذا الاسم، إلا أكثبة مُتَراكمة في شرقي الدهناء على طريق الإحساء بين مزعلات ورجم الشويعر المعروف على الطريق، ويقال لتلك الأكثبة اليوم «بدالي». بدلان

* * *

(١) المعجم ٢ /٩٠.

٧٦ ــ وقال امرؤ القيس:

أَمِنْ ذِكْرِ نَبْهَانِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بِوَادِى الْمَلَا عَيْنَاك تَبْتَـدِرَانِ

المـلا: حسب تحديدهم واد معروف بين بلاد بني أسد وبلاد طي في أسافلها قريب الأجفر، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، قال الشاعر(١): المـلا

أَلَأ غَنّيَانِى وارْفَعَا الصَّوْتَ بالْمَلَا فإِنَّ الْمَلَا عِنْدي يزيدُ الْمَدَىٰ بُعْدَا

وقالت امرأة من العرب تهجو ميّ صاحبةَ ذي الرمة:

أَلَا حَبَّذا أَهْلُ الْمَلَا غَيْرَ أنّه إذا ذُكَرِت مَيٌّ فَلَا حَبَّذَا هيا
عَلَىٰ وَجْه مَيٍّ مَسْحَةٌ من مَلَاحَةٍ وَتَحْتَ الثّيابِ الخزىُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

وقال كثير:

ورسومُ الديـارِ تعرف منهـا بالْمَـلَا بيـن تَغْلَمَيْـنِ فريــمِ

وقال عدي بن الرقاع العاملي:

نَسِيتُمْ مساعينا الصَّوابحَ فيكمُ وما تذكرون الْفَضْلَ الا توهُّمَا
فَإِنْ تَعِدُونَـا الجاهليـة إِنَّنَــا لَنُحْدِثُ في الأقوام بَؤْسا وَأَنْعما
فلا ذاك منَّا ابنُ المعدل مرّةٌ وعمرو بن هند عام أصْعَدَ موشِما
يقودُ إِلَيْنَا ابنَىْ نزار من الملا وَأَهْلَ الْعِراقِ ساميـا متعظِّمَـا
فَلَمَّـا ظننـا أنـه نَازِلٌ بِنَـا ضَرَبْنَا وولّيْنَاهُ جَمْعَاً عَرَمْرَمَـا

---

(١) قلت: هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، من عاملة: شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنى أبا داود. كان معاصراً لجرير، مهاجياً له، مقدماً عند بني أمية، مدّاحاً لهم، خاصاً بالوليد بن عبدالملك. لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام. مات في دمشق. انظر الأعلام ج ٥ / ١٠.

والأشعار والأخبار فيه كثيرة، وهو واقع في القسم الشمالي من نجد.

* * *

٧٧ ــ وقال امرؤ القيس:

هُمُ أبْلغُوا حَتَّى الْمُضَلَّلِ أهْلَهُمْ وَسَارُوا بِهِم بَيْنَ الْعِرَاقِ وَنَجْرَانِ

العراق ونجران: معروفان للناس، تغني معرفتهما عن ذكرهما.

* * *

٧٨ ــ وقال امرؤ القيس:

أَبَعْدَ الْحَارِثِ الْمَلِكِ ابْنِ عَمْرٍو له مُلْكُ الْعِرَاقِ إلىٰ عُمَانِ
مُجَاوِرَةً بَنِي شَمَجَىٰ بْنِ جِرْمٍ هَوَاناً مَا أُتِيحَ مِنَ الْهَوَانِ

عمان والعراق موضعه معروف، وعمان: معروف بهذا الاسم إلى اليوم مقاطعة عظيمة تقع على الساحل الجنوبي للبحر الشرقي، جنوبي مقاطعة قطر.

* * *

٧٩ ــ وقال امرؤ القيس:

وَمَا هَاجَ هذَا الشَّوْقَ غَيْرُ مَنَازِلٍ دَوَارِسَ بَيْنَ يَذْبُلٍ فَرَقَانِ
وَغَرْبٌ عَلى مَقْطُوْرَةٍ بَكَرَتْ بِهِ غَدَتْ في سَوَادِ اللَّيْلِ قَبْلَ الْمَثَانِي

أما يَذْبل: فقد مضى الكلام عليه في معلقته[1].

فرقان وأما فرقان فأنا أعرف جبلاً له رأسان يسمى فرقين يقع شمالى بلد نفى، يراه مَنْ كان في نفى بعينه، وسيأتي الكلام عليه في معلقة عبيد بن

(١) انظر ص ٥٣ ــ ٥٥ ــ ٥٦ ــ من هذا الكتاب

الأبرص إن شاء الله، وأما فرقان من غير تصغير فإني لا أعلم شيئا بهذا الاسم إلا طريقاً يسلك من بلد المزاحمية الواقعة في جو اليمامة إلى بلد الحريق الواقعة في وادي بني هزان في بريك يقال له «مرقان» بميم في موضع الفاء يقطع الماشي وادي الأوسط، ووادي لحا، ثم يقطع وادي نساح، وهناك عقبة يقال لها «مرقان» تصعدها الجمال بأحمالها، وقد طلعتها، إذا جُزْت نساحاً كانت عليّه على شمالك، وإذا بلغت رأس هذه العقبة فأنت في ظهر علية، وإذا هبطت إلى الوادي الذي يبلغك الحريق فعليه على شمالك فإذا رأيت نخيل الحريق اجتمعت الطرق طريق مرقان وطريق حنيظلة الماء المعروف في أعلى وادي الحريق، والماء المذكور هو أعلى الوادي، وقد ذكر حنيظلة ياقوت في معجمه(١) وحددها وأصاب في تحديدها برواية أبي حفصة اليمامي.

* * *

٨٠ ــ وقال امرؤ القيس:

أَلَا إِلَّا تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى ... كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا الْعِصِيُّ
وَجَادَ لَهَا الرَّبِيْعُ بِوَاقِصَاتٍ ... فَآرَامٍ وَجَادَ لَهَا الْوَلِيُّ

أما واقصة: فهي موضع قريب النباج ينزلها حاج البصرة، ولا أعرفها بهذا الاسم اليوم، إذا كنت سائراً من البصرة جاعلاً ذا طلوح الذي يقال له اليوم «الطليحي» وكثبان عالج التي يقال لها اليوم «العروق» عن يمينك، والنباج التي يقال لها اليوم «الأسياح» عن يسارك وأجزت الأكثبة فواقصاتٌ هناك، ولعل اسمها اليوم قد تغير، معروفة بجودة الصلابيخ، وعند أهل نجد إذا أعجبهم الرجل بشجاعته، أو فصاحته، أو كرمه، قالوا: هذا يتقد كأنه من صلابيخ(٢) واقصة. واقصة

---

(١) المعجم ٣ /٣٥٣.

(٢) الصلابيخ : جمع صلبوخ، وهو حجيرة صغيرة بين السواد والبياض وكانت العرب تستعمله لاشعال النار، تضرب به الزناد، والزناد : حديدة صغيرة معكوفة الطرفين تجعل =

وهناك موضع آخر يقال له «واقصة» لا يزال معروفا بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد يكون هو الذي عناه امرؤ القيس، وهو واقع بين الحجر والحفيرة في مساكن عنزة الأيدى وقومه، وهو ماء في جبل أسود، يقال للجبل «واقصة»، إذا كنت في تيماء السموأل ونظرتَ إلى نجم سهيل نظرته يتقد على جبل واقصة.

آرام وأما آرام فهي هضبة سوداء منقطعة من ابلى، لا تزال بهذا الاسم إلى اليوم، وهي مجاورة لأروم، وشابة: واقعة من أبلى في الجهة الجنوبية الشرقية، قال الشاعر:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ تَغَيَّر بَعْدَنَا أروم وَآرَامُ وَشَابَـةُ فَالْـحَضْرُ
وهل تَرَكَتْ أَبْلَىٰ سَوَادَ جِبَالِهَا وهَلَ زَالَ بَعْدِى عن قَنِينَتِهِ الْحَجْرُ

وهى في بلاد غطفان، معروفة بهذا الاسم.
انتهى ما أمكن من توضيح الأماكن الواردة في شعر امريء القيس والله ــ سبحانه: ــ ولى التوفيق والمعونة[١].

* * *

= بينهما خرقة فيها بارود، فإذا ضرب بالصلبوخ على الزناد اشتعلت الخرقة ناراً، وهو الذي شبه به عنترة بن شداد العبسي الذباب في معلقته حين قال :

هزجـــا يحك ذراعــه بذراعــه
قدح المــكب علــى الزنــاد الأجــذم

وقبل أن تخرج صناديق الكبريت كان أغلب إشعال الناس في نجد بالصلبوخ والزناد، وهو المستعمل عند العرب إلى نصف القرن الثالث عشر فلما كثر الكبريت تركه العرب إلا شذاذاً من العرب لاسيما الأعراب فإنَّهُم لايزالون يستعملونه إلى يومنا هذا قلت : كان ذلك قبل أربعين عاماً وقد انتهى.

(١) قلت : وأكثر الأسماء الجغرافية وروداًفي شعر امرىء القيس سيمر بنا في بقية القصائد، ولكن المؤلف رحمه الله كان يحيل إلى ماثبت ومرّ تحرّزاً من الوقوع في التكرار، وهذا أمر طيب منه عليه رحمة الله.

٢

زُهَيْرُ بنُ أَبِي سُلْمَى المُزَنِيّ

زهير بن أبى سلمى المزني[١]
مات سنة ١٤ قبل الهجرة (سنة ٦٠٨ الميلادية) تقريباً

نذكر أولاً المواضع الواردة في معلقته :

١ـ أمِنْ أُمِّ أوْفَىٰ دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ　　بِحَوْمانَــةِ الــدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ
وَدَارٍ لَهَـا بالرَّقْمَتَيْنِ كَأنَّهَـا　　مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ في نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

حومانة الدراج

الحومانة: المضافَةَ إلى الدرّاج لم أرها إلا في شعر زهير، قال في معجم البلدان[٢]: هي على طريق البصرة قريب القيصومة، أما القيصومة: فهي واقعة في الشمال من قُرَىَ النباج وأبعد قرى النباج من جهة الشمال: حنيظب، وأبو الدود، والقيصومة، ويظهر لي أن حومانة الدراج قريب القرى التي ذكرنا، ولكني لم أعثر عليها بهذا الاسم في هذا العهد، وهناك موضع

---

(١) : زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر : حكيم الشعراء في الجاهلية. وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة. قال ابن الأعرابي : (كان لزهير في الشعر مالم يكن لغيره، كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة).

ولد في بلاد «مزينة» بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد)واستمر بنوه فيه بعد الإسلام.

قيل : كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمى «الحوليات» قلت : لعل الصحيح أنه كان ينظمها في أربعة وينقحها في اربعة ثم يعرضها على العارفين بالشعر في اربعة وهذا حول، أشهر شعره معلقته، التي سندرس المواضع الواردة فيها أولاً. انظر : الأعلام ج ٣ /٨٧.

(٢) المعجم ٣ /٣٧١.

في الدهناء متاخم لهذه الناحية من النباج يقال لها اليوم «حومة النقيان» على الطريق من البصرة إلى النباج، وفي عالية نجد مواضع بين وادي خنثل الذي مر ذكره في أشعار امريء القيس على ذكر الأنيعم[1]، وبين ماء البقرة المشهورة قريب الحمار، والبقرة والحمار باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا، ولها ذكر في أشعار العرب، وهي هضبات يقال لها الحوميات، وربما قالوا لها «الحوم» وهي واقعة في بلاد بني عامر بن صعصعة، قال لبيد بن ربيعة العامري في ذكر هذه المواضع:

وَأضْحَىٰ يَقْتِرى الْحَوْمَان فَرْدَاً كَنَصْل السَّيْفِ حُودِثَ بالصِّقَالِ

وقال عامر بن الطفيل:

أَلَا لَيْتَ شِعْري هَلْ تَغَيّر بَعْدَنَا صرائم جَنْبَىْ مَحُيط وَجَنَائِبُهْ
وَهَل تَرَكَ الحَوْمَانُ بعدى مَكَانَهُ وَهَل زَالَ من بَطْنِ الُجَوىِّ تَنَاضِبُهْ
فَوَاللهِ مَا أَدْرِى أَيَغْلِبُنِى الهوىٰ إلىٰ أَهْل تِلْكَ الدّار أَمْ أَنَا غَالِبُهْ

فَإن أستطع أغْلِبْ، وَإنْ يَغْلِب الْهَوَىٰ فَمِثْلُ الذّي لاقَيْتُ يُغْلَبُ صَاحِبُهْ

ومن عبارات معجم البلدان أن حومانة الدراج في منقطع رمل الثعلبية متصلة بالحزْن من بلاد بني أسد، عن يسار من خرج يريد[2] مكة، واستدل ببيت زهير هذا، وهذا التحديد قريب القيصومة التي مر ذكرها من قرى النباج، قرية عامرة إلى هذا العهد، وهي غير القيصومة الماء المعروف في القطعة الشمالية من الدو، وتكون حومانة الدراج غرباً عن العروق التي تعرف في الزمن القديم برمل عالج.

---

(١) انظر ص ٢١١ ــ ٢١٢ من هذا الكتاب

(٢) المعجم ٣ /٣٧٢.

قلت: وعبارة معجم البلدان، هي: «حومانة الدراج ماءة قريبة من القيصومة في طريق البصرة إلى مكة قريبة من الْوَقْبَا. وقال أبو منصور[1]: وردت ركبة واسعة في جو واسع يلي طرفاً من الدو يقال له الحومانة. وقال خرشي بن عبد الخالق بن رقيبة بن مشيب بن عقبة بن كعب بن زهير: إن حومانة الدراج في منقطع رمل الثعلبة، متصلة بالحزن من بلاد بنى أسد، عن يسار من خرج يريد مكة.

وهذه الأقوال، وإن اختلفت عباراتها فهي متقاربة» معجم البلدان ٣٧٠/٢ و ٥٦١ ومما يؤسف له أن أغلب كتب اللغة لا تحدد موضعه، كما أن كتب المعلقات اكتفت بذكره على أنه موضع وربما ذكرت أنه في العالية.

ففي شرح المعلقات السبع[2]. «حومانة الدّراجِ والمتثلّم موضعان». وفي شرح القصائد العشر صنعة التبريزى[3]:

«الحومانة: القطعة من الرمل، وجمعها الحومان والحوامين. والدراج بفتح الدال وضمها. وحومانة الدراج، والمتثلم: موضعان بالعالية منقادان».

وفي شرح القصائد التسع صنعة أبي جعفر النحاس تحقيق أحمد خطاب: «موضعان»[4].

ويكاد المحققون من الخلف يجمعون على ماذكره السلف باقتضاب

---

(١) قلت : هو أبو منصور الأزهري، والركية التي وردها ليست حومانة الدراج، وذلك لأنه يجعلها أو يذكرها بقرب الدَّوِّ، والدو (الدِّبْدِبَة) بعيدة عن طريق البصرة المؤدي إلى مكة.

(٢) : تصحيح لجنة من العلماء، القاهرة، ١٣٦٧ ــ ١٩٤٨ /ص ٩١.

(٣) : تحقيق د. فخرالدين قباوة ــ حلب. دار الأصمعي، ١٣٩٣ ص /١٦٣.

(٤) : القسم الأول، طبع وزارة الأعلام العراقية ص ٣٠٠.

ودون تحقيق ويكتفون بالقول، بأنها والمتثلم موضعان. ولكن عبارة ياقوت، تحددها تقريباً، فهي على ماذكر في منقطع رمل الثعلبية متصلة بالحزن من بلاد بني أسد.

قلت: وقد تحدث عنه الأستاذ حمد الجاسر في كتابه المعجم الجغرافي في شمال المملكة، ذكره في القسم الأول، ثم ذكره في القسم الثالث في الاستدراكات. قال في القسم الأول (ص ٤٧٣) ـــ:

حومانة الدراج: بفتح الحاء المهملة وإسكان الواو، وفتح الميم بعدها ألف فنون فهاء، بالإضافة إلى الدراج بفتح الدال والراء بعدها ألف فجيم. قال في كتاب المناسك، بعد أن ذكر الوقبا: ثم يؤخذ في الحزن على مياه يقال لها القيصومة وقنه وحومانة الدراج ... ثم يستشهد بكلام ياقوت. ويلخص الأقوال التي ذكرها وأنها في منقطع رمل الثعلبية متصلة بالحزن من بلاد بني أسد .. وفي القسم الثالث ص (١٤١٤) يستشهد على ذكره بما جاء في النقائض في شرح قول جرير:

فَلَيْتَ رِكَابَ الحيّ يَوْمَ تَحمّلوا بحومانةِ الدّرّاجِ أصْبَحْنَ ظلّعا

الحومانة: موضع غليظ منقاد، والجمع حوامين. والدراج: قنفذ رمل من قنافذ الدهناء، وهي القطعة منه ... ثم قال: تقدم ذكر حومانة الدراج والنص المتقدم يدل على كون الموضع في الدهناء فهو يوضح النصوص التي تقدم ذكرها.

وقلت: وعاد البليهد ـــ رحمه الله ـــ فذكر حومانة الدراج مرة أخرى في كتابه صحيح الأخبار جـ ٣/٢٦٥، وقال في معرض رده على بعض النقاد: (ونحن نقول: أن المواضع التي تسمى بالقيصومة ثلاثة أمكنة منها القرية التي شمال النباج، والثانية: التي أشار إليها الناقد ويظن أننا لا نعرفها،

والثالثة موقعها عن منهل لينة شمالاً مسافة يوم، وهي منهل ماء ترده الأعراب، واختيارنا للقيصومة التي قريب النباج دون غيرها لأن الشاعر عطف حومانة الدراج على المتثلم، وهو موجود إلى هذا العهد في أعلى الجوا.

قلت: وليت القاريء الكريم يرجع إلى كل ما كتبه البليهد رحمه الله حول كتاب صحيح الأخبار في الجزء الثالث ص/٢٦٠ ففيه رد على كل نقد وجه إليه.

وعطف على حومانة الدراج المتثلم. والمتثلم: معروف اليوم بما يقرب من هذا الاسم، يبعد عن الموضع الذي حسبناه حومانة الدراج مسافة يومين ونصف يوم، وذلك أني ــ كما أسلفت ــ لا أعلم اليوم موضعاً يقال له حومانة الدراج، إلا ماذكرنا عن حومة النقيان الواقعة في الدهناء أو الحوم أو الحوميات الواقعين في عالية نجد. المتثلم

أما المتثلم فهو جبل في رأسه ثلوم كأسنان المشط، يسمى اليوم «أبو ثلوم» مطل على الجواء مما يلى صارة المعروفة من أجبلة الجواء .. وقد غلط من قال أن المتثلم الذي ذكره زهير بالصمان واستدل بقول عنترة:

*** بِالْحَزْنِ فالصّمّانِ فالمُتَثَلّم ***

فان هذا الذي ذكره عنترة ملزم ماء في الصمان قد تثلم من السيل، وليس بجبل، قال الراجز:

*** تَرَبّعَتْ جَوَّ جُوَيٍّ فَالثَّلَمِ ***

وفي الصمان مواضع يقال لها اليوم «جويات الهمل» وأنت ترى الراجز عطف الثلم على جويات، وهذا الثلم هو الذي ذكره عنترة في الصمان، وهناك في جهة وادى الخرج ماءة كان يقال لها قديماً «الثلماء» ويقال

لها في عهدنا هذا «الثليماء» قال في معجم[1] البلدان الثلماء من نواحي اليمامة، وقيل: الثلماء حفرة يحيى بن أبى حفصة باليمامة، وقال يحيي في ذلك:

حيُّوا المنازِلَ قَدْ تَقَادَمَ عَهَدُهَاَ بَيْنَ المراخِ إلىٰ نَقَا ثَلْمَائِهَا

وأما الذي ذكره عدي بن الرقاع العاملى في قوله:

فنكبوا الصوة اليسرى ومال بهم على الفراض فراض الحامل الثلم

فهو الذي ذكره زهير في شعره، قال ابن الأعرابي[2] في نوادره: المتثلم جبلٍ في بلاد بني مرة. وقد أصاب، هو جبل في بلاد بني مرة لايزال اسمه باقياً إلى يومنا هذا، إلا أنه حرف تحريفاً قليلاً فقد صار يقال له اليوم «أبو ثلوم» وأنا أعرفه وقد رأيته.

الرقمتان

وأما الرقمتان فهما في جنوبي النباج المتصل بأرض الزلفي، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم، ولا يكونان إلا أكمتين أو قريتين أو روضتين، وهما لا يعرفان بهذا الاسم اليوم، ولكن ذكر زهير اياهما مقرونتين بحومانة الدراج والمتثلم يفيد أنهما قريب النباج، وهما اللتان عناهما مالك بن الريب المازني، وكان من قطاع الطريق في صدر الإسلام، ثم صحب سعيد بن عثمان بن عفان حين استعمله معاوية على خراسان، ذكرهما في قصيدته التي رثى فيها نفسه، وذلك أن منيته جاءته فجأة، فانه خلع خفيه لوضوء صلاة الصبح، فجاءت حية فدخلت في أحد خفيه، فلما فرغ من صلاته ورجع إلى خفيه ليلبسهما أدخل رجله فنهشته الحية، وكانت فيها منيته، وقد أطال أبو الفرج الأصفهانى في كتابه[3] الأغاني، وذكر جملة من

---

(١) المعجم ٣ /٢١.
(٢) انظر معجم البلدان ٧ /٣٨١.
(٣) انظر كتاب الأغاني ١٩ /١٦٣.

القصيدة التي فيها ذكر الرقمتين، وهو من سكان تلك الناحية من سكان بلاد الزلفى، والنباج والزلفى بينهما أقل من مسافة يوم، قال مالك بن الريب:

وَللهِ دَرّي حِيْنَ أُتْرَكُ طَائِعَاً بَنِيَّ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ وَمالِيا

وقال في قصيدته:

وَإِنَّ بَأَطْرَافِ السُّمَيْنَةِ نِسْوَةٌ يشق عليهنَّ العشيَّةَ مابِيا

والسمينة: قرية من قرى الزلفى، معروفة بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا اليوم، يقال لها «سمنان» ولا تكون الرقمتان إلا في تلك الناحية، والأمكنة الذي ذكرنا أن حومانة الدراج والمتثلم والرقمتين بها لا يبعد بعضها عن بعض أكثر من مسافة يومين ونصف.

* * *

٢ ــ وقال زهير[١]:

تَبَصَّرْ خَلِيْلِى هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ
عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلَّةٍ وِرَادا حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةُ الدمِ

أما جرثم: فهو باق بهذا الاسم لم يتغير، إلا أنهم أضافوا إليه ألفاً ولاما وياء النسبة فقالوا: «الجرثمي» وهو واقع بين بلاد غطفان وبلاد بني أسد في طرف الجواء الشمالي الغربي، بين سلمى الجبل الثاني من جبلي طيء وبين جبل قطن. جرثم

* * *

(١) في هذه الأبيات والتي بعدها تقديم وتأخير عما ورد في رواية التبريزي والزوزني للمعلقات.

قلت: وفي رواية الخطيب التبريزي (شرح القصائد العشر)، قوله:

جَعَلْنَ القنانَ، عن يَمِيْنٍ، وحزْنَهُ
وكم بالقَنانِ، من مُحِلٍّ ومَحُرِمِ

٣ ــ وقال زهير:

بَكَرْنَ بُكُوراً واَسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فهُنَّ لِوَادي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
جَعَلْنَ الْقَنَانَ عن يَمِينٍ وَحَزْنَهُ وَكَمْ بَالْقَنَان مِن مُحلٍّ وَمُحْرِمِ
ظَهَرْنَ مِنْ السُّوبَانِ ثم جَزَعْنَهُ عَلَى كلِّ قَيْنيٍّ قَشِيْبٍ وَمُفْأَمِ
فَلَمّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقَاً جِمَامَهُ وَضعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيَّمِ

قلت: قال الخطيب التبريزى في شرح القصائد العشر ص/١٦٩: ظهرن معناه: خرجن منه. وجزعنه: قطعنه، وقينى: منسوب إلى بني القين، وقشيب: جديد، ومفأم: واسع. وأراد غبيطاً، والغبيط يكون تحت الرحل، والقتب تحت المتاع. وبعده في رواية الخطيب التبريزي المذكورة، قوله:

وورَّكْنَ، في السُّوبَان، يعلون متنه عليهنَّ دَلُّ النَّاعِمِ، المتنعّم
كأن فتات العهن، في كل منزل نزلن به، حب الفنا، لم يحطم
بكرن بكوراً، واستحرن بسحرةً فهنّ، ووادى الرس، كاليد في الفم

قلت ثم قوله:

فَلَمَّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقَاً جِمَامَهُ وَضَعْنَ عِصِيّ الْحَاضرِ الْمُتَخَيِّمِ

وادي الرس

أما وادي الرس: فهو البلد المعروف بهذا الاسم إلى هذا العهد في أعلى القصيم على ضفة وادي الرمة الجنوبية، وقد أكثر الشعراء من ذكره زهير وغيره، وبقاؤه بهذا الاسم يغني عن ذكر الشواهد، وهو بلد عامر كثير النخل والقصور والمزارع، قالت ابنة مالك بن بدر الفزاري ترثي أباها لما قتله بنو عبس بمالك بن زهير العبسي[١]:

فلّله عَيْنَا مَنْ رَأى مِثْلَ مَالِك عَقيْرَةَ قَوْمٍ أنْ جَرَى فَرَسَانِ
فليتهما لم يشربا قطُّ شربَةً وَلَيْتَهُمَــا لم يرسلَا لرهَــانِ

(١) انظر معجم البلدان ٤ /٢٥٠.

أحَل به أمس جنيدبُ نذرَهُ فأيْنَ قتيلٌ كانَ في غطَفَانِ
إذا سَجَعَتْ بالرَّقْمَتَيْنِ حَمَامَةٌ أو الرسِّ تَبْكِي فارس الكتفَانِ

انظر إلى الرقمتين اللتين تقدم ذكرهما أوردتهما هذه المرأة وقرنتهما بالرس، فكلها متقاربة كما تقدم.

القنان

والقنان: الذي ذكره زهير واقع في بلاد بني أسد، مجاور لبلاد غطفان بالقرب من سميراء ويقال له اليوم «القنينات» وهو جبل لبني فقعس بطن من بني أسد قطاع طريق، كانوا إذا جنوا جناية تحصنوا فيه خوفاً من الولاة، وفي ذلك يقول شاعر العرب:

ضَمِنَ اَلقنانُ لِفَقْعَسٍ سَوْآتِها إنّ القنـانَ لِفَقْـعَسٍ لمعمَّــرُ[1]

وهو غير الذي ذكره امرؤ القيس بقوله[2]:

* وَمرّ علىٰ القنانِ من نفيَانِهِ *

وهو معروف بالقرب من سميراء، وهو أيضاً غير الذي ذكره لبيد في شعره وثناه حين قال[3]:

ووَلّىَ كنصل السَّيْف يبرقُ مَتْنُه عَلَى كُلّ أَجْرِيًا يشقُ الحَمَائِلَا
فنكَّب حوضى مَا يَهُمُّ بِورْدِهَا يمرّ بصحراء القَنَائيْنِ خَاذلَا

القنانان: في عالية نجد الجنوبية، معروفان بهذا الاسم إلى اليوم، والقنان الذي ذكره زهير لا يبعد عن سميراء أكثر من نصف يوم.

السوبان

أما السوبان فإنا نعرف موضعاً قريباً من الصمان مما يلي حفر أبي

(١) معمر في هذا البيت معناه حصن وملجأ.
(٢) انظر مامر ذكره في ص ٦٣ من هذا الكتاب.
(٣) انظر معجم البلدان ٧ /١٦٥.

موسي الأشعري، لا يزال معروفاً بهذا الاسم إلى اليوم، وليس هو السوبان الذي عناه زهير في شعره، وهذا السوبان يقع قريب وادي الرمة في جهته الشمالية، وكانت به معركة بين بني عبس وبني حنظلة، قال أوس بن حجر:

كأنهمُ بَيْـنَ الشّميـط وَصَارَة وجرثم والسُّوبان خُشْبٌ مُصَرَّعُ

والشميط وصارة وجرثم: كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، وهي واقعة من وادى الرمة في شماليه، والسوبان معروف اليوم بموضع يقال له السايبية أو السايبة في طرف الموشم من جهته الشمالية الشرقية إذا كنت فيه ترى جبال صارة وجبال الجرثمي التي كان يقال لها في الزمن القديم جرثم.

* * *

٤ ــ وقال زهير:

رَعَوْاما رَعَوا من ظَمَئِهِمْ ثُمَّ أَوْرَدُوا غِمَاراً تَسِيْلُ بالرّمَـاحِ وَبِالـدَّمِ[1]
فَقَضَّوا منَايَاَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ أصْدَرُوا إلـى كَلإٍ مُسْتَوْبِـلٍ مُتَوَخَّـمِ

غمار — غمار الذي ذكره زهير واقع في بلاد غطفان وهذا الاسم يطلق على موضعين: أحدهما: جبل محاذٍ بلد سميراء من الجهة الجنوبية على حدود بلاد بني أسد، ويقال له اليوم «الغيمار» وهو جبل أحمر شاهق إلى السماء، وتصطاد منه الصقور، وبه مياه كثيرة، وهناك ماءة يقال لها «غمرة» وظني أنها التي عناها زهير في هذين البيتين، وهي واقعة في بلاد غطفان شمالي النقرة، على مسافة يوم، وقد أغزى رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن[2] حتى وصل غمرة، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد،

(١) رواية التبريزي «غمارا تفري بالسلاح وبالدم».
(٢) عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي، من بني غنم (.. ــ ١٢ هـ)، صحابي من أمراء السرايا. يعد من أهل المدينة. شهد المشاهد كلهامع النبي صلى الله عليه وسلم، وقتل في حرب الردة ببزاخة (بأرض نجد) قتله طليحة بن خويلد الأسدي، وانظر =

وهي التي عناها الحارث بن ظالم المري[1] بقوله:

وَإِنّي يَوْم غَمْرَةَ غيرَ فَخْرٍ ... تَرَكْتُ النَّهْبَ وَالْأَسْرَى الرِّغَابَا

وهناك موضع يقال له «غمرة» في الجهة الشرقية من نجد وهي التي عناها الشمردل بن شريك[2] بقوله :

سقىٰ جَدَثاً أعرافُ غَمْرَة دُونه ... ببيْشَة ديمانُ الرَّبيْـعِ هَواطِلُـهْ

وَمَا بِيَ حبُّ الأَرْضِ إلا جوارها ... صَدَاهُ وقولٌ ظنَّ أنّي قائله

وهي التي عناها عمرو بن قياس المرادي في قصيدته التي أولها:

أَلَا يابَـــيْتُ بِالْعَلْيَـــاء بَيْتُ ... وَلَوْلَا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ

إلى أن يقول:

وَحـيّ نَازِلِيّـنَ وهـم جميـعٌ ... حذار الشَّرِّ يوما قد دَهَيْتُ

وَقَدْ عَلم الْمَعَاشِرُ غَيْرَ فَخْرٍ ... بِأنّي يوم غَمْرَة قد مَضَيْتُ

فوارسَ من بَنِى حُجْر بن عَمْرٍو ... وأخرىٰ من بَنِي وَهْبٍ حَمَيْتُ

مَتَى مَا يَأْتِنِي يَوْمِى تَجِدْنِي ... شَبِعْتُ من اللَّذاذة واسْتَقَيْتُ

= الاصابة، والروض الأنف وانظر الاعلام ج ٥ /٤٢.

(١) : الحارث بن ظالم بن غيط المرى، أبو ليلى نحو (٠٠ — ٢٢ ق . هـ) أشهر فتاك العرب في الجاهلية. نشأ يتيما .. وآلت إليه سيادة غطفان بعد مقتل زهير بن جذيمة. قتل قاتل أبيه عند النعمان ملك الحيرة، فطلبه بنو عامر ، والموتور هو جعفر بن خالد سيد بني عامر وشاع خبره في القبائل، فتحامت العرب شره، ونشبت من أجله معارك كثيرة، انطلق فجعل يطوف في البلاد حتى أتى الشام، فقتل في حوران .. انظر الأعلام ج ٢ /١٥٧.

(٢) : الشمردل بن شريك بن عبدالملك، (نحو .. — ٨٠ هـ) من بني ثعلبة بن يربوع، من تميم: شاعر هجاء يجيد القصيد والرجز، قال المرزباني : له في الصيد والطراد وأراجيز، ويقال له : «ابن الخريطة». والشعراء المعروفون باسم (الشمردل) خمسة هذا أشهرهم. انظر الأعلام ج ٣ /٢٥٥.

وهناك موضع رابع يقال له «غمرة» يقع في جهة خيبر في الجهة الشمالية الشرقية منها على مسافة يوم أو أكثر، والاسم لجبل أسود يقال له غمرة، وفيها ماءة قد وردتها يقال لها «عقيلة غمرة» واقعة في بلاد هتيم وعنزة، وأما التي ذكرها زهير في قصيدته فهي واقعة في بلاد غطفان كما ذكرنا وهي بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٥ ــ وقال زهير:

صَحَا الْقَلْبُ عن سَلْمَى وَقَد كَادَ لَا يَسْلُو
وَأقْفَــر مِنْ سَلْمَــىٰ التَّعَانِيْــقُ فالثِّقْــلُ

وَقَــدْ كُنْتُ من سَلْمَــىٰ سِنِيْــنَ ثَمَانِيَــاً
علــى صِيــرِ أمْــرٍ ما يمــرُّ وَمَــا يَحْلُــو[1]

التعانيق والثقل

أما التعانيق والثقل فقد ذكر صاحب معجم البلدان[2] التعانيق وذكر أنها بالقرب من خيبر، وعند خيبر موضع يقال له «التعانق» وعطف زهير الثقل عليه ولا يكون إلا قريباً منه وأنا لا أعرفه بهذا الاسم، والتعانيق أيضاً: جبال حمراء واقعة في كثيب جو اليمامة، تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٦ ــ وقال زهير:

تَأوَّبَنِى ذِكْرُ الأحِبَّة بَعْدَمَا هَجَعْتُ وَدُوْنى قُلَّةُ الحزْنِ فالرَّمْلُ
فَأقْسَمْتُ جَهْداً بِالْمَنَازِلِ من مِنًى وَمَا سُحِقَتْ فِيهِ الْمَقَادِيْمُ والقَمْلُ[3]

(١) على صير أمر : أي كنت على شرف أمر، ما يمر فأيأس، وما يحلو فأرجوه.

(٢) انظر معجم البلدان ٢ /٣٩٣ وعبارة ياقوت «التعانيق موضع في شق العالية» وأنشد بيت زهير، وذكر الثقل في ٣ /١٩ ولم يبين موقعه، بل لم يزد عن قوله «موضع من قول زهير» وأنشد البيت، ثم قال «ويروي الثجل» وذكر في رسم الثجل ٣ /٩ «الثجل اسم موضع في شق العالية.

(٣) سحفت ــ بالبناء للمجهول ــ يروي بالفاء وبالقاف، . ومعناهما جميعاً حلقت، تقول:

أما الحزن فهو موجود إلى هذا العهد بهذا الاسم، وهو واقع شرقي العروق يقال له «الحزل» غيرت نونه لاماً. الحزن

قلت: والحزل ــ بكسر الحاء وإسكان الزاي وآخره لام ــ اسم منهل في طريق الجوف من مدينة حايل.

والرمل: هو رمل عالج المشهور الذي تداول ذكره الشعراء، وفيه موضع يقال له «رمل مسهل» وهو قريب من تلك الناحية، قال طفيل الغنوي والشاهد فيها على الرمل[1]: الرمل

تَظَلُّ المَدَارَى في ضَفَائرها العُلَىٰ إِذَا أَرْسَلت أَوْ هَكَذا غير مُرْسَلِ
كأنّ الرِّعاث والسُّلوسَ تَصَلصلت على خُشَشَاوى جأبة الْقَرْن مِغزَلِ
أملّت شهورَ الصّيفِ بَيْنَ إقامة دلولا لها الوَادِى ورمل مَسْهَلِ

قال في معجم البلدان[2]: حزن هكذا غير مضاف طريق بين المدينة وخيبر، ذكره في مغازى الواقدي في غزوة خيبر، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم اليوم في ذلك الموضع الذي ذكره ياقوت[3].

* * *

٧ ــ وقال زهير:

تربَّصْ فَإنْ تُقْوِ المروراة مِنْهم وداراتها لا تقو منهم إذاً نَخْلُ
فَإِنْ تُقْوِياَ مِنْهُمْ فَإنَّ مُحجِّراً وجزعَ الْحِسَا مِنْهُم إذا قلَّمَا يَخْلُو

= سحف فلان رأسه، وسحقه، وسبته، وجلطه وجلمطه، تريد حلقه، والمقاديم : أراد بها مقدم الرؤوس، والقمل: هو هذه الحشرة المؤذية، وأراد الشعر الذي فيه القمل. ويريد بهذه العبارة منى التي هي من مشاعر الحج وفيها يحلق الحاج أو يقصر.

(١) انظر هذه الأبيات في معجم البلدان ٤ /٢٨٦.
(٢) المعجم ٣ /٢٦٩.
(٣) قلت : وانظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية شمال المملكة القسم الأول /٤١٩ حمد الجاسر.

المروراة المروراة: موارد لبني عبد الله بن غطفان ماؤها: مر، والمرة والمرير، ومريران: متوالية واقعة شرقي اللعباء، وهي قريب منها في بلاد غطفان، فسميت المروراة بذلك لأن المياه المحيطة بها كلها مرة المذاق، منها: فج، وفجيج، وثرب، والبدنة، وأبو مغير، والهميج، وبلغة، والماوية فجميع هذه المياه ماؤها مر المذاق، وأسماؤها المذكورة كلها أسماء جاهلية، وقد تقدم الكلام على المرير في بيان المواضع الورادة في شعر امريء القيس.

الدارات وأما الدارات فهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، قريب ماء الهميج في شماليه الغربي، وهي جبال حمر ملتحم بعضها ببعض كأنها حائط مبني، ولا تدخل إلا مع مسالكها، وقد أجزت تلك الدارات مراراً كثيرة، قطعتها في سنة ١٣٣٧ هـ ست مرات ذهاباً واياباً، وفي سنة ١٣٤١ هـ قطعتها مرتين ذهاباً واياباً، وكانت هذه المرة آخر عهدي بتلك الناحية، إذا سرت قاصداً المدنية تركت الماوية على يمينك وماء الهميج على شمالك، فهناك ترى الدارات قريب الهميج، وقد كنت آتيها من بلغة وأبيت بها ثم أنشر منها، وأمر في نهاري على بئر الزعفرانة، وهي بئر حديثة عذبة الماء، إذا سرت منها قاصداً الغرب وتركت جبل رحرحان على شمالك فهناك ترى وادي الحناكية كأن الدوم فيه السفين المرسى في سواحل البحر، والدارات المذكورة يقال لها في عهدنا اليوم «الديّر» ثم أضافوا إلى الهميج فقالوا «دير الهميج» والهميج من مياه المروراة وهي التي عناها زهير في قوله «المروراة وداراتها».

نخل ونخل: باق على اسمه إلى هذا العهد، إذا سلكت الطريق الذي ذكرنا، وطلعت على وادي الحناكية، وتركت رحرحان عن شمالك فعرج على يمينك وسر أقل من ساعة تصل إلى وادي نخل، وفيهم من يصغره فيسميه «النخيل» وهو يصب في وادي الحناكية، يقع منها في الجهة الشرقية. وقال زهير بن أبي سُلْمىٰ في هذا الموضع:

وإنّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَائِي مِدْحَةً إلى ماجِدٍ تُبْغَى لَدَيْهِ الفَوَاضِلُ
أُحَابِي به مَيْتَا بِنَخْلٍ، وَأَبْتَغِي إِخاءَك بَالْقِيْل الذي أنا قَائِلُ

أما محجر فقد مضى الكلام عليه في أشعار امريء القيس(١) محجر

والحِسَا: باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو ماء جاهلي قريب من مياه المرووراة، بينهما أقل من مسافة نصف يوم، قال لبيد(٢): الحسا

ويَوم أجازت قُلَّةَ الحزنِ منهمُ مناكبُ تَعْلُوُ ذَا حِساً وَقَنَابِلُ
على الصُّرْصَرَانِيَّاتِ في كلِّ رِحْلَةٍ وسُوقٌ عِدَال ليس فيهنَّ مائِلُ

وهو معروف عند عامة أهل نجد، ويقال له اليوم «الحسو» وقد تقدم الكلام عليه(٣) على ذكر المرير والمريرة وذكرنا هذين البيتين على المريرة.

أيَا نَخْلَتَي حسْى المريرة هَلْ لَنا سَبِيْلُ إلى ظِلَّيْكُمَا أوْ جَنَاكُمَا
أيَا نَخْلَتَي حسْى المِريرةِ لَيْتَنِي أكونُ طَوَالَ الدَّهْرِ حَيْثُ أرَاكُمَا

وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم «حسو عليا» وهو الذي ذكره زهير حين قال:

* وَجَزْعُ الحَسَا منهمُ إذاً قَلّمَا يَخْلُو *

* * *

٨ ـــ وقال زهير:

لِمَنْ طَلَلٌ كَالْوَحيْ عَافٍ مَنَازِلُهْ عَفَا الرَّسُّ منه فالرُّسَيْسُ فَعَاقِلُهْ
فَرَقْدٌ فَصَارَاتٌ فَأكْنَافُ مَنْعِجٍ فَشرَقِيُّ سَلْمَىٰ حَوْضُهُ فَأجَاوِلُهْ
فَوَادِي البَدِيِّ فالطَّوِيُّ فَثَادِقٌ فَوَادِي القَنَانِ جَزْعُهُ فَأفَاكِلُهْ

(١) انظر ص ١٣٧ من هذا الكتاب

(٢) انظر المعجم ٢٧٥/٣.

(٣) انظر ص ١٣٤ و ١٨١ من هذا الكتاب

الرس، والرسيس، وعاقل: ثلاثة أودية عظام تصب في وادي الرمة، وهن واقعات في جهته الجنوبية.

الرس

أما الرس: فقد مضى الكلام عليه[1] عند بيان قول زهير:

* فهن لوادى الرسِّ كاليد للفم *

وهو باق بهذا الاسم.

الرسيس

والرسيس: باق على اسمه إلى هذا العهد.

قلت: والرسيس: بضم الراء وفتح السين المهملة تصغير الرس: من مناطق القصيم، وهو معلوم معروف.

عاقل

وعاقل: يقال له اليوم «العاقلي» يقع من الرس مما يلي رامة في مطلع الشمس عنه، يبعد مسافة يوم عن الرس، والرسيس يقع من الرس تحت مطلع سهيل، يبعد عنه مسافة يومٍ ، قال القتال الكلابى[2]

نظرتُ وَقَد جَلّى الدُّجَى طاسمَ الصُّوَى
بِسِلْعٍ وَقَرْنُ الشَّمسْ لَمْ يَتَرَجَّلِ

إلى ظُعُن بَيْنَ الرُّسَيْس فَعَاقِلٍ
عوامِد للشِّيقَيْنِ أَوْ بَطْنِ خَنْثَلِ

أَلَا حَبَّذَا تلك البلادُ وَأَهْلُهَا
لَوَ أَنَّ غَدَاً لِي بِالْمَدِيْنَةِ يَنْجَلِي

وقال الحطيئة:

كَأنّى كَسَوْتُ الرحلَ جَوْنَاً رَبَاعيا شَنُوناً تَرَبَّتْهُ الرَّسيسُ فَعَاقِلُ

(١) انظر ص : ٢٦ و ٦٥ و ١١٢ و ٢٢٦.
(٢) انظر معجم البلدان ٤ /٢٥١.

والرس والرسيس وعاقل كلها عامرة اليوم، ولعاقل شواهد يجتمع فيها بالرس والرسيس وله شواهد خاصة، قال جرير(١) :

لَعَمْرُكَ لَأأنسَىٰ ليالىَ مَنْعِجٍ ... ولا عاقلٍ إذ مَنْزِلُ الحيِّ عَاقِلُ

وقال النابغة:

كَأنّي شَدَدْتُ الكَوْرَ حِيْنَ شددتُهُ ... عَلَى قارحٍ مِمّا تَضَمَّن عَاقِلُ

وقال عميرة بن طارق اليربوعي:

وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَجْدٍ هَوىً غيرِ أنَّنِي
تُذَكِّرُنِي رِيْحُ الْجَنُوبِ ذُرَى الْهَضْبِ

وَأنِّي أحبُّ الرِّمْثَ من أرضِ عَاقِلٍ
وصوتَ القَطَا في الطَّلِّ والمطرِ الضَّرْبِ

فَإنْ أكُ من نَجْدٍ سقَىٰ اللهُ أهلَه
بمنانةٍ منه فقلبي على قُرْبِ

وقال عبد الرحمن بن دارة:

نظرتُ ودورٌ من نَصِيبِينَ دوننا ... كأن عَرِيات العيون بها رُمْدُ
لكيما أرى البرق الذي أومضت به ... ذرى المزن عُلْوَّياً وكيف لنا يَبْدُوُ
وَهَلْ أسْمَعَنَّ الدَّهْرَ صَوْتَ حَمَامَةٍ ... يَمِيلُ بِهَا من عاقل غُصُنُ مَأدُ
فَإنّي وَنَجْداً كالقَرِيْنَيْنِ قَطَّعَا ... قُوىً من حِبَالٍ لم يُشَدَّ لها عَقْدُ
سَقَىٰ اللهُ نَجْداً من خليل مُفَارِقٍ ... عَدَانَا العِدَى عنه وَمَا قَدُمَ الْعَهْدُ

(١) انظر هذه الشواهد في معجم البلدان ٦ /٩٧.

وقال لبيد بن ربيعة العامري في ذكر عاقل:

تمنّى ابْنَتَاىَ أنْ يَعِيْشَ أَبُوْهُمَا وَهَلْ أنَا إلا من رَبِيْعَةَ أَوْ مُضَرْ
وَنَائِحَتَــانِ تَنْدُبَــانِ بعَاقِــلٍ أخا ثقة لاعَيْنَ منه وَلَا أثَرْ
وفي أَبْنَى نِزَار أسوةٌ إن جَزِعْتُمَا وإن تسألاهم تُخْبَرَا منهمُ الخَبَرْ

وَرقْد وصارات، وأكناف منعج، وشرقي سلمى، حَوْضُهُ وأجاوله، فأما صارات فقد سبق الكلام عليها في الكلام على معلقة امريء القيس[1]، وهي باقية بهذا الاسم إلى اليوم، إذا أفردتها قلت: صارة، وإذا جمعتها قلت: صارات.

وصارة: اسم لهضبة سوداء، وصارات: هضاب صغار متصلة بها، وإليك بيتاً واحداً جمع ثلاثة مواضع، وهو دليل على أنها مجتمعة قريب بعضها من بعض، قال لبيد بن ربيعة[2]:

فأجماد ذي رَقْدٍ فَأَكْنَافِ ثادقٍ فصارة توفي فوقها فَالْأَعَابِـلَا

وقال محمد بن عبد الملك الفَقْعَسي :

سَقَى الله حَيّاً بَيْنَ صَارَةَ والْحِمَىٰ حِمَى فَيْدَ صَوبَ المدْجنَات المواطِرِ
أمينَ، وردَّ اللهُ من كانَ منهُمُ إليهم، ووقّاهمُ صُرُوفَ المقادِرِ

وجميع هذه المواضع التي ذكرها زهير كلها متصل بعضها ببعض.

منعج — ومنعج: قد مضى الكلام عليه في معلقة امريء القيس[3] وخلاصته أن منعجا جبال دخنة، ودخنة: هجرة معروفة لبني سالم من حرب، وقد زال عنها اسم منعج، ولا تزال أشعار العرب تروى فيه، قال بعض الأعراب:

(١) انظر ص ٥٩ و ٦٠ من هذا الكتاب
(٢) انظر معجم البلدان ٥/٣٣١.
(٣) انظر ص ١١٠ من هذا الكتاب

أحبُّ بِلَادِ الله ما بين مَنْعِجٍ إليَّ وَسَلْمَى أن يصوّبَ سَحَابُهَا

رقد

وأما رقْد فاسمه قديم جاهلي، قال الشاعر:

أَحَقّاً عِبَادَ الله أن لَسْتُ سَائِراً بصحراء شَرْجٍ في مَوَاكب أوْ فَرْدَا
وَهَل أرينَّ الدَّهْر عبلاءَ عاقِرٍ وَرَقْدا إذا ما الآلُ شَبَّ لَنَا وقدَا

وقال الصِّمَّة الأكبر(١)

جَلَبْنَا الْخَيْلَ من تَثْلِيثَ حتَّىٰ أَصَبْنَا أَهْلَ صَاراتٍ فَرَقْدِ
وَلَم نَجْبُنْ وَلَم ننْكل، ولكن فَجَعْنَاهم بكلّ أشَمَّ جَعْدِ

والشعراء يذكرون رقدا مع صارة، وثادق، وعاقل، ومنعج. وهذه المواضع كلها يُرىَ بعضها من بعض: صارة ورقد وثادق هذه الثلاثة على ضفة وادي الرمة في جهته الشمالية مما يلي أبانات، وأنا لا أعرف رقدا بهذا الاسم، إلا أنه في تلك الناحية، وهناك موضع يقال له «وقط» وأظن أنه رقد المذكور تغيرت داله طاء وراؤه واوا.

الحوض

والحوضُ الذّي ذكره زهير في قوله:

* فَشَرْقِيُّ سَلْمىٰ حَوْضُهُ فَأَجَاوِلُهْ *

ما أظنه إلا ذلك الوادي الواقع شرقي سلمى بين قرى القصيم الشمالية وقرى الجبل الجنوبية ويقال له اليوم «الحويض».

البدى

والبدىّ: يأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في معلقة لبيد، لأن البدى: اسم يقع على واديين: أحدهما: الذي ذكره زهير في قصيدته هذه، وهو في طرف القصيم الشرقي، والثاني: الذي ذكره لبيد في معلقته وبائيته، وهو واقع في بلاد بني

(١) قلت : والصمة الأكبر هو الصمة القشيري، من بني عامر بن صعصعة ومن مضر توفى نحو ٩٥هـ، كان يسكن بادية العراق، وانتقل إلى الشام، ومات في طبرستان.

عامر بن صعصعة قريب دمخ.

الطوى أما الطَّوِى: فكل بئر مَطْوية يقال لها عند العرب «الطَّوِي».

ثادق وثادق: ماء معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم، وهو الآن عامر فيه نخيل ومزارع، عمره جماعة من حرب يقال لهم البيضان، ورئيسهم ابن غميض، يصبُّ واديه في وادي الرمة، يقع من أبان الأسود على مسافة نصف يوم في جهته الغربية، قال الأصمعي: هو واد ضخم يفرغ في وادي الرمة، قال عقبة بن سوداء[1]:

أَلَا يَا لِقَوْمى لِلْهُمُوم الطَّوَارِق وربعٍ خَلَا بين السَّلِيلِ وَثَادِق

وقال الشاعر:

سَقَى الأربعَ الآطار من بَطْنِ ثَادِقٍ هزيمُ الكلى جَاشَتْ بِه الْعَيْنُ أمْلَحُ

وقال عبد الرحمن بن دارة:

قَضَىٰ مَالِكٌ مَا قَدْ قَضَىٰ ثم قَلَّصَتْ به في سوادِ اللّيْلِ وَجْناءُ عِرْمِسُ
فَأَضْحَتْ بِأَعْلَى ثَادِقٍ فكأنَّهَا مَحَالةُ غَرْبٍ تستمرُّ وتُمرِسُ

وثادق: كما ذكرنا غربي أبان الأسود.
ووادي القَنَان قد مضى الكلام عليه في معلقته[2]

٩ ــ وقال زهير:

عَزِيْزٌ إذَا حَلَّ الْحَلِيْفَانِ حَوْلَهُ بِذِي لَجِبٍ لجَّاتُـهُ وَصَوَاهِلُـهْ[3]
يُهَدُّ لَهْ مَا دُوْنَ رَمْلَةِ عَالِجٍ وَمَنْ أَهْلُهُ بالغَوْرِ زَالَتْ زَلَازِلُهْ

عالج عالج: رمال بين النباج الذي يقال له اليوم «الأسياح» وبين شرقي

(١) انظر هذه الشواهد في معجم البلدان ٣/ ٣.
(٢) انظر ص ١٥٨ من هذا الكتاب
(٣) هذه رواية الأعلم ورواه ثعلب «إذا حل أحياء الأحاليف حوله».

حائل، جميع الأكّثِبَةِ المتصلة في تلك الناحية يقال لها: رمال عالج، إذا أجازها الحاج المتوجه من البصرة قاصداً المدينة يمر في طريقه على فيد الماء المعروف في شرقي سلمى، وهذه الرمال لا تعرف بهذا الاسم اليوم قال عبيد بن أيوب اللص(١):

انْظرْ فَرنّخ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً رَأْدَ الضُّحَىٰ اليومَ هَلْ تَرْتَادُ أظْعَانَا
يَعْلُوْنَ من عَالِجٍ رَمْلاً وَيعْسفُه أخُو رمَالٍ بها قَدْ طَالَ ماكَانَا
إذا حَبَا عَقَدَ نكّبْنَ أصْعَبَهُ وَاجْتَبْنَ مِنْه جَماهِيرا وَغِيْطَانَا

وقال أعرابي:

أَلَا يا بُغَاثَ الوحشِ هَيَّجْتَ سَاكِنَاً
مِن الْوَجْدِ في قلبي أصمّكَ صَائِدُ

رَمَيْتَ سليمَ القَلْبِ بالحُزْن في الْحَشَا
وَمَا قلبُ من أشْجَيْتَ بالموتِ طَارِدُ

أفى كل نجدٍ من تلاد وعابرٍ
بُغَامُ مَهَاةِ الْوَحْشِ لِلْقَلبِ قَاصِدُ

أُتِيْحَت لَنَا مِنْ كُلّ مُنْعَرَجِ اللّوىٰ
وَمُتْنَا بِهَا يوم العذيبين نَاهِدُ

يُرَاشِقُ أكْبَادَ المحبّينَ باللّوىٰ
من الوَحْش مرتابُ الْمَذَانِبِ فَارِدُ

فَيَا رَاشقَات العَيْنِ من رَمْلِ عَالِجٍ
مَتَىٰ منكمُ سِربٌ إلى الماء وَارِدُ

---

(١) انظر معجم البلدان ٦ /٩٩.

فَمَــا القَــلْبُ مِنْ ذِكْــرىٰ أميمــــةَ نَازِعٌ
وَلَا الدَّمْعُ ممّــا أضْمَــر الْقَــلْبُ جَامِــدُ

الغور أما الغور: فهو مشهور في كتب التاريخ، واسمه باق إلى هذا العهد.

* * *

١٠ ـــ وقال زهير في قصيدة مَدَح بها هَرِمَ بنَ سنان المرّي، ومطلعها:

إنَّ اَلخْلِيطَ أجَدَّ البين فَانْفَرَقَا وَعُلِّقَ الْقَلْبُ مِنْ أسْمَاء مَا عَلِقَا

إلى أن قال:

بِجِيدِ مُغْزِلَـةٍ أدْمَـاءَ خَاذِلَـةٍ من الظِّبَاءِ تُرَاعِي شَادِناً خَرِقَا
كَأنَّ رِيقَتَهَا بَعْدَ الكَرَىٰ اَغْتَبَقَتْ من طيِّب الرَّاحِ لَمَّا يَعْدُ أن عَتَقَا
شَجَّ السُّقَاةُ علىٰ نَاجُوْدِهَا شَبِماً من ماءِ لِيْنَةَ لَا طَرْقاً وَلَا رَنَقا
مَازِلْتُ أرْمُقهُمْ حتّى إذا هَبَطَتْ أيْدي الرِّكابِ بِهِمْ من رَاكِسٍ فَلَقَا

لينة أما لينة: فهي آبار ماؤها عذب لا تزال باقية بهذا الاسم إلى هذا اليوم، كانت في الزمن القديم المنزل الرابع لقاصد مكة من واسط، وهي عامرة، وبها مركز وقصر منيع لحكومة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود حفظه الله، وبعض من يتوجه منها يسلك حائلاً، قال الأشهب ابن رُمَيْلَة(١):

ولله دَرِّي أيُّ نَظْرةٍ ذِي هَوىً نظرتُ ودونى لِيْنَـةٌ وكِثْيْبُهَـا
إلى ظُعُنٍ قد يَمَّمَتْ نَحْوَ حائِلٍ وقد عزَّ أرواحَ المصيفِ جنوبُهَا

وكانت في الزمن القديم من مياه طيء، وتخالطهم فيها بنو أسد، وهي صالحة للابل، قال مضرس الأسدي(٢).

(١) انظر المعجم ٧ /٣٤٧.

(٢) : مضرس بن ربعي بن لقيط الأسدى، شاعر حسن التشبيه والوصف أورد له البغدادي أبياتاً جيدة في وصف ليلة ويوم، ومقطوعة منها حكمة. وقال «هو شاعر جاهلي».
=

لِمَنِ الدّيارُ غَشيْتُهَا بالإِثمِدِ بصَفَاء لِيْنَةٍ كَالْحَمَامِ الرُّكَّـدِ
أمْسَتْ مساكِنُ كَلِّ بيضٍ راعةٍ عَجِلٍ تروُّحُها وَإنْ لَمْ تُطْرَدِ
صفراءُ عارِيَةُ الأخادعَ رَأْسُهَا مِثْلُ المُدُقِّ وَأنُفُهَا كَالْمِسْرَدِ
وسخال سَاجِيَةِ الْعُيُونَ خَوَاذل بجمادِ لينةٍ كالنَّصارَىٰ السُّجَّدِ

وراكس: باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم، يقع في شرقي بلغة جبل ممتد أسود ليس بالرفيع به أبْرُقٌ، على جنبه رمل وأحجار، وقد أضيف إليه هذا الأبرق فقيل «أبرق راكس» وهو يبعد عن بلغة أقل من مسافة يوم، ويقع عن الماوية مما يلي مطلع الشمس أكثر من مسافة يوم، وقد قيلت فيه أشعار كثيرة، وقد ذكرنا قسماً منها، قال عباس بن مرادس السلمى(١): راكس

لأسماءَ رَسْمٌ أصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسَاً وَأوْحَش إلا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا

وقال داود بن عوف أخو عامر بن ربيعة:

وَأنَا ذَمَمْنَا الْأعْلَمَ بنَ خُوَيْلِدٍ وحلمَ عقالٍ إذ فَقَدْنَا أبَا حَرْبِ
إذا ما حَلَلْتُمْ بِالْوَحِيْدِ وَرَاكِسٍ فذلكَ نَصْرٌ طَائِشٌ عن بنى وَهْبِ

ورحرحان الذي ذكره عباس بن مرادس السلمي يقع غربا عن راكس مسيرة يومين.

* * *

١١ ــ وقال زهير:

دَانِيَةً من شَرَوْرَى أوْقَفَا أدَمٍ يَسْعَى الُحَداةُ على آثارِهِمْ حِزَقَا
كأنَّ عينيَّ في غَرْبَىْ مقتَّلةٍ مِنَ النَّوَاضِحِ تسقى جَنَّةً سُحُقَا

= واختار أبو تمام (في الحماسة) قطعتين من شعره. وروى له المرزباني عدة مقطوعات وانظر كتابنا الالتزام الإسلامي في الأدب) ص /٢٣٠.

(١) انظر المعجم ٤ /٢٠٩.

شرورى أما شَرورى فقد مضى الكلام عليها عند الكلام على الهضب الذي يقال له هضب شرورى وأما أدم فيقال لها اليوم «أدمى» وهي تقع في الشمال الغربي من ضرغد بينهما مسافة يوم في مقطع الحرة، وهي حرة منيعة، قال القتال الكلابي وقد توعده مروان بن الحكم[١]:

أدم

وأرسلَ مروانُ الأميرُ رسولَه ... لآتِيَهُ، إنّي إذا لَمُضَلَّلُ
وَفِي سَاحةِ العَنْقَاء أو في عَمَاية ... أو الأدَمىٰ من رَهْبَةِ المَوْتِ موئِلُ

وقال أبو سعيد السكري في قول جرير:

يَاحَبَّذَا الخَرْجُ بَيْنَ الدّامِ والأدَمىٰ ... فَالرِّمْثُ من بُرْقَة الرَّوْحَان فَالْغُرَفُ

الدام والأدمى في بلاد بني سعد.

وقال أبو خراش الهذلي:

تَرَى طَالِبَ الحَاجَاتِ يَغْشَوْنَ بابَه ... سِرَاعاً كَمَا تَهْوىٰ إلى أدَمىٰ النَّحْلُ

تنبيه ــ ونريد أن ننبه القارىء إلى أن الشاهد الذي أوردناه للقتَّال الكلابي، إنما عنى به أدمى التي ذكرها زهير، وذلك أنها حرة منيعة. وأما التي ذكرها جرير فهي واقعة في جبال اليمامة ولا تزال معروفة بهذا الاسم إلى اليوم، وأما التي ذكرها أبو خراش الهذلي: فهى من جبال الطائف، ويقال لها اليوم «أدمة» إذا خرجت من بلد الطائف وأجزت قصر شبرا سالكاً طريق الحوية العائدة لسمو الأمير فيصل آل عبد العزيز وتركت بستان سمو الأمير عبد الله على شمالك، فإنها حينئذ على يمينك يحفها الطريق[٢].

(١) انظر معجم البلدان ١ /١٥٧ ومابعدها.

(٢) ثم انى بعد ماذكرت «أدم» وحددت المواضع التي يطلق عليها هذا الاسم وجدت رجلاً خبيراً عارفاً ببلاد غطفان ومياهها وجبالها، فسألته عن أدمى، فقال : هي هضبة =

١٢ ــ وقال زهير:

ردَّ الجِمَالَ قِيَانُ الحيِّ فاحتملوا إلى الظهيرةِ، أمْرٌ بَيْنَهُمْ لَبِكُ[١]
ضحَّوْا قِليلَا قَفَا كُثْبَانِ أسْنُمَة ومنهــم بالقسومِيَّـاتِ مُعْتَــرِكُ[٢]

أما أسنمة: فقد أجمع أهل الأخبار أنها لم تسم أسنمة إلا الأن الكُثْبَان فيها كأنها أسْنِمَة الإبل، وهي واقعة على طريق الحاج بين البصرة والمدينة، وهي آخر العروق الغربية من جهة سَلْمىٰ، وهناك موضع في تلك الجهة يقال له في هذا العهد «أسنمة نواظر» وهي التي عناها زهير، ويدل على أنها في تلك الناحية البيت الذي سنورده بعد هذه العبارة وأسنمة هي التي عناها ربيعة بن مقروم[٣] بقوله: أسنمة

لِمَنِ الدِّيَارُ كَأنَّها لم تُحْلَلِ بَجنُوبِ أسْنِمَةٍ فَقُفِّ العُنْصُلِ
دَرَسَت مَعَالِمُهَا فباقى رَسْمُهَا خلَق كعنوان الكتاب المُحْوِلِ

دارٌ لِسُعْــدىٰ إذ سُعَــاد كَأَنَّهَـــا
رشأٌ غضيضُ الطَّــرفْ رَخصُ المــفصَلِ

وأما أسنمة الواقعة في بلاد بني تميم في رمالها الشرقية التي يقول فيها جرير:

= حمراء ملمومة ليست بالرفيعة، تقع من جبل رخام في الشمال الغربي على مسافة يوم أو أقل، وهضب شرورى الذي يسمى اليوم هضب القتاد، يبعد عنها إلى الجنوب مسافة يوم، وهي التي ذكرها زهير، وهي واقعة في قلب بلاد غطفان، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، المؤلف.

(١) في الديوان «رد القيان جمال الحي»

(٢) هذه رواية الأصمعي، وروى ثعلب وياقوت «وعرسوا ساعة في كثب أسنمة».

(٣) انظر معجم البلدان ١ /٢٤٦.

قَالَ العواذلُ: هَلْ تَنْهَاكَ تَجرْبَةٌ   أمَّا تَرىٰ الشَّيْبَ والاخوان قد دَلَفُوا
أم ما تَلِمُّ على رَبْعٍ بأسنمة   إلَّا لعينك جارٍ غَرْبُه يَكِفُ
مَا كَانَ إذ رَحلُوا من أرضِ أسْنِمَة   إلّا الذَّمِيلُ لهاِ ورد ولا عَلَفُ

فأسنمة هذه غير التي ذكرها زهير.

القسوميات

أما ماء القَسُوميات فأنا لا أعرفه اليوم بهذا الإسم، والمياه الواقعة بين أسنمة وسلمىٰ كثيرة قال ياقوت في معجمه[1] على القسوميات: أنها ثمد فيها ركَايا كثيرة، وبيت زهير هذا يدل على أنها مياه ألا ترى إلى قوله:

* ضَحّوْا قليلاً قَفَا كثبانِ أسنمةٍ *

فإن هذه العبارة تدل على أن أسنمة خالية من الماء، ثم قال وهو عجز البيت:

* ومنهم بالقَسُومِّيات معترك *

أراد اعتركوا على الماء وشرابه وسقى ابلهم منه، استعار هذه اللفظة من معركة القتال، ولما ذكر ياقوت القسوميات في معجمه لم يورد عليها من الشواهد إلا بيت زهير.

١٣ ـــ وقال زهير، وهو الذي بعد هذا البيت:

ثم اسْتَمَرُّوا وَقَالُوا: إنَّ مَشْرَبَكُمْ   ماء بشرقيِّ سَلْمىٰ فَيْدُ أوركَكُ
يَغْشَى الحُدَاةُ بِهِمْ وَعْثَ الْكثيِبِ كَماَ   يُغشِي السَّفائنَ موجُ اللجَّةِ العَرَكُ[2]

فيد

وفيد: بلد قديم جاهلي، وهو باق على اسمه هذا إلى هذا اليوم، يقع

(١) المعجم ٧ / ٩٠
(٢) في الديوان «يغشى الحداة بهم حر الكثيب» والعرك ـــ بفتحتين ـــ الملاحون، ويروي بكسر الراء وهو المتلاطم الذي يدفع بعضه بعضاً.

شرقي سَلْمىٰ مما يلي مطلع الشمس، منقطع من سلمى، فيه نخيل ومزارع، وقد ذكروا في تقسيم الطريق بين مكة والكوفة أنها في نصف المسافة بين مكة والكوفة، ويضع حاج العراق فيها أثقالهم حتى يرجعوا إليها، قال الزجاجي: سميت بفيد بن حام بن نوح، وأهلها في الجاهلية ثلاثه أثلاث: ثلث من العُمريين، وثلث لآل أبي سلامة من همدان وثلث لبني نبهان من طي، وهي من ملحقات جبلي طي، ولا يحتاج إلى شواهد على هذا الاسم، وينسب إلى هذا البلد محمد بن يحيىٰ ابن ضريس الفَيْدى، ومحمد بن جعفر بن أبي مواتية الفيدي، وأبو اسحاق عيسى بن إبراهيم الفَيْدى الكوفى وهو عالم جليل، سكن فيدا، يروى عنه موسى الُجهَني، روى عنه أبو عبد الله عامر بن فزارة الكوفي وغيره.

وركَك: واد عظيم باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم، يصب من جبل سلمىٰ في جهته الشرقية مما يلي الشمال، كثير المياه، قال عبيد بن الأبرص الأسدي[١]: ركك

تَغيَّرت الدّيارُ بذي الدَّفِينِ فأودية اللّوى فرمالِ لِينِ
تَبيَّنْ صاحبي أترى حَمُولا تشبه سيرها عَوْم السَّفين
جعلن الفَلَج من رَكَكٍ شَمَالا ونَكَّبْنَ الطَّوِيَّ عن اليمين

ورَكَك معروف عند أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا اليوم.

* * *

١٤ ــ وقال زهير يصف فرساً :

كَأنَّهاَ مِنْ قَطَا الْأَجْبَابِ حَلَّأهَا وِرْدٌ وَأفْرَدَ عَنْهاَ أخْتَهَا الشَّرَكُ[٢]

(١) انظر معجم البلدان ٤ /٢٧٩.

(٢) الأجباب : جمع جب بالضم ــ وأصله البئر لم تطو، وقال ثعلب : الأجباب مواضع فيها ركايا. والورد ــ بكسر ــ الابل الواردة، وحلأها منعها، وروى ثعلب «حان لها ورد» يقول : نظرت إلى الماء فرأت عليه ناساً كثيرين فلم ترده، والشرك : حبال الصياد، وروى ثعلب في مكانه «الشبك» والمعنى واحد.

جُوَنِيَّةُ كحصاةِ اَلْقَسْمِ مَرْتَعُهَا بالسِّيِّ، ما تُنْبِتُ القفعاءُ والْحَسَكُ[1]

السى والسيِّ: واد معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، واقع بين معدن بني سليم الذي يقال له اليوم «المهد» وبين حَرة بني سليم وسيوله وسيول ساية، تصب إلى جهة الغرب وتنحدر إلى أعلى وادي فاطمة المسمى «مر» وساية الوادي المذكور: فيه نخيل ومزارع، وسكانه بنو سليم، وسى هذا هو الذي عناه زهير. وكلا الواديين باق بهذا الاسم إلى اليوم، قال خالد بن مالك الهذلي في ذكر[2] ساية.

بودك أصحابى فلا تزدهيهمُ بسَاَيةَ اذ دَمّتْ علينا الحلائبُ

وقال المعطل الهذلي في ذكر ساية

أَلَا أَصْبَحَت ظمياءَ قَد نَزَحَتْ بِهَا نوىٰ خَيْتعورُ طَرْحُهَا وَشَتَاتُهَا
وَقَالَتْ: تَعَلَّم أنَّ ما بَيْنَ ساية وَبَيْنَ دُفاقٍ رَوْحةَ وَغداتُها

وقال أبو عمرو الهذلي:

أسائِلُ عنهم كلما جاء راكبٌ مقيماً بأملاح إذا رُبِطَ الْيَعْرُ
وما كُنْتُ أخشى أن أعيش وراءهم بِستِةَّ أبيات كما نبت العِتْرُ[3]
بما قد اَراهُمْ بين مَرَّ وسايةٍ بكل مسيل منهم أنسٌ غِبُرُ

مر ومر: هو مرّ الظهران الذي يقال له اليوم «وادى فاطمة» يصب سيله في البحر الأحمر، وفي أعلاه موضع يقال له «وادى مر» لا يزال يعرف

(١) جونية : أى فيها سواد، وحصاة القسم : المدرة التي يقدر بها الماء في القدح إذا تصافنوا، وانما يفعلون ذلك إذا نفذ ماؤهم، يتقاسمونه فيأخذ كل منهم مقدار ما يغطي حصاة، وأراد أنها مستوية لأن قسم الماء بالحصاة لايكون فيه حيد ولاغبن. والسي ــ بكسر السين ــ أصله ماستوى من الأرض، والقفعاء : بقلة من أحرار البقول.

(٢) معجم البلدان ٥ /٢٣.

(٣) العتر ــ بالكسر ــ نبت لايزيد ورقه عن ست ورقات ولاينقص عنها.

بهذا الاسم إلى هذا العهد، وساية داخلة في أودية الحجاز أما «وادي سِيٍّ» الذي ذكره الشاعر فإنه يقع في شرقيها على حدود جبال الحجاز وقال جرير في ذكر السّىَ:

إذا ما جعلْتُ السِّيَّ بيني وبينَهَا ... وحرَّةَ ليلى والعقيقَ اليمانيا

دعوتُ إلى ذي العرش ربِّ محمّدٍ ... ليجمع شعْباً أو يقرب نائيا

ويأمرني العُذَّالُ أن أترك الهوى ... وأن أخفَي الوجْدَ الذي ليس خافيا

فيا حَسَراتِ القَلْبِ في إثْرِ من يُرَىٰ ... قريباً وَيُلْفىٰ خَيْرُه منك قَاصِيَا

وإنّي لَعَفُّ الفقْرِ مُشْتَرِكُ الْغِنَىٰ[١] ... سريعٌ إذا لم أرضَ دارِى انْتِقَالِيَا

وقال ابن راح بن قرة أخو بني الصَّمُوت يذكر السِّيِّ[٢]:

وإن عمّـــادَ السّى قد حالَ دونهـــا ... طَوى البطـن غَوّاص عَلَـى الهَـوْلِ شَيْظَـمُ

فكيــفُ رأيتُـم شيخَنَــا حِيْــنَ ضمَّــهُ ... وإياكُــــم ألب الحــــوادث يَزْحَــــمُ

وأما الأجباب التي ذكرها زهير في قوله: الأجباب

*** كأنها من قَطَا الأجباب الخ ***

فإني لما نظرت في شرح الأعلم[٣] على هذا البيت رأيته قال:

(١) قلت : وهذا الشطر يروىٰ من بيتين ينسبان لحاتم الطائي، وهما قوله :

وإنّـــي لعـــف الفقـــر مشتـــرك الغنـــىٰ ... وتـــارك شكـــل لايوافقـــه شكلـــي

وشكلـــي شكـــل لايقـــوم بمثلـــه ... إلاكـــلُّ ذي ثقـــةٍ مثلـــي

(٢) انظر معجم البلدان ٥ /٢٠٤.

(٣) قلت : يريد الأعلم الشنتمري.

الأجباب: جمع جب، وهو كل بئر لم تطو، وحدثني الخبيرون ببلاد طي وبلاد بني أسد وبلاد غطفان أن في شرقي سلمى آباراً يقال لها «الأجباب» واقعة في موضع بين فيد[1] وركك، وهي للركك أقرب، ولم يَعْنِ زهير إلا تلك الآبار، وهي باقية بهذا الإسم إلى هذا العهد.

* * *

١٥ ــ وقال زهير:

تَعَلَّمَنْ ها لَعَمْرُ اللهِ ذَا قَسَماً   فَاقْصِدْ بِذَرْعِكَ وانْظُر أيْنَ تَنْسَلِكُ
لَئِنْ حَلَلْتَ بجوٍّ في بَنِي أسَدٍ   في دين عَمْرو وَحالَتْ بَيْنَنا فَدَكُ
لَيَأْتِيَنَّكَ مِنّي مَنْطِــقٌ قَذَعٌ   باقٍ كَمَا دَنَّسَ القُبْطِيَّة الوَدكُ

وقد غلط (أخطأ) كثير من الشراح والطباع بسبب نقطة وضعوها تحت الحرف فصار «جوا» فلو وضعوها فوق لكانت «خوا» وهي الواقعة في بلاد بني أسد، والصحيح أن زهيراً قصدها وأن صواب الرواية.

* لئن حللت بخو في بني أسد ــ البيت *

خو   وخو: ماء جاهلي يقع في شرقي سميراء الجنوبي في خشم الجبل المسمى «حبشى» وقد وردته تسميه العامة اليوم «الخوة» وعنده يوم من أيام العرب كان لبني أسد على بني يربوع قَتَلَ فيه ذؤاب بن ربيعة عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي، قال مالك بن نُوَيرة[2]:

وَهوَّن وجدى أن أصابتْ رِمَاحُنَا   عَشيةَ خَو رَهْطَ قيس بنِ جابر
عميد بني كوز وأفناءَ مالكٍ   وخَيْر بَني نصرٍ وخَيْرَ الغواضر

---

(١) وعبارة ثعلب «الأجباب مواضع فيها ركايا».
(٢) معجم البلدان ٣ /٤٩٢.

وقال بعثر بن لقيط الفقعسي، وهو أسدي :

ألَا حيِّ لي من ليلة القبر انه ... مآب، وان أكرهتُهُ، أنا آيبُهْ
وبارك خو ينسج الريح متنه ... إذا أطردت قريانه ومذانِبُهْ
إذا أفْأمَتْ فيه الجنوب كأنما ... يدق به قرنَ الْقَرَنْفُلِ ناشبُهْ
إذا نَوَّرت غراؤه ودماثُـــــهُ ... وزين بقُلح الأيهُقان أخاشَبُهْ
كأن لها عَيراً من المسك حَلَّها ... دَهاقينُ مَلْك تجتني ومَرَازِبُـهْ
وتارك ريعان الشباب لأهلـه ... تروح له أصحابه وصَوَاحِبُـهْ

وقال الراجز(١):

وَبَيْـنَ خويـن زقـــاقِ واسِعْ ... زقـاقُ بَيْـنَ التيـنِ والرَّبائِـــعْ

والتين أعرفه، لا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد، إذا كنت عند خو رأيته بعينك في الجهة الجنوبية منه، وفيها ــ أعني خوا المعروف اليوم بالخوة ـــ قصر ومزارع تبعد عن سميراء أقل من نصف يوم مما يلي مطلع الشمس.

فدك

وأما فَدَك: فهو المعروف اليوم عند عامة العرب بالحائط والحُوَيط واقع في حَرَّة سوداء يحيط به حِرَار سود، وهو في أرض منخفضة في الحرة، فيه ثلاث عيون تصب من الحرة وتسقى نخيله، وهو كثير النخل، ويعرف باتصال الحمي، وقد أتيته ثلاث مرات للاتجار: الأولى أقمت فيه شهراً وذلك في سنة ١٣٤١هـ، ومرضت بالحمى وشفاني المولى منها، ولما افتتح رسول الله ﷺ أكثر حصون خَيْبر، ولم يبق إلا ثلثها واشتد الحصار بأهلها أرسلوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن ينزلهم على الجَلاء فأجابهم، فبلغ ذلك أهل فَدَك فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ وعرضوا عليه أن

(١) قلت : يريد الراجز العماني.

يصالحهم على نصف ثمارهم وأموالهم، فأجابهم إلى ذلك، فهي مما لم يُوجِفْ عليه بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول الله ﷺ، وأخبار فدك طويلة، ولما انتقل رسول لله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ضمها أبو بكر إلى بيت المال، فلما توفي رضي الله عنه ــ وكانت فاطمة قد توفيت ــ وولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تنازع عليٌّ رضي الله عنه والعباس بن عبد المطلب، عليٌّ يقول: إن رسول الله ﷺ جعلها لفاطمة، فهي لنا، والعباس يأبىٰ ذلك ويقول: هي ملك رسول الله ﷺ وأنا وارثه، فكانا يختصمان إلى عمر رضي الله عنه، فيابىٰ أن يحكم بينهما، ويقول: أنتما أعرف بشأنكما أما أنا فقد أسلمتها إليكما، فاقصدا، فما يؤتي واحد منكما من قلة معرفة، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله في المدينة يأمره أن يرد فَدَك إلى ولد فاطمة رضي الله عنها، فكانت في أيديهم أيام عمر بن عبد العزيز، فلما ولي يزيد بن عبد الملك قبضها منهم، فبقيت في أيدي بني أمية إلى خلافة بني العباس، فلما كان عهد المأمون جاء رسول بني علي ابن أبي طالب فطالب بها، وشكا إلى المأمون، فأمر المأمون أن يسجل لهم بها سجل يكون بأيديهم، فلما قرىء السجل على المأمون ودعبل[1] الشاعر بين يديه، قام وأنشد القصيدة التي مطلعها:

أصْبَحَ وَجْهُ الزّمان قد ضَحِكَا   بردِّ مأمــونِ هاشمٍ فَدَكَــا

---

(١) قلت : هو دعبل الخزاعي (١٤٨ ــ ٢٤٦هـ) وهو، دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي شاعر هجاء. أصله من الكوفة. أقام ببغداد. له أخبار، وشعره جيد. وكان صديق البحتري. وصنف كتاباً في (طبقات الشعراء). قال ابن خلكان في ترجمته : كان بذىء اللسان مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس، وهجاء الخلفاء ــ الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق ــ فمن دونهم وطال عمره، فكان يقول : لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك! توفى ببلدة تدعىٰ الطيب بين وأسط وهو زرتاه) وكان طوالاً ضخماً أطروشاً. الأعلام ج ٣ /١٨.

والذي بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل فدك بالصلح مُحَيصة بن مسعود، ورئيس فدك يومئذ يوشع بن نون اليهودي.

وفدك الذي ذكره زهير هو المعروف بالحائط في هذا العهد، سكانه اليوم يقال لهم «الحوايطة» جلدتهم سوداء، وبلغني أن الحائط كان ملكاً لابن مجلاد من رؤساء عنزة، ثم جلا إلى العراق واستوطنها في أواخر القرن الثاني عشر، وبقى به عبيده وفلاحوه، وملكوا تلك الناحية شيئاً فشيئاً إلى هذا اليوم، وهم باقون فيه، وباديتهم هتيم، وهو واقع في القطعة التي يتجولون فيها ويقيظون فيها أيام صرِام التمر، وهي بين المدينة المنورة وبين حائل مدينة جبلى طي، في نصف المسافة بينهما تقريباً.

* * *

١٦ ــ وقال زهير في قصيدته التي مطلعها:

قِفْ بالدِّيارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا القِدَمُ ... بَلَى وَغَيَّرَهَا الأرواحُ والدِّيَمُ

وهذه القصيدة مدح بها هرم بن سنان المُرىَّ، وتوسع في المواضع فذكر السر والعتكين، وهما في شرقي نجد، وذكر قرقري وبرك وهما في جنوبي نجد الشرقي، وذكر صبحا وهي في جنوبي نجد، وذكر ظلما، وهي في جنوبي نجد الغربي، وقد توسع في المواضع كما توسع في مديح هرم ــ قال:

دَارٌ لأسماءَ بالغمريْنِ مَاثَلةٌ ... كالوَحْى ليس بِهاَ من أهْلِهَا أرمَ
وَقَدْ أرَاهَا حديثاً غَيْرَ مُقْوِيَةٍ ... السِّرُّ منها فوادِى الحَفْرِ فالهِدَمُ[١]

(١) في الديوان برواية ثعلب «بل قد أراها جميعاً غير مقوية» وفي رواية «الجفر» بالجيم مكان الحاء.

الغمران: هما «غمرة» الماء المعروف بهذا الاسم الواقع في بلاد غطفان، وهي واقعة على ضفة وادي الرمة الشمالية، بين مصب الجريب في الرمة وبين الحاجر، وهي على هذا الاسم إلى هذا العهد وغمرة الثانية: واقعة في أعلى بلاد غطفان، وهي فاصلة بين نجد والحجاز مما يلي معدن بني سليم، وهاتان الغمرتان هما اللتان عناهما زهير، لأنهما واقعتان في بلاد قومه، وأما غمرة التي في بلاد بني أسد، فهي التي يقول فيها عبيد بن الأبرص:

تَبَصَّرْ خليلِي هل ترى من ظعائن — سَلَكْنَ غميرا دونهنَّ غموض
وفوق الجمال الناعجات كواعبٌ — محا بيض أبكار أوانسُ بِيْضُ

وهي التي يقول فيها ذو الرمة:

تَقَضَّيْنَ من أعراف لينٍ وَغَمْرَةٍ — فلما تعرفن اليمامة عن عُفْر

والمقصود أن غمرتين الواقعتين في بلاد غطفان إحداهما في النصف منها، والثانية في أعلاها على أسمائها إلى هذا اليوم.

وأما السر فإن في نجد مواضع كثيرة تقارب أسماءها هذا الاسم: السرة وسرير، وتسرير، وسرار، فأما على هذا الوزن الذي ذكره زهير فلا أعلم إلا الكثيب المرتكم بين خف ومرات وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد مضي الكلام عليه وحددنا قراه ومياهه، وهذا اسمه في الجاهلية، وقد مر ذكره في هذا الكتاب في مُسَاجلة امرىء القيس والحارث حيث قالا[1]:

فَلَمْ يَتْرُكْ بِذَاتِ السّر ظَبْياً — وَلَـمْ يَتْـرُك بِجَلْهتهـا حِمَـارَا

(١) انظر ص ١٤٤ و ١٤٥ من هذا الكتاب.

وادي الحفر

ووادي الحفر: يعرفه عامة أهل نجد وغيرهم، لأنه باق بهذا الاسم ويقال له «حفر بني حسين» وهو بلد قديم جاهلي، وعمر في صدر الإسلام، وبه آثار وآبار قريبة الماء يؤمل أن تجري على ظهر الأرض وآثار القصور والآطام[1] باقية إلى هذا العهد، وقد حدثني الشيخ العلامة عبد الله السليمان آل بليهد عن هذا الحفر وعماره، وفي سلسلة من حديثه قال: إن الخليفة المستعين العباسي أمر والى مكة في زمانه أن يحصى حملة القرآن عن ظهر الغيب من أهل الحَفْر من الذين قَصَدُوا مكة للحج فكتبوا أسماءهم: فلان بن فلان الحفرى، وفلان بن فلان الحفرى الخ، فوجدوهم احدى عشرة مائة رجل، وقد خلا اليوم فليس فيه إلا الوحش والطيور، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2] وموقعه على حدود كشب الواقعة غرب منه وهو منهل، ترده الأعراب، إذا كنت على الحفر فجبل شعر منك أمام المصلى، وجبل كشب بينك وبين الشرق، وجبل شعر يبعد عن الحفر مسافة يوم للراكب البطيء.

الهدم

أما الهدم فهو باق بهذا الاسم لم يتغير إلا بحرف واحد، وضعوا في موضع الميم باء فقالوا: «الهدب» وواديه هو وادي الحفر، واقع شرقي ماء الحفر المذكور، وهو آبار قليلة الماء متهدمة ..

وانى بعد أن ذكرت السر الذي في بيت زهير[3] وذكرت السر الذي في طريق السيارات بين خف ومرات، اجتمعت برجل عارف خبير ببلاد غطفان وجميع أماكنها، فسألته عن السر، فقال: إنه موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم وهو الذي عناه زهير، لأنه واقع في بلاد غطفان بين كشب وبين صفينة والسوارقية القرى المعروفة في بلاد غطفان، وهو واد يأتي سيله من جهة الغرب، وينحدر إلى جهة الشرق الجنوبي مما يلي مطلع الشمس،

---

(١) الآطام : جمع اطم ـــ بزنة عنق ـــ وهو الحصن.

(٢) آيه ٨٨ سورة القصص.

(٣) انظر ص ١٤٩ من هذا الكتاب

ويقف في «صبحا» قريب كراع الحرة المجاورة لجبل كشب وجبل أكباد وجبل أنياب يقعان منه في الجهة الشمالية الغربية على أقل من مسافة نصف يوم.

١٧ ــ وقال زهير:

فَلَا لُكَانُ إلىٰ وَادِى الْغِمَار فَلَا شَرْقِيُّ سَلْمىٰ فلا فَيْدٌ فَلَا رِهَمُ(١)
شَطَّتْ بِهِمْ قَرْقَرىٰ، بِرْكٌ بأيْمُنِهِمْ وَالْعَالِيَاتُ، وَعَنْ أيْسَارِهِمْ خِيَمُ

لكان — لُكَان: لا أعرفه، ولا أعرف له اسماً في عهدنا هذا، قال في معجم البلدان(٢): هو موضع واستدل ببيت زهير.

وادي الغمار — وادي الغمار: هو الوادى المجاور لبلد سميراء من جهة الجنوب شرقي سلمى وفيد، وقد تقدم الكلام عليه، وهو مثل الموضع الذي ذكره حين قال:

* **مَاءٌ بِشَرْقِيّ سَلْمىٰ فَيْدٌ أوْرَكَكُ** *

وقد تقدم الكلام على فيد وركك.

رهم — فأما رهم المذكور في هذا البيت فهو موضع شرقي سلمي، ولست أدري أباق هو بهذا الاسم أم قد تغير؟

قرقري — أما قرقري: فهي واقعة في جهة اليمامة مُتَاخمة لوادي الأحيسي الذي يقال له اليوم «الحيسية»، وهي أرض عريضة منها «البرة» الموجودة إلى اليوم بهذا الاسم، ومنها «قرمى» المعروفة بهذا الاسم في الزمن القديم، واسمها اليوم «ضرمى» فهي والبرة وما بينهما يطلق عليها «قرقري»، وذكرها

---

(١) هذه رواية الأعلم. وروى أبو العباس ثعلب وياقوت «ولافيد ولارمم» براء فميمين.
(٢) انظر معجم البلدان ٧ /٣٣٧.

صاحب الأغاني في ترجمة يحيى بن طالب الحنفى[1]، وأطال عليها الكلام، وقد قال يحيى بن طالب وهو في بغداد وقد أجلاه الدَّين إلى تلك الناحية:

أحقّاً عِبَادَ الله أنْ لَسْتُ نَاظِراً — إلىٰ قَرْقَرىٰ يَوْماً وَأعْلَامهَا الغُبْرِ؟!
كَأنّ فُؤَادِي كُلَّمَا مَرَّ رَاكِبٌ — جَنَاحُ غُرَابٍ رَامَ نَهْضاً إلى وَكْرِ
أقُولُ لِمُوْسَى ، والدُّمُوعُ كَأنَّهَا — جَدَاوِلُ فَاضَتْ من جَوَانِبِهَا تَجْرى
ألَا هَلْ لِشَيْخٍ وابْنِ ستّين حِجَّةً — بَكَى طَرَباً نَحْوَ الْيَمَامَةِ مِنْ عُذْرِ

قلت: وبعده:

وَزَهّدني في كُلّ خَيْرٍ صَنَعْتُه — إلىٰ النَّاس ما جَرَّبْتُ من قلّة الشُّكْرِ
إذا ارْتَحَلَتْ نَحْوَ اليَمَامَة رِفْقَةٌ — دَعَاكَ الْهَوَىٰ واهْتَاجَ قَلْبُكَ لِلذّكْرِ

فَوَاحَزَنِــــى ممـــــا أجــــنْ مِن الْأَسَىٰ
ومـنْ مُضْمَرِ الشَّوْقِ الدَّخِيْـلِ إلــى حجْــرِ[2]

قلت، وبعده:

تغرَّبْتُ عَنْهَا كَارِهاً وَهَجَرْتُهَا — وَكَانَ فراقيها أمرَّ من الصَّبْرِ
فَيَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ أبتَ مسلّماً — وَلَا زَلتْ في رَيْبِ الْحَوَادِث في سِتْرِ
إذا مَا أتَيْت اَلعِرْضَ فاهْتفْ بِأهْلِهِ — سقيتَ علَى شَحَطِ النَّوَىٰ مُسْبَل القَطْرِ
فَإنَّكَ مِنْ وَادٍ إلَيَّ مُحَبَّبٍ — وإن كُنْتَ لا تَزْدَادُ إلّا عَلَى عقْرِى

فتوغل يحيي بن طالب في غربته وفراره من الدَّيْن قاصداً خراسان، فلما وصل إلى قومس، قال :

أقُوْلُ لَأصْحَابى وَنَحْنُ بِقُومسَ — وَنَحْنُ على أثْبَاجِ ساهمةٍ جُرْدِ
بَعُدْنَا وربِّ النّاسِ عن أرْضِ قَرْقَرَىٰ — وَعَن قاعِ موحوشٍ وزِدْنَا على البُعْدِ

(١) الأغاني ٢٠ /١٤٩ بولاق.
(٢) يريد حجر اليمامة وانظر معجم البلدان ٧ /٥٧.

فلما وصل إلى خراسان قال:

أيا أثَلاث القاعِ مِن بَطْنِ تُوْضِحَ   حَنِيْنِي إلىٰ أطْلَالِكُنَّ طَوِيْلُ
وَيَا أثلاثَ الْقَاعِ قَلْبِي مُوَكَّلٌ   بِكُنَّ وَجَدْوى خَيْرِكُنَّ قَلِيْلُ
وَيَا أثَلَاثَ الْقَاعِ قَدْ مَلّ صُحْبَتِي   مَسِيْرِي فَهَلْ في ظلّكُنَّ مَقِيْلُ
ألَا هَلْ إلى شَمّ الخُزَامىٰ ونظرةٍ   إلىٰ قَرْقَرى قَبْلَ المَماتِ سَبِيْلُ؟
فَأشْرَبُ من ماءِ الحجَيْلَاء شَرْبَةً   يُدَاوىٰ بِهَا قَبْلَ الْمَماتِ عَلِيْلُ

قلت: وبعده:

أُحَدَثُ عَنْك النَّفسَ أنْ لَسْتُ رَاجعاً   إليكِ، فَحُزْني في الفؤادِ دَخِيْلُ
أُرِيْدُ انْحِدَاراً نَحْوَهاً فيصدّني   إذا رمتُه دَيْنٌ عليَّ ثَقِيْلُ

أما الحجيلاء: المذكورة في البيت الخامس فهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، تقع عن بلد البرة في الجهة الجنوبية على مسافة ساعتين، ويحيى بن طالب بلده البرة في الجهة الشمالية من قرقرى، انظر إلى قوله وهو في غربته:

خَلِيْلَيّ عُوْجَا بارك الله فِيْكُمَا   عَلَى البرّة الْعُلْيَا صدورَ الرّكَائِبِ
وَقُوْلا إذا مَانَوّه الْقَوْمُ لِلْقُرَى   ألَا فِي سَبِيْلِ الله يحيي بنُ طَالِبِ

قلت: وقد تحدث ياقوت الحموي في معجمه عن قرقرى، فقال:

هي أرض بـ (اليمامة)، إذا خرج الخارج من (وشم اليمامة) وجعل (العارض) شمالاً، فإنه يعلو أرضاً تسمى (قرقرى)، فيها قرى وزروع ونخيل.. وفي (قرقرى) أربعة حصون: حصن لكندة، وحصن تميم، وحصنان لثقيف.. قال ذلك كله أبو عبيد الله السكوني رحمه الله تعالى ــ فقد سرني بما أوضحه .. ثم قال: وحدث ابن الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، حدثني محمد بن حفص بإسناده عن يزيد بن العلاء بن مرقش، قال: حدثني أخي موسى بن العلاء، قال:

كنا مع يحيى بن طالب الحنفي أحد بني ذهل بن الدول بن حنيفة، وكان مولى لقريش، وكان شيخاً ديِّناً يقرىء أهل (اليمامة)، وكانت له ضيعة بـ (اليمامة) يقال لها: (الْبَرَّةُ العُلْيا) وكان يشترى غلات السلطان بقرقري، وكان عظيم التجارة وكان سخياً .. فأصاب الناس جدب فجلا أهل البادية، فنزلوا (قرقري)، ففرق يحيى بن طالب فيهم الغلات، وكان معروفاً بالسخاء، فباع عامل السلطان أملاكه، وعزَّه الدين فهرب إلى (العراق)، وقد كان كتب ضيعة من ضياعه لقوم قرارا لهم بها لئلا يبيعها السلطان فيما يبيع، فكابره القوم عليها، فخرج من (اليمامة) هارباً من الدين يريد (خراسان)، فلما وصل إلى (بغداد) بعث رسولاً إلى (اليمامة) وكنا معه، فلما رآه في الزورق أغرورقت عيناه بالدموع، وكان معدوداً من الفصحاء، فأنشد يقول:

القصيدة التي مر ذكرها كما أثبتها المؤلف رحمه الله، وبالزيادة التي كانت في الأصل، ثم قال ياقوت:

وحدث أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي، قال أخبرني أبو الحسن على بن محمد المدائني، قال: كان يحيى بن طالب الحنفي مولى لقريش بـ (اليمامة)، وكان شيخاً فصيحاً ديناً يقرىء الناس، وكان عظيم التجارة، وذكر مثل ما تقدم .. فخرج إلى (خراسان) هارباً من الدين، فلما وصل إلى (قُومس) قال: (البيتين).

فلما وصل إلى (خراسان قال: القصيدة أيا أثلاث القاع ...) قال أبو بكر الأنبارى: وقد غُنِّي بهذه الأبيات عند الرشيد، فسأل عن قائلها، فأخبر، فأمر برده وقضاء دينه ... فسئل عنه، فقيل إنه مات قبل ذلك بشهر، وقد قال:

* خَلِيْلَيّ عُوْجَا .. (البيتيــــن) *

قلت: هذا ما أورده ياقوت عن مأساة هذا الرجل الكريم، وقصائده تلك تصلح شواهد مثالية على أدب الشوق والحنين في أدبنا القديم.

قلت: وقد وهم البكري ــ غفر الله له ــ في قوله: (وقال مالك بن الريب):

بَعُدْتُ وبيتِ الله من أهْلِ قَرْقَرَىٰ وَمَن أهْل مَوْسوجٍ وَزِدْتُ على الْبُعْدِ

فالبيت ليحيى بن طالب، وليس لمالك بن الريب، ونصه:

بَعُدْنا وَبَيْت الله عن أرْض قِرْقَرَىٰ وَعَنْ قَاع موحوشٍ وَزدْنا عَلَى البعْدِ

قلت: وإذا تجاوزنا (قرقرى اليمامة) هذه التي تحدث عنها يحيى بن طالب الحنفى، فإننا نذكر بقرقرى أخرى نسبت إلى ديار بني عبس يقال لها (قرقرى عبس).

وقد هلك في بغداد هذا الشاعر الأديب، في سفرته هذه، رحمه الله.

وقرقرى: معروفة بهذا الاسم، ولكن ذكرها قليل في ألسن الناس[1] لم يبق في ألسن الناس إلا ضرمى والبرة، وكانت تلك البلدان عامرة فيها نخيل ومزارع وقصور، ولم يبق منها إلا الآثار الدارسة والأخبار القديمة، والذي يدل على أنها هي التي عناها زهير أنه قرنها ببرك والعاليات وخيم.

العاليات أما العاليات وبرك فهي مجاورة لها في الجهة الجنوبية منها.

وبرك وبرك قد مضى الكلام عليه، واد يصب من عارض اليمامة وينتهي سيله إلى الخرج.

---

(١) قلت : ذكر ابن خميس في معجم اليمامة ج ٢ /٢٨٠ قال : وهذا الاسم (قرقرى) لم تعد تسمى به هذه المنطقة .. ولولا شهرته الأولى لنُسِيَ كلياً وإنما يسمونها الآن (بطين) بفتح الباء، وكسر الطاء، وإسكان الياء، فنون .. مضافة وغير مضافة (بطن ضرما) وعند أمن اللبس لا يضيفونه.

والعاليات معروفة بهذا الاسم في عارض اليمامة، جبل رفيع منيع، وقد مضى الكلام عليه في بائية امرىء القيس حين قال:

أَقَبَّ رَبَاع من حمير عَمَايَة ... يَمُجُّ لَعَاعَ البَقْل في كُلِّ مَشْرَبِ

عَظِيْمٌ طَوِيلُ مُطْمَئِنٌ كَأَنَّه ... بِأَسْفَلِ ذِي مَأوانَ سرحة مَرْقَبِ

وقد مضى الكلام على هذا الجبل عند ذكر ماوان[1]. لأنه واد عظيم واقع في جبل علية.

وخيم: هي واد الحصاة التي يقال لها في الزمن القديم «الحصَّاء»، وبهذا الوادي ماء عذب يقال للوادي وللماء «خيم» وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد مضى الكلام عليها في أشعار امريء القيس[2]: خيم

* * *

١٨ ــ وقال زهير:

عَوْمَ السَّفِيْنِ فلمَّا حَالَ دُوْنَهُمُ ... فَنْدُ الْقُرَيَّاتِ فالعِتْكَانِ فَالْكَرَمُ

القريات: موجودة بهذا الاسم إلى هذا اليوم، واقعة قريب الحدود الشمالية من مملكة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، قال في معجم[3] البلدان: قال أبو عبيد الله السكوني: من وادى القرى إلى تَيْمَاء أربع ليال، ومن تَيْمَاء إلى القريات ثلاث أو أربع، قال: والقريات دومة وسكاكة والقارة، ولا أظن أن هذه العبارة صحيحة، والصحيح: أنها هي التي يقال لها اليوم «قريات الملح» وأنا أظن أن القريات التي ذكرها زهير هي القريتان الواقعتان شرقى القصيم جنوبى النباج وهي التي يقول فيها لبيد: القريات

(١) انظر ص ٨٥ و ٨٦ من هذا الكتاب

(٢) انظر ص ٤٧ و ١٤٧ من هذا الكتاب

(٣) انظر معجم البلدان ٦٩/٧.

جَعَلْنَ حِرَاجَ الْقَرْيَتَيْنِ وعالج يَمِيْنَاً ونكَّبْنَ البـدىَّ شَمَائِـلا

وهي التي يقول فيها معن بن أوس[1]:

لَهَـا مَوْرِدٌ بِالْقَرْيَتَيْـنِ وَمَصْدَرٌ لِفَوْت فِلاةٍ لا تَزَالُ تُنَازِلُـهْ

قال في معجم البلدان[2]: القريتان قرية عبد الله بن عامر بن كريز، والقرية الأخرى بناها جعفر بن سليمان، وأهلها يستعذبون الماء من عنيزة، وهي منها على ميلين، وهي التي قال فيها جرير:

تَغْشَىٰ النِّبَاج بَنُو قَيْسٍ بنُ حَنْظَلَة وَالْقَرْيَتَيْـــنِ بِسُرَّاق وَنُــــزَّالِ

وقد أوردنا هذه الشواهد في غير هذا الموضع. ويوجد في تلك الناحية موضع فيه قصور ومزارع يقال له اليوم «القرية» تقع بين العوشزية وبين عنيزة ووادي الرمة، تقع من عنيزة مما يلي مطلع الشمس على مسافة ميلين، وهي التي عناها زهير.

العتكان

العتكان: باقيان على اسمهما إلى هذا العهد، أحدهما واقع بين قرى سدير وبين قرى المحمل التي عاصمتها «ثادق» يقال له «عتك البكرات» وهو يقسم عارض اليمامة نصفين، تسير القوافل فيه بين الشرق والغرب، فإذا خرجْتَ منه إلى جهة الشرق رأيت العتك الثاني الذي يقسم العرمة كما يقسم الأول جبل العارض، وكلا الطريقين سهل المنفذ ويقال للثاني «عتك العرمة» وهو الذي يضاف إليه الحفر الواقع في العرمة، فيقال له «حفر العتك» وكلاهما واقع في بلاد بني تميم، قال الزِّبْرِقَانُ بن بدر حين حمل صدقات قومه إلى أبي بكر رضي الله عنه:

---

(١) المعجم ٧ /٧٠.

(٢) انظر معجم البلدان ٦ /١١٧.

سَارُوا إلَيْنا بِنِصْفِ اللَّيلِ فَاحْتَملوُا فَلَا رَهِيْنَة إلا سيِّدٌ صَمَـدُ
سِيْرُوا رُوَيْداً، وَإنَّا لَنْ نفوتكم وَإنّ ما بَيْننا سَهْل لَكُمْ جَدَدُ
انّ الغزالَ الذي ترجون عِزَّتَه جَمْعٌ تَضِيْقُ به العَتْكانُ أو أطَدُ
مُسْتَحْقِبُو حِلَقِ الْمَاذِى بِحُفْرَتِهِ ضرب طِلَحْفٌ وطعْن بينه خَضَدُ

والعتكان: باقيان بهذا الاسم إلى هذا اليوم.

والكرم: موضع، قال صاحب معجم البلدان[١] واستشهد ببيت زهير وقال أيضاً: كرمة[٢] هي من نواحي اليمامة، واستشهد ببيت أبي خراش[٣] الهذلي: الكرم

وَأيْقَنْتُ أنَّ الجُوَد منك سَجِيَّةٌ وَمَا عِشْتُ عَيْشاً مثْلَ عَيْشِكَ بالْكَرَمِ

وأنا لا أعرف هذا الموضع بهذا الاسم، ويمكن أن يكون قد دَرَسَ وتغير.

★ ★ ★

١٩ ــ وقال زهير:

كأنَّ عَيْنى وَقد سَالَ السَّلِيْلُ بِهِمْ وَعَبْرَةٌ ماهُمُ لَوْ أنَّهمُ أُمَـمُ
غَرْبٌ على بَكْرَةٍ أوْ لُؤلُؤٌ قَلِقٌ في السِّلْك خَانَ به رِبَّاتَهِ النُّظُمُ
عَهْدى بِهِمْ يَوْمَ بابِ الْقَرِيَتيْنِ وَقَدْ زَالَ الهَمَالِيْجُ بالْفُرْسَانِ واللّجُمُ
فَاسْتَبْدَلَتْ بَعْدَنا دَاراً يَمَانِيَـةً تَرْعىٰ الْخَرِيف فَأدْنىٰ دَارِهَا ظَلِمُ
إنَّ الْبَخِيْلَ مَلُومٌ حَيْثُ كانَ ولَـ ـكِنَّ الجوادَ على عِلّاتِه هَرِمُ

(١، ٢)انظر المعجم ٧ /٢٤٥.
(٣) قلت : وهو خويلد بن مرة، من بني هذيل توفي نحو ١٥هـ، من مضر : شاعر مخضرم، وفارس فاتك مشهور. أدرك الجاهلية والإسلام. واشتهر بالعدو، فكان يسبق الخيل. أسلم وهو شيخ كبير، وعاش إلى زمن عمر الأعلام ج ٢ /٣٧٣.

السليل: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو واد واقع في بلاد غطفان، أعلاه يقال له «السليلة» وفيه ماءة يقال لها «السليلة» أيضاً، ماؤها مر، وقد أكثر شعراء العرب من ذكر هذا الوادي وكذلك شعراء الأعراب المتأخرون(١).

السليل والسليل والسليلة: باقيان على اسميهما من الجاهلية إلى هذا العهد، وسَيْلُ السليل ينصب من الشرق إلى الغرب، ويفترق عن ماء السليلة ثم يصب في وادي الشعبة جاعلاً ثربا وماءه وجباله جنوباً، والحناكية واللعباء شمالاً، وهو إلى الحَّناكية واللعباء أقرب، وتتجه سيول الشعبة إلى جهة الغرب حتى تصب في عقيق المدينة، ثم يصب في البحر الأحمر.

وقد اقتتلت عبس وأسد في السَّليل، وقال رجل من بني عَمْرو بن قعين(٢):

(١) قال رجل من بني عبدالله بن غطفان شعرا نبطيا منه هذا البيت :

الركـــايب كنهـــا الاقـــواس تومـــي
سارحـــة من عمـــق ممساهـــا السليلـــة

وقال شاعر ثان من تلك القبيلة من أهل تلك الناحية من قصيدة له نبطية :

كبـــدي عليلـــة من شراب السليلـــة
أشرب ولا ينحـــي مع الحلـــق ماهـــا

وقال شاعر ثالث من أهل تلك الناحية، وهو قاطن على ماء «الموبرة» وهي عذبة الماء بين مروراة غطفان نبطية :

مقياضنـــــــا من فوق عد قراح
وأهـــل السليـــل مقيضيـــن علـــى ماء

يعني أهل ماء السليلة الواقعة في أسفل وادي السليل الذي عناه زهير.
قلت : وقد نقلت هذا النص من المتن إلى الحاشية.

(٢) قلت : هو عمرو بن قعين بن الحارث، من أسد بن خزيمة من عدنان : وعبدالله، ومن نسله طليحة بن خويلد المتنبىء الاعلام ج ٥ /٢٥٤.

لَئِن خَتَلَتْ بَنُو عَبَس بَرِيّاً بغرّتِه فلم تَخْتِلْ سُوَيْدَا
قلعنا رأسَهُ بسقيَّ سُمٍّ كلَوْنِ الملح مَذْرُوبا جَدِيْدَا
فَأوْجَرْنَاهُـمُ مِنْهُ فَرَاحُوا . وَهُمْ يَوْمَ السَّليل نعى شَهِيْدَا

وقال عُبَيْد الله بن قيس الرقَيَّات:

ذَكَّرَتْنِي الدّيَارُ شَوْقاً قَدِيْمَاً بَيْنَ حرْضَىٰ وبَيْنَ أعْلَىٰ يَسومِىٰ
فالسلَّيلُ الذي بِمَدْفَع قَرْنٍ قد تعفّى إلَّا ثَلاثَاً جُثُومَا[1]

وحرضى ويسومى وقرن كلها واقعة في بلاد عبد الله بن غطفان، أما قرن وحرضى فهما قريبان من السليل، أما يسومي فهو جبل واقع في شمالي جبل كشب في حدود بلاد بني غطفان الجنوبية الغربية، والسليل وقرن وحوضى ويسومي كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، وقال أيضاً عبيد الله بن قيس الرقيات:

لا تحامى أن تَهْجُري ما بقينا أنت بالودِّ والكرامة أحْرَىٰ
يا أبنَةَ المالكيِّ عزّ علينا انْ تُقْيمى بَعْدَ السلَّيلِ بِبُصْرَىٰ
كم أجازت من مَهْمَهٍ يتركُ العيـ ـس بِهِ ظُلَّعاً قِيَامَاً وَحَسْرَىٰ

أما السليلة: فاسمها جاهلي، وهو باق إلى هذا العهد، قال جرير:

أيَجْمَعُ قَلْبُهُ طَرَبَاً إلَيْكُمْ وَهَجْراً بيت أهلك واجْتِنَابَا
وَوَجْدا قد طويْتُ يكادُ منهُ ضميرُ الْقَلْبِ يِلْتَهِبُ الْتِهَابَا
سَألْنَاهَا الشِّفَاءَ فَمَا شَفَتْنَا وَمَنَّتْنَا المواعدَ وَالْخِلاَبَا
لَشَتَّان المُجَاور دَيْرَ أرْوَىٰ وَمَنْ سكنَ السَّلِيْلَة والْجِنَابَا

وباب القريتين: قد مضى الكلام عليه[2]:

(١) يريد بالثلاث الجاثمات أثافي القدر.
(٢) انظر ص ١٩٠ و ٢٥٩ من هذا الكتاب

ظلم

أما ظلم: فهو جبل معروف إلى اليوم بهذا الاسم، وهو واقع في جهة نجد في الجهة الجنوبية وقد أصاب الأصمعي في تحديد موقعه، حين قال[1]: هو جنوبي الدفينة، هذه رواية الأصمعي، وهي أصوب الروايات عن ظلم، لأنه ــ على ماعرفنا ــ واقع جنوبي الدفينة، يبعد عنها مسافة يوم ونصف يوم، واقع بين أجبال الحمار وجُبَيل الأكموم الواقع من بلد المويه في الجهة الشرقية على مسافة يوم، وظلم: جبل أسود له قَرْن مرتفع، وبقية جباله متصلة به، يمتد من الشرق إلى الغرب، طوله من الشرق إلى الغرب مسافة ساعة للماشي المجدِّ على قدميه، وعرضه أقل من مسافة نصف ساعة، قال النابغة الجَعْدي يذكر هذا الجبل:

أبْلغْ خَلِيْلَى الذي تجهّمَنِى ... مَا أنَا عَنْ وَصْلِهِ بِمُنْصَرِمِ
إن يَك قَدْ ضَاعَ ما حَمَلَتْ فَقَد ... حملْت إثْمَاً كالطَّودِ من ظَلِمِ
أمانَة الله وهي أعْظَـمُ من ... هضْبِ شَرْوَرَىٰ والرّكن مِنْ خِيَمِ

لما رأينا النابغة قد ذكر هضب شَرَوْرَي والركن من خيم مع ظلم وجب أن نقول: إن ظلماًواقع بين الموضعين اللذين ذكرهما النابغة، أما هضب شرورى: فهو الهَضْب الذي يقال له اليوم «هضب الشرار» عند عامة أهل نجد، وإذا كنت عند ظَلِم طلعت الشمس على جبل خيم أو عن يساره قليلاً، وإذا غربت تغرب على هضب شرورى أو عن يسار قليلاً، المسافة الواقعة بين ظلم وهضب شرورى تتراوح ما بين أربع ليال أو خمس والمسافة الواقعة بين ظلم وبين جبل خيم المسمى اليوم بالحصاة عند عامة أهل نجد تتراوح بين ست ليال أو سبع، وخيم باقية بهذا الاسم إلى هذا اليوم، وقد تقدم الكلام عليها في كتابنا هذا.

وأما قول زهير:

*** فاستبدلت بعدنا دارا يمانية ــ الخ ***

(١) انظر معجم البلدان ٦ /٨٩.

فإن من لسان أهل نجد قديماً وحديثاً أن المتكلم إذا ذكر موضعاً واقعاً في جنوبى بلدة قال «يمانٍ» وإن كان الموضع شمالي بلدة قال «شآم» وعلى هذا ورد قول زهير في هذا البيت، لأن ظَلماً واقع في جنوبى بلاد غطفان، وهو في عالية نجد، لا في اليمن.

* * *

٢٠ ــ وقال زهير يمدح هَرِمَ بن سنان الْمُرىِّ وهذا مطلع قصيدته:

لِمَنِ الدِّيَارُ بُقنّةِ الحِجْـرِ أَقْوَيْنَ من حِجَجٍ وَمن شَهْرِ
لَعِبَ الزَّمَانُ بِهَا وَغَيَّرَهَـا بَعْدِى سَوَافِى المُوْرَ والقطرِ
قَفْراً بِمُنْدفَـعِ النَّحَائِتِ مِنْ ضَفَوَىْ أُلاتِ الضّالِ وَالسِّدْرِ
دَعْ ذَا وَعدِّ الْقَوْلَ فَى هَرِمٍ خَيْـرِ الْبُـدَاةِ وسَيِّـدِ الْـحَضَرِ

أما حجر: فقد غلط الأعلم[١] في شرحه حيث قال: حجر موضع بعينه، وهو حجر اليمامة، فلو أنه اكتفى بقوله «حجر موضع بعينه» لأغناه، ولم يقع بالزيادة في خطأ، لأن حجرا وقنته يقعان في بلاد غطفان، في أعلاها المجاور للحجاز، ولا يزال باقياً بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو بين الفرع والمحاني غير أنه إلى الفرع أقرب قليلاً، وسيلُ وادي حجر وسيل وادي الفرع يصُبان في الحجاز، وسيول المحاني تندفع إلى الجهة الجنوبية الشرقية منها، وحجر في هذا العهد تسكنه حرب، والفرع لحرب أيضاً، أما المحاني: فهي للعضيان ورئيسهم ابن ثعلى، وقد قال الشاعر: حجر

(١) قلت : الاعلم، وهو الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان /ابن عيسى الشنتمري الأندلسي متوفي سنة ٤٧٦هـ. معروف بالأعلم، ولد في شنتمرية العرب ورحل إلى قرطبة، ومات في اشبيلية. كان مشقوق الشفة العليا فاشتهر بالأعلم، له كتب كثيرة ــ انظر الأعلام ج ٩ /٣٠٨.

أَلَا لَيْتَ شِعْري هل تَغَيّر بَعْدَنَا   أرومٌ وَآرَام فشابة فالـحَضْرُ؟
وَهَلْ تَرَكَتْ أبْلىٰ سوادَ جِبَالِهَا   وَهَلْ زَالَ بَعْدِى عَن قَنَيْنَتِهِ الحجْرُ؟

وتأمل في هذين البيتين تجده قد ذكر ستة مواضع مع ما يتبعها من المضاف وإن هذه الستة لباقية على أسمائها إلى هذا العهد لم يتغير منها اسم واحد، وهي: أروم، وآرام، وشابة، والحضر، وأبلى، والحجر الأسماء الخمسة الأولى يطيف بها الراكب في مسافة يومين، أما الحجر وقنانه: فهما واقعان من هذه المواضع في الجهة الغربية على مسافة يومين أو أقل، وفي الحجر قصور ونخيل ومزارع ومياه كثيرة، وقراه ثلاث يُرَى بعضُها من بعض، وكلها واقعة بين وادي الفرع ووادي المحاني.

النحائت — والنحائت: موضع معلوم بهذا الاسم إلى هذا العهد عند عامة أهل نجد، فيهم من يسميه «النحايت» وفيهم من يسميه «النحيتية» وهي آبار كثيرة واقعة من علم هيتم في الجهة الشرقية ومن النقرة المعروفه بمعدن النقرة في الجهة الشمالية، وهي معروفة عند جميع الناس إما باسم النحايت وإما باسم النحيتية على ما ذكرنا، وهي التي عناها زهير.

ضفوى — أما ضَفَوَى فلم أعثر على شيء بهذا الاسم في بلاد غطفان، وهناك ثلاثة مواضع واقعة في بلادهم أو قريباً منها، يقال لكل واحد منها «صُفَية» أما الأول[1] فإذا خرجت من عفيف قاصداً القاعية وجعلت النير على

(١) الموضع الذي في قول زهير هو «ضفوى» بالضاد المعجمة، ولايختلف في ذلك أحد، لكنهم يختلفون في ضبطه، وفي العبارة عن تحديده فبعضهم يرويه بسكون الفاء، وبعضهم يرويه بفتحات وآخره ألف مقصورة، وبعضهم يرويه بفتحات وآخره ياء ساكنة، ثم يختلف هؤلاء فمنهم من يقول : هو مقصور قلبت ألفه ياء وسكنت، ومنهم من يقول : هو مثنى ضفا، وضفا الوادي : جانبه. وفي تحديده يقول ياقوت (٥ /٤٣٥) مكان دون المدينة. ويقول الأعلم (ص ١٤٦ طبع ليدن) والنحائت وضفوي من بلاد غطفان وقال ثعلب (٨٧ دار الكتب) : كل هذه مواضع من أرض غطفان.

يمينك كان هو على شمالك، وأما الثاني فقريب «العسيبيات» في وادي الجريب وأما الثالث فواقع في شمالي الجثوم على مسافة ساعة، وظني أنه الذي عناه زهير لأنه واقع في بلاد غطفان، وصفوان ذكره تميم بن أبيٍّ بن مقبل في قوله(١):

وَطَبق إِيْوَانَ الْقَبَائِل بَعْدَمَا كسا الرَّزْنَ من صفوان صَفْواً وَأَكْدَرَا

وقد يكون الذي ذكره زهير هو ماء الصفوية المشهور اليوم بهذا الاسم وهو في واد يصب سيله في وادي الرمة، وعنده جبل رفيع يقال له «صفو» واقع في غربي عريق الدسم.

* * *

٢١ ـــ وقال زهير:

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجِوَاءُ فَيُمْـنٌ فَالْقَـوَادِمُ فَالْحِسَاءُ
فَذُوهَاشٍ فَمِيثُ عُرَيْتِنَـاتٍ عَفَتْهَا الرِّيحُ بَعْدَك وَالسَّمَاءُ
فَذَرْوَةُ فَالْجَنَابُ كأَنَّ خُنْسَ النِّعَاجِ الطَّاوِيَاتِ بِهَا الْمُلَاءُ

الجواء — الجِوَاء: معروف، وهو في أعلى القصيم، وقد تقدم الكلام عليه وعلى المعمور منه.(٢)

يمن — وأما يمن: فهو ماء، قال في معجم البلدان(٣): هو على الطريق بين تيماء وفَيْد. وأنا أقول غير ذلك: لأني قد وردته في سنة ١٣٤٠ هـ، بعثني جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود عاملاً إلى هتيم فوردته، وهو ماء واقع بين جبلين وبين خيبر وتَيْماء في بلاد عنزة مقابل للحفيرة التي

(١) انظر معجم البلدان ٥ /٣٦٩.
(٢) انظر ص ٣١ و ٥٨ و ٦٢ و ٦٣ من هذا الكتاب.
(٣) انظر معجم البلدان ٨ /٥٢٤.

عمرها الأيدي العَنَزي في هذا العهد، وقد استشهد صاحب معجم البلدان عليه ببيت زهير الذي ذكرناه، وبشطر ببيت لم يُسَمِّ قائله وهو:

* ولَوَ حلّت بِيُمْنٍ أو جبار *

ويمن باق بهذا الاسم عند عامة أهل نجد.

قلت: وجبار ذكرها ياقوت في معجم البلدان فقال .... هو ماء لبنى جُمَيْس ابن عامر بن ثعلبة بن مودوعة بن جهينة بين المدينة وفيد .. أما القوادم: فإن جميع العرب من الزمن القديم إلى هذا العهد يطلقون هذا للفظ على أطراف الجبال، كما يطلقون على أطراف الكثبان لفظ «اللوى» فأطراف الجبال إذا انقطعت في السهل يقال لها «القوادم» وأهل نجد يقولون لوجه الجبل «القدمة» إذا أفردت وإذا جمعت قالوا: «قدام، وقوادم» وزهير ذكر القوادم التي بين يمن والحساء. القوادم

أما الحساء في هذا البيت فهو حساء المدينة، وهو غير «الحسى» الواقع في بلاد غطفان، وحساء المدينة: هو الذي قال فيه عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه: الحساء

إذا بلّغتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي مَسَافَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحَسَاءِ
فشأنك والخلا وَخَلَاكِ ذَمٌّ فَلَا أَرْجِع إلىٰ أَهْلِي وَرَائِي

فقتل رحمه الله في تلك الغزوة، وهي غزوة مؤتة التي قُتل فيها زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم.

أما ذو هاش فلا أعلم موضعاً بهذا الاسم، إلا وادياً في بطن شُعَبيْ الجبل المشهور في حِمَى ضرية يقال له اليوم: «مهاش» زادوا فيه ميما في أوله، ولم أر في كتب المعاجم لهذا الموضع ذكرا يشتمل على تحديده غير أن صاحب معجم البلدان(١) قال: هو موضع، واستدل ببيت زهير، ذوهاش

(١) المعجم ٨ /٤٣٩.

ورأيت في قول الشماخ شطر بيت:

* فَأيْقَنَتْ أنَّ ذا هاشٍ مَنِيَّتُهَا *

عريتنات

وأما عريتنات: فلا أعلم موضعاً بهذا الاسم، إلا موضعاً واحدا سقطت من اسمه التاء الأولى وهو واد في جبل النير يقال له: «أبو عرينات» يصب في وادي بحار، ويندفع سيلهما إلى الرشا، وأظن أن هذا الوادي غير الذي عناه زهير، وبعد أن رأيت الشواهد، والأخبار الواردة عن هذا الموضع جَزَمْتُ أنه واقع في عقيق المدينة أو قريباً منه.

ميث عريتنات

والميثاء في اللغة هي: الرملة أو البُرْقَة، وميث عريتنات: إما رملتها أو بُرْقَتُهَا، قال عليُّ بن أبى جحفل[1]:

أتزعم يَوْم الميثِ عمرة أننى ... لَدىٰ الْبَيْنِ لم يَعْزِزْ على اجْتِنَابُهَا
وأقسم أنْسىٰ حبّ عمرة ما مَشَتْ ... وَمَا لَمْ تَرِمْ أجزاع ذِي المِيث لَابُهَا

وقال بشر بن أبي خازم يذكر عريتنات:

وَإذْ صَفِرَتْ عَيَابُ الودّ مِنّا ... ولم يَكُ بَيْنَنَا فيها ذِمَامُ[2]
فَإنَّ الْجَزْعَ جَزْعُ عُرَيْتِنَاتِ ... وبرقة عيهم منكم حَرَامُ
سَنَمْنَعُهَا وَإن كانت بِلَاداً ... بِهَا تَرْبُو الخواصِرُ وَالسَّنَامُ

وهذا الشاعر قَرَنَ عريتنات ببرقة عيهم، وبرقة عيهم مشهورة، وهي الحد الفاصل بين بلاد غطفان ونواحي المدينة، وجبل عيهم: معروف اليوم عند أهل تلك الناحية، وهو واقع في أعلى بلاد غطفان، والجِوَاء واقع في شرقيها، قد قال جابر ابن حُنَىَ التغلبى[3]:

(١) المعجم ٨ /٢٢٢.
(٢) العياب: جمع عيبة، وأصلها الوعاء يضع فيه المسافر متاعه، وفي المعجم «عتاب» محرفا.
(٣) المعجم ٦ /٢٥٩ ومابعدها.

أقامَتْ بها بالصّيف ثم تذكّرت منازِلَها بَيْنَ الجِواء فَعَيْهَم

والجواء وَعَيْهَم: في بلاد غطفان.

نرجع إلى ذكر عريتنات ـــ هذه عبارة معجم البلدان(١): قال ابن أبى الزناد: كنا ليلة عند الحسن بن زيد العَلَوي نصف الليل جلوساً في القمر وكان الحسن يومئذ عامل المنصور على المدينة، وكان معنا أبو السائب المخزومي، وكان مشغوفاً بالسماع، وبين أيدينا طبق فيه فريك ونحن نُصِيب منه، فأنشد الحسن بن زيد قول داود بن سلم، وجعل يمد به صوته ويطربه:

مُعَرَّسُنَا ببطن عُرَيْتِنَاتٍ ليجمعنا وفاطمةَ المسيرُ
أتنسى أن تَعَرَّضَ وهو بادٍ مُقَلَّدُهَا كما برق الصبيرُ
ومن يُطِع الهوى يُعْرَفْ هَوَاه وقد يُنْبِيْكَ بالأمر الخَبِيْرُ
ألا إنى زفَرْتُ غداةَ هَرْشَىٰ وكان يريبهم مني الزَّفِيْرُ

قال: فأخذ أبو السائب الطبق فوَحَشَ به إلى السماء، فوقع الفريك على رأس الحسن ابن زيد، فقال له: مالك؟ ويلك، أجننت؟ فقال له أبو السائب أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله ﷺ إلا أعَدْتَ إنشاد هذا الشعر، ومددت كما فعلت، فضحك الحسن بن زيد وردَّدَ الأبيات، فلما خرج أبو السائب قال لي: يا أبا الزناد، أما سمعت مدّه حيث قال:

* وَمَن يُطِع الْهَوَىٰ يُعْرَفْ هَوَاه؟ *

قال: نعم

قال: لو أعلم أنه يقبل مالي لدفعته إليه بهذه الأبيات.

ذروة: هضبة حمراء فاصلة بين بلاد غطفان وبلاد بني أسد وهي لبني ذروة

(١) المعجم ٦ /١٦١.

مرة بن عوف، قال صخر بن الَجْعد:

بَلِيْتُ كَمَا يُبْلَىٰ الرِّدَاءُ وَلَا أرَىٰ　　جِنَاباً وَلَا أكناف ذِرْوَة تَخْلُقُ

وزهير قرن ذروة بالجناب، وهذا الشاعر قرنهما أيضاً، وقد غلط أناس في ذكر ذروة التي عناها زهير، فهي ــ كما قلنا ــ الواقعة بين بلاد غطفان وبلاد بني أسد، وهناك ذروة جبل آخر في جبل عليّة من اليمامة قال الصمة بن عبد الله القُشَيري وهو من أهل تلك الناحية(١):

خَلِيْلى قُوما أشْرِفَا الْقَصْرَ فَانْظُرَا　　بِأعْيَانِكُم هَلْ تُؤْنِسَان لَنَا نَجْدَا
وَإِنّى لَأَحْشَىٰ إِن عَلَوْنَا علوَّه　　ونشرفُ أنْ نَزْدَادَ وَيحْكُمَا بُعْدَا
نَظَرْتُ وَأصْحَابى بذروةَ نَظْرَةً　　فَلَوْ لَمْ تَفِضْ عَيْنَاى أبصرتَا نَجْدَا
إذا مرّ ركبُ المُصْعِدِيْنَ فَلَيْتَنِى　　مع الرَّائِحِيْنَ المُصْعِدِيْنَ لهَمُ عَبْدَا

ولصليحى فرس يقال لها ذروة، قال من قصيدة له يصف خيله:

طَالَعْتُ ذَرْوَةَ مِنْهُنَّ عَادِيَةً　　وَادْعَاعَتِ الشّيعَةُ الشّنْعَاءُ شُرَّادَا

أما الجناب فأنت ترى زهيراً قد عطفه على ذروة، ولا يكون إلا قريبا منها، وقال ابن هَرْمَةَ وهو شاعر مدني(٢): الجناب

فَاضَتْ عَلَىٰ إِثْرِهِمْ عَيْنَاكَ دَمعهُمَا　　كما يَنَابِيْعُ يَجْرِى اللؤلؤ النَّسَقُ
فَاسْتَبق عَيْنَكَ لَا يؤذِ البُكَاءُ بهَا　　وَاكْفُف بَوادِرَ دَمْعٍ منك تستبقُ
لَيْسَ الشؤون وَإِنْ جَادَتْ بباقِيَةٍ　　ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَقُ
رَاعُوا فُؤَادَكَ إذ بَانُوا على عَجَلٍ　　فاسْتَرْدفوه كما يُسْتَرْدَفُ النَّسَقُ
بَانُوا بِأدْمَاءَ من وَحْشِ الْجَنَابِ لَهَا　　أحْوَىٰ أُخَيْنِسُ في أرطاته خَرِقُ

---

(١) المعجم ٤ /١٩٤.
(٢) انظر المعجم ٣ /١٤١.

هذا الجناب الذي ذكره إبراهيم بن هَرْمة هو الجناب الذي ذكره زهير بعينه، وهو غير الذي ذكره سُحَيم بن وَثِيل الرِّياحي، حيث قال:

تُذَكِّرُنِي قَيْساً أمورٌ كثيرةٌ ... وما اللَّيْلُ مالم ألقَ قَيْساً بِنَائِمِ
تَحَمَّلَ من وَادِى الجنَابِ فَنَاشَنِى ... بِأجْمادِ جَوٍّ من وراء الخضَارِمِ

وأنا أعرف الجناب الذي ذكره سُحَيْم وجوا والخضارم، وكلها باليمامة أما جو فهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، والخضارم هي «الخضرمة» الواقعة في اليمامة، أما الجناب: فهو ماء في عرض جبل كأنه عين، يَرِدِه السالك من المزاحمية البلد الواقعةِ قريب جوّ إلى بلد الحريق، واقع في وادي نساح في جنوبيه الغربي، إذا سلكت الطريق قاصدا الحريق اتجهت إلى جهة الجنوب حتى آخر أودية نساح، فتنعرج إلى جهة الغرب، وتسير مسافة ساعة أو أكثر قليلاً ثم تلتفت على شمالك، فترى خضرة الشجر على ذلك الماء كأنها حضرة كروم، أصولها شارعة في الماء، وأنا قد وردته، وهو باقٍ باسمه إلى هذا العهد، ولكنه صغر، يقال له «جنيب» فإذا وردت جنيباً وسرت قاصداً الغرب أو بينه وبين مطلع سهيل تسير ساعتين ثم تطلع العقبة التي تُفضْي إلى وادي بريك الذي فيه بلد الحريق، وهذه العقبة قد مضى الكلام عليها في أشعار امرئ القيس ، وهي التي يقال لها «مرقان» وذكرناها على بيت امرئ القيس في نونيته[(١)]:

وَمَا هَاجَ هذا الشَّوْقَ إلا مَنَازِلٌ ... دَوَارِسُ بَيْنَ يَذْبُلٍ فُرْقَانِ

وقلنا: أنه أبدلت فاؤه ميماً، وأعرف وادياً ينصب من غربي جبل كشب إلى شرقيه يقال له «جنب» به ملزم ماء ترده الأعراب يقال له «غدير الجنب» ينصب على ماء الريمة المنهل المشهور في شرقي كشب.

* * *

(١) انظر ص ٢١٤ من هذا الكتاب

٢٢ ــ وقال زهير:

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ ... من الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُه هَوَاءُ
أصَكَّ مُصَلَّمِ الأُذُنَيْنِ أجْنَى ... له بالسِّيِّ تَنُّومٌ وَآءُ

أما السّيّ فقد مضى الكلام عليه في بيت[1] زهير :

جُونية كحَصَاة القسم مَرْتَعُهَا ... بالسّيّ ما تُنْبِتُ القَفْعَاءُ وَالْحَسَكُ

★ ★ ★

٢٣ ــ وقال زهير:

تَرَبَّعَ صَارَةً حتّى إذا مَا ... فَنَى الدُّحْلَانُ عنه والإِضَاءُ
تربَّع بالْقَنَانِ وكُلِّ فَجٍ ... طَبَاهُ الرّعيُ منْهُ والْخَلَاءُ
فَأَوْرَدَهَا حياضَ صُنَيْبِعَاتٍ ... فَأَلْفَاهُنَّ لَيْسَ بِهِنَّ مَاءُ
فشجَّ بَها الأمَاعِزَ فَهْيَ تَهْوِي ... هُوِيَّ الدَّلْوِ أسْلَمهَا الرِّشَاء

أما صارة: فهي هضبة من هضاب الجِواء، وقد مضى الكلام عليها[2]

الدحلان — وأما الدُّحْلَان: فهي ملازم ماء يقال لها «الدحول» صدوعٌ تُمْسِكُ الماء إذا جاء السيل، وقليل أن لا يوجد فيها الماء، وهو اسم شامل لكل دحل، ولا توجد إلا في الجهات الشرقية من الدهناء.

الاضاء — والإضاء: يطلق على ملزم الماء الذي يسمى اليوم الغدير.

القنان — والقَنَان: قد مضى الكلام عليه في معلقة امرئ القيس[3].

صنيبعات — صنيبعات: موضع، ولا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، وهو ــ على ما قالوه ــ واقع في بلاد غطفان: قال رجل من بني حنيفة:

*** هَيْهَاتَ حِجْرٌ مْن صُنَيْبِعَاتِ ***

---

(١) انظر ص ص ٢٤٠ و٢٤٧ من هذا الكتاب
(٢) انظر ص ٥٩ و ٦٠ و ٢٢٨ من هذا الكتاب
(٣) انظر ص ٦٣ و ٢٣٣ و٢٣٨ من هذا الكتاب

فهذا الراجز الحنفي تذكر بلده حُجْر اليمامة وهو في صُنَيْبعات، قال في معجم البلدان: هو ماء نهشت عنده حية ابناً صغيراً للحارث بن عمرو الغساني، وكان مسترضعاً في بني تميم، وبنو تميم وبكر في مكان واحد يومئذ وظن الحارث أنهم قتلوا ابنه غِيلة، فأتاهم الحارث، فأتاه منهم قوم يعتذرون إليه، فقتلهم جميعاً، وأورد صاحب معجم البلدان ببيت زهير المذكور شاهداً عليها.

★ ★ ★

٢٤ ـــ وقال زهير:

فَلَيْسَ لَحَاقُهُ كَلَحَاقِ إلْفٍ ... وَلَا كَنَجَائِهَا مِنْهُ نَجَاءُ

يغِّردُ بَيْنَ خُرْمٍ مُفَّضيَاتٍ ... صَوَافٍ لَمْ تُكَدِّرْهَا الدِّلَاءُ(١)

يُفَضِّلُه إِذَا اجْتَهَدا عَلَيْهِ ... تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ والذَّكَاءُ(٢)

الخرم — الخرم: مواضع معلومة، اسمها هذا جاهلي مما يلي بلاد غطفان وتعرف في هذا العهد: الخرمي وخريمان، سميت بذلك لكثرة اجتماع السيل فيها وتخرمه، وهي مَجْمع سيل عالية نجد، جميعُ سيولها تصب في الرشا، وتندفع جميعاً متجهة إلى جهة الشمال الشرقي، ثم تجتمع في هذا الموضع الذي يقال له: الخرمي وخريمان. والرُّشَاء: واد عظيم من أعظم أودية نجد، واسمه هذا جاهلي قديم، قال عوف بن عطية:

يقودُ الجيادَ بِأَرْسَانِهَا ... يَضَعْنَ ببطن الرُّشاء الْمِهَارَا

وتسميه عامة أهل نجد اليوم «وادي الرشا» تصب فيه سيول جبل ثهلان بأجمعها، وأعظم تلك الأودية «وادي الشعرى» تنجذب سيوله من قريب مجيرات وحُذُنَّة، وفي هذا الموضع يوم من أيام العرب بين بني ضبة

(١) هذه رواية الأعلم، وروى ثعلب «يغرد بين خرم مقرطات».

(٢) رواية ثعلب «يفضله اذا اجتهدت».

وبني نُمَير، فكان لبني ضبة، وهو الذي يقول فيه المكعبر الضبي:

دَارَتْ رَحَانَا قَلِيْلاً ثُمَّ صَبَّحَهُم ضربٌ تصيحُ منه جلةُ الْهَامِ
ظَلّت ضِبَاعُ مُجِيَراتٍ يَلُذْنَ بهم وَأَلْحَمُوهُنَّ منهُـمْ أيّ إلْحَـامِ
حتى حُذُنةٌ لم يترِكْ بِهَا ضُبعَاً إِلّا له جَزَرُ مِن شِلْوٍ مِقْدَامِ

وفي هذا الموضع بعينه يوم من أيام العرب المتأخرين في سنة ١٢٦٩هـ بين عتيبة وقحطان، رئيس عتيبة تركي بن حميد ويعضده من رؤساء عتيبة رؤساء من الروقة وغيرهم، ورئيس قحطان محمد بن هادي بن قرملة فكانت الهزيمة على قَحْطَان، وانتصر العتبان.

وفي ذلك الموضع سناف يسمي اليوم «سناف الطِّراد» لعظم تطارد الخيل فيه، ولم يُسَمَّ بهذا الاسم إلا بعد تلك المعركة، ويصب في ذلك الوادي وادي دلعة البلد المعروفة لجماعة من الدعاجين، ورئيس هذه الجماعة ابن عقيل وهم يقال لهم «ذوو خيوط» ثم يندفع متجهاً جاعلاًجبل ثهلان عن يمينه، ثم يجتمع بالرشا مع أودية ثهلان، ثم تتجه كلها إلى الشمال الشرقي ثم تصب فيه أودية جبل النير، فما كان في جهة النير الشرقية من الأودية فإنه يصب في وادي بحار، وتتجه إلى الشمال الشرقي فتصب في وادي طينان وهو الوادي المعروف على طريق السيارات المتجهة من مكة إلى الرياض إذا خرج السالك من ماء القاعية وسار ثلث ساعة مرّ في هذا الوادي، إذا كان في سيارة، وإذا كثرت الأمطار وجرت الأودية يحجز الماشي على جنباته حتى يجف، وهو متجه بعدما يصب فيه وادي جفنى قاصداً خنوقة، وبها ملازم ماء، وتجتمع عليها البوادي، ثم يتجه بعدما تجتمع به أودية خنوقة وما حولها قاصداً الرشاء ويصب فيه بعدما يجتمع بالرشاء أودية ثهلان والشعرى والرمادية، وأودية النّير الشّرقيّة المجتمعة في وادي بحار، تأتيه سيول النير من جهته الشمالية: وادي

الرميثى وغيره ثم تجتمع تلك السيول في غثاة وتعرج إلى جهة خنوقة، ثم تجتمع بسيل النير الشرقي الذي مر ذكره، ويصب في وادي الرشاء قبل ماء الرشاوية، وعند هذا الماء التحمت عتيبة وحرب، وأمد حَرْباً مطيرٌ، وتقاتلوا في ضفة وادي الرشاء الشمالية، ودارت بينهم معارك في سنة ١٣٢٧هـ بعد معركة شق فيها بيت ابن هندي، وانتهت هذه المعارك بقتل رئيسين من عتيبة: أحدهما ولد جهجاه بن حميد، والثاني: عالي الفجري، وكلاهما من قبيلة المقطة، وقتل رئيسان من مطير: أحدهما أبو عبيد الدويش، والثاني طلال بن هدبا، وتفرق القوم بعد ذلك، وهذه الأودية المذكورة هي أحسن البلاد لمرعى الإبل، ثم بعد ماء الرشاويّة المتقدم ذكره يأتي سيل الوادي العظيم الذي يقال له «جهام» مع ما اجتمع إليه من جميع الأودية، وبعد اجتماع سيوله يصب في وادي الرشاء جنوبي النبوان الماء المعروف في الرشاء، وبعد اجتماع تلك السيول تتجه بمجرى وادي الرشاء، ثم تأتيها أودية مصدة بلد الروسان المعروفة شمالي الدوادمي، ووادي أفقرى، ثم تتجه جميعاً في مجرى هذا الوادي المذكور، ثم تأتيها سيول عرجى والنشاش، وتصب في ذلك الوادي.

ومن عجيب المصادفات أنه قد كان في مجيرة وحُذُنَة يَومٌ بين عرب الجاهلية ثم كان بين متأخري العرب في هذا المكان يوم أيضاً، وقد ذكرنا هذين اليومين، وهذا وادي عرجى والنشاش، كان فيهما يوم من أيام العرب في الجاهلية بين بني حنيفة وبني عقيل، انهزمت فيه بنو حنيفة فقال شاعر بنى عقيل:

فَلَو سُئِلَتْ عَنّا حنيفةُ أُخْبِرَتْ بِمَا لَقِيت مِنّا بجمران صِيْدُهَا

وفي هذا الموضع بعينه كان يوم عظيم للعرب المتأخرين في سنه ١٣١٣ هجرية بين حرب وعتيبة رئيسا حرب من بني على صنيتان الفرم وعبد الله الفرم، ورئيس عتيبة محمد بن هندي بن حميد رئيس المقطة

ومعه رؤساء من قومه عتيبة، وكانت الهزيمة على (حرب) بعد معركة دارت من الصبح إلى بعد الظهر، وعدد حرب يومئذ على الأكثر ربع العتبان، فكان هذا مصداق قول العامة «الكثرة تغلب الشجاعة».

ثم تتجه تلك السيول وترفدها سيول جبلة، ثم تسير وقد جعلت في شمالها جبلة المشهورة في عالية نجد الشمالية، ثم تصب في الرشاء، ومن تلك الأودية شعْيب جَبَلة المشهور وكان فيه يوم عظيم بين بني عامر ومعهم أنصارهم من فزارة، وبين بني تميم ومعهم أنصارهم من ذبيان وبني أسد وهو من أعظم أيام العرب، انهزمت فيه بنو تميم ومَنْ والاها، وفي ذلك اليوم سيقت الإبل للقتال وهو أول يوم سيقت فيه إبل للقتال، وسوقها على بني تميم برأي قيس بن زهير العبسي، وقُتل في ذلك اليوم لقيط بن زرارة سيد بني تميم، واختلفوا في قاتله، ويقال: إنه شريح بن الأحوص العامري، وكان بنو عبس يضربونه وهو ميت، وقد استدلوا على قتله بقول ابنة لقيط حين[1] قالت:

يوم جبلة

أَلَا يَالهَا الْوَيْلَاتُ ويلَةَ من هوى　　　يضَرْب بنى عَبْس لقيطاً، وَقَد قَضَىٰ
لقد عفّروا وجْهَاً عليه مَهَابَةٌ　　　ولا تَحْفَل الصُّمُ الجَنَادِلُ مَنْ ثَوَىٰ
وَمَا ثأرُه فيكُم ولكنّ ثَأْرَهُ　　　شريحٌ أرادتهُ الأسنَّةُ والْقَنَا

وهذه الوقعة العظيمة كانت قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة، وقبل ميلاد النبي ﷺ بسبع عشرة سنة، قال رجل من بني عامر:

لم أَرَ يَوْمَاً مِثْل يَوْم جَبلَهْ　　　لمّا أَتَتْنَا أسَدٌ وحنظلهْ
وغَطَفَانُ والملوكُ أَزْفَلَهْ　　　نَضْرِبُهُم بقُضُبٍ منتحلهْ

وقال لبيد بن ربيعة العامري في ذلك اليوم، وهو مُخَضرم :

---

(١) انظر معجم البلدان ٣/٥٢.

مِنّا حماةُ الشِّعْبِ يَوْمَ تَوَاعَدَتْ ... أَسَدٌ وَذُبْيَـانُ الصَّفَا وَتَمِيْـمُ
فارتَتّ جرحاهم عشية هزمهم ... حتّى بمنعرجِ المَسِيْلِ مُقِيْـمُ
قَوْمي أُوْلَئِكَ إن سَأَلْتَ بِخِيمهم ... ولكل قَوْم في النّوائب خِيمُ
وإذَا تواكلت المَقَانِبُ لم يَزَلْ ... بالنَّفر مِنّا مُنْسِرٌ وَعَظِيْـمُ

هذا اليوم المشهور في الجاهلية، وهنا يوم قريب العهد بين العرب في سنة ١٣٤٨هـ، بين قبيلة عتيبة برقا والروقة، رئيس برقا مقعد الدهينة النفيعي، ومعه جماعة من رؤساء برقا، ورئيس الروقة عمر بن ربيعان ومعه قوم من رؤساء الروقة، فدارت المعركة بين الفئتين، فانهزمت برقا بعد قتال، وانتصر الروقة في ذلك اليوم، وهؤلاء من بقايا بني عامر التي انتصرت على بني تميم في ذلك الموضع، وهذا الموضع المذكور في جبلة هو الذي كانت به الوقعة الأولى والوقعة الثانية.

عود إلى ذكر الخرم

ثم تتجه سيول الرشا جاعلة جبلة على شمالها، ثم يأتيها وادي نفى ووادي الهييشة من جهته الشمالية، ويأتي وادي جمران وما والاه من الأودية في الجهة الجنوبية، ثم تتجه السيول إلى جهة الخرمي وخريمان التي ذكرها زهير في بيته، وتمر بواردات، وتحفها السيول من جهتها الشرقية، ويوم واردات معروف بين بكر وتغلب في الجاهلية، قتل فيه بجير بن الحارث بن مرة، فقال مهلهل:

أَلَيْلَتَنَـا بِذِي حُسُمٍ أَنِيْـرِي ... إذا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فلا تَحُورِي
فإن يكُ بالذّنائِبِ طَالَ لَيْلِي ... فَقَدْ أَبْكِي من الليل الْقَصِيْرِ
فإنّـي قَدْ تَرَكْتُ بِوارِدَاتٍ ... بُجَيْراً في دمٍ مثلِ الْعَبِيْرِ

وكان في هذا الموضع معركة في سنة ١٣٤٨هـ بين عرب مطير ـــ وهم من بقايا بنى عبد الله ابن غطفان ـــ ورئيسهم ابن ظمنه ومعه رؤساء من بطون مطير، وبين قبيلة الروقة، ورئيسهم عمر بن ربيعان، ومعه رؤساء من الروقة، وانتهت المعركة بهزيمة مطير وانتصار الروقة.

وهذا الجيش الذي فلّ مطيراً هو الذي فلّ جيش الدهينة في جبلة وليس بين المعركتين إلا ثلاث ليال تقريباً، وهذه الانتصارات بمساعدة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وهمته وتدبيره.

فإذا اجتمعت سيول الرشا في ذلك الموضع اتجهت إلى الخرمي وخريمان وهما أرض متسعة واسعة الجناب تجتمع فيها تلك السيول وتحير فيها.

الصوافي

أما الصوافي التي ذكرها زهير حين قال في شطر البيت:

* صَوَافٍ لا تكدّرُها الدّلَاءُ *

فهي مناهل معلومة واقعة في الخرمي وخريمان يقال لها دهيما والربقية وربيق والملقى، كلها آبار في تلك الناحية في الخرمي وخريمان، وهي واقعة جنوبي رامة المشهورة في جنوبي وادي الرمة، وغربي كثيب الشقيقة الذي يمتد شمالاً إلى بلد عنيزة، وهناك وادٍ يقال له المُخَرم يصب سيله في وادي الرمة في جهته الشمالية. وهذا الوادي ــ والذي قبله ــ واقع في بلاد غطفان، على حدودها الجنوبية، وهناك روضة شرقي العرمة يقال لها «روضة خريم» ينزل بها جلالة الملك عبد العزيز أيام الربيع، وليست التي عناها الشاعر، لم يقصد إلا أحد الموضعين: الخرمي، وخريمان. أو وادي المخرم، وكلا الموضعين في بلاد غطفان أو قريب منهما.

يعلم قارئ هذه الأحرف أن نجداً محبوبة عند أهلها، لما مررنا على بيت زهير الذي يقول فيه :

يغرِّدُ بَيْنَ خُرّمٍ مُفْضِيَاتٍ صوافٍ لا تُكَدِّرُهَا الدِّلَاءُ

وذكرنا السيول التي تصب في الرشا، ومررنا على أربعة مواضع لا يبعد بعضها عن بعض أكثر من مسافة يومين، ففي أربعة المواضع ثمانية أيام من

أيام العرب: أربعة في الجاهلية، وأربعة قريبة العهد الأول منها في القرن الثالث عشر وهو بين ابن هادي وبين تركي بن حميد، وهو الذي في مجيرة وحذنة. وأعرف ثلاثة سواه.

أحدهما الذي في عرجى والنشاش بين عتيبة وحرب والثاني: في جبلة بين عتيبة برقا والروقة، الثالث: في واردات ووضاخ بين مطير وعتيبة، وكل المعارك الثلاث المذكورة أعرفها، وهي معلومة في نجد.

وأما الذي في القرن الثالث عشر بين ابن هادي وابن حميد فحدثني عنه والدي عبد الله بن بليهد، لأنه عَمَّرَ واستكمل من السنين مائة سنة وست سنين منها ١٠٣ لم يتغير من فكره شيء، ولا من حديثه، وثلاث سنين لا يدرى عن شيء حتى انتقل إلى رحمة الله. رحمة الله عليه.

ومواضع المعارك: الموضع الأول بين (تَيْمَا ومُجيَرات وحُذُنة)، وفيه معركتان، والثاني: في (وادي عرجىٰ والنّشَاش) وفيه معركتان أيضاً والثالث: في (جبلة)، وفيه معركتان، والرابع بين (وضاخ وواردات)، وفيه معركتان، فهذه ثمان معارك كلّها عظام، ونحن في مجرى وادي واحد من هذه المواضع، وهذه المعارك في نجد بين أهلها، فماذا يكون لو طمعت فيها الأعداء.

★ ★ ★

٢٥ ــ وقال زهير:

كأنَّ سَحِيْلَهُ في كلِّ فَجْرٍ ... على أحْسَاءِ يَمْؤُوْدٍ دُعَاءُ
فآضَ كَأنَّهُ رَجُلٌ سَلِيْبٌ ... على عَلْيَاءَ لَيْسَ لَهُ رِدَاءُ

أما يمؤود: فلا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، ولكنه يحتمل أن يكون وادياً في بلاد غطفان، لأنه ذكره الشماخ في شعره، وهو من شعراء تلك الناحية، وذلك حين قال: يمؤود

طَالَ الثَّواءُ على رَسْمٍ بيَمْؤُد حيناً وكلُّ جَدِيْدٍ بعْدَه مُودِي
دارُ الفتاة التي كُنّا نقولُ لَهَا يا ظَبْيَة عُطُلاً حُسَّانَة الْجِيْدِ

★ ★ ★

٢٦ ــ وقال زهير يمدح هرم بن سنان المرّي:

لِمَنْ طَلَلٌ بِرامَةَ لَا يَرِيْمُ عَفَا وخَلَا له عَهْدٌ قَدِيْمُ
تَحَمَّلَ أَهْلُهُ مِنْـهُ فَبَانُـوا وَفـي عَرَصَاتِه مِنْهُـمْ رُسُومُ

رامة: أكثبة متراكمة ليست بالكثيرة، باقية بهذا الاسم، معروفة عند جميع أهل نجد، وهي منقطع أكثبة الشقيقة مما يلي الغرب، وشرقي الأكثبة متصل إلى بلد عنيزة، وغربيها يمتد إلى جهة الرسّ البلد المعروف في أعلى القصيم، وطرف الأكثبة الغربية المقابلة للرسّ هي التي تُسمَى بهذا الاسم، وهي قريب وادي عاقل الذي تقدم ذكره، وقد ذكرتْها شعراء العرب، قال جرير: رامة

حَيِّ الغداةَ برامَةَ الأَطْلَالا رَسْماً تقادَمَ عهدُهُ فَأَحَالَا
إنّ السّوارِيَ والغوادىَ غادَرتْ للرّيحِ مخترَقاً به وَمَجَالا
لم أَلْقَ مِثْلَكَ بَعْدَ عَهْدِكَ مَنْزِلا فَسُقِيْتَ من سُبُلِ السِّماكِ سِجَالا
أَصْبَحْتَ بَعْدَ جَمِيْعِ أهلك دِمْنَةً قفراً وَكُنْتَ محلّة مِحْلَالا

وقال بشْرُ بنُ أبي خازم في ذكر رَامَةَ:

عَفَتْ من سليمى رَامَةٌ فَكَثِيْبُهَا وشطّت بِهَا عَنْكَ النّوىَ وشعُوبُهَا
وغَيَّرَهَا ما غيَّر الناس قَبْلَهَا فَبَانَتْ وحاجاتُ النُفُوس تُصِيْبُهَا

٢٧ ــ وقال زهير:

يَلُحْنَ كأنهـنَّ يَدَا فَتَـاةٍ تُرَجِّعُ في مَعَاصِمِهَا الوُشُومُ
عَفَا من آل لَيْلىٰ بطنُ سَاقٍ فأكثِبَـةُ العَجَالِـزِ فَالْقَصِيْـمُ

تُطَالِعُنَــا خَيَــالَاتٌ لِسَلْمَــىٰ   كمـا يَتطَلّعُ الدّيْـن الْغَرِيْـمُ
لَعَمْر أبيك ما هَرِمُ ابْنُ سَلْمَىٰ   بِمَلْحِيٍّ إذا اللؤمـاءُ لِيْمُــوا

ساق

ساق: واقع في الجواء معروف عند عامة أهل نجد إلى هذا العهد ومنهم من يسميه «ساق الجواء» وهو منفرد من جبال الجواء ومن جبال الموشم ومن صارات، وهو أسود، ليس بالكبير شاهق إلى السماء، في أرض متسعة، وأنا قد رأيته مراراً كثيرة في أسفاري، قال الحطيئة:

نَظَرْتُ إلى فَوْت ضَحْيَا وَعَبْرَتي   لَهَا من وَكِيْفِ الرّأس شنٌ وَوَاشِلُ
إلى العير تُحْدَىٰ بين قَوٍّ وضارج   كما زال في الصُّبْح الأشاء الحَوَامِلُ
فأتْبعُتْهُمْ عينيَّ حتـى تفَـرّقَتْ   مع الليل عن ساقِ الفَرِيْدِ الجَمَائِلُ

وقد غلط مَنْ قال أن ساق الفريد غير ساق الجواء وهذا هو الحطيئة قد ذكره باسم «ساق الفريد» لأنه منفرد، والدليل على أنه يعني ساق الجواء أنه ذكر معه موضعين ـــ وهما قوّ وضارج ـــ وهما واقعان في ناحيته.

العجالز

والعجالز: واقعة في جهة القصيم، وذكروا أنها قريب النباج وأنا لا أعرفها بهذا الاسم في هذا العهد، وهي أكثبة، قال ذو الرمة :

وَقُمْنَ على العَجَالِزِ نصفَ يَوْمٍ   وَأَدَّيْــنَ الأَوَاصِرَ وَالْخِــلَالَا

القصيم

القصيم: هو بلد عظيم مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد، واقع في القطعة الشمالية من نجد، عامر، كثير القرى والنخيل والمزارع، تبلغ قراه وخبوبه والمواضع العامرة منه من حدوده الجنوبية إلى حدوده الشمالية ومن حدوده الغربية إلى حدوده الشرقية ما يبلغ قدره مائتي قرية، ومدنه: بريدة، وعنيزة، وبلد الرس. حده الجنوبي بلد المذنب، وحده الشمالي بلد القوارة، وحدوده الشرقية النباج الذي يسمى اليوم الأسياح، وحدود الأسياح الشمالية: حنيظل، وأبو الدود، والقيصومة، وحدود الأسياح الجنوبية:

الجعلة، والنبقية وحدوده الغربية شماليها: وثال، وعيون الجواء، والروض وجنوبيها: الرس وما حوله، قال أهل اللغة عن سبب تسميته القصيم: أنه أكثبة متقصمة تنبت الغضى، قال محمود شكري الآلوسى: سمى القصيم، لأنه قصيمات رمل متقطعة، ويشقه طريق الحاج من البصرة إلى مكة نصفين، وهو الفاصل بين جَبَلَيْ طي وحايل وقراها وبين عارض اليمامة وقراه، ووشم اليمامة الذي عاصمته بلد شقرى واقع في النصف من الطريق بين القصيم والعارض، أنشد ابن السكيت في ذكر القصيم:

ياريها الْيَوْمَ عَلَى مِبْيَنِ عَلَى مِبْيَنِ جَرْد الْقَصِيْمِ

وفيه معارك في الجاهلية والإسلام، قال زيد الخيل[1] الطائي:

وَنَحْنُ الْجَالِبُونَ نساءَ عَبْسٍ إلى الجبلين من أهْل الْقَصِيْمِ
فكان رَوَاحُهَا للحىّ كَعْبٍ وكَانَ غدوُّهَا لِبَنِي تَمِيْمِ

وتنتهي إليه سيول الرمة اذا حجزتها الأكثبة الواقعة عن بلد عنيزة شرقاً، واذا حجزته تلك الأكثبة ينعرج على يمينه ويجتمع في روضة الزغيبية المشهورة شرقي عنيزة، وهي موضع القريتين المذكورتين في الزمن القديم قريب النباج، وذكروا أن أسفل وادي الرمة تحير فيه المياه ويكون به وباء من الحمى لكثرة المياه، قال أعرابي يذكر وَبَاء القصيم وكثرة القتال فيه:

إنّ القصيم بلدٌ محمَّهُ أنْكَدَ أفْنَى أمَّةً فأمَّة

وفي سنة ١٢٩٥هـ في رجب منها جاء آل عاصم بطن من قحطان رئيسهم حزام بن عبد الرحمنٰ بن حشر، فدخلوا في أكثبة الشقيقة والغميس المجاورة لبلد عنيزة، وهي حِمَى لأهل عنيزة يرعون الإبل والأغنام ويمنعون الكلأ لسوانيهم التي تسقى الزرع، فدخلوا في ذلك الحمي،

(١) قلت: والأفضل أن نقول عنه زيد الخير كما فعله رسول الله ﷺ.

وأرسل إليهم أهل عنيزة أن أذهبوا عنا وعن بلادنا والفلاة واسعة، وكانت تلك القبيلة من قحطان فيها بَغْيٌ وتجبّر على أهل القرى وتطاولٌ، فلم يرفعوا رأساً إلى تلك الرسل التي أرسلها إليهم رئيس البلد زامل بن سليم، وكان بها قاضٍ يقال له علي آل محمد متخرج على الشيخ عبد الله ابن عبد الرحمن أبي بطين[1] فجاءه أمير البلد وقال له: أيها القاضي، إن هؤلاء الأعراب قد طَغَوْا وتجبروا علينا يضربون مَنْ وجدوا في تلك الناحية من أهل البلد من الرعاة وغيرهم، وقد آذَوْنا، فهل يحل لنا أن نغزوهم؟ قال: نعم، فتأهبوا للغزو وخرجوا يوم الأربعاء، فلما خرجت الراية مع صاحبها الصقيري على راحلته انكسر الرمح الذي فيه الراية، فأمر رئيس الجيش زامل بن سليم القوم أن ينزلوا، فرجع إلى القاضي فقال له: إنا خرجنا في هذا اليوم يوم الأربعاء وهو مكروه عند العرب، فلما كانت الراية عند باب البلد انكسرت، فماذا ترى؟ أنقيم اليوم ونغزو غدا نهار الخميس؟ فقال الشيخ: خذوا رمحاً سالماً وأصلحوا رايتكم واغزوا على بركة الله، فإنه لا خير إلا خيره، ولا طير إلا طيره، وليس عند الأيام خبر، فمشوا من حينهم والعدو قريب مسافة يوم وكان في بلد عنيزة رجل يقال له ابن فتنان من قحطان المفَزْوُيِّن، فقال لابنته: اذهبي إلى قومنا في جوف الليل وأخبريهم الخبر أن أهل عنيزة واصلوهم قريباً، وكانت ابنته ذاتَ جمالٍ، فلما وصلت إلى نادي آل حشر رؤساء تلك القبيلة وقفت على النادي ثم قالت: إن أبي أرسلني إليكم يقول: إن أهل عنيزة خرجوا يقصدونكم فخذوا حذركم فإني لم آتكم بنفسي خوفاً أن يغضب عليّ جيراني، وأرسلني لأخبركم، فضحكوا والتفت بعضهم إلى بعض، فقال بعضهم: هذا النذير أحسن ما يفعل به أن ...[2] فبينما هم في ضحكهم وتهكمهم بها إذ طَلَعت عليهم جيوش أهل

---

(١) وكان أبو بطين قاضيا في عنيزه فكان ينيبه في غيابه، فتولى قضاء عنيزة من سنة ١٢٦٩ هـ إلى أن توفي سنة ١٣٠٤هـ، وهو من قبيلة الأساعدة أهل الزلفى، وبلدة من قرى الزلفى، انتهى مصنف، وقحطان اذ ذاك يشربون ماءة دخنة الهجرة المعروفة اليوم لحرب.

(٢) عند قحطان وقسم من الأعراب أهل نجد وقراها هو كناية عن الجماع، وقد حدثني من =

عنيزة فقتلوهم قتله عظيمة أصابت من آل حَشْر الرؤساء أحدَ عَشَرَ قتيلاً، منهم الرئيس حزام بن حشر أبو فيصل بن حشر الرجل المشهور في معيةَّ جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، وفيصل المذكور فارس من رُمَاة أهل نجد المشهورين، هلك سنة ١٣٥٨هـ تقريباً، فانهزم القحطانيون، ودفنوا قتلاهم، وحملوا أميرهم حزاماً حين أثخنته الجراحات، فلما وصلوا ماء نفى المشهور في عالية نجد مات في ذلك الوادي فدفنوه، وقال شاعر آل عاصم أبياتاً نَبَطية بعد دفنه وارتحالهم من نفى، وهي قصيدة طويلة قالها ابن مسعر.

لو أجملنا إلى يشيل الروايا   الياقربو للشيل وثنات الجمال
لو ان الربع من دفوفه دمايا   مهوب من كثر العلايق بملال
في جال فيحان عليه البنايا   خلوه في خرب الجبا مظلم الجال
شلنـا وخلينـا زبـون الحفايـا   على نفى شرقي عن القصر نزال

فيحان: اسم لوادي نفى عند جميع الأعراب، وقوله «خرب الجبا مظلم الجال» أراد به القبر، ومصلط بن ربيعان الروقي كان به تجبر على أهل القرى، فجاء إلى حمى أهل عنيزة[1] ففعل مثلما فعل من قبله مَنْ التضييق على أهل عنيزة، والرئيس هو الرئيس الأول، والوقعتان قريب بعضهما من بعض في أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة، فصبحوه وأخذوا ابله وأمتعته، وكانت ابله يسميها سبلا، فقال قصيدة نبطية منها في سنة ١٢٨٩هـ: فيحان

أثق به عن ابيه أنه حدثه ابن فتنان لما رجعت إليه ابنته وأخبرته بكلام قومه وتهكمهم بها، التهب قلبه التهاب النار من أجل تهكمهم بابنته، وفي غد أتاه الخبر بقتلهم وقتل أحد عشر رئيساً منهم وأخذ هم وطرد هم، فسكن عند ذاك اللهب، فنصر الله الشيخ وابنته كما نصر أهل عنيزة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾. آية ١٤ من سورة الفجر.

(١) وذلك في شوال سنة ١٢٨٩ هجرية، وهو اذ ذاك قاطن على ماءة الثامرية الواقعة عن بلد عنيزة شرقاً. المصنف.

يليت سبلا يوم جاها بلاها مهيب عند مصرفه خضر ألَرْباع

خضر الأرباع: عملة يتعامل بها أهل القصيم.

وفي سنة ١٣٣٠هـ تقريباً جاء قوم من حرب يقال لهم «الفردة» رئيسهم ابن هديب، فدخلوا في ذلك الحَمِى حَمِى عنيزة، ورئيسها يومئذ ابن سليم، فأرسلوا إلى الأعراب، وحذروهم أن اذهبوا عن هذا الحمى، فلم تربع الأعراب إلى هذا الإنذار، فخرج أهل عنيزة عليهم، فقتلوا رئيس الفردة ابنَ هديب.

أما موقعها: فشرقيها قور[١] وجبال صغار، متصل بعضها ببعض، وغربيها كثيب أحمر، وهي بين الكثيب وبين القور، في أرض منخفضة عذبة الماء كثيرة النخيل، وشماليها وادي الرمة به لهم نخيل ومزارع، ويسُميه بعضُ أهل نجد «وادي عنيزة».

بريدة

أما بريدة: فهي بلد واسعة، جميع القصيم يُعَدُّ من ملحقاتها وهي أكبر من عنيزة في موضعها وإمارتها وملحقاتها، أدركت أمراءها آل أبي الخيل من عنزة، ثم استعمل عليها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود عمالاً من أبناء عمه وغيرهم، وبها قصر منيع يسكنه الأمير وخَدَمُه، وأهلها أمّة مطيعة للولاة، وجميع الحدود التي حددناها سابقاً للقصيم تابعة لها.

القصيم

أما القصيم: فهو مواضع جاهلية لها ذكر في أشعار العرب قبل الإسلام وبعده، كالنباج الذي يسمى اليوم الأسياح، وقرى الجواء والقريتين موضع روضة الزغيبية اليوم، والرس والرسيس والعاقلي، وأكثر قرى القصيم مذكورة في أشعار العرب وتاريخهم. أما بريدة[٢]: المدينة المشهورة في وسط

---

(١) القور: هي الجبيلات الصغار، مفردها قارة، وهي لغة قديمة، قال كعب بن زهير في لاميته:

* كما تلفع بالقور العساقيل *

(٢) ذكرها صاحب منجم العمران المستدرك على معجم البلدان.

القصيم، فالذي اكتشفها الدريبي من أهل ثرمدا من العناقر، اكتشفها في النصف الأخير من القرن العاشر تقريباً، وبقايا ذريته هم آل أبي عليان الذين لهم ذكر في تاريخ بريدة، هم رؤساؤها وأمراؤها، منهم حجيلان الذي له ذكر في زمن الإمام سعود بن عبد العزيز ومنهم عبد العزيز آل محمد الذي له ذكر في زمن الإمام فيصل، ومنهم محمد آل علي بن عرفج، فكل هؤلاء من آل أبي عليان.

وآل عرفج منهم المرأة التي قتلت قاتل أبيها[1] وقصتها مشهورة عند عامة أهل نجد، وأعرف ثلاث نسوة من نساء أهل نجد قَتَلْنَ الرجال:

الأولى: العرفجية آنفة الذكر، قتلت قاتل أبيها، وبنت الأصقه العجمي، قتلت ابن حثلين شيخ العجمان قاتل أبيها، وبنت المطرودي راعي العوشزية أُخِذَتْ إبلهم يوم الجمعة وأهلها غائبون للصلاة، فأخذت البندقية وركبت الفرس وعليها ثياب أخيها ولحقت الأعداء وقتلت رئيسهم ورجعت بالإبل ولها حديث طويل في ذلك، وهي خالة عبد الله بن جلوي أمير الأحساء رحمه الله.

وسكان بريدة ليسوا من قبيلة واحدة، فهم من قبائل شتى، ولكن كلمتهم مجتمعة، يَتَّجِرُونَ بالإبل، وفي السنين الأخيرة اتجروا في جميع أنواع التجارة، وأميرهم في هذا العهد سنة ١٣٦٦ هجرية عبد الله بن فيصل آل فرحان من أقارب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود[2].

---

(١) قال شاعر في قصيدة له نبطية:

عيسى يقول الحرب للمال نفاد ... أنشد مسوى السيف هو كيف حانية

ان كان ما نرويه من دم ألَضْداد ... كزوه لم العرفجية ترويه

(٢) وأمير بريدة وملحقاتها في هذا العهد عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد بن جلوى ابن عم جلالة الملك المعظم ووالده عبد العزيز بن مساعد امير على حائل وملحقاتها. قلت وقوله هذا العهد يقصد سنة (١٣٦٨هـ).

* تطالعنا خيالات لسلمى *

وقول زهير

لعله[1] يريد بسلمى في هذا البيت الجبل الثاني من جبلَيْ طيئ أجا وسَلْمَى وهو معروف عند جميع أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد، وذلك أن سَلْمىٰ قريب من جهة القصيم، وفيه بطن من الأسلم من شمر، وأجبلتها بين الحمرة والسواد، وقد مضى الكلام عليها في مواضع من هذا الكتاب موقعها بين جبل رمان وجبل أجأ، شرقيها فيد وركك، وغربيها مُتَاخم لغربي جبل رمان.

★ ★ ★

٢٨ ــ وقال زهير يخاطب بني تميم لَمَّا بلغه أنهم يريدون غزو غَطَفَان:

أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ وَقَدْ يَأْتِيكَ بِالْخَبَرِ الظُّنُونُ[2]
بِأَنَّ بُيُوتَنَا بِمَحَلِّ حَجْرٍ بِكُلِّ قَرَارَةٍ مِنهَا نَكُونُ
إِلَى قَلَهىٰ تَكُونُ الدَّارُ مِنَّا إِلى أَكْنَافِ دُوْمَة فَالْحَجُوْنِ
بِأَوْدِيَةٍ أَسَافِلُهُنَّ رَوْضٌ وَأَعْلَاهَا إِذَا خِفْنَا حُصُونُ

حجر: قد مضى الكلام عليه في أشعار زهير في رائيته التي مطلعها:

* لمن الديار بِقُنة الحجْرِ *

أما قلَهىٰ فقد قال عرام بن الأصبغ السلمى[3] في كتابه عن جبال قلهى

(١) أو لعله يريد بسلمى اسم أمراة ينتابه خيالها

(٢) روى ثعلب «وَقَدْ يَأْتِيْكَ بالنُّصْح الظَّنُونُ».

(٣) انظر معجم البلدان ١٥٤/٧.

الحجاز وتهامة وأوديتها: وبالمدينة واد يقال له «ذورَوْلَان» به قُرىً منها قَلَهىٰ، وهي قرية كبيرة. اهـ.

فأما الذي عناه زهير فهو ماء يقال له قَلَهىٰ واقع في بلاد غطفان، وهو الماء الذي نزلَتْه عبس وفزارة بعد حروبها وتصالحت عليه، وبعدما تواثَقُوا قامت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان وطالبوا بني عبس بدماء عبد العُزيَّ بن جداد، ومالك بن سبيع، ومنعوهم الماء حتى أعطوهم الدِّية، فقال معقل بن عوف بن سبيع الثعلبي:

لَنِعْمَ الحيُّ ثَعْلَبَةُ بنُ سَعْدٍ إذا ما القوم عَضَّهُمُ الحديدُ
هم رَدُّوا القبائلَ من بَغِيْضٍ بغيظهـمُ وقـد حَمِـىَ الوَقُـوُد
تَظَلُّ دماؤهـم والـفَضْلُ فِيْنَـا على قَلَهىٰ ونحكم ما نريدُ

دوْمَةُ: هي دَوُمَة الجندل، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، والمواضع التي تُسمَى بدومة كثيرة، ولكن الشاعر لم يَعْن إلا دُوْمَة الجندلِ وهي ثلاث قرى عظام: دومة، والقارة، وسكاك، واسمها القديم سكاكة، بها عامل على تلك المقاطعة لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود، فنقلت دائرة الإمارة من بلدة دومة إلى بلد سكاك، وأميرها في سنة ١٣٦٦هـ عبد الرحمن آل أحمد السديري، وفي تلك الناحية حصن يقال له «مارد» وهو حصن أكيدر بن عبد الملك الذي ينتهى نسبه إلى أشرس بن ثور بن عُفَير، وهو من كندة، وهو الذي وَجَّهَ إليه رسول الله ﷺ خالد بن الوليد من تبوك وقال له: ستلقاه يصيد الوحش، وجاءت بقرة وحشية فحكت قرونها بحصنه، فنزل إليها ليلاً ليصيدها، فهجم عليه خالد بن الوليد، فأسره، وقتل أخاه حسان بن عبد الملك، وافتتحها خالد عنوة، وذلك في السنة التاسعة من الهجرة، ثم أن النبى ﷺ صالح أكيدر[1] على دوُمة، دومة

(١) قلت هو أكيدر بن عبد الملك الكندى متوفي نحو ١٢هـ ملك دومة الجندل (الجوف) في الجاهلية وجه إليه النبي ﷺ خالد بن الوليد في ٤٢٠ فارساً من المدينة، فأسره خالد، وفتح حصنه صلحا وعاد به إلى المدينة فقيل: أسلم، ورده الرسول إلى بلاده بعد أن كتب له كتابا.

وأمَّنه، وقرر عليه وعلى أهله الجِزْيَةَ، وكان نَصْرانياً، فأسلم أخوه حُرَيث، فأقره النبي ﷺ على ما في يده، ونَقَضَ أكيدر الصلح بعد وفاة النبي ﷺ، فأجلاه عمر رضي الله عنه من دُومَةَ فيمن أجلى من مُخَالفي دين الإسلام إلى الحيرة، فنزل في موضع منها قريب عين التمر وبنى به منزلاً وسماه دومة، وقيل: دوماء، باسم حصنه بوادي القرى، فهو قائم يعرف إلا أنه خراب، قال الشاعر في إجلاء عمر رضى الله عنه أكيدر:

يامَنْ رَأىٰ ظُعُناً تحمّل غدوةً   من آل أكّدَرَ شَجْوُهُ يُعْنِيْنِى
قد بُدِّلَتْ ظَعَناً بدار إقامةٍ   والسّير من حصن أشمُّ حَصِيْنِ

الحجون الْحَجُون: هو الواقع في أعلى مكة مما يلي مقابرها، وهو الذي عناه مُضَاض بن عمرو الجُرهُمي حين قال يتشوق إلى مكة المكرمة:

كأنْ لَمْ يَكُنْ بين الحَجُون إلى الصّفا   أنِيْسٌ، ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
بَلى نَحْنُ كُنّا أهْلَهَا فأزالنا   صروفُ الليالي والجُدودُ العواثِرُ

وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد.

ومعنى بيت زهير أن غطفان ملأت ما بين دومة الجندل إلى الحَجُون، ولكنه يكذب في آخر الأبيات حين يقول:

*** وأعلاها إِذَا خِفْنَا حُصُون ***

فيظهر من هذا الشطر أنهم لم يملأوا الذي بين دوُمَةَ فالحجون، ولم يملأوا بلاد غطفان.

★ ★ ★

٢٩ ـــ وقال زهير:

على رِسْلِكُمْ إنّا سَنُعْدِى وَرَاءَكُم   فَتَمْنَعَكُمْ أرْمَاحُنَا أو سَنُعْذَرُ
وَإلّا فَإنّا بالشَّرَبَّةِ فَاللِّوَى   نُعَقِّرُ أمَّاتِ الرّبَاعِ وَنَيْسِرُ

أما الشَّرَبَّة فقد مضى الكلام عليها على قصيدة امرئ القيس عند هذا البيت[1]: الشَّرَبَّة

تَخطَّفُ خِزَّان الشَّرَبَّةِ بالضُّحَىٰ ... وَقَدْ حجرت منها ثعالب أَوْرَالِ

★ ★ ★

٣٠ ــ وقال زهير:

إنَّ الرَّزِيَّـة لا رَزِيَّـةَ مِثْلُهـا ... مَا تَبْتَغِى غطَفَانُ يَوْمَ أضَلَّتِ
إنّ الرّكَابَ لَتَبْتَغِي ذا مِرَّةٍ ... بِجَنُوب نَخل إذا الشُّهور أَحَلَّتِ

أما نخل فقد مضى الكلام عليه في أشعار زهير حين قال في لاميته[2]: نخل

تَرَبَّص فَإِنْ تُقْوِ المروراةُ منهُمُ ... ودَارَتُها لا تُقْوِ منهمْ إِذاً نَخْلُ

★ ★ ★

٣١ ــ وقال زهير:

غَشِيْتُ دِيَاراً بِالْبَقِيْعِ فَثهمَـدَ ... دَوَارِسَ قَدْ أقْوَيْنَ من أُمِّ مَعْبَدِ[3]
أربَّتْ بها الأرواحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... فَلَمْ يَبْقَ إلّا آلُ خَيْمٍ مُنَضَّدِ[4]

أما البَقِيع: فقد مضى الكلام عليه في ذكر مياه الجواء على معلقة امرئ القيس على ذكر بقيعا، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد. البقيع

وأما ثَهْمَد: فسيأتي الكلام عليه ــ إن شاء الله ــ في معلقة طَرَفَةَ.

★ ★ ★

(١) انظر ص ١٠١ و ١٤٠ من هذا الجزء.
(٢) انظر ص ٢٦ و ٢٣٢ من هذا الجزء.
(٣) في رواية ثعلب «غشيت الديار بالبقيع» وأقوين : أقفرن.
(٤) أربت: أقامت والارباب: الاقامة وعدم البراحِ.

٣٢ ـــ وقال زهير:

إِلَىٰ هَرِمٍ سَارَت ثلاثاً من اللِّوَى فَنِعْم مَسير الوَاثِقِ الْمُتَعَمِّدِ
سَوَاء عليه أيَّ حِينٍ أتَيْتَهُ أساعةَ نَحْسٍ تُتَّقَىٰ أمْ بِأسْعُدِ

اللوى اللِّوىٰ: الواقع في بلاد غَطَفان لوى عريق الدسم الذي يقع طرفه بالقرب من أبان الأحمر الجنوبي الواقع على ضفة الرمة الجنوبية، ويمكن أن يكون زهير قد عَنَى منقطع هذا الكثيب في بلاد غطفان.

★ ★ ★

٣٣ ـــ وقال زهير يمدح سِنَان بن أبي حارثة المُرّي :

أمِنْ آل لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولَا بِذِي حُرُضٍ مَاثِلَاتٍ مُثُولَا
بَلِيـنَ وَتَـحْسَبُ آياتِهِـنَّ عن فَرْطِ حَوْلَيْنِ رَقاً مُحِيْلَا

حرض حُرُض: هذا الاسم يطلق على مواضع كثيرة، منها حرض في جهة المدينة عند قناة قريبَ أُحُد، وهو الذي قال فيه حكيم(١) بن عكرمة الديلمي وهو يتشوق إلى المدينة :

لَعَمْـرُكَ لَلْبَـلَاطُ وَجَانِبَـاهُ وَحَرّة واقِمٍ ذات الْمَنَـارِ
فَجَمَّـاءُ الْعَقِيْـق فَعَرْصَتَـاهُ فَمَفْضَىٰ السَّيل من تُلكَ الحرَارِ
إلى أُحُدٍ فَذِى حُرُضٍ فَمَبْنَىٰ قِبَابِ الحيّ من كَنَفَىْ صِرَارِ
أَحَبُّ إلَىّ من فجٍ بِبُصْرَىٰ بِلا شَكّ هناك وَلَا ائْتِمَارِ
ومن قُرِيّاتِ حِمصَ وَبَعْلَبَكَ لو أنىّ كنتُ أُجْعَلُ بالْخِيَارِ

ولما استولى اليهود في الزمن القديم على المدينة وتغلبوا عليها كان لهم ملك يقال له: الفِطْيَونُ، وكان قد سن فيهم سنة أن لاتدخل امرأة على

(١) انظر معجم البلدان ٣/٢٥٢.

زوجها حتى يكون هو الذي يَفْتَضُّهَا قبله، فبلغ ذلك أبا جُبَيْلة أحدَ ملوك اليمن، فقصد المدينة، وأوقع باليهود بذي حُرُض، وقتلهم فقالت سارة القرظَية تذكر ذلك :

بأهْلِي رِمَّةً لم تُغْنِ شَيْئاً بِذِى حُرُضٍ تُعَفِّيها الرِّيَاحُ
كُهول من قريظة أتلفَتهم سيوفُ الَخزْرَجيّة والرّمَاحُ
ولو أذنوا بحربهُم لحَالَتْ هنالك دُوْنَهُمْ حَرْبٌ رَدَاحُ

وقد قال كثيّر ذاكراً هذا الموضع الُمجَاور للمدينة.

أرْبَعْ فحيِّ معارفَ الأَطْلَالِ بِالْجَزْعِ من حُرُضٍ فَهُنَّ بَوَالِ

وهناك موضع آخر يقال له «حرض» في هذا العهد واقع بين الخَرْج ومقاطعة الأحساء، وهو في الزمن القديم يقال له «دحرض» وسيأتي الكلام عليه في معلقة عنترة إن شاء الله تعالى. وفي جهة الأفلاج موضع يقال له «حراضة» واقع في بلاد الأفلاج كثير النخل.

وهناك موضع فيه ماءة يقال لها «حراضة» واقع غربي حَضَنٍ الجبل المشهور الواقع جنوبي ركبة، وكان بخيت بن ماعز الروقى قد طرد قوماً من البقوم وقد أيقنوا بالهلاك فالتجئوا إلى طرف حَضَنٍ المطل على ماء حراضة المذكورة، فقال في ذلك قصيدة نبطية منها:

ربِّ نَصفنِي من بَنِى عم عاضه بشلف تروى حدها والمسامير
ظلع البقوم إلى أمقاد حراضه أكسيه يالبقما ثياب مشاهير

ذكر للبقوم أنه يجب عليهم أن يَكسُوا هذا الجبلَ الذي مَنَعهم منه.

والذي عناه زهير في قصيدته وادٍ في بلاد غطفان فيه ماء قليل يقال لهذا الوادي حُرُض، واقع في جبل في العلم، وهو في حدود بلاد غطفان

الشمالية، يوجد بهذا الاسم إلى هذا العهد، إذا خرجْتَ من ماء النقرة قاصداً الشمال وجعلْتَ جبل العَلَم على شمالك، وسلكت الطريق المسمى قعضب عند أهل تلك الناحية وخرجت منه، فماءُ النحائت التي تقدم ذكرها على يمينك، وماء حرض على شمالك.

انتهى ذكر الأماكن الواردة في شعر
زهير بن أبى سُلْمىٰ المزنّى

٣

طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ الْبَكْرِيُّ

طرفة بن العبد البكرى[1]
(مات سنة ٧٠ قبل الهجرة ــ ٥٥٠ للميلاد، تقريباً)

١ ــ قال في مطلع معلقته :

لِخَوْلَـةَ أَطْـلَالٌ بِبُرْقَـةِ ثَهْمَـدِ ... تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ في ظَاهِرِ الْيَدِ
بِرَوْضَةِ دُعْمِيٍّ فأكْنَافِ حَاجِرٍ ... ظَلِلْتُ بها أبكِي وَأبْكِي إلَى الْغدِ[2]
وقُوُفاً بهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ لَاتَهْلِكْ أسًى وَتَجَلَّـدِ
كأنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدْوَة ... خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

أما ثهمد وبُرْقَةُ فإنا لما أمعنّا النظر فيما وقفنا عليه من تحديد موقعه في ثهمد
كتب المعاجم وشروح الأشعار الواردة في ذلك، اهتدينا إلى موضعه الآن، لكنه قد تغير اسمه، حدده الهَمْداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» فقال: هو واقع في حزيز وضاخ الذي يمتد منه إلى حليت؛ والموجود هناك سناف أسود يقال له اليوم «حيد الردامي» يتصل غرباً بحزوم وأبارق، وهي

---

(١) انظر مصادر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء ١١٥، الشعر والشعراء ١٨٥، سمط اللآلى ٣١٩/١، شرح شواهد المغنى ٨٠٥، الخزانة ٤١٤/١ وفي رجال المعلقات ص ١١١ وفاته سنة ٧٠ قبل الهجرة.

(٢) ورواية هذا البيت كما جاء في شرح القصائد التسع المشهورات صنع ابي جعفر النحاس ت ٣٣٨ :

لخولـــــــة اطـــــــلال ببرقـــــــة ثهمـــــــد
ظلـــلت بهـــا ابكـــــى وأبكـــــى إلـــــى الغـــد

ويروى: وقفت بها ابكى.
تحقيق احمد خطاب القسم الأول ص/٢٠٧ بغداد ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣م.

هذا البيت ساقط من رواية التبريزى والزوزنى، وقد رواه ياقوت (٣١٦/٤) وفيه عنده «فأكناف حائل».

البرقة التي ذكرها طَرَفة في قوله «ببرقة ثهمد» وثهمد: هو من حيد الردامي المسمى اليوم بهذا الاسم، قال الأعشى:

هَلْ تذكُرِين العهْدَ يابنة مالكِ أيـام نرتبـع السِّتـار فَثَهْمَـدَا

والستار الذي عناه الأعشى موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم، لايبعد عن أبارق ثهمد إلا أقل من مسافة نصف يوم، والستار المذكور: واقع بين غول ومنية اللذين ذكرهما لبيد بن ربيعة في معلقته.

ولست أعرف في جزيرة العرب موضعاً يطلق عليه اليوم اسم ثهمد، ولكنه على حسب تحديد الهمداني واقع عند حيد الردامي من غير إشكال.

والأبارق المضافة إليه واقعة في غربيه الجنوبى مما يلي الستار، الذي ذكره الأعشى، وهو غير الستار الذي ذكره امرؤ القيس؛ لأن الذي ذكره امرؤ القيس في حِمَى ضَرِيَة، والذي ذكره الأعشى واقع في شرقي طخفة شمالي غول قريباً من منية.

وفي جزيرة العرب خمسة جبال كلها تسمى بالستار، وكلها أسماء جاهلية باقية إلى هذا العهد.

روضة دعمى

روضة دعمى: لم أعرف في بلاد العرب روضة بهذا الإسم إلا روضة واحدة تقع بين قنيفذة وكثيب نفود السر، وقنيفذة: هي الأكثبة المتراكمة بين مراة وبين السر، وروضة دعمى واقعة بين قنيفذة والسر غربى مراة، وهي: روضة كبيرة كثيرة السِّدْر والسَّلَم والطلح، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، تسمى «روضة بن دعمان» يعرفها الكثيرون من أهل نجد، تقع في النصف بين كثيب السر وكثيب قنيفذة، وهي لكثيب قنيفذة

أقرب، بين أبرق المتياهة وبين (خَلْ)[1] سعود وهي التي تسميها العامة «روضة سدران» وهذا الاسم حديثٌ، سَبَبُه أن السيول كثرت فيها عاماً من الأعوام فخرج فيها ماء بين سِدْر فسميت هذه الماءة «سدران» ثم غلب هذا الإسم حتى قيل لها «روضة سدران» وهي بنفسها «روضة دعمان» وهذا الاسم الأخير قديم، وأنا أعرفها من مدة قديمة بهذا الاسم، وهي التي عناها الشاعر بقوله:

هَيْهَات مسكنَهُا من حيث مسكننا　　إذا تضمنها دعمان فالدور

ولست أعرف في بلاد العرب موضعاً بالاسم الذي ورد في شعر طرفة غير الذي ذكرنا.

وقول طرفة «أكناف حاجر» في لغة العرب قديماً وحديثاً أن الموضع الذي ينحجر فيه السيلُ من الأرض يسمى «حاجراً» فهو اسم جنس غير معين، فإن كان طرفة عنى بذلك ما حَجَر السيل من الأرض فهو قريب من «روضة دعمى»[2] من محاجر السيل التي هي مجاورة لها، وإن كان قصد موضعاً بعينه فلست أعلم موضعاً يقال له حاجر إلا موضعاً واحداً يقع عن وادي الرمة شمالاً، وهو قريب النقرة، يبعد عنها مسافةَ نصفِ يومٍ تقريباً، يقال له في هذا العهد «الحاجر» وهو منهل ترده الأعراب.

النواصف ودد

النواصف ودد: كلها واقعة في البحر الشرقي، لأن طرفة حين قال:

*** خلايا سفين بالنواصف من دد ***

أتبعها بقوله　　*** عَدَوْليَّة أو من سَفِين ابن يامن ***

---

(١) الخل: طريق نافذ بين كثيبين من الرمال.

(٢) قلت وهناك أكثر من وروضة في جزيرة العرب. منها:
ـ روضة أمِّ العَمْر، وروضة بُحْتر، وورضة بَرْغَش، وروضه الشبيكة، وروضة عُلَيَّان، وروضة قُراقِرَ، روضة مَرْحَب، وروضةالْوَكِيْع. انظر: المعجم الجغرافي شمال المملكة، بالقسم الثاني، حمد الجاسر ص/٦١٢ ـ ٦١٣.

وامرؤ القيس لما وصف الظَّعائن وقال:

فَشَبَّهتُهمْ في الآل لما تكمشوا حدائق دَوْم أو سفيناً مُقَيَّرا
من المكرعات من سَفِينِ ابن يامن دُوَيْنَ الصَّفَا اللائى يلين الْمُشَقَّرَا

والصَّفَا والُمشَقَّر في هَجَر بغير خلاف، وطرفة ذكر سفينَ ابن يامن، ودَد: اسم لوادٍ يصب في البحر الشرقي.

والنواصف: هي نواصف هذا الوادي، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، وأما صاحب معجم البلدان فإنه قال[١] على ذكره: هو موضع، واستدل بقول طرفة في معلقته، ومنهم من قال : إنه وادٍ من أودية عمان يصب في البحر، والنواصف التي ذكرها طَرَفَة هي نواصف دد وقد ورد لها ذكر في أشعار كثيرة، قال ود بن منظور الأسدي:

الا حَيِّ رَبْعاً بالنواصف أو رَسْمَا خَلَا دمية الأرواح تطسمه طْسَما[٢]

وقد دَرَسَ ذكر الناس للنواصف ولِدَدٍ، وظنى أن أحداً لا يعرفهما اليوم بهذين الاسمين، وقد أطَلْتُ البحث عن دَدٍ وموضعه، فقال لي بعضُ أهل الأدب: أنا أظن أن «ددا» هي المدينة الواقعة في عمان التي يقال لها اليوم «دبي» وأن الاسم قد تغير فأبدل القوم دالها باءً، فرجعت إلى كتب المعاجم للاستقصاء عن دد، وعن دبى، فوجدت دبي هذا الاسم من عهد الجاهلية فقد كان يقال له في الزمن القديم «دبا» واتل أيها القارىء هذه العبارة التي أوردها ياقوت في معجمه عن الأصمعى حتى يزول عنك الشك، وتعلم أن ددا اسمُ قديم جاهلي ودبى أيضاً اسم قديم جاهلي.

---

(١) المعجم ٣١٩/٨.

(٢) وقع في معجم البلدان «نطمسه طمسا» بتقديم الميم على السين، وهو تحريف، وتقول «طمس الطريق» و«طسم» بمعنى واحد، ومعناهما درس، وانظر شواهد ذلك في اللسان (ط س م).

قال ياقوت(١) : وبعمان مدينة مشهورة قديمة يقال لها «دبا» وهي قصبة عمان، ولعل هذه السوقَ المشهورة التي فتحها المسلمون في أيام أبي بكر رضي الله عنه عنوة سنة إحدى عشرة وأميرهم حُذَيفة بن محصن فقتل وسبا، قال الواقدي: قدم وفد الأزد من «دبا» على رسول الله ﷺ، مقرين بالإسلام فبعث عليهم مُصَدقاً منهم يقال حذيفة بن محصن البارقي، ثم الأزدى من أهل «دبا» فكان يأخذ صدقة أغنيائهم وَيَرُدُّها إلى فقرائهم، وبعث إلى رسول الله ﷺ بفرائض لم يجد لها موضعاً، فلما مات رسول الله ﷺ ارتدُّوا، فدعاهم إلى النزوع، فأبوا وأسمعوه شتماً لرسول الله ﷺ وأبي بكر، فكتب حذيفة في ذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، فكتب أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل، وكان رسولُ الله ﷺ استعمله على صدقات عامر، فلما مات النبي ﷺ وسلم انحاز عكرمة إلى تبالة: أن سِرْ فيمن قِبَلك من المسلمين، وكان رئيس أهل الردة لقيط بن مالك الأزدي، فجهز لقيطُ إليهم جيشاً، فالتقوا، فهزمهم الله، وقتل منهم نحو المائة حتى دخلوا مدينة «دبا» فتحصنوا بها فحاصرهم المسلمون شهراً أو نحوه، ولم يكونوا قد استعدوا للحصار، فأرسلوا إلى حُذَيفة يسألونه الصلح فقال: لا أصالح إلا على حكمي، فاضطروا إلى النزول على حكمه، فقال: اخْرُجُوا من مدينتكم عُزْلا لا سلاح معكم، فدخل المسلمون حصنهم، فقال: إني حكمت فيكم أن أقتل أشرافكُم وأسبي ذراريكم، فقتل من أشرافهم مائَةَ رجلٍ، وسبى ذراريهم، وقدم بسبيهم المدينة، فاختلف المسلمون فيهم، وكان فيهم أبو صُفْرَةَ أبو المُهَلبَّ غلاماً لم يبلغ، فأراد أبو بكر رضي الله عنه قتلَ مَنْ بقى من المقاتلة، فقال عمر رضي الله عنه: ياخليفةَ رسول الله، هم مسلمون، إنما شَحُّوا بأموالهم، والقوُم يقولون: مارجعنا عن الإسلام، فلم يزالوا موقوفين حتى توفي أبو بكر رضي الله عنه، فأطلقهم عمر رضي الله عنه، فرجع بعضهم إلى بلاده،

---

(١) المعجم ٤/٣٠.

وخرج أبو المُهَلبَّ حتى نزل البصرة، وأقام عِكْرِمة بدَبَا عاملاً لأبي بكر، وآل المهلَّبِ استوطنوا البصرة، وكانوا قُوَّادَاً وعمالاً لبني أمية حتى قَضَتْ عليهم تلك الدولة، وأحزم من تولى منهم قتال الخوارج المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرة، وله عليهم انتصارات عظيمة، وهو الذى فَلَّهم بعد الصبر والمُطَاولة.

★ ★ ★

٢ ـــ وقال طرفة :

تُبَارِى عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعَتْ وَظِيفاً وَظِيفاً فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ
تَرَبَّعَت القُفَّيْنِ فِي الشَّوْلِ تَرْتَعِي حَدَائِـقَ مَوْلِـيِّ الأَسِرَّةِ أَغْيَـدِ

القفان أما القفان فإن المواضع التي تسمى بهذا الاسم كثيرة منها «قف» قريب حَفْر أبي موسي الأشعري في الصمَّان، و«قف» في جنوبى الصمَّان مما يلي طريق الأحساء السالك إلى نجد، و«قف» في جهة المدينة، و«قف» قريب الرس جنوبى وادي الرمة، و«قف الجواء» شماليَّ الرمة، ورد لها ذكر في أشعار العرب، فإذا قال الشاعر «القُفَّان» بالتثنية فهما في الصمان، وقد مر ذكرهما، وإذا أفرد فهو يقصد أحدهما، وإذا ثناهما شاعر غَطَفَاني كزهير وغيره فهما الواقعان قريب الرمة، وقالت تماضر بنت مسعود بن عقبة أخى ذي الرمة وهي تذكر القف القريب من المدينة، وقد رحل بها زوجهُا إلى تلك الناحية[1] :

نَظَرْتُ ودونـي القـفُّ ذو النخـلِ هل أرَى
أجـارعَ من آل الضُّحىٰ في ذرى الأمـل

فيـــالك من شوق رَجِيــــعٍ ونظـــرة
ثناهــا علـيَّ القــفُّ خبــلا من الخبــل

(١) انظر معجم ياقوت ١٤٠/٧.

ألا حَبَّـــذَا مابيـــــن حُزْوَى وشارع
وأنقـاء حُزْوى من حزون ومــن سَهْـــل

لعمــرى لأصْوَاتُ الْمَكَاكـــيِّ بالضُّحـــىٰ
وصوتُ صباً في حائـط الـرِّمْثِ بالذحــل

وصوتُ شمـــالِ زعــزعت بعـــد هَدْأة
ألآءَ وأسْبَاطـــاً وأرْطَـــىَ من الحبــــل

أحبُّ إلينـــا من صيـــاح دَجَاجـــة
وديكٍ وصوت الريـــح من سَعَــف النَّخْــلِ

فيالَـــيْتَ شعـــري هل أبيتَـــن ليـــة
بجُمْهـــورِ حُزْوَى حيث رَبتنـــى أهلـــى

وقد قال زهير حين أفرد القف :

لمن طَلَل كالوحى عافٍ منازُله عقا الرسُّ منه فالرسيسُ فعاقلهْ
فقفٌ فصاراتٌ فأكناف مَنْعَج فشرقيُّ سَلْمىٰ حَوْضُهُ فأجاوِلُهْ

هذا القف الذي يقع عن الرُّمة شمالاً مختلطاً بصارات، وقال أيضاً حين ثناه:

كم للمنازل من عامٍ ومن زمن لآل سَلْماء بالقُفَّيْن فالركُنِ

فهو حينئذ قد قصد القفين اللذين يقع أحدهما شمالي الرمة، والثاني جنوبيها، وهذا الذي قصده طرفة؛ لأنها من أصلح الأرض للإبل، وهن باقيات بهذا الإسم إلى هذا العهد.

★ ★ ★

٣ ــ وقال طرفة :

وَأَتْلَع نَهَّاضٌ إذَا صَعَدتْ بِهِ كَسُكَّانِ بُوصِيٍّ بِدَجْلَةَ مصعِدِ[١]

دجلة دَجْلة: نهر معروف يصبُّ في بحر الخليج العربـي، وقد أكثر الشعراء من ذكره، قال أبو العلاء المعري[٢] :

سَقْياً لدَجْلَـة والدنيـا مفرقـة حتى يعود اجتماع النجْم تشتيتا
وبعدها لا أحِبُّ الشرب من نَهَرٍ كأنما أنا من أصحاب طَالُوتَا
ذَمَّ الوليدُ ولم أذْمُمْ بلادكمُ إذ قال «ما أنصفت بغداد» حوشيتا

وقال ابن التمار الواسطى يصف ضوء القمر على دَجْلَة :

قم فاعتصم من صُرُوف الدهـر والنُّـوَب
واجمع بكـأسك شَمْـلَ اللهـو والطَّـرَبِ
أمـا تَرَى الليـلَ قد وَلَّتْ عساكـرُه
مهزومـةً وجيـوشُ الصبـح في الطَّـلَبِ
والبـدر في الأُفـقِ الغربـيِّ تحسَبُـه
قد مَدَّ جسراً علـى الشَّطَّيـن من ذَهَب

ودجلة هي التي عناها طرفة بقوله «بدجلة مصعد» وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، عليها مُدُن وقُرّى عامرة كثيرة النخل والمزارع، تنحدر من الشمال متجهة إلى جهة الجنوب، وكذلك نهر الفُرَات على

---

(١) الأتلع: المشرف، وأراد عنقها الطويل، والسكان ــ بضم السين وتشديد الكاف ــ ذنب السفينة الذي تقوم وتسكن به (هو المسمىَ اليوم في لسان ملاحى مصر: الدفة) والبوصى: السفينة فارسى معرب، ويروى «كسكان نوتى» والنوتي: الملاح.

(٢) انظر معجم البلدان ٤١/٤.

هذا الاتجاه، ودجلة: موضع آخر في ديار العرب بالبادية، وهو قسم من الرُّمة، قال يزيد بن الطَّثْرية :

خلا الفَيْضُ ممن حَلَّه فالحمائلُ فدجلة ذو الأرطى فَقَرنُ الهوامل
وقد كان محتلا وفي العيش غرَّةٌ لأسماء مفضى ذو سليل وعاقل
فأصبح منها ذاك قَفْراً وما مَحَتْ لك النفس فانظر ما الذي أنت فاعل

هذه الشواهد على دجلة التي في البادية، وعليها شواهد كثيرة، وهي واقعة قريب الرُّمة، كانت تعرف بهذا الاسم في الزمن القديم، وقد انقطع ذكر هذا الاسم اليوم.

★ ★ ★

٤ ــ وقال طرفة يصف أذنى راحلته :

وَصَادِقتا سَمْعِ التَوَجُّسِ للسُّرَى لِهَجْسٍ خَفيٍّ أو لصَوْتٍ مُنَدَّدِ
مُؤَلَّلتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتَيْ شَاةٍ بِحَوْمَلَ مُفْرَدِ

حومل: قد مضى الكلام عليه في معلقة امرىء القيس لما قَرَنه بالدَّخول، وهو قريب من ماء الدخول كما ذكرنا في كلامنا على معلقة امرىء القيس في تحديده[٢]. وحومل: قد أطال أهلُ المعاجم عليه، واختلفوا في تحديده، فحددته فيما مضى تحديداً شافياً مصيباً عن علم ويقين. حومل

٥ ــ وقال طرفة :

(١) قلت يزيد بن سلمة بن سمرة، ابن الطثرية، من بني قشير بن كعب، من عامر بن صعصعة شاعر مطبوع، من شعراء بني أمية ت ١٢٦ هـ.
ونسبته إلى امه من بني (طثر) من عنز بن وائل. انظر الأعلام ج ٢٣٦/٩.

(٢) انظر معلقة امريء القيس.

وَظُلْمُ ذَوى الْقُرْبىٰ أشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى المرء مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ
فَذَرْنِى وَخُلْقِي؛ إنَّنِي لَكَ شَاكِرٌ وَلَوْ حَلَّ بَيْتِي نَائِياً عِنْدَ ضَرْغَدِ
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيس بْنَ خَالِدٍ وَلَوْ شَاءَ رَبِّى كُنْتُ عَمْرو بْنَ مَرْثَدِ

ضرغد أما «ضرغد» فأنا أعرفه يقيناً، يقال له اليوم «ضرغط» أبدلوا داله طاءَ، به قصر ومزارع، واقع في جبال حرة سوداء منيعة، يلتجىء إليها المُجْرم، يقع بين قرية المستجدة الواقعة جنوبيَّ جبل رمان، وشرقي بلد الحائط التي كانت تسمى في الزمن القديم «فدك»، وحرة ضرغد: تقع غربيه، وهي مَنْهَل ترده الأعراب، وبه قصر، فإذا أغير على أهله دخلوا في تلك الحرة فسَلِموا، وهي حرة عظيمة سوداء منيعة، تُسميها العامة اليوم «لَابَة ضرغط» وهو الذي ذكره طرفة في معلقته، لم يتغير من اسمه شيء إلا هذا الإبدال الذي أشرنا إليه، وموقعه بين بلاد بني أسد وبلاد غطفان، وقد وردته، قال[1] عامر بن الطفيل العامري :

ولَتسْأَلَنْ أسْمَاء ــ وَهْيَ حَفِيَّةٌ نُصَحاءَها : أطُرِدْتُ أم لم أطرد
قالوا لها : فَلَقَدْ طردْنا خيله قلح الكلاب وكُنْتُ غيرَ مطرَّدِ
فَلأبْغِينَّكُـم قَنـاً وعـوارِضاً ولأُقْبِلَنَّ الخيـلَ لَابَـة ضرغـدِ
بالخيل تعثر بالقصيد كأنها حِدَأ تتابع في الطريق الأقْصَدِ
ولَأثـأرَنَّ بمـالك، وبمـالك وأخى المروءاتِ الذي لم يسند[2]
وقَتيـلِ مرة أثـأرنَّ فإنَّـهُ فرع، وإن أخاهمُ لم يقصد
ياسَلْم أخْتَ بنى فَزَارة، إننى فانٍ، وإن المرء غير مُخَلّدِ[3]
وأنا ابنُ حَرْب لا أزال أشُبُّهَا سمرا وأوقِدهُا إذا لم تُوقِدِ

انتهت معلقة هذا الشاعر الفحل، وهي من أطول المعلقات، ولكن لم يرد

---

(١) انظر معجم البلدان ٥/٥٣٠.
(٢) في معجم ياقوت (٥/٥٣٠) «وأخى المرورات» وما أحسبه إلا محرفا عما ذكرت.
(٣) في المعجم «إننى غان» وما بعده من عجز البيت يؤيد صحة ما أثبتناه.

فيها من ذكر البقاع إلا القليل، وهو الذي أوردناه في كتابنا هذا، وطرفَةُ من أقدم شعراء المعلقات، وقد اختلفوا في عمره؛ فمنهم من قال: إنه هلك وعمره عشرون سنة[1]، ومنهم من قال: إنه عاش ستاً وعشرين سنة[2]، وذكروا عنه نباهةً وحِدَّةَ ذهنٍ في صغره، قالوا: إنه كان في نادي قومه وهو ابنُ عشر سنين وخالُه المتلمسُ الشاعر يُلْقي قصيدة، فلما بلغ قوله :

وقد أنفينّ الهمَّ عند احْتِضَاره بناجٍ عليه الصَّيْعرية عيهم

فقال طرفة : اسْتَنوَقَ الجملُ ياخال، فقال المتلمس : ادْنُ مني، فلما قرب منه مَسَح قمةَ رأسه وقال : ويل لهذه من تلك[3].

انتهى ذكر الأماكن الواردة في معلقة

طرفة بن العبد البكرى

---

(١) والأدباء يسمون طرفة «ابن العشرين» وانظر المزهر (٢٤٣/١) والشريشى (١٩١/١) والخزانة (٤١٦/١).

(٢) وأخته لأمه، وهي الخرنق بنت بدر بن هفان تقول في رثائه:

عَدَدْنَـــا لَهُ خَمْساً وَعِشْرِيـــنَ حِجَّـــةً فَلَمَـــا تَوَفَّاهَـــا اسْتَـــوَى سَيِّـــداً ضَخْمَـــا

فُجِعْنَـــا به لمـــا استتـــمَّ تمامُـــه علـــى خيـــر حال لا وَليـــداً ولا قحمـــا

ولاشك أن أخته أعرفـه بسنه.

(٣) يريد ويل لرأسك من لسانك.

٤

لَبِيدُ بن رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ

لبيد بن ربيعة العامرى[1]

ذكروا أنه بلغ من العمر ١٥٧ سنة، وهو أكثر أهل المعلقات في معلقته ذكراً لمواضع البلاد العربية، وهذا مطلع قصيدته المعلقة :

١ ـ عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنَىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا
فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا خَلَقاً كما ضَمِنَ الوحيَّ سِلَامُهَا

ذكر لبيد أربعة مواضع في هذين البيتين : منىً، وغول، والرجام، والريان، وكلها متقاربة لايكون بين واحد منها وآخر أكثر من مسافة نصف يوم.

فأما منى التي ذكرها لبيد فهي هضبة حمراء واقعة بين طخفة ونفى، فيها ماء عذب، وهي تسمى اليوم عند عامة أهل نجد «منية» لاتزال تذكر بهذا الاسم، وكثير من الناس قد ظن ـ غالطا ـ أن منى في هذا البيت الموضع الواقع قريب مكة، وقد أكثر الشعراء في ذكر منى على اختلاف مقصودهم، قال كُثَير عزة : منى

ولما قضينا من مِنىً كلَّ حاجةٍ ومَسَّح بالأركان مَنْ هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالَتْ بأعْنَاقِ الْمَطِيِّ الأباطحُ
وجدتْ بها وَجْدَ المضِلِّ ركابه بمكة والركبانُ غادٍ ورائحُ

وهذا الشاعر الخزاعي إنما عنى بمنىً البلدَ الذي يجتمع فيه الناسُ أيام

(١) قلت هو لبيد بن ربيعة العامري الجعفري الكلابي صحابي توفي سنة ٤١هـ وقيل ٦٠هـ انظر مصادر ترجمته في: الشعر والشعراء ١/٢٧٤ الأغاني ١٥/٢٩١ شرح شواهد المغني ١٥٢/ الخزانة ١/٣٣٧ رجال المعلقات ١٦٠.

الحج، وقال العَرْجى :

نَلْبَثُ حَوْلاً كُلَّهُ كاملاً لانَلْتَقِي إلا على منهج
في الْحَجِّ إن حَجَّتْ، وماذا منى وأهله إن هِيَ لم تَحْجُجِ

وهذا الشاعر القُرَشى أراد منى الذي أراده كثير، وأما منى الذي ذكره لبيد فهو الذي ذكره شاعر من بني عامر حين قال :

أتْبَعْتُهم مقْلَةً إنسانُهَا غرِق كالفص في رقرق بالدمع مغمور
حتَّى تواروا بشعف والجمال بهم عن هَضْب غولٍ وعن جنبي مِنىَ زورُ

والشواهد كثيرة في ذكر منى الواقعة في عالية نجد الشمالية.

غول وأما غول فقد مضى الكلام عليه في مواضع كثيرة من هذا الكتاب، وهو جبل أحمر فيه ماء، يقع من منى تحت مطلع سهيل، بينهما أقل من مسافة نصف يوم، ذكروا أنه كان في الجاهلية عامراً به نخيل وعيون، فأما في هذا العهد ففيه نخيل حديثة شارعة في الماء، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، وكان به يوم من أيام العرب لضبة على بني كلاب، قال أوس ابن غَلْفَاء :

وقد قالت أمامةُ يوم غولٍ تقطع يابن غلفاء الحبال

وقال أعرابى من أهل تلك الناحية :

ألا ليت شعرى هَلْ تَغيَّرَ بعدنا معارفُ ما بين اللوى فأبانِ
وهل برح الريَّانُ بعدي مكانه وغول، ومن يبقى على الحدثان؟

إذا كنت متجهاً إلى جهة الشرق وأنت في غول، فإذا التفتَّ عن يمينك رأيت الكبشات والبكرات، كلها جبال، أما الكبشات فهى سود، والبكرات حمر، وهي من حدود حِمىَ أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** رضي

الله عنه في شرقى الحمى، ثم اتَّسَع الحمى في خلافة **عثمان بن عفان** رضى الله عنه، ودخل فيه غول وطخفة والريان ومنى المذكورة ونفى، وهو حده الشرقي قف؛ وإذا التفتَّ على شمالك رأيت طخفة تبعدُ منك مسافةً أقلَّ من ساعتين، وهو جبل أحمر له شاهقة، وبه يوم من أيام العرب عظيم، وكان السبب فيه أن ردافة النعمان بن المنذر كانت في بني يَرْبُوع، فطلب حاجب بن زُرَارة من النعمان أن يجعلها في بنى مُجَاشع، فهمَّ النعمانُ بذلك، فأبىْ عليه بنو يَرْبوع، فقال له حاجب بن زرارة: أبعَثْ إليهم جيشاً، فإنهم لن يصبروا له، فبعث إليهم جيشاً برئاسة ابنه قابوس، ومعه حسان بن المنذر على المقدمة، فأتوا بني يربوع في طخفة وقد نُذِرُوا بهم، فالتقوا، وكانت معركة عظيمة، فضرب طارق بن عميرة اليربوعي فرسَ قابوس بن النعمان وأخذه ليجُزَّ ناصيته، فقال قابوس : إن الملوك لا تُجَزُّ نواصيها، فقال: نُمنِّ عليك ونبعثك إلى أبيك، فمنّ عليه وبعثه إلى أبيه، وأما حسان بن المنذر فأسره بشر بن عمرو الرياحي ثم منّ عليه وأرسله، فقال مالك بن نُوَيْرة اليربوعي في ذلك :

ونحن عَقَرْنا مهر قابوسَ بعدما ... رأى القوم منه والخيول تلهب
عليه دِلَاصٌ ذاتُ نسج وسيفُه ... جراز من الهنديِّ أبيض مقْضَبُ
طلبنا بها إنا مداريك قبلها ... إذا طلب الشاء البعيد المقرب

وقال جرير يعني هذا اليوم :

بطخفة جالَدْنا الملوك وخيلُنا ... جرين ببسطام بن قيس على نحب

وهذا الجبل ـــ أعني طخفة ـــ مشئوم، كثيرة فيه المعارك، وتلتجيء إليه اللصوص إذا أجرمت، وأنا أعرف في أوائل القرن الرابع عشر رجلاً يقال له «عمير البراق» نزل في أعلاها في موضع منيع، ومعه زوجته وابنان له : الكبير يقال له «غشام» قد حمل البندقية وأتقن الرمى، والثاني يقال له

«زبن» صغير السن في ذلك الوقت، وابنة له، وكان إذا طلع عليه الصبح تجهز هو وابنه غشام وأخذا بندقيتهما وذهبا يلتمسان الرزق، وكانت تلك السنة مجدبة، فكانا إذا وجدا بعيراً أخذاه، وإن وجدا غنماً أو بقراً ساقاه إلى تلك الهضبة، وشكا الناسِ أفعالهم وكان فيما شكوه منهم أنهم أكلوا الآدميين، فقد صح أنهم أكلو أربعةً، ثلاثةَ رجالِ وامرأة[1]، فلما تم القضاء والقدر عليهما ذهبا كما كانا يذهبان، فاسِتاقا بقر أهلِ مسكة القريةِ الواقعة في الحمى في القرب من ضرية تبعد عنها مسافةً أقلَّ من يوم شماليَّ ضرية، فخرج أهلُ تلك القرية يطلبون البقر، فاقتصُّوا آثارها، حتى وجدوا الآثار تلج في طخفة، فعلموا أن الذي أخذها عمير وابنه غشام، وهم يعلمون طرق تلك الهضبة الشامخة في السماء، فولَجوا الطرقَ ليلاً، وأخذوا عليهم المسالك المؤدية إلى محلهم فقبل بزوغ الشمس أحسَّ بهم عمير، فأخذ بندقيته، فلما علموا أنه علم بهم ثارت البنادق بين الطرفين فقُتل عمير في حينه، وقَتَلَ ابنه غشام رجلاً من أهل مسكة يقال له الهاجري، فأسر أهلُ مسكة غشامَ بن عمير، وذهبوا به إلى بلادهمْ فقال مشاري الهاجري أخو الرجل المقتول: أن الذي قتل أخي هو غشام، وأسرَّ في نفسه أن يقتله من غير أن يستأمر قومه، فلما جن عليه الليل قتل غشاما، فثار رجال القرية فقالوا: تقتل رجلاً أسيراً بين أيدينا، قال: قتلت قاتل أخي، وأما عمير فسوقوا دِيَتَه، فانتهى بهم الأمر على أن ساقوا دية عمير، فدفعوها لابنه الصغير وقبيلته.

وفي تلك الهضبة جرت معارك كثيرة في الإسلام، فالأكثر من المواضع التي نمر عليها في كتابنا هذا إذا وجدنا موضعاً فيه يوم من أيام العرب في الجاهلية وجدنا به يوماً في الإسلام في الموضع نفسه.

---

(١) لم نسمع بمثل ذلك، فلعلها ــ المبالغات التي يقحمها رواة الخبر أو لعلها من الشواذ، والله أعلم.

وأما الرجام فهي واقعة بين غول ومنى وطخفة، وهي هضبات صغار على رءوسها حجارة متصل بعضُها ببعض، وفيها أبارق، وهي بين السواد والحمرة، ولاتزال باقيةً بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا العهد، فقد وقع في اسمها تغيير حيث أبدلوا الراء لاماً فسميت اللجام، وسألت شيخاً من أهل تلك الناحية فقلت: أن هذه الهضبات الصغار كانت تسمى في الجاهلية الرجام وذلك لأنها فيما يرى الناظر رجوم مبنية في رؤوس الهضاب، وهي تسمى الآن «اللجام» فما السبب؟ قال: إن هذا صحيح فإن مشايخنا يعرفون أنها الرجام، ولكن في هذا العهد جاء رجل منا وقال: مَنْ سمى هذه الهضاب الرجام فقد أخطأ، لو أنه سماها اللجام، فقد سدت الطريق النافذ بين طخفة وغول كما يسد اللجام فم الفرس، فتغلب هذا الاسم، وبقي إلى هذا العهد، وفي هذا الموضع نزل جيش لأبى بكر أيام الردة قاصداً عمان، وشربوا من ماء غول، وبه يوم من أيام العرب في الجاهلية، وبه يوم بين حرب وعتيبة في القرن الرابع عشر قريب النصف منه، وفيه انهزم العتبان، قال شاعر من بني عامر: الرجام

وطخفة ذلت والرجام تواضعت وأدعقن حتى مالهن جنان

أدعقن[1] : وطئن قال الضبابي عن الأصمعي:

وغول والرجام وكان قلبي يحب الراكزين إلى الرجام

وقال الراجز:

كأن فوق المتن من سَنَامها عنقاء من طخفة أو رجامها

*** مشرفة النِّيقِ على أعلامها ***

---

(١) اختلف علماء اللغة في «أدعقن» فقال الأصمعي: لايقال أدعقن — بالهمز — وإنما يقال دعقن — بغير همز، وقال غيره: دعقن وأدعقن، لغتان.

النيق: هي أعلى الشواهق من الجبال، وقد عرفت أن هذا الموضع يسمى في هذا العهد اللجام.

الريان

أما الريان: فهو وادٍ بين طخفة وغول، يتجه إلى جهة الشرق جاعلاً الرجام على شماله حتى يصب في وادي الرمادية، وهذا الوادي غير وادي الرمادية الواقع في طريق السيارات بين وادي طينان ووادي الرشا.

ووادي الريان معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، لم يتغير منه حرف واحد، أما الأودية[1] المسماة بهذا الاسم فهي كثيرة: منها واد يصب من جبل ثهلان ويجتمع بوادي الشعراء، وهو الذي قال فيه جرير:

ياحَبّذَا جبلُ الريان من جبل وحبذا ساكنُ الريان مَنْ كانا
وحبـذا نفحـاتٌ من يمانيـةٍ تأتيك من قِبَلِ الريَّانِ أحيانا

ووادي الريان أيضاً: يصب من جبل قريب معدن بنى سليم، كان الرشيد ينزله إذا حج، وبه قصور، وقال الشريف الرضي في ذلك:

أيا جَبَلَ الريَّان أن تَعْرَ منهمُ فإنى سأكسُوكَ الدموعَ الجواريَا
ويأقُرْبَ ما أنكرتمُ العهدَ بيننا نسيتُمْ فما استودعتم السرَّ ناسيا
فياليتنى لم أعْلُ نَشْزا إليكمُ حَرَاما، ولم أهبط من الأرض واديا

والريان: اسم لأُطُمٍ من آطام المدينة، وهو الذي قال فيه شاعر مدني:

لعل ضرارا أن يعيش يبـاره وتسمع بالريان تبنى مشاربـه

وهناك وادٍ بالقرب من ضَرِية في نفس الحِمىٰ يقال له الريان، وهو الذي عنته الشاعرة بقولها:

---

(١) انظر معجم البلدان ٤/٣٤٦.

ألا قَاتَل اللهُ اللِّوى من محلة وقَاتَل دنيانا بها كيف وَلَّتِ
غَنِينَا زمانا بالحِمىٰ ثم أصبحت بُرَاق الحمى من أهله قد تَخَلَّتِ
ألا مالعينى لاترى قُلَلَ الحِمىٰ ولا جَبَلَ الريان إلا استهلَّتِ

وأما الذي عناه لبيد فهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد بين طخفة وغول ومنية، وهو الذي قال فيه الراجز:

خليـــة ألوانهـــا كالطيقـــان أحمى لها الملك جنوب الريان
وكـــبشات فجنوبـــى انسان

وكبشات: قريب هذا الوادى المذكور.

★ ★ ★

٢ ــ وقال لبيد :

رُزِقَتْ مَرَابِيعَ النُّجُومِ وَصَابَهَا وَدْقُ الرَّوَاعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَامُهَا
مِنْ كل سَارِيةٍ وَغَادٍ مُدْجِنٍ وَعَشِيَّةٍ مُتَجَـاوِبٍ إِرْزَامُهَـــا
فَعَلَا فُرُوعَ الأَيْهُقَانِ وَأَطْفَلَتْ بِالْجَلْهَتَيْـن ظِبَاؤُهَـــا وَنَعَامُهَـــا

الأيهقان : نوع من النبات، وقد غلط من قال: إنه موضع[1].

الجلهتان: جنباتُ كل وادٍ يقال لها: جلهتان، وما ارتفع من الأرض ارتفاعاً ليس بالكبير يقال له: جلهة، ولا أعلم موضعاً يقال لها الجلهتان، قال في معجم[2] البلدان: إن أبا زياد الكلابي قال: الجلهتان مكانان بالحمى حمى ضرية، وأورد بيت لبيد شاهداً، وأنا لاأعرف موضعاً في الجلهتان

(١) ومما يؤيد أن «الأيهقان» نبت كما قلنا أنه يروى «فاعتم نور الأيهقان» واعتم: ارتفع والنور ــ بفتح النون وسكون الواو ــ النوار، و«فروع الأيهقان» في روايتنا يروى مرفوعاً ويروى منصوباً على معنى علا السيل فروع الأيهقان، والرفع أجود، ومعناه ارتفعت فروع الأيهقان وطالت.

(٢) انظر المعجم ٣/١٣٠.

حمى ضرية يقال له: الجلهتان، والذي أعرفه بما يقرب من هذا الاسم موضع يقال له «الجلوه» معروف بهذا الاسم قديماً وحديثاً، ولايزال إلى هذا العهد يعرف بالجلوه، واقع بين نفود السر ونفود قنيفذة، إذا خرج السالك على طريق السيارات من مكة إلى الرياض من نفود السر .. فهو على يمينه، حتى يجيز كثيب قنيفذة، حدودهُ الجنوبية ماء الأنجل، وهو ماء كثير بين أكْثبة مرتكمة، ماؤه مر، واسمه في الجاهلية النجيلة، قال في معجم[1] البلدان: إن النجيلة وادٍ بين اليمامة وحمى ضَرِية، وهذا واقع بين اليمامة وحمى ضرية، ولكنه تحديد بعيد الأطراف، ويلي ماء الأنجل في جهة الجلوه الجنوبية جبيلٌ صغير يقال له المضباعة يعرفه جميعُ أهل نجد، ولها ذكر في كلام العرب، قال الشاعر:

فالجزع بين ضباعة فرصافة فعوارض جو البسابس مقفرا

ومياهه الجنوبية: دلقان، وسديرة، ماءة قديمة جاهلية، وهي لبني قشير في الزمن القديم.

قال شاعر منهم :

تسائلني كم ذا كسبت ولم أكَد بنفسيَ من يوم السديرة أفْلِتُ

والمياه الواقعة في حدوده الغربية: حلوان، والطويلة، والعجرمي، أما حلوان: فله ذكر في أشعار العرب غير أنه غلب عليه ذكرُ حلوانِ العراق، فاضمحل ذكر هذا.

ومياه الجلوه الشرقية : تبراك، وهو ماء قديم جاهلي، موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم، وهو الذي ذكره جرير في شعره حين قال[2]:

إذا جلست نساء بني نُمَيْرٍ على تبراك خبثن الترابا[3]

---

(١) انظر المعجم ٨/٢٧٠.

(٢) معجم البلدان ٢/٣٦٠.

(٣) في المعجم «نساء بني عمير».

وهو الذي قال فيه ابنُ مقبل :

جزى الله كعبا بالأباتر نعمة وحيًّا بِهَبُّود جزى الله أسعُدَا
وحيًّا على تبراك لم أر مثلهم رجاً قطعت منه الحبائل مفردا
بكيت بخُصْمَىْ شَنَّةٍ يوم فارقوا على ظهر عجاج العَشِيَّاتِ أجردا

وهو الذي قال فيه أبو كدراء رزين بن ظالم العجلي :

أرى الله نَجَّاني وصَدَّق بعدما خشيت على تبراك أنْ لا أصدقا
وأعيس إذ كلفته وهو لاغب سُرَى طيلسان الليل حتى تمزقا

وقال شاعر من بني نُمَير :

أعرفت الدار أم أنكرتها بين تبراك فَشَسَّىْ عَبْقَرِ

والأباتر التي ذكرها ابنُ مقبل: أكثبةٌ واقعة شماليَّ قنيفذة على مسافةٍ أقلَّ من نصف يوم يقال لها البتر إلى هذا العهد ويلي تبراك ماءة حديثة يقال لها «مشاش الرخمان».

ومياه الجلوة الشمالية كلها قديمة قد دَرَست، ولكن عُثِر عليها فبُعِثت في صدر القرن الرابع عشر، فإذا هي آبارُ منحوتة في الصفا طولُها من ثلاثين باعاً إلى خمسة وعشرين باعاً كأنها من النحائت العادية، ملؤها عذب، وحدها الجنوبي بئر يقال له «سامودة» ويليها بئر يقال لها «البديعة» وحدودُها الشمالية آبار كثيرة يقال لها «البعائث» واقعة في روضة كبيرة، وهذه الآبار حماها صاحبُ الجلالة الملك عبدُ العزيز آل سعود لخيله، وهي الآن معروفة في تلك الناحية باسم «الحمى» وجميعُ الجلوه التي ذكرنا واقعة بين كثيب السر وكثيب قنيفذة، إذا خرجت من نفود السر قاصداً مراة فهي على يمينك، فإذا قطعت قنيفذة خَلَّفْتها، ومعظَمُها جنوبي طرف قنيفذة الشمالي.

★ ★ ★

٣ ــ وقال لبيد :

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الْحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا ... فَتَكَنَّسُوا قُطُناً تَصِرُّ خِيَامُهَا
زُجَلًا كَأَنَّ نِعَاجَ تُوضِحَ فَوْقَهَا ... وَظِبَاءَ وَجْرَةَ عُطَّفاً آرَامُهَا
حُفِزَتْ وَزَايَلَهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا ... أَجْزَاعُ بِيشَةَ أَثْلُهَا وَرِضَامُهَا

توضح: قد مضى الكلام عليها في معلقة[1] امريء القيس .
ووَجْرَة: قد مضى الكلام عليها في أشعار[2] امريء القيس في كتابنا هذا.

بيشة أما بيشة فقد ذكرناها في مواضع كثيرة من كتابنا هذا عند ذكر تبالة وهي وادٍ عظيم كثير النخل والزروع والكروم يصب من الحجاز متجهاً إلى جهة الشرق، به مأسَدَة لها ذكر في أشعار العرب؛ وكان يسكنها في الجاهلية من العرب: خثعم، وهلال، وسواءة بن عامر بن صَعْصَعة، وسلول، وعقيل، والضباب، وقريش، وفي هذا العهد يقيم فيها قبيلتان، وهما: بنو سلول، وبنو معاوية، ولهما فيها مدينتان: مدينة بني سلول يقال لها: الروشن، ومدينة بني معاوية يقال لها: نمران، وقُرَاها كثيرة، وبها سوق عظيمة يجتمعون فيها في آخر يومِ الأربعاء، ثم يبتدئون صبح يوم الخميس ويستمرون إلى منتهى ذلك اليوم، وهذا الموضع باقٍ إلى هذا العهد، ووادي بيشة يُقَارع وادي بيش، فوادي بيش يصب في تهامة مغرباً، ووادي بيشة مشرقاً، وأعرابُ أهل تلك الناحية يسألون الرعاة: أين رعيتم؟ فيقولون: ضحينا في وادي بَيُشْ، وعشينا في وادي بيشة، تجتمع سيولها أعنى بيشة بسيل وادي رنية، وتنتهى في موضع يقال له «رغوة» غربي الهضب، وقد أكثر الشعراء من ذكر بيشة بَلْهَ لبيد، قال السمهري:

---

(١) انظر ص ٤٣ من هذا الكتاب

(٢) انظر ص ٤٨.

وأنبئت ليلى بالغريين سلّمت علَيّ ودوني طخفَةٌ ورجامُهَا
فإن التي أهْدَتْ على نأي دارها سلاما لَمَرْدُودٌ عليها سَلاَمُهَا
عديد الحصى والأثل من بَطْن بيشةٍ وطَرفائها مادام فيها حمامها

وهي من أكبر أودية الحجاز الجنوبية، ويجاورها من الجهة الشمالية: وادي تَبالة، ثم وادي رنية، ثم وادي تربة، كل هذه الأودية عظام واقعة بين الحجاز واليمن، ويليها من الجهة الجنوبية مقاطعة «أبها» وما حولها، وهي مساكن أزْدِ السَّراة في الجاهلية، وبقايا عسير اليوم من بقايا الأزد، وجميعُ الجهات اليمانية لها أسواق معروفة، كلُّ مقاطعةٍ تنتقل من مكان إلى مكان وهذه الأسواق تبتدىء بالسبت وتنتهى بالجمعة، وفي كل يوم سوق في جهة من تلك المقاطعة للاتجار والبيع والشراء، فإن مرّ موضع من تلك المواضع في شعر وضَّحنا جهته وسكانه، فإن من شروط كتابنا ألا نذكر من المواضع إلا ماورد ذكره في شعر، فلولا ذكر بيشة في شعر لبيد لما ذكرنا شيئاً من ذلك، وبيشة باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

★ ★ ★

٤ ـــ وقال لبيد :

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوار وَقَدْ نَأتْ وَتَقَطَّعَتْ أسْبَابُهَا، وَرِمَامُهَا[١]
مُرِّيَّةٌ، حَلَّتْ بِفَيْدَ، وَجَاوَرَتْ أهْلَ الْحِجَازِ فَأيْنَ، مِنْكَ، مَرَامُهَا؟

---

(١) قلت ، قال النحاس: نوار هنا اسم امرأة، والنوّار: النفور من الوحش. والرمام جمع رُمَّة، وهي القطعة من الحبل الْمُخلِقَة. والمعنى: ماتذكَّرُ من نوارَ، وقد تقطع جديد وصلها وقديمه.
ومُرِّيّة منسوبة إلى مُرّة بن عوف من ذبيان. انظر: شرح القصائد العشر، صنعة الخطيب التبريزي/ص ٢١٢ تحقيق د/فخر الدين قباوة. دار الأصمعي، ط ١٣٩٣/٢هـ.

وقد غلط أناس كثير في هذا البيت في الشطر الأخير منه، والصحيح روايته هكذا:[١]

مُرِّيَّةٌ، حَلَّتْ بِفَيْدَ وَجَاوَرَتْ   أَهْلَ الجِبَالِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا؟
بِمَشَارِقِ الْجَبَلَيْنِ أَوْ بِمُحَجَّرٍ   فَتَضَمَّنَتْهَا فَرْدَةٌ فَرُخَامُهَا
فَصُوَائِقٌ إنْ أَيْمَنَتْ فَمظِنَّةٌ   مِنْهَا وِحَافُ الْقَهْرِ أَوْ طِلْخَامُهَا

الجبال — الجبالُ: أراد بها جبال طيىء، والمشهور منها أجأ وسلمىٰ، وقد مضى ذكرهما.

فيد — وأما فَيْدُ: فقد مضى ذكره في شعر زهير[٢]، وهو واقع بمشارق جبلى طيىء أجأ وسلمى، وقد تحرينا تحديده في شرح قول زهير:

ثم استمرُّوا وقالوا: إن مَشْرَبكم   ماء بشرقِّي سلمىٰ فَيْدُ أو رَكَكُ

محجر — وأما محجر: فهو موضع مشهور، وقد تقدم الكلام عليه في أشعار امريء القيس[٣]، وأشعار زهير، وهو واقع بين شُعَبىٰ وعريق الدسم، تنحجر فيه سيول شعبى، ويسمى اليوم «الحجرة» هذا هو المعروف عند عامة أهل نجد.

فردة — وأما فردة التي عناها لبيد فهي باقية على هذا الاسم إلى هذا العهد، وأنا أعرف بهذا الاسم ثلاثة جبال صغار، كلّ واحد منها يسمى فردة، وهي باقيات بهذا الاسم إلى هذا العهد، فأما أحدها فواقع في بلاد طي منفرد من الجبلين أجأ وسلمىٰ، ويروى أن زيد الخيل لما قَفَل من عند رسول الله ﷺ بعد أن أسلم ووصلها أخذته الحمى، فأقام ثلاثة أيام، عند حى من جرم، فلما أحسّ بالموت قال :

أَمُطّلِعٍ صَحْبِى المشارقَ غدوةً   وأُتْرَكُ في بيت بفَرْدَةَ منجد
سَقَى الله ما بين القفيل فطابةٍ   فما دون أرمام فما فوق منشد

(١) ذكر التبريزي في شرح المعلقات ــ بعد أن روى البيت بالرواية الأولى ــ انه يروى على ماذكرنا أنه الصواب.

(٢) انظر ص ١٦١ و ٢٠١ من هذا الكتاب

(٣) انظر ص ١٣٧ من هذا الكتاب

هنالك إني لو مرضتُ لعادَني عوائد من لم يشف منهنَّ يجهد
فليت اللواتي عُدْنني لم يَعُدْنِني وليت اللواتي غِبْنَ عنيِ عُوّدى

والمشارق التي ذكرها زيد الخيل هي مشارق الجبلين التي ذكرها لبيد.

وفردة الثانية مما أعرفه هي التي عناها لبيد، وهي واقعة على ضفة الجريب الجنوبية الشرقية في معراجه إلى جهة الرمة تاركاً جبال المضيَّح على يمينه، فإذا أنت قطعت جبال المضيّح فانظر فردة فهي هضبة حمراء شاهقة إلى السماء عن يمين الجريب، وسميت فردة لانفرادها من جبال المضيح، وهي التي عناها الراعي بقوله:

عجبت من السارين والريح قُرَّةٌ إلى ضوء نارٍ بين فردة فالرحا
إلى ضوء نارٍ يَشْتَوِي القد أهْلُهَا وقد يكرم الأضياف والقد يشتوى

وفردة الثالثة: هضبة صغيرة بين جبلى ذقانين، وهي في عالية نجد الجنوبية.

وفردة التي مَرَّ ذكرها، والتي عناها لبيد، واقعة في عالية نجد الشمالية، وفردة الأولى: واقعة بالقرب من جبلي طيىء، هذا الذي أعلمه بهذا الإسم في نجد.

تهامة

وأما تهامة: ففيها جبال كثيرة بهذا الاسم ذُكِرَتْ في غَزَوَات رسول الله ﷺ وسراياه، ولها ذكر في أشعار شعراء تهامة.

ثم إني بعد أن انتهيت من ذكر فردة وتحديد أماكن ثلاثة أجبل يسمى كل واحد منها فردة عثرت على جبلين آخرين يسمى كل واحد منهما فردة؛ الأول : جبل منقطع من جبلة المعروفة في عالية نجد يقال له «فردة جبلة» الثاني: جبل منقطع من جبل اليمامة مما يلي الأفلاج قريب «الجويفا» الطريِق السالكِ إلى وادي الحمر ثم السالك إلى الأفلاج، ويقال له «فردة الجويفا».

وأما الجبال التي يقال لها «الفريدة» فهي كثيرة في عالية نجد: منها فريدة دمخ، وهو الجبل المشهور الذي قد مرّ ذكره في أشعار امريء القيس عند ذكر غرور، ومنها فريدة شعر، وهي التي إذا توجَّهْتَ من عفيف قاصداً الرياض، وسرت ربع ساعة على ظهر سيارة، ثم انعرج بك طريق القصيم فإنك تجد شعرا على شمالك، يمر به ذلك الطريق، وهو جبل أسود به ماءة يقال لها «الأشعرية» تقف السيارات عندها أو قريباً منها، وهذه الفريدة هي التي ذكرها فيحان بن ثمر الرقاص من الروقة في قصيدة له نبطية، وقد أغار جلالة الملك عبد العزيز على الحفاة الذين منهم هذا الشاعر وأخذ إبلهم وهم قاطنون على «سجا» الماء المعروف في عالية نجد، وكسرت رجلُ ذلك الشاعر عند إبله وحُمِل إلى بلد الشعرا، وبقي بها ينتظر برأه، فتذكر أهلَه وأوطان قومه، فقال قصيدة نبطية مشهورة منها:

ترحّلوا من ديرة المُدْ والصَّاعْ دار بَخِيله مير أهلها مشاكيل
تقللن الصبح والْفَيْ قد راع والعصر يم الخنفسية مخاليل
عدوا فريدة شعر حيث أنه أسناع وإن كان ماشفتوا فمد واد رابيل

ومنها فريدة الانكير، وفريدة مجيرة، وفريدة أبو دخن، ولكن هذين الموضعين يفردان ويجمعان فيقال: فرايد، وفريدة أبو دخن، وفريدة مجيرة. قال رجل من أهل القويعية، وقد حل في بلد الشعراء مريضاً، ولم يكن يحب أن يموت في بلد الشعراء ويقبر فيها، وإنما كان يحب أن يموت في بلد القويعية ويقبر بها:

إن مت مروا بى فرايد مجيره وتنحروا بى دار وضاح الأنياب
ثم اقبروني في منازل منيره شرق عن البركة وغرب عن الباب

وفي الحمادة جبل يقال له «الفريدة» بين بلد القصب وبلد الْحُرَيِّقْ، بين نفود الوشم وجبل طويق شمالي اليمامة، وهناك جبل منقطع من جبل الأكموم يقال له «الفريدة، فريدة الأكموم» وقد قال مصنف هذا الكتاب

قصيدة نبطية لما استعاضت العرب ركوب السيارات من ركوب الإبل، قال فيها:

أثر ركب البكس في الدار البعيدة عندى أحسن من ركوب الموجفات

إلى أن قال :

ينشرون الصبّح من خشم الفريدة حقت الأكموم والممسى مرات

ورخام: جبل أحمر، وكأن أعلاه مطلي برخام، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم، واقع في بلاد غطفان في جهة أبلى الشمالية الشرقية، على ضفة وادٍ يقال له «الركو» وهذا الوادى يَتَّجه سيله مُغَرِّباً حتى يصب في الشعبة، وسيلُ الشعبة يتجه إلى عقيق المدينة فيصب فيه، ثم تتجه سيول تلك الأودية وتصب في وادي الحمض حتى تصب في البحر الغربي، إذا كنتَ في طرف كشب الشمالي الشرقي منه فانظر جبل رخام هنالك يطلع عليه القطب الشمالي، وجميع الجبال المحيطة به سود إلا جبل رخام فإن أعلاه أبيض يقع غربيَّ هضب «شَرَوْرَى» الذي يسميه الناسُ اليوم «هضب الشرار» والذي يقع بين جبل كشب وأبلىٰ وحرة بنى عبد الله بن غطَفَان التي في شرقيها صفينة والسويرقية القُرَى المعروفة بهذه الأسماء في عهدنا هذا، وأغلب أسمائها جاهلى، ورُخام: يُعَدُّ من الجبال الواقعة في أعالي بلاد غطفان، وهو ـــ كما قلنا ـــ لايزال باقياً بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا. رخام

وصُوَائق: جبال حجازية واقعة بين بلاد هُذَيل وبلاد بني سليم وبلاد الرُّوقة، تقع شماليَّ وادي نخلة الشامية، وقد يُظَن أن صوائق التي حددناها غيرُ التي عناها لبيد، وذلك لأن لبيدا يقول: صوائق

فصُوائـق إن أيْمَـنَتْ فمظنـة منها وحافُ القهر أو طِلْخَامُهَا

والمعروف أن وحاف القهر واقع في اليمن، وصوائق التي حَدَّدناها حجازية باقية إلى اليوم على هذا الاسم تعرف به، ولكن ياقوتاً الرومي يذكر في معجم البلدان[١] عن أبي زياد : أن القهر في أسافل الحجاز مما يلي نجداً من قبل الطائف. وقد أكثر الشعراء من ذكر صوائق هذه، وهذا لبيد يقول في قصيدة أخرى:

أقْوَى فُعرِّى واسط فبـــرام   من أهله فصُوَائـق فحـــرامُ

وصوائق في هذا البيت هي صوائق الحجازية بغير شك، وقد أكثر شعراء هذيل من ذكرها قال أبو جندب الهذلي :

وقد عصبت أهل العَرْج منهم   بأهـل صُوَائـق إذ عصبونـــي

ويقع كثيراً في أشعار العرب أن أحدهم إذا ذكر صوائق ذكر معها برام، وبرام جبل به مياه مشهورة بهذا الاسم عند أهل المدينة وباديتهم، يقع قريب النقيع، ذكروا أنه جنوبى المدينة على مسافة عشرين فرسخاً، وقد ذكر الزبير بن بكار أودية العقيق، وقال في كلامه: ثم قلعة برام، وفيها يقول المحرق المزنى، وهو ابن أخت مَعْن بن أوس المزنى المشهور[٢]:

وإني لأهوى من هوى بعض أهله   براما وأجزاعـــا بهـــنَّ برامُ

وذكروا أن أوس بن حارثة بن لأم الطائي قد أغار على هوازن وهم في وادي برام فسَبَى منهم سَبْياً، فقصده أبو بَرَاء عامر بن مالك مُلَاعب الأسنة، فطلبهم منه، فأطلقهم له وكساهم، فقال أبو براء:

إلم ترني رحلت العيس يوماً   إلى أوس بن حارثة بن لام
إلى ضخم الدسيعة مَذْحِجِيّ   نَمَاه من جديلة خيرُ نَامِ

(١) المعجم (٧/١٩٠).
(٢) انظر معجم البلدان ٢/١٠١.

وفي أسرى هوازِن أدرَكْتهُمْ فوارسُ طيــىء بلــوَى برام
تَقرَّبَ ما استطاع أبو بجيرٍ وفَكَّ القوم من قبل الكلام
فما أوس بن حارثة بن لام بغمر في الحروب ولا كَهَامِ

وذكروا أن عبد الله بن الزبير لما تغلب على الحجاز نفى من المدينة مَنْ كان بها من بني أمية، وكان فيهم أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة ابن أبي مُعَيط بن عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فلحق بالشام، فحنّ إلى أوطانه، فقال أشعارا يتشوق إلى تلك الأوطان منها:

ليت شعرى وأين منى ليت أعَلَى العهد يَلْبن فبــرام؟
أم كعهدي العقيقُ أم غَيَّرَتْهُ بَعْدِىَ الحادثــاتُ والأيــام؟
وبقومى بُدِّلْتُ لَخْماً وعكًّا وجُذَاما، وأيـن مني جُذَامُ؟
وتبـدلْتُ من مساكـن قومى والـقصور التي بهـا الآطامُ
كل قصر مشيد ذي أواس يتَغَنَّى على ذَرَاهُ الحَمَــامُ
اقر منّى السلامَ إن جئت قومى وقليــل لهــم لَدىَّ السَّلَامُ
أقْطَـعُ الليـل كلّه باكتئابٍ وزفيـر فمـــا أكـــادُ أنـــام
نحو قومي إذ فرقت بيننا الدا ر وحادثْ عن قصْدها الأحلام
خشية أن يصيبهم عَنَتُ الدهـ ـــر وحربٌ يشيب فيها الغلام
ولقد حان أن يكون لهذا الـ ـبـعـد عنَّا تباعُــد وانصِرَامُ

فبلغت هذه الأبيات وغيرها من شعره عبدَ الله بن الزبير فقال: حن أبو قطيفة إلى وطنه، مَنْ رآه فَلْيُبْلغه عنى أني قد أمنته، فليرجع ثم رجع فمات قبل أن يبلغ المدينة.

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي على ذكر برام وقد آجاد حين قال.

لقد أحميت ذات الروض حتى تَرَبَّعَهَــا أدَاحِــيُّ النعــام
يسيّر بين خطم اللوذ عمرو فلــوذ القارتيــن إلــى برام
فصفح حبونن فخليف صبح فنخل إلى رنين إلى بشام

وَبِرَام الذي قَرنَه الشعراء بصُوَائق قد قرنوه بمواضع أخر موجودة إلى هذا العهد على أسمائها منها «خليف صبح» وقد غلط فيه كثير من أهل المعاجم بقولهم إن صبحا موضع «أما الخليف» المذكور فهو مخلاف على واد لقبيلة يقال لها صبح في نواحي المدينة باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهم بطن من حرب يقال لهم صبح، وصبح: تتفرع إلى بطون كثيرة.

وأما نخل فقد مضى الكلام عليه عند الكلام على أشعار زهير، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد حددنا مكانه على قول زهير.

تَرَبَّصْ فإن تُقْوِ المروراة منهم وداراتها لاتقو منهم إذا نخل

ورنين، وبشام: باقيان على اسميهما هذين إلى هذا العهد، وهما واقعان جنوبيَّ المدينة، وإنما أطلنا في ذكر برام لأن الشعراء يذكرونه مع صوائق في مواضع كثيرة، وصوائق التي ذكرها لبيد في قوله :

أقوى فَعُرِّىَ واسط فبرام من أهله فصوائق فحرام

حجازية كما قلنا: برام، وصوائق، وحرام، جميعُ تلك المواضع حجازية معروفة بهذه الأسماء إلى هذا العهد، كلها جبال، صوائقُ بين حدود هُذَيل وسليم، وحرام وبرام مما يلى المدينة قريب وادي النقيع.

وقد تكون صوائق التى ذكرها لبيد في معلقته حيث يقول:

فصوائق إن أيمنت فمظنة منها وحاف القهر أو طلخامها

هي صوائق الحجاز، إن صح كلام ياقوت الذي ذكرناه، وقد تكون موضعاً آخر غير صوائق الحجاز، ولكني لم أعثر عليه بهذا الاسم إلى هذا العهد ووجْهُ هذا أنه قرنَهَا بالقهر وبطلخام.

القهر

فأما القهر المشهور فهو معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم، وهي جبال في بلاد عبيدة بطنٍ من قَحْطان بها معدن بارود، وأهل نجد كلهم يعرفونه، وشعراء بني عامر بن صعصعة يذكرونه، قال مزاحم العقيلي[1] :

أتاني بقرطاس الأمير مغلس ... فأفزع قرطاسُ الأمير فؤاديا
فقلت له: لامرحبا بك مُرْسَلا ... إليّ ولا لَبَّى أميرك داعيا
أليست جبال القهر قعسا مكانها ... وعروى وأجبال الوحاف كما هيا
أخاف ذنوبى أن تُعَدَّ ببابه ... وما قد أزلَّ الكاشحون أمامِيَا
ولا أستريم عُقبْة الأمر بعدما ... تورط في يهماء كعبي وساقيا

وقال خِداش بن زُهَير في ذكر القهر :

فيا أخوينا من أبينا وأمنا ... إليكم إليكم، لا سبيلَ إلى جسر
دَعُوا جانبى إنى سأنزل جانبا ... لكم واسعا بين اليمامة والقَهْرِ
أبى فارس الضَّحياء عَمْرو بن عامر ... أبىٰ الذمَّ واختار الوفاء على الغدر

وربما دلَّ على أن القهر الذي ذكره لبيد واقع في بلاد قَحْطان، في الجهة اليمانية، قولُ لبيد «إن أيمنت» فقد جعل القهر يمانيا، وهو واقع في بلاد قحطان والقهر معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، ومعدن البارود الذي بها: معروف بقوة انتزاعه من البندقية وإصابته للفريسة، وفي ذلك يقول شاعر أعرابى في أبيات له نبطية، وهو شاعر معروف عند عامة أهل

---

(١) مزاحم العقيلي، قلت: هو مزاحم بن الحارث، أو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث (نحو ١٢٠هـ).. من عامر بن صعصعة شاعر غزل بدوي. وهو شاعر ممتاز لم يأخذ نصيبه من الدرس لدىٰ المعاصرين. كان في زمن جرير والفرزدق، وسئل كل منهما أتعرف أحداً أشعر منك، فقال الفرزدق: لا، إلّا ان غلاماً من بني عقيل يركب أعجاز الإبل: وينعت الفلوات فيجيد. وأجاب جرير. بما يشبه ذلك. وقيل لذي الرمة. أنت أشعر الناس، فقال لا، ولكنْ غلام من بنى عقيل يقال له مزاحم، يسكن الروضا يقول وحشياً من الشعر لايقدر أحد أن يقول مثله: الاعلام ج ٨/١٠٠.

نجد يقال له: مخلد القثامي من قبيلة القثمة:

يالايمى يضرب على حَدّ الْبَهُرْ يأخذ إلى حوْله صوابه مجيفي
بمثومْنن حاديه خفان وأعْشَرْ وملح القهر وابواردى ظريفِ

المثومن : نوع من البندقيات كان مستعملاً في زمن ذلك الشاعر، والخفان : نوع من الكبريت الذي يخلط به البارود، والعشر : الفحم من العشر وهو الذي يصير البارود أسوداً، والملح: هو أصل البارود.

والقهر: يقرن في أشعار العرب في كثير منها بعروى. وعروى: موضع معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم، وقد تقدم في الشواهد التي ذكرنا على القهر بيت شعر لمزاحم العقيلي ذكر فيه القهر وعروى وهو قوله:

أليست جبال القهر قعسا مكانها وعروى وأجبال الوِحاف كما هيا

وعروى: منقطعة من عرض ابني شمام غرباً قريباً منه، وهو واد عظيم كثير المياه، جاهلي، استنبطه قوم من عتيبة من المقطة والنفعة يرأسهم ابن حميد المقاطي، وهي اليوم بلد بها نخل وزرع وعليها جبل مطل على بطن هذا الوادي شاهق إلى السماء، يقال له «عروان» يتصل به في جهته جبيلات صغار يقال لها «عريويات» ويشمل تلك الناحية واديَهَا وجبالَهَا اسْمُ عروى. وهذا الاسم يطلق على تلك الناحية، وهو اسم قديم جاهلي، وهو باقٍ إلى هذا العهد، وهي واقعة في بلاد بنى كلاب بن عامر بن صعصعة. وقال خديج بن العَوْجاء النصري(١):

بمَلْمُومَةٍ عَمْياء لو قَذَفُوا بها شماريخ من عروى إذا عاد صفصفا

---

(١) انظر المعجم ١٦١/٦.

وقال ابن مقبل :

يادار كبشة تلك لم تتغير بجنوب ذي بقر فحزم عصنصر

فجنوب عروى فالقهاد غشيتها وَهْناً فهيج لي الدموع تذكري

أما ذو بقر الذي ذكره ابن مقبل فهو وادٍ معروفٌ بهذا الاسم قريبَ مُتُقْطَعِ جبلِ اليمامة في جهته الشمالية، والقهاد التي ذكرها مع عُرْوى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد جنوبي عروى، وبين بلد الرويضة وبلد الروضة هضبات يقال لها القهاد إلى هذا اليوم.

طلخام

أما طلخام: فلا أعلم اليوم موضعاً بهذا الاسم أويقاربه إلا موضعين: أحدهُما: جبلٌ في بلاد طي لبني شَمَجىٰ في الزمن القديم، وهم بطن من طي، يقال له «طخام» ليس به لام، وهو بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو غير الذي عناه لبيد، الثاني: يوجد على ضفة وادي الجريب الشمالية هضبة سوداء شاهقة إلى السماء، ويليها هضبة صغيرة، وحدثني شيخ من أعراب تلك الناحية يقال له فراج بن طويق من الحفاة، وهذا الشيخ وهو والد سويد بن طويق الرجل المعروف الذي لم يهلك إلا قريب النصف من القرن الرابع عشر، قال : إني أعرف أن هذه الهضبة الكبيرة السوداء كان يقال لها طلخام، والهضبة الصغيرة كان يقال لها طليخيم، تصغير طلخام، ثم إن القوم سمو الهضبتين معاً «طخفات» عوضاً عن طلخام، وهذه الهضبات الواقعة على ضفة الجريب الشمالية هي طلخام الذي ذكره لبيد، وهي اليوم تعرف عند عامة أهل نجد بطخفات، وأنا لم أجد في كتب المعاجم لطخفات ذكرا، وهذا دليل على أن هذا الاسم كما حدثني فرّاج بن طويق، وماءة الغثمة تقع جنوبي طخفات هذه على مسافة أقل من مسافة نصف يوم، والذنائب المعروفة من الدفينة تحت مطلع القطب الشمالي، وهي من طلخام المعروفة اليوم بطخفات تحت مظهر سهيل على مسافة يوم، وليس في عالية نجد جبل يسمى طخفة، وله ذكر في كتب المعاجم إلا طخفة المشهورة التي بين ضرية ونفى.

★ ★ ★

٥ ـــ وقال لبيد يصف راحلته :

فَلَهَا هِبَابٌ في الزِّمَامِ كأنَّهَا صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجنُوبِ جَهَامُهَا
أوْ مُلْمِعٌ وَسَقَتْ لأَحْقَبَ لاَحَهُ طَرْدُ الْفُحُولِ وَضَرْبُهَا وَكِدَامُهَا
يَعْلُو بِهَا حَدَبَ الْإِكَامِ مُسَحَّجٌ قَدْ رَابَهُ عِصيَانُهَا وَوِحَامُهَا
بِأحِزَّةِ الثَّلَبُوتِ يَرْبأُ فَوْقَهَا قَفْرَ الْمَرَاقِبِ خَوْفُهَا آرَامُهَا

الثلبوت — الثلبوت: واد يكنفُهُ آكام سود بين قطن وجبال الموشم والحاجر، سيل ذلك الوادي يصبُّ في الرمة، تسكنه بنو عَبْس من غطَفان، وهو واقع بين بلاد أسد وبلاد غطفان، قال الحطيئة[1]:

ألم تر أن ذبيانا وعَبْساً لباغي الحرب قد نزلا براحا
فقال الأجربان ونحن حيٌّ بَنُو عَمٍّ تجمعنا صلاحا
منعنا مَدْفَعَ الثلبوت حتى نزلنا راكزين به الرماحا
نقاتل عن قرى غطفان لما خشينا أن تذل وأن تباحا

وقال مرة بن عياش بن عم معاوية بن خليل النصري ينوح على بني جذيمة بن نصر:

ولقد أرى الثلبوت يألف بينه حتى كأنهمُ أولو سلطان
ولهم بلادٌ طالما عُرِفَتْ لهم صحنُ الملا ومدافع السبعان
ومن الحوادث لا أبا لأبيكُم أن الأجيفر قسمه شطران

انظر إلى هذه الأبيات الأخيرة فقد ذكر السبعان وذكر الأجيفر، والأجيفر تصغير الأجفر والسبعان والأجفر باقيان بهذا الاسم إلى هذا العهد، وموقع السبعان من الثلبوت شمالاً على مسافة يومين، والأجفر من السبعان في جهته الشرقية على مسافة يوم ونصف، والسبعان موقعه قريب

---

(١) انظر معجم البلدان ٣/٢١.

سَلْمىٰ الجبلِ الثاني من جبلَيْ طي؛ ويلي الثلبوت موضع يقال لها الثُّلَيْبيت، وهما باقيان بهذا الاسم إلى هذا العهد، يعرفهما بعضُ سكان قرى الجوى، وقد أخذ هذا الاسم يذهب عند أكثر أهل نجد، وهو كثير في أشعار العرب، وذكروه في معاجمهم.

★ ★ ★

٦ ـــ وقال لبيد :

حَتَّى إذَا انْحَسَرَ الظَّلَامُ وأسْفَرَتْ بَكَرَتْ تَزِلُّ عَنِ الثرى أزْلَامُهَا
عَلهَتْ تَرَدَّدُ في نِهاءِ صُعَائِدٍ سَبْعاً تُؤَامًا كَامِلًا أيامُهَا

صُعَائد: موضع معروف واقع بين بلاد غطفان وبلاد بني سليم، من الفاصلات بين الحجاز ونجد، وقد أكثر الشعراء من ذكره، قال الشاعر[1] صعائد

وتطربت حاجات رب قافلٍ أهواء حب في أناس مصعد
حضروا ظلال الأثل فوق صُعَائد ورموا فراخ حمامه المتغرد

وأنا لاأعرف موضعاً بهذا الاسم في هذا العهد، وقد غلط كثير من أهل المعاجم بين صعائد وصعائق فأما صعائد: فهي على ماذكرت، وأما صعائق: فهي موضع بنجد في ديار بني أسد كانت فيه حرب، وموضعه ـــ على ماذكروا ـــ بين سميراء ورمان، وأنا لاأعرفه.

★ ★ ★

٧ ـــ وقال لبيد :

وَكَثِيرَةٍ غُرَبَاؤهَا مَجْهُولَةٍ تُرْجىٰ نَوَافِلُهَا وَيُخْشىٰ ذَامُهَا
غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحُولِ كَأنَّهَا جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِياً أقْدَامُهَا
أنْكَرْتُ بَاطِلَهَا وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا عِنْدي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامُهَا

---

(١) انظر معجم البلدان ٥/٣٥٧.

ذكره البدى يحتمل أنه قصد جنَّ البادية كما قال عنترة في شطر بيت:

* إنسٌ إذا قَعَدُوا جِنٌّ إذَا ركبوا *

البدى

فأما البدي: الذي ذكرته الشعراء في أشعارها فيظهر لي أنه واديان كل واحد منهما يسمى البدي، أحدهما: يصب في الركاء، واقع في القطعة الجنوبية من نجد. والثاني: يقع في شرقي القَصيم، قال لبيد في بيت غير الذي تقدم:

جعلن حراج القريتين وعالجا يمينا ونكبن البـدىَّ شمائـلا

أما القريتان: فهما معروفتان، واقعتان شرقي عنيزة، بعثهما عبد الله بن عامر بن كريز، وقد تغيير اسمهما قليلاً، وهناك في روضة الزغيبية الواقعة من عنيزة في الجهة الشرقية موضع يقال له «القريّة» بهذا الاسم إلى هذا العهد.

وعالج الذي ذكره لبيد: رمالٌ مرتكمة تقع شمالي النباج الذي يسمى الأسياح اليوم، يقال له اليوم العروق.

والبدي: لاأعلم موضعاً في جهة القَصيم يقال له البدي، إلا موضعاً واحداً اسمه يقارب هذا الاسم يقال له «اللبيّد» يقع بين النباج وبلد بريدة، يحميه العامل على بريدة لمواشيه، وهو موضع خصب.

ومن الدلائل الواضحة على أن الذي يسمى البدى موضعان قول الراعي:

يطفن بِجَوْنٍ ذي عَثَانين لم تدع أشاقيص فيه والبديان مصنعا

فثناه الراعي في هذا البيت، وقال امرؤ القيس[1]:

---

(١) انظر ص ٢٣٣ من هذا الكتاب ومعجم البلدان ٢/٩٢.

أصَابَ قُطَيَّات فسال لها اللَّوى فوادي البدى فانْتَحَى للأريض
قَعَدْتُ له وصحبتي بين ضارج وبين تلاع يثلث فالعريض

هذا الوادى الذي ذكره امرؤ القيس هو الواقع في القطعة الجنوبية من نجد، وقال الأعشى:

أتنسين أياما لنا بدحيضة وأيامنا بين البدىِّ فثهمدا

وهذا الموضع الذي ذكره الأعشىٰ هو الواقع في شرقي القَصيم الذي ذكرنا أن «اللبيد» عنده أو قريب منه؛ لأن الأعشىٰ قرنه بدحيضة، ودحيضة ماءة لبني تميم، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم اليوم، ولكنها ــ فيما حَدَّده أهل المعاجم ــ واقعة في القطعة الشرقية الشمالية من نجد.

وأما وادي البديّ الذي يقع في القطعة الجنوبية من نجد فقد أوضحه لبيد نفسه، وذلك حيث يقول:

لَاقَى البديُّ الكُلَابَ فَاعْتَلَجَا سيل أَتِيِّهمَا لِمَنْ غَلَبَا
فَدَعْدَعَا سرّة الركاءِ كَمَا دَعْدَعَ ساقىٰ الأعاجمَ الغَرَبَا

ذكر لبيد أن سيل الكُلَاب والبديّ يجتمعان حتى يَصُبّان في السرة، ثم تتجه السيولُ إلى الركاء، أما الكلاب: فقد تقدم الكلام عليه في أشعار امريء القيس، وهو اليوم يسمى «وادي قحقح» على ما ذكرناه وأطلنا في الاستدلال لما ذكرناه، وليس يجتمع بسيل هذا الوادي ــ على ما بين لبيدٌ ــ إلا سيل وادي يقال له اليوم «الجلة» فهو إذن البديّ الذي وقع في معلقة لبيد، ودليلُنا على ذلك هذا الذي يقوله لبيد نفسه في البيتين اللذين أثرناهما لك، وشيء آخر يدل على أن هذا البديَّ هو «الجلة» وذلك أنهم عثروا في هذا الوادي على بئر قديمة كانت قد طمرت، فلما بعثوها قال مشيخة من أعراب تلك الناحية من بني شيبان ــ وهم بطن من عتيبة ــ : إن هذه البئر كان يقال لها «البدية»؛ فتسميتها القديمة بهذا الاسم يدل

على أنهم أضافوها إلى وادي البدي الذي تقع هي فيه، وأن الوادي كان له هذا الاسم. وأكثر سيول نجد الجنوبية تصب في وادي الركاء، فأما الأودية التي تصب في وادي السرة قبل أن تجتمع بوادي الركاء فهي: وادي قحقح، ووادي الجلة، ووادي البييصفا، وجميعُ أودية جبل العلم وأودية جبل دمخ، كل هذه الأودية تصب في وادي السرة، وأما أودية شُريف نجد فهي:

وادي شبيكان، ووادي الشبكة، ووادي الشاة، ووادي الشواة، ووادي حلبان، ووادي عليان، ووادي عصيل، جميع تلك الأودية تصب في وادي السرة، وجميع أودية الحمرة المجاورة لبلد الرويضة رويضة العرض شماليها وادي عصيل، وجنوبيها أودية صبحا والأنكير، جميعُ هذه الأودية تصب في السرة، ثم تجتمع سيولُ تلك الناحية في بطن السرة، وتتجه جنوباً إلى وادي الركاء.

ووادي الركاء متجه إلى الجهة الجنوبية الشرقية، والقاسم بين وادي السرة ووادي الركاء جبل الحصاة المشهور في الجاهلية بالحصّاء، ووادي الحصاة يجعل ذلك الجبل على شماله، ووادي السرة يجعل ذلك الجبل على يمينه، فإذا خلفا ذلك الجبل اجتمعا، وانقطع ذكر السرة، وبقي وادي الركاء، ثم اتجه قاصداً مطلع الشمس، ثم يأتيه وادي لجع، ووادي العمق، ووادي بتران، ووادي قران، جميع تلك الأودية تصب في وادي الركاء، ووادي بتران ووادي عمق من أكبر تلك الأودية، وبتران واقع في طرف بلاد بني عامر الجنوبية، قال مجنون بني عامر صاحبُ ليلى:

وأشرفت من بتران أنظر هل أرى   خيالا لليلى رأية وترانيا
فلم يترك الإشراف في كل مرقب   ولا الدمع من عينيك إلا المآقيا

وقال عمرو بن معد يكرب يذكر عمقا :

لمن طَلَل بالعمق أصبح دارساً   تَبَدَّل آراماً وعِيناً كوانسا
بُمعْتَرك ضنك الحَبِيَّا ترى به   من القوم محدوساً وآخر حادسا
تَسَاقَت به الأبطالُ حتى كأنها   حنيّ براها السير شُعْثاً بوائسا

وقد غلط ناس كثير بين عمق والعُمَق، فأما العُمَق فواقع في بلاد بني عبد الله بن غطفان وعَمْق الذي أوردناه واقع في القطعة الجنوبية من نجد، والعمق ميمه مفتوحة، وهو الذي قال فيه الراجز:

كأنها بين شروري والعُمَق وقد كسون الجلد نظما من عرق

نوَّاحة تلوى بجلباب خلق

وبتران والعمق كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، فإذا اختلطت سيولُ تلك الأودية بوادي الركاء وهو متجه إلى جهة مطلع الشمس انعرج إلى جهة الشرق، ثم يأتيه وادي الرين وهو وادٍ عظيم به قصور ومزارع ونخيل لأهل بلد القويعية، ثم يتجه وادي الركاء وتأتيه أودية صغار بعد أن كمل سيله الذي يسير إليه من أودية الزيدي وأودية العريف وأودية جبال السوادة وجبال الحصاة وجبال صبحا، والأودية الصغار تأتيه من جبيلات صفيرىٰ المضبة فتصب فيه، ثم يرده كثيب يقال له «نفود الدحى» ويتجه ذلك الوادي إلى الجهة الشرقية الشمالية، فإذا انقطع عنه ذلك الكثيب انعرج إلى جهة الجنوب حتى يصل إلى أعلى وادي برك الواقع في اليمامة، ثم يصب فيه، وتختلط سيول الركاء بسيل وادي برك، وتتجه إلى الجهة الشرقية الشمالية، فتصب في وادي الخرج بعدما تجوز بلد الحوطة وقراها، ويأتيها وادي ماوان، ووادي نساح، ووادي الأوسط، ووادي الحائر، ووادي حنيفة، ثم تجتمع تلك السيول العظيمة في موضع يقال له السهبى في جهة الخَرْج الشمالية الشرقية، وهذا الاسم اسم جاهلي قديم يقال لها السهبى، قال جرير:

كَلَّفْتُ صحبى أهوالاً على ثقة لله درهُمُ ركبا وما كلفوا
ساروا إليك من السهبى ودونهمُ فَيْحَانُ فالَحزن فالصَّمَّان فالوكف
يُزْجُونَ نحوك أطلاحاً مُخَذَّمة قد مسها النكب والأنقاب والعجف

وقد كنت قبل أن أكتب هذه الكتابة عن سيل وادي الركاء ومَسِيره واتجاهه أشك في أنه يصب في وادي برك، وكنت أظن أنه يقف بين كثيب الدحى وجبل العارض، ولكني أخذت هذه الأخبار عن الثقات الواقفين على حقيقة أمره وسيره عند جريانه، وقد شاهدوه بأعينهم وهو يصب في وادي برك، وقالوا: إن وادي برك أطْمَنُ من وادي الركاء أكثر من مائة وخمسين مترا، وكنت أظن قبل ذلك أن وادي الركاء أطمن من وادي برك بمائتى متر، ولكني أخذت الخبر عن الثقات، وكتبت بعد التثبت، فهذا الوادي العظيم ــ أعني وادي الركاء ــ أعلاه تأتيه سيول من جهة ذقانين والدخول وتنتهي في أسفل وادي الخرج، وهذه المسافة قريب شهر لسير حاملات الأثقال من الإبل، وقد انتهينا من سيول الرشا وأوديته، وسيأتي الكلام على سيول الرمة في موضعها عند بيان موضع تلك الجهة.

* * *

٨ ــ وقال لبيد :

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لَحْتفَها   بمغَالِــقٍ مُتَشَابِــهٍ أَعْلاَمُهَــا

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ   بُذِلَتْ لِجِيرَانِ الجَمْيعِ لَحِامُهَا

فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كأَنَّمَا   هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصباً أَهْضَامُهَا

تبالة: وادٍ في جهة بيشة، وهو وادٍ عظيم معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد مضى الكلام عليه في أشعار امرىء القيس[١]. **تبالة**

انتهت معلقة لبيد، وهي المعلقة الرابعة من العشر.

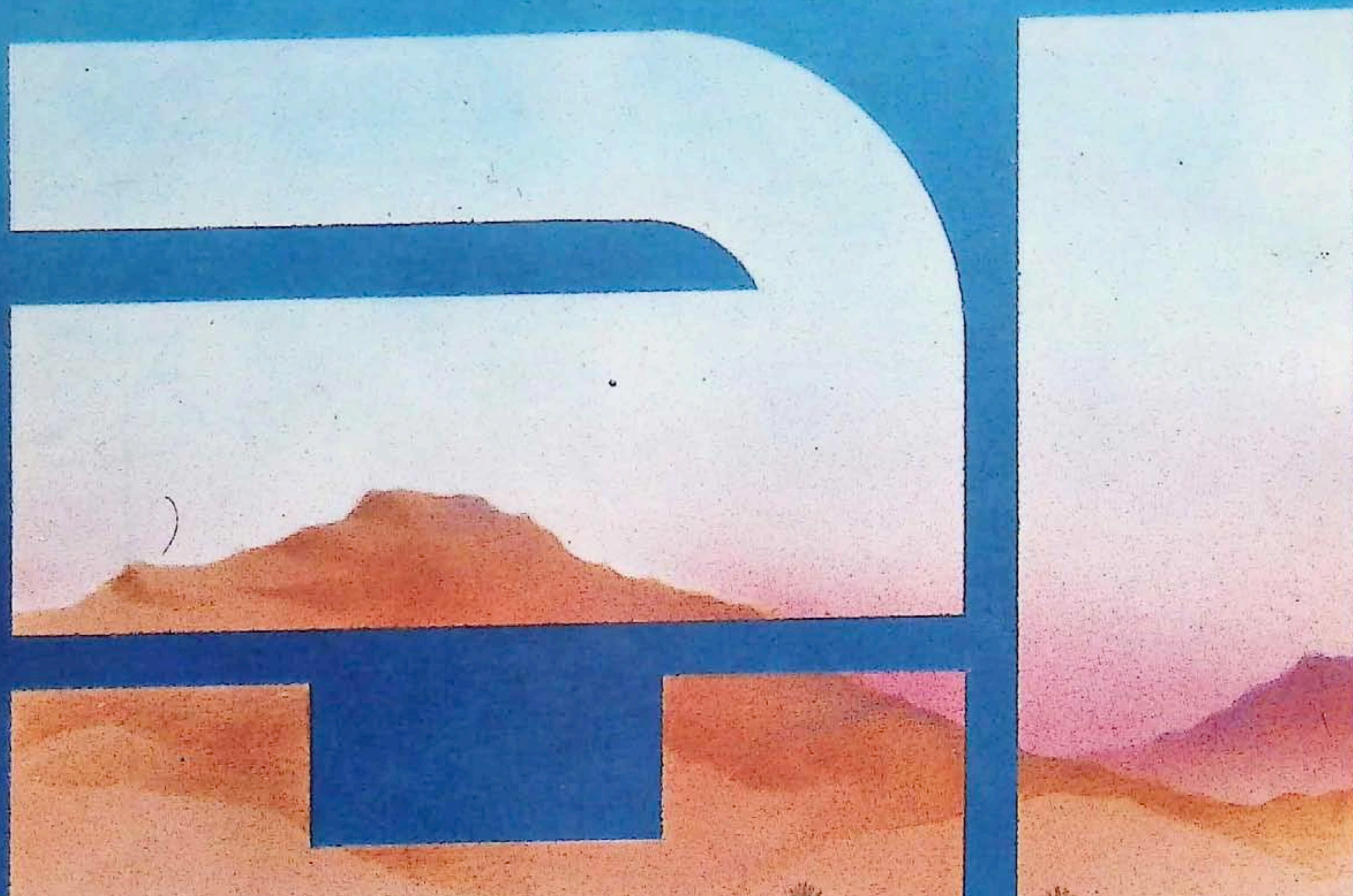
---

(١) انظر ص ٢٩ و ٣٢١ من هذا الكتاب

الجغرافية الأدبية

من كتاب صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار

تأليف الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد



حققه وصحّحه وعلّق عليه

الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن محمد بن حسين

الجزء الثاني

٥

عَمْرُو بْن كُلْثُوم التَّغْلِبيّ

عمرو بن كلثوم التغلبى[1]

مات قبل هجرة رسول الله ﷺ باثنتين وخمسين سنة تقريباً

هو عمرو بن كلثوم التغلبي الذي ينتهي نسبه في تغلب بن وائل ثم يمتد إلى جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

ذكر المواضع الواردة في معلقته :

١ ــ ألا، هُبِّي، بِصَحْنِكِ، فأصْبَحِينا وَلَا تُبْقِى خُمُورَ الأنْدَرِينَا
مُشَعْشَعةً، كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

الأندرين

الأندرين: اسمُ قرية[2] في جنوبيِّ حَلَب، بينها وبين حلب مسيرة يوم للراكب، في طرف البرية، ليس بعدها عمارة، وهي الآن خراب ليس فيها إلا بقية جدران، وأهل تلك الناحية يعرفونها بهذا الإسم، وكانت تُبَاع فيها الخمور في الجاهلية، وهي التي عناها عمرو بن كلثوم وقد اختلف أهل اللغة وأهل المعاجم في لفظها؛ فمنهم من قال: إنها جمع أندريّ ــ بياء النسبة ــ فلما جمع اجتمع فيه ثلاث ياءات، فحذفت ياء النسبة كما قالوا «الأشعرين» في جمع أشعرى، وقال الأزهرى: الأندر: قرية بالشام فيها كروم، وجمعها الأندرين.

قلت: وقال صاحب تهذيب اللغة (١٤/١٢٢) في مادة (مدر)الأمدرنيا بدلاً من الأندرينا.

٢ ــ وقال عمرو بن كلثوم :

---

(١) قلت انظر ترجمته في:
طبقات فحول الشعراء ١٢٧، الشعر والشعراء ١/٢٣٤ الأغاني ١١/٤٦، معجم الشعراء ١٢٧ سمط اللآلي ٢/٦٣٥، شرح شواهد المغني ١/٢١ الخزانة ١/٥١٩، وفي رجال المعلقات ١٩٥ انه توفي سنة ٥٢ قبل الهجرة.

(٢) انظر معجم البلدان ١ / ٣٤٥.

صَدَدْتِ الكأس عَنَّا، أمَّ عَمْرٍو ‏ ‏ ‏ وَكَانَ الْكأسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينا
وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ. أمَّ عَمْرو ‏ ‏ ‏ بِصَاحِبِك، الَّـذِي لاتُصبَحِينَـا
وَكَـأسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَـبَكٍّ ‏ ‏ ‏ وَأخْرَى، فِي دِمَشْق، وَقَاصِرِينَا

بعلبك ‏ بَعْلَبَكُّ : اسم لمدينة من أعمال دمشق، وكان بها صنم لقوم إلياس النبي عليه السلام، وهو الذي قال الله جل ذكره فيه (أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِين[١])، فلم يطلق هذا الاسم على هذه المدينة إلا بعد أن وضع هذا الصنم فيها، وهو معظم عند اليونانيين، وقد أطال الكلام عليه أهل المعاجم وذكروا فيه روايات كثيرة، وهذا الاسم معروف إلى هذا العهد عند جميع أهل تلك الناحية.

دمشق ‏ دمشق: معروفة بدمشق الشام، وهي عاصمة سوريا اليوم، قال في معجم البلدان[٢]: دمشق البلد المشهور، قصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف، لحسن عمارة، ونضارة بُقْعَة، وكثرة فاكهة، ونزاهة رقعة، وكثرة مياه، ووجود مآرب، هذه عبارة من عبارات المعجم، وقد أطال عليها صاحب معجم البلدان، ومما قيل في دمشق وحسنها ونضارتها من النثر والنظم قول أبي المطاع بن حمدان في وصف دمشق :

سقىٰ الله أرض الغوطتين وأهلها ‏ ‏ ‏ فَلِي بِجنُوب الغُوطَتين شُجونُ
وماذقت طعم الماء إلا استخفنِي ‏ ‏ ‏ إلـى بَرَدَي والنيرَبَيْـنِ حنيـنُ
وقد كان شكى في الفراق يروعنى ‏ ‏ ‏ فكيف أكون اليومَ وَهْوَ يَقِينُ
فوالله مافارقتكـم قاليـا لكـم ‏ ‏ ‏ ولكن مايقضى فَسَوْفَ يكون

وقال الصنوبرى :

صَفَتْ دنيا دمشق لقاطنيهـا ‏ ‏ ‏ فلست ترى بغير دمشقَ دُنْيَا
تفيض جداول البِلّوْرِ فيهـا ‏ ‏ ‏ خلال حدائـق ينبتـن وشيـا

(١) الأية من سورة الصافات /١٢٥.
(٢) انظر معجم البلدان ٧٢/٤.

مُكَللة فواكههن أبهى الـ ـمناظر في مناظرنا وأهيا
فمن تُفَّاحه لم تعد خدا ومن أترجَّةٍ لم تعد ثديا

وقال البحترى :

أما دَمشْقُ فقد أبدت محاسنها وقد وَفَى لك مُطْرِيها بما وعدا
إذا أردت ملأت العَيْنَ من بلد مستحسن وزمان يُشْبه البَلدَا
يُمْسِي السحابُ على أجبالها فرقاً ويصبح النبت في صَحْرائها بددا
فلست تبصر إلا وَاكِفاً خَضِلاً أو يانعاً خَضِرا أو طائرا غَرِدا
كأنما القَيْظُ ولَّى بعد جَيْئَته أو الربيعُ دَنَا من بعد مابَعُدَا

وقال أبو محمد بن عبد الله النقاد يمدح دمشق :

سَقَى الله ما تَحْوِى دمشقُ وحَيَّاها فما أطْيَب اللَّذَّاتِ فيها وأهناها
نَزَلْنَا بها واستوقفتنا محاسن يحنُّ إليها كلُّ قلب ويهواها
لَبِسْنَا بها عيشاً رقيقا رِدَاؤهُ ونلنا بها من صَفْوة اللهو أعْلَاهَا
وكم ليلةٍ نادْمتُ بدر تَمَامِهَا تَقَضت وما أبْقَتْ لنا غَيْرَ ذكراها
فآهاً على ذاك الزمانِ وطيبه وقلَّ له من بعده قَولتى آها
فيا صاحِبى أمَّا حملت رسالةً إلى دار أحباب لنا طاب مغناها
وقُلْ ذلك الوَجْدُ المبرِّحُ ثابتٌ وحرمة أيام الصبا ما أضعناها
فإن كانت الأيام أنْسَتْ عهودَنَا فَلَسْنَا على طول المَدَى نتناساها
سَلَامٌ على تلك المعاهد أنها مَحَطُّ صباباتِ النفوس ومَثْواها
رعى الله أياما تَقَضَّت بقربها فما كان أحلاها لديها وأمراها

وقال آخر في ذم دمشق :

إذا فَاخَرُوا قالوا مياهٌ غزيرة عِذَابٌ وللظامى سُلَاف مُرَوَّقُ
وقد قال قوم جَنَّةُ الخلد جلَّقٌ وقد كَذَبوا في ذا المقال ومَخْرَقُوا

فما هي إلا بلـدة جاهليـة بها تكسد الخيراتُ والفسقُ يَنْفُقُ
فحسبهُم جيرون فخراً وزينـة ورأس ابنِ بنت المصطفى فيه عَلَّقُوا

ودمشق باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

قاصرين وقاصرين: بلدة عظيمة مما يلى بالس، قال في معجم البلدان[١]: بالس بلدة بالشام بين حلب والرقة، سميت فيما ذكر ببالس[٢] بن الروم بن اليقن ابن سام بن نوح عليه السلام، وكانت على ضفة الفرات الغربية، فلم يزل الفرات يُشَرِّق عنها قليلاً قليلاً حتى صار بينهما في أيامنا هذه أربعة أميال.

قال البلاذري في فتوح البلدان: سار أبو عبيدة حتى نزل عراجين، وقدم مقدمته إلى بالس، وبعث جيشاً عليه حبيب بن مسلمة الفهري إلى قاصرين، وكانت بالس وقاصرين لأخوين من أشراف الروم أَقْطِعَا القُرَى التي بالقرب منهما، وجُعِلا حافظين لما بينهما من مدن الروم، فصالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء، فجلا أكثرهم إلى بلاد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج، ولم يكن الجسر يومئذ، وإنما اتُّخذ في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه للصوائف، ويقال: بل كان له رسم قديم، وأسكن بالس وقاصرين قوماً من العرب والبوادي، ثم رفضوا قاصرين، وبلغ أبو عبيدة إلى الفرات، ثم رجع إلى فلسطين، فكانت بالس والقُرَى المنسوبة إليها كقاصرين وغيرهَا في حدها الأعلى والأوسط والأسفل أعذاء عشرية، فلما كان مسلمة بن عبد الملك توجَّه غازياً إلى الروم من نحو الثغور الجَزَرِية عسكر ببالس، فأتاه أهلها وأهل بويلس وقاصرين وعابدين وصفين، وهي قرى منسوبة إليها، فسألوه جميعاً أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقى

---

(١) انظر معجم البلدان ٤٦/٢ ثم انظر فتوح البلدان للبلاذري ص ١٥٧.

(٢) قلت وتسمى اليوم مسكنة ويسكنه قوم من بنى خفاجه، وهي بين الرقة وحلب، واقعة على الطريق بين المدينتين.

أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غَلّاتهم بعد عشر السطان الذي كان يأخذه، فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة، ووفَوْا له بالشروط، ورمَّ سور المدينة وأحكمه، فلما مات مسلمة صارت بالسن وقُرَاها لورثته، فلم تزل في أيديهم حتى جاءت الدولة العباسية وقبض عبدُ الله بن على أموال بنى أمية، فدخلت في تلك الأموال، فأقطعها السفاح محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، فلما مات صارت للرشيد فأقطعها ابنه المأمونَ، فصارت لولده من بعده.

والداعي إلى ذكر بالس أن قاصرين لم تذكر إلا معها في تلك العبارات، وقاصرين باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، يعرفها أهل تلك الناحية.

* * *

٣ ــ وقال عمرو بن كلثوم[١] :

فَمَا وَجَدَتْ، كَوَجْدِي أُمُّ سَقْبٍ   أضَلَّتْــهُ، فَرَجَّــعَتِ الْحَنِيْنَــا
وَلَا شَمْطَاءُ، لَمْ يَتْرُكْ شَقَاهَا   لَهَا، مِنْ تِسْعَةٍ، إلَّا جَنِينَا
تَذَكَّرْتُ الصِّبَا وَاشْتَقْتُ لَمَّا   رَأَيْتُ حُمُولَهَـا أُصُلاً حُدِينَــا[٢]
فَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَـةُ وَأَشْمَخَرَّتْ   كأسْيَـافٍ، بِأَيْـدِي مُصْلَتِينَــا

اليمامة: اختلف أهل اللغة في تسميتها اليمامة واشتقاقها، قال الأصمعي: اليمام ضَرْبٌ من الحمام البري، واحِدَتُهُ يمامة، واستدل في آخر هذه العبارة بقول المرار الفقعسي : اليمامة

(١) البيتان الأول والثاني متأخران في رواية المعلقات عن الثالث والرابع.

(٢) قلت: ورواية الخطيب التبريزي لهذين البيتين قبل البيتين السابقين لهما انظر ص ٣٢٩ من شرح القصائد العشر.
قلت وما لى المرَّار الفقعسي، هو المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسي، أبو حسان: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية. كان مفرط القصر، ضئيلاً نسبته إلى (فقعس) من بنى اسد بن خزيمة انظر الأعلام ج٨/٨٢.

إذا خَفَّ ماء المُزْنِ فيها تيممت يمامتها أيَّ العِـدَادِ تَرُومُ؟

وكانت في الزمن القديمة مساكن طَسْم وجَدِيس والعماليق، سكنتها سنين قديمة، وقاعدتها حجر اليمامة، وتسميتها باليمامة تسمية قديمة، لأن زرقاء اليمامة مضافة إليها، وهى امرأة من طَسْم كانت متزوجة في جديس، وهم في أوائل القرون البائدة، فإن كان الذي ذكره الأصمعي صواباً أن اليمامة الحمامة، فالجبل المُحيط باليمامة يقال له طوق اليمامة كطوق الحمامة، فصغر حتى سمي طويقاً وجو اليمامة : هو الواقع شرقي الأكثبة الحمر مما يلي بلد المزاحمية، قال جحدر اللص(١) في ذكر جو :

وإنَّ امرأً يَعْدُو وحجر وَرَاءه وجَوٌّ ولا يغزوهما لَضَعِيفُ
إذا حُلَّة أبْلَيْتُهَا ابتعت حُلَّةً بسانية طوع القياد عليف
سعى العبد إثرى ساعةً ثم ردَّهُ تذكرُّ تنورٍ له ورَغِيفُ

وقال بعضهم، وهو الأعشى يقوله وهو وافد على هُوذَةَ بن علي الحنفي(٢):

تَجَانُفُ عن جو اليمامة ناقتي وماعَدَلَتْ عن أهلها لِسِوَائكا

وهو من مساكن هُوذة بن على الحنفي الرجل الكريم الجواد العاقل، ولكن لم ينفعه عقله بشيء؛ فقد أدرك الإسلام وكتب إليه رسول الله ﷺ يدعوه إليه، فأبى وخرج إلى بلاد عبد القيس وهلك بها، وهو من مشاهير العرب، وفد على كسرى فأدناه من مجلسه وسأله وأعجب بكلامه، قال له

(١) انظر المعجم ١٧٧/٣ وانظر كتابنا (الالتزام الإسلامي) ص/٢٤٧ عن جحدر اللص.
(٢) قلت/وهو هودة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي، من بني حنيفة، من بكر بن وائل: صاحب اليمامة (بنجد) وشاعر بني حنيفة وخطيبها، قبيل الإسلام وفي العهد النبوي، وفيه يقول الأعشى:

من يلـف هودة يسجـد غيـر متـئـب
إذا تعصب فوق التـاج أوضعـا

وهو من أهل قُرّان من قرى اليمامة. وله أخبار كثيرة في سنة ٨هـ مات ولم يسلم. انظر الأعلام ج ١١٢/٩.

كسرى: كم لك من الولد؟ قال: أَحَدَ عَشَر ولداً، قال: أيهم أحب إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يئوب، ثم التفت كسرى إلى أشراف قومه من العجم فقال: أسمعتم كلام هذا العربي؟ ماأحسنه! ثم التفت إلى هُوذة بن علي فقال: مانتاج بلادك؟ فقال: البر، فقال: نِعْمَ المأكول إنه يصفي العقل ويقوى الدماغ

قال مصنف هذا الكتاب: كنا في مجلس وقرأنا هذه العبارة في كتاب الأغانى، وفي ذلك المجلس الشيخ عبد الله بن حمد الدوسري قاضي الحوطة اليوم، وهو في ذلك الوقت قاضى بلد القويعية مدينة العرض، فالتفتُّ إليه، وقلت له: ياشيخ إن نتاج بلادكم في العرض البر، ولكني لم أجد عقل هوذة بن علي فيكم ولا قريباً منه، فضحك والتفت إليّ. ثم قال: ياأخي إن البر الذي تنتج بلادنا ثلثاه شعير، فإن وجدت اختلافا في العقول فهو منه.

ولهـوذة بن علي أخبار طويلة تملأ صفحات التاريخ.

اليمامة: يطلق هذا الإسم على جميع أنحائها، وفي أخبار المغازي عبارات كثيرة منها: افتتحت اليمامة في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقتل مسيلمة الكذاب سنة ١٢هـ، ورئيس الجيش خالد بن الوليد رضي الله عنه، أخذها عنوة، ثم صولحوا، ذكروا أنه لما قرب منهم خالد بن الوليد خرج مُسَيلمة الكذاب وعَسْكر في عقرباء، وعقرباء موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد، قريبَ بلد مسيلمة التي قتل فيها، قَتَلَهُ وَحْشِي، وهو عبد أسود مولى لجُبَير بن مُطْعم، وهو قاتل حمزة رضي الله عنه يوم أحد، وللمسلمين وبني حنيفة وقائع في نواحي عقرباء كثيرة قبل قتل مسيلمة، قال ضرار بن الأزْوَرِ[1]:

---

(١) معجم البلدان ١٠٤/٦ وانظر شرح شواهد الأشموني للأستاذ محمد محيى الدين ٤٤٣/٢.

ولو سُئلت عنا جَنوب لأخبرَتْ عشيةَ سالت عقرباء ومَلْهَمُ
وسال بفرع الواد حتى ترقرقت حِجَارتُه فيه من القوم بالدَّمِ
عشيةَ لا تُغْنِي الرماحُ مكانها ولا النَّبْل إلا المشرفِيُّ المصمّمُ
فإن تبتغى الكفارَ غير مُنِيبة جَنُوب فإنى تابعُ الدين مسلِم
أجاهد إذ كان الجهادُ غنيمةً ولله بالمرء المجاهِدِ اعلَمُ

والقاعدة الثانية بعد قاعدة جوّ هي قاعدة حَجْر الموجودة بهذا الإسم إلى هذا اليوم في بلد الرياض قاعدة المملكة العربية السعودية اليوم، وأطال المؤرخون الكلام على حجر. قال أبو عبيدة معمر بن المثنى[١]: خرجت بنو حنيفة بن لُجَيم بن صَعْب ابن علي بن بكر بن وائل يتبعون الريف ويرتادون الكلأ، حتى قاربوا اليمامة على السَّمْت الذي كانت عبدُ القيس سلكته لما قدمت البحرين، فخرج عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة منتجعاً بأهله وماله يتبع مواقع القَطْر حتى هَجَم على اليمامة، فنزل موضعاً يقال له: قارات الحبل، وهو من حجر على مسافة يوم وليلة، فأقام بها أياماً ومعه جار له من اليمن من سعد العشيرة ثم من بني زبيد فخرج راعي عبيد حتى أتىٰ قاع حَجْر فرأى القصور والنخل وأرضاً عرف أن بها شأناً، وهي التي كانت لطسم وجديس، فرجع الراعي حتى أتى عبيداً، فقال: والله إني رأيت آطَاماً طِوالاً وأشجاراً حساناً، هذا حَمْلهَا، وأتى بالتمر معه مما وجده منتثراً تحت النخيل، فتناول منه عبيد وأكل وقال: : والله هذا طعام طيب، وأصبح فأمر بِجَزُور فنُحرت، ثم قال لبنيه وغلمانه: احترزوا حتى آتيكم، وركب فرسه، وأردف الغلام خلفه، وأخذ رمحه، حتى أتى حَجْرا، فلما رآها لم يَحُلْ عنها، وعرف أنها أرض لها شأن، فوضع رمحه في الأرض، ثم دفع الفرس، واحتجر ثلاثين قصراً وثلاثين حديقة وسماها حَجْرا، وكانت تسمى حجر اليمامة بعد حجر عبيد لها، فقال في ذلك :

(١) انظر معجم البلدان ٣/٢٢١.

حللنا بدار كان فيها أنيسها فبادُوا وحَلُّوا ذاتَ شيد حصونها
فصاروا قَطِيناً للفلاة بغُرْبة رميما، وصرنا في الديار قطينها
فسوف يليها بعدنا مَنْ يحُلُّها ويسكن عرضاً سهلها وحزونها

ثم ركز رمحه في وسطها، ورجع إلى أهله فاحتملهم حتى أنزلهم بها، فلما رأى جاره الزبيدي ذلك قال: ياعبيد الشرك، قال: بل الرضا، فقال: مابعد الرضا إلا السخط، فقال عبيد: عليك بتلك القرية فانزلها، القرية بناحية حَجْر، على نصف فرسخ منها، فأقام بها الزبيدي ثم غرض[1] فأتى عبيداً فقال له: عَوِّضْني شيئا فإني خارج وتارك ماهٰهنا، فأعطاه ثلاثين بَكْرة، فخرج ولحق بقومه، وتسامعت بنو حنيفة ومَنْ كان معهم من بكر بن وائل بما أصاب عبيد بن ثعلبة، فأقبلوا فنزلوا قرى اليمامة، وأقبل زيد بن يربوع عم عبيد حتى أتى عبيداً فقال: أنزلنى معك حَجْراً، فقام عبيد، وقبض على ذكره، وقال: والله لاينزلها إلا من خرج من هذه، يعني أولاده، فلم يسكنها إلا ولده، وليس بها إلا عبيدي، وقال لعمه: عليك بتلك القرية التي خرج منها الزبيدي فانزلها، فنزلها في أخبية الشَّعَر حتى بنوا القصور، وكان عبيد يقول لولده: انطلقوا إلى باديتنا، يريد عمه، فيمضون يتحدثون هناك، فمن ثم سميت البادية، وهي منازل زيد وحبيب وقطن ولبيد بني يربوع بن ثعلبة بن الدّؤل بن حنيفة، ثم جعل عبيد يَغْسِلِ النخل، فيغرسها فتخرج ولاتخلف ففعل أهل اليمامة كلهم ذلك، فهذا هو السبب في تسميتها حَجْراً، وقد أكثرت الشعراء من ذكرها والتشوق إليها، فروي عن نفطويه قال: قالت أم موسى الكلابية، وكان قد تزوجها رجل من أهل حَجْر اليمامة ونقلها هناك:

قد كنت أكره حَجْراً أن ألمّ بها وأن أعيش بأرض ذاتِ حيطان
لاحبذا الغرف الأعلى وساكنه وما يضمن من مال وعِبْدَانِ

(١) غرض ــ بالغين المعجمة ــ أي ضجر وسئم ومل.

أبيت أرقب نَجْمَ الليل قاعدةً حتى الصباح وعندَ الباب عِلْجَانِ
لولا مخافة ربيِّ أن يُعَاقبني لقد دعوت على الشيخ ابن حيّان

ولعل الشيخ ابن حيان هو الذي عَقَد لزوجها عليها.

وكان رجل من بني جشم بن بكر يقال له جحدر اللص يُخِيف السبيلَ بأرض اليمن، وبلغ خبرُه الحجاجَ بن يوسف، فأرسل إلى عامله باليمن يُشَدد عليه في طلبه، فلم يزل يجدُّ في أمره حتى ظفر به وحمله إلى الحجاج بواسط، فقال: ماحملك على ماصنعت؟ فقال: كَلَبُ الزمان، وجرأة الجنان، فأمر بحبسه، فحبس، فحنّ إلى بلاده وهو من أهل حَجْر فقال:

لَقَدْ صدَع الفؤاد وقد شَجَانى بكــاءُ حمامتيــن تَجَاوبــان
تجاوبتــا بصوت أعجمــي على غُصْنَيْنِ من غَرب وبَانِ
فأسبلت الدموع بلا احتشام ولم أك باللئيم ولا الجَبَان
فقلت: لصاحبيَّ دعا ملامي وكُفَّا اللوم عنى واعذراني
أليس الله يعلم أنَّ قلبي يُحِبّكَ أيها البرقُ اليماني
وأهوى أن أعيد إليك طَرْفي على عُدواء من شغلي وشاني
أليس الليل يجمع أم عمرو وإيانــا فَذَاكَ لنــا تدانــي
بلى، وترى الهلال كما أراه ويَعْلُوها النهار كمـا علانـي
فما بين التّفرق غير سَبْع بَقِينَ من المُحَرم أو ثمان
ألم ترني غذيت أخا حروب إذا لم أجْنِ كنتُ مَجِنَّ جاني
أيا أخويّ من جُشَم بن بكر أقِلّا اللَّوم إن لا تنفعانـي
إذا جاوزتما سَعَفَات حَجْر وأوديــة اليمامــة فانعيانــي
لِفِتْيَـان إذا سمعوا بقَتْلــِي بكى شبانهم وبكى الغَوَانِى
وقـولا جَحْـدَر أمسى رهيناً يحاذر وقع مَصْقُـولٍ يمانـى
ستبكي كلُّ غانيــة عليــه وكل مُخضّب رَخْص البَنَـانِ
وكل فَتّـىً له أدبٌ وحلم مَعَدِّىٌّ كريـم غيـر وانــي

فبلغ شعره هذا الحجاج، فأحضره بين يديه، وقال له: أيهما أحب إليك أن أقتلك بالسيف أو ألقيك للسباع؟ فقال له: أعطني سيفاً وألقني للسباع، فأعطاه سيفاً وألقاه إلى سبع ضارٍ مُجَوّع فزأر السبع وجاءه، فتلقاه بالسيف ففلق هامته، فأكرمه الحجاج واستتابه، وخلع عليه، وفرض له في العطاء، وجعله من أصحابه.

وقد أنشد ابنُ الأعرابى في نوادره لبعض اللصوص وقد طال سجنه في حَجْر:

هل الباب مفروج فأنظر نظرةً ... بعين قَلَتْ حَجْرا وطال احتمامها؟
ألا حبذا الدهنا وطيبُ ترابها ... وأرضٌ فضاء يَصْدَح الليلَ هامُها
وَسَيْرُ المطايا بالعشيَّات والضحى ... إلى بقر وحش العيون أكامها

وحجر اليمامة: هي البلد العظيمة في الجاهلية والإسلام، قال ابن بطوطة في رحلته في القرن السابع: دخلت اليمامة وقاعدتها حَجْر فوجدت بلداً عظيمة كثيرة النخيل والمياه والفواكه والزروع وأطال عليها الكلام، ثم كانت قاعدة تلك الناحية في بلد الدرعية، في أوائل الدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقام بنصره ونُصْرَة تلك الدعوة الإمام محمد بن سعود وابنُه الإمام عبد العزيز بن محمد ومِن بعده ابنُه الإمام سعود بن عبد العزيز الذي امتدت الفتوحات على يديه ثم انتقلت قاعدة المملكة إلى بلد الرياض، وبها سِرٌّ غَامِضُ خبأه الله عن خلقه، وهو هذا الملك الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود، قال الشاعر الكبير محمد بن عثيمين، قي قصيدة له مطلعها وهو يخاطب فيها نفسه على طريق التجريد فيها المعروف عند أهل البلاغة :

قد بَلَّغتك المَهَارى منتهى الأمل ... فما التنقُّل من سهل إلى جبل؟
أرِحْ ركابك فالأرزاق قد قسمت ... وليس يعدوك ماقد خط في الأزل

فطالما أوضَعَتْ خوصُ الركاب بنا ... في مَهْمه قُذُفٍ أو مَجْهَل غُفُلِ
سَبَاسب يقلب الألوان صَيْخَدُها ... وتارةً فوق ألواح بذي زجل
فالآن لما أقال الله عثرتنا ... في دولة المرتضى في القول والعمل
فخفض الهم وآنعم في ذُرَى ملك ... وآعف الركائب من حلٍّ ومُرْتَحَلِ

إلى أن قال :

لو كان فيصل يدرى قبل ميتته ... أنَّكَ من صُلْبه استبطى مدى الأجل

إلى أن قال :

وإن كسوتك من حُسْن الثَّنا حُلَلا ... فأنت من قبلها أبهى من الحلل

وهي من عزيز الشعر، وله قصائد في جلالة الملك عذبة الألفاظ، جيدة المعاني، مات هذا الشاعر في بلد الحوطة ـــ رحمه الله ! ـــ قريب منتصف القرن الرابع عشر.

وحجر قد أعاد الله عليه تاريخَه الأغرِ بوجود هذا الملك العادل الكريم فقد اطلعت على تاريخ الأمم والملوك في الدولة الأموية والدولة العباسية من منتصف القرن الثاني إلى هذا العهد فلم أجد لأحد منهم ذكراً يضاهي ماأرى لهذا الملك من مكارم الأخلاق وعظيم الشيم وبذل المال وإهانته له، مع تقًى وورع ورفق برعيته ووفاء بالعهد، فقد كان الملك من الملوك السابقين إذا وضع قسماً من زكاة قوم في فقرائهم نطقت الشعراء والخطباء بعدله، فأما الملك عبد العزيز فإنه يفرق الشيء الكثير من الزكاة على الفقراء، ثم يبعث السيارات تحمل النقود والأرزاق والحُلل فتفرق على جميع الجهات في رعيته، يُفَرقها أمناء وكُتَّاب على أهل كل جهة، يأتيهم المقرر لهم وهم في أماكنهم بغير طلب منهم ولاتكلف، ثم تأتيه الوفود وتتتابع أرسالهم إلى تلك العاصمة زَرَافات وأفواجاً، يأتيه من أعراب الرافدين وأعراب جلّق وأعراب نجران وأعراب اليمن، وما بين تلك الجهات

من الأمم التي لايحصى عددها إلا الله، تأتي إلى هذه السدّة الملكية فتمتاح منها كأنها تمتاح من دجلة أو الفرات، فبعض الأيام يبلغ عدد الوافدين عليه في اليوم الواحد عشرة آلاف رجل وقد يزيدون أو ينقصون عن هذا العدد، ويمتد هذا الترسل ستة أشهر، فلو أن رمل عالج نَقْد لنفِد ولكن البركة واصلة فيما تحوى تلك الكف المباركة، فلو علم عبيد ابن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة الذي اكتشف حَجْرا بما تم لحجر اليوم من العز والشرف لسكانه، وما أدركوا من المجد والعلى، لسُرّ بذلك، وهذا الأعشى ميمون بن قيس الشاعر المشهور صاحب بلد منفوحة قد فاته أمران:

الأول ــ وهو أهم من الذي بعده ــ أنه أدرك رسول الله ﷺ، وتوجَّه إليه وافداً من بلدهِ منفوحة معتقداً الإسلام، وقال في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

أَلَمْ تغتمض عيناك ليلة أرمَدَا   وبتَّ كما بات السليم مسهدا

إلى أن قال :

فآليت لا أرثى لها من كَلَالة   ولا من حَفىً حتى تزور محمدا
إذا ما تناض عند باب ابن هاشم   تريحى وتَلْقَىْ من فواضله ندى

فلما قدم مكة رده مشركو قريش، وقصته مشهورة عند أهل التاريخ، فرجع من مكة المكرمة بعد أن بذلت له قريش الإبل والحُلَل، فلما وصل بلده منفوحة نفرت به راحلته فسقَطَ منها وهلك، نعوذ بالله من تلك الحالة، فلما سمع رسول الله ﷺ قصيدته قال: كاد أن يسلم(١).

الأمر الثاني: لو أدرك الأعشى هذا الوقْتَ وجعله الله من أهل هذا القرن لاستراح من الحِلِّ والترحال، واستراحت راحلته من الإدلاج والارقال، في

(١) انظر كتابنا المدائح النبوية بين المعتدلين والغلاة ص ١١.

وفاداته على ملوك نَجْران بني عبد المَدَان وعلى الملوك اللّخْميين بالعراق وملوك الغَسَّانيين بالشام، فلو أدرك هذا الوقت لقصرت خطاه، وكانت وفادَته قريبة الانتهاء سريعة المأخذ قريبة الامتياح من هذا النهر الفياض الذي أوجده صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز من تيار كرمه المتتابع الذي لم يسبقه إليه سابق، ويتعب على أثره اللاحق، فلو كان الأعشى موجوداً لكان يخرج من بلده منفوحة بعد طلوع الشمس وفي حينه يصل إلى السُّدَّة الملكية ويقضي وَطَره ويعود إلى بلده قبل أن تشتد ضاحية النهار، وحينئذ يرى كثرة الوافدين، ويسمع وَسْوَاس النقود وكثرة الرهج والأصوات عند تلك السدة الملكية، وإذن لجادت قريحته بجيد الشعر كما درّت قريحة الشاعر الكبير محمد بن عثيمين حين قال في قصيدة له مطلعها:

وقفت دمعى على أطلاله الجون ... رَبْعٌ تأبّد من شِبْه الْمَهىٰ العِينِ

إلى أن قال :

مَنْ مُبْلغ الصحب عنى قولَ مبتجح ... بما يلاقى قرير القلب والعين
إنى أوَيْتُ من العَلْيا إلى حَرَم ... قبل الإناخة بالبشرى يحيينى
ينتابه النـاسُ أفواجـا كأنهـمُ ... جاءوا لنسكٍ على صُهْب العَثَانين
ترى الملوك قياماً عند سُدَّته ... وتنظر ابنَ سبيل وابن مسكين
ذا يطلبُ العفو من عُقْبىٰ جريرته ... وذا يؤمل فضلا غير ممنون

وهذه القصيدة من عزيز الشعر ..

والملك عبد العزيز ــ أطال الله بقاءَهُ! ــ يعطى القاصى والدّانى، والمثرى والمعدم، وفضله لم يفت إلا القليل من أهل مملكته، عَمَّر المساجد، وأسس المدارس، وطهر الحرمين من جميع المحرمات ونصر المظلوم، وقمع الظالم، وأنقذ الله به مَنْ تحت حمايته، وله تاريخ لو سطر لضاقت به صفحات الكتب، ولله في خلقه سرٌّ لايعلمه غيره، ومنه ادّخار

هذا الْمَلِكِ الفاضل في أصلاب هذا العنصر المبارك إلى هذا الوقت الذي أدركناه حتى فزنا بوجوده.

قال مصنف هذا الكتاب: لقد أدركت الطرق وهي مخوفة بمن أخذ على السالكين مسالكها من قطاعها، فلا ينفذ مسافر من جهة إلى جهة أخرى إلا بعد الجهد والمشقة، فأما في هذا العهد فإن المرأة تخرج من بلد إلى بلد بحَلْيها وحُلَلها فلا يجسر أحد أن يدنو منها رافعة يديها إلى السماء تدعو الله ببقاء هذا الملك .. ومن التصادف العجيب أني قلت في وقعة تربة سنة ١٣٣٧هـ قصيدة مطلعها :

بسمر القنا والمرهفات القواضب ينال العلى والعز أعلىٰ المراتب

إلى أن قلت :

فلا بدّ من فتح إذا شاء ربنا به يظهر التوحيد بين الأخاشب

فصدق الله تعالى قولي في عام ١٣٤٣هـ من الهجرة حيث افتتحت مكة المكرمة ونادى المنادي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد ست سنوات .. وقلت أيضاً لما قَدِمَ صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بجنود أهل نجد مَدَداً للغُزَاة المحاصرين لجدة قصيدة هذا مطلعها:

لنجلك السعْد قبل اليوم مشهود وفي لواه أطيد العز معقود
وقادها حزبا من كل ناحية وقد شكت من سُرَاه الضُّمَّرُ القُودُ

فصدق الله تعالى هذا وافتتح جدةَ صاحبُ هذا اللواء الذي ذكرناه .. وقال الشاعر البليغ محمد بن عثيمين في قصيدة مطلعها:

عُجْ بي على الربع حيث الرند والبَانُ وإن نأى عنه أحباب وجيران

إلى أن قال :

أقول للعِيسِ إذ تلوى ذفاريَهَا   لإلفها ولها في الدَّوّ تَحْنَان
رِدي مياهاً من المعروف طامِيةً   نَبَاتُها التبرُ لا شِيحٌ وسعدان

حتى انتقل الشاعر من هذا المعنى إلى معنى آخر فقال :

خبيئة الله في ذا الوقت أظهرها   وللمهيمن في تأخيرها شان
ودعوة وجبت للمسلمين به   أما ترى عمهم أمن وإحسان
حاط الرعية من بصرى إلى عَدَن   ومن تهامة حتى ارتاح جعلان
فجددوا الشكر للمولى وكلهم   يدعو له بالبقا ما بَقْىَ إنسان[1]

وهذه القصيدة من غرر الشعر، وللشاعر قصائد كثيرة في جلالة الملك على هذه السلسلة فإن الله تعالى لما أوجد جلالة الملك ووسع ملكه في جميع أنحاء بلاد العرب حفظ له الدين والتوحيد الذي ما عمر هذا الملك إلا حفظهما، وهذه الدولة لا يستقيم لها أمر إلا بحماية دينها والتمسك به. كما قال الشاعر في قصيدة له قد مرّ مطلعها وقطعة من أبياتها:

قوم إذا ذكرت أفعالهم فخرت   بهم ربيعة من فاس إلى الصين
وحين خفْـيَتْ رسوم الدين وانطمست
وسيمَ أهلُ التقى بالخَسْف والهون

اختارك الله للأمر الذي سبقت   به السعادة للدنيا وللدين
فكنت في هذه الدنيا القوام لهم   وكنت للدين قِسْطاس الموازين
أعطوا بسعدك حظًّا ما توهمه   فكر ولم يك في الدنيا بمظنون
قال العزيز الذي أنت العزيز به   قُمْ واستَعِن بي فإنّي ناصرُ ديني
أجَبْتَ حظك إذ ناداك معتزما   بالمُرهَفَات وجُرْدٍ كالسراحين
إذا سَرَين بليلٍ خلت أنجُمَه   من قَدْحِهن الْحصَى يشعلن في الطين

(١) بقي، هنا بتسكين القاف للتخفيف ولإقامة الوزن، وهو عربي جيد.

يصف النباتَ والمطرَ الذي أجاد نبته حتى اشتبك من سحابة سكبت عليه ماءها في برج الأسد من نوء الذراع حَلّالة بالمصانع: ألقت على تلك الرياض المطر، وقال الله تعالى في البناء: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾(١) وموضع الرياض اليوم ظنى أن البقاع المنخفضة منه المتساوية كانت رياضاً فسمى بها(٢).

والأسماء المشهورة في الجاهلية باليمامة: حجر اليمامة، وجو اليمامة والوادي المسمى بوادي حنيفة يشق جبل اليمامة، وبنو حنيفة يسكنونه من أعلاه إلى أسفله، وما حوله يمنة ويسرة قصور ونخيل ومزارع، أعلاها البرة وما حولها ليحيى بن طالب الحنفي، وقد مر ذكرها عند الكلام على قرقرى في قصائد زهير، وضَرَمَى وما حولها من القصور والمزارع إلى الحائر هذه مساكن ثُمَامة الحنفي، وتسمى إلى هذا العهد بوادي ثمامة، ومن أعلى الحيسية إلى بلد الخَرْج كلها لبني حنيفة، ثم انتقل منهم بُطُون وجماعات كثيرة بعد الفتوحات إلى جهة العراق والشام، واستوطنوا في تلك الجهات إلى هذا العهد، ولهم في ذلك الوادي بقايا من العنصر الحنفي، وأهل تلك الناحية يُعْرَفون بشدة البأس، والصبر عند القتال، والثبات في موطنه، وقد شُوهِد لهم ذلك في مواطن كثيرة، قالت العرب: فتحنا فارس والروم بعد علمٍ أخذناه عن بني حنيفة في القتال، والذين قالوا هذا القول من العرب هم الذين قاتلوا بني حنيفة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه.

واليمامة: جبل معترض في نجد الشرقية، كما قال عمرو بن كلثوم في

---

(١) سورة الشعراء / ١٢٩

(٢) ظنى أن هذه اللفظة غلبت على حجر في القرن العاشر للهجرة وقد ذكر صاحب معجم البلدان عند الكلام على الرياض «روضة القميعة» وذكر رياض السلى، والقميعة موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد عند موضع الرياض، والسلى: قريب الرياض، فلعل هذه الأماكن جمع بعضها إلى بعض فقالوا «الرياض» وهم يعنون جمع روضة، ثم خصوا بهذا الاسم هذا الموضع بعينه.

صفته، وإنما يصف وجهه الغربي وأنوفه الشاهقة حين قال :

* كأسيـــاف بأيـــدى مصلتينـــا *

فلا ترى لهذا الجبل العظيم خشماً شاهقاً إلا متيمّما القبلة كأنه يصلى، فإذا رأيته وقد أشرقت فيه الشمس تبادر إلى ذهنك بيت عمرو بن كلثوم، إذا أتيت هذا الجبل من جهته الغربية جزمت أنه من أرفع جبال الأرض، فإن أتيته من جهته الشرقية ظننت أن ليس هناك جبل، لأنه يكاد يكون لاطئاً بالأرض، ولهذا الجبل شأن عظيم، وأغلب قرى نجد المعمورة ذات النخيل والزروع والقصور: إما أن تكون فيه، أو تراه بأعينها جائمةً في غربيه أو شرقيه، وجميع غراس هذه الجهة يشرب من ماء هذا الجبل أو من سيله، فهي من أجود غراس نجد، وثمرتها خالصة بغير جلد ولاقشر، ويكفيه فخراً أن هذه العاصمة القهارة العظيمة الرياض قد بركت بأجمعها في وسطه، وألقت رحلها فيه، وهي قاسمة بين الناحيتين الشمالية والجنوبية منه، ما كان منها شمالاً إلى نهاية طرفه الشمالي فغروسها خضرى، وهو نوع من النخل، وماعدا ذلك يسمى «الدقل» وما كان في الناحية الجنوبية منه إلى طرفه الجنوبيِّ فغروسهُا يقال لها «الصفرى، والسري» وماعدا ذلك يسمى «الدقل» وطرفه الشمالي محاذٍ النباج، وطرفُه الجنوبي محاذٍ للأفلاج منقطع في الجهة الشمالية منه يضعف إذا خلف بلد «لغاط» مقر السدارى أخوالِ جلالة الملك، وبلد لغاط قديمة جاهلية واقعه في سفح جبل اليمامة في غربيه، وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد قال الهرار بن حكيم الربعي في أرجوزة له[1] :

والجوف خير لك من لُغَاطِ ومـــن ألات وإلـــى أراط
وسبـــط محـــدَّم الأوساط ومن جواد الشطِّ دي اهتماط

---

(١) انظر المعجم ٣٣٢/٧.

وقال عقبة بن قدامة يمدح بني مازن :

وهم حَصَدُوا بني سعد بن قيس على القصبات بالبيض القصار
وردوهم غداة لغاط عنهم بأكبادٍ وأفئدة حرارِ

والقصبات موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهي مزارع وقصور وبلد فيها نخل في غربي عتك اليمامة يقال لها اليوم القصب.

فثبت هذا الملك وثبتت قواعده على الدين والتوحيد والإنصاف ومناهج الحق، فإن حُفِظَ حفظهم الله في الدنيا والآخرة.

فهذه العاصمة القهارة مَنْ تَجَوَّل بها ورآها علم أن ملكها ملك صالح قد أصلح الله ملكه، فجميعُ التجارة النجدية تجلب إليها كالإبل والأغنام والدهن والحبوب والكلأ والحطب والفحم والملح، أضف إلى ذلك جميع الأقمشة التي ترد الحجاز وترد الخليج الفارسي والسكر والشاى والقهوة والهيل، جميعُ هذه الأنواع على اختلافها ترد إلى تلك العاصمة، وقد ساعد على نقلها آلات النقل الحديثة كالسيارات وغيرها، فكل يوم ترد تجارة جديدة فتباع وتشترى في ذلك اليوم ؛ فهي زهرة البلاد النجدية في هذا العهد الزاهر، هذا السياق على اليمامة، وحجر اليمامة قد درس رسمه ولم يبق إلا اسمه الذي كان يعرف به في الزمن القديم، قال أبو ذؤيب الهذلي:

كأن حُدُوجَ الحَيِّ حين تحمَّلوا حدائق دوم القادسية أو حجر

وتلاشى هذا الاسم في اسم الرياض ، كما يتلاشى الملح في الماء.

وقد ذكر صاحب معجم البلدان المصانع الواقعة بين المدينة التي تسمى الرياض اليوم وبين منفوحة، والمصانع في اللغة؛ الآبار والأحواض، وهذه تصنع عادة للزرع والبساتين، والمصانع أيضاً: المباني، قال غَيْلَان ذو الرمة :

ألفَّ أجادت فَتْلَه أسَدِية ذِرَاعِية حَلَّالة بالمصانع

نرجع إلى ذكر لغاط، وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر:

وعلى لغاط بات يلغط سَيْله ويثجُّ في لبب الكثيب ويَصْخَبُ

ولقد صدق عمارة في وصف سيل هذا الوادي، فإنه يثج في لبب كثيب أحمر، وقد رأيته يثج فيه، فإذا انعرج جبلُ اليمامة مما يلي موضعاً يقال له «خشم العرنية» ضَعُف كأنه عزم على الهلاك، فينقطع في موضع يقال له «جزرة» (لأنه يجزر في هذا الجبل العظيم) كما يجزر البحر، وتحاذيه مما يلي الغربَ أكثبةٌ حمراء متراكمة، غربي تلك الأكثبة النباج وقراها، وشرقيها بلد الزلفي وقراها، وهي التي كان يقال لها في الجاهلية: زليفات، وزلفة، وقد غلط صاحب المعجم في قوله[1]: إنها ماء شرقي سميراء، وقد قال الحطيئة في ذلك يخاطب رجلاً :

الله قد نجاك من لغاط ومن زليفات ومن أراط

وأراط: وادٍ معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يصب من جهة غربي اليمامة الشمالي، ويصب في جهتها الجنوبية الشرقية، ويفيض في العتك في جَرَيانه جاعلاً واديَ سدير على شماله.

وقال عبيد بن أيوب اللص في ذكر زلفة، وهو من قطاع الطريق في تلك الناحية:

لَعَمْرُك إني يوم أقواع زلفة على ما أرى خلف القنا لوقور
أرى صارما في كف أشمط ثائرٍ طوى سِرَّه في الصدر فهو ضمير

وقال عبد الرحمن بن حزن في ذلك الموضع :

سقى جدثا بين الغميم وزلفة أحَمُّ الذُّرَى واهي العَزَالى مطيرُها
إذا سكنت عنها الجنوب تجاوبت جلاد مرابيع السحاب وخورها

(١) انظر معجم البلدان ٣٩٨/٤.

وإني لأصحاب القبور لغابط بسوداء إذ كانت صَدىً لا أزورها
كأنَّ فؤادي يوم جاء نَعِيّها مُلَاءة قَزٍّ بَيْنَ أيدٍ تُطيرهـا

وتلك الناحية هي مساكن مالك بن الرَّيْبِ الرجلِ المشهور الذي هلك في خراسان، وله قصائد مشهورة، وقد ذكر أوطانَ قومه في تلك الناحية، وقد مضي كلامنا عليها، ومما ذكره السمينة وهي من تلك القرى، وكان يقال لها «سمنان» وجميعُ المواضع الذي ذكرها زياد بن حَمَل بن سعد بن عميرة بن حريث التميمي النسب وهو في صنعاء يتشوق إلى أوطانه واقعةٌ في القطعة الشمالية من اليمامة، فمن ذلك قوله في قصيدة رواها أبو تمام في ديوان[1] الحماسة :

وحَبَّذَا حين تُمْسِي الريحُ باردةً وادي أشَيٍّ وفتيانٌ به هُضُمُ
الواسعون إذا ما جَرَّ غيرهم على العَشِيرة والكافُونَ ما جَرَمُوا

وادي أشي: موجود بهذا الاسم في وادي المشقر مما يلي بلد المجمعة المشهورة بهذا الاسم وقال في هذه القصيدة :

مَتَى أمرُّ على الشَقْراء معتسفاً خَلَّ النَّقَا بِمَرُوحٍ لحمها زِيَمُ
والوَشْمُ قد خرجت منه وقابلهَا من الثنايا التي لم أقلها ثَرَمُ
ياليت شعرىَ عن جَنْبَيْ مكشَّحَة وحيث تُبْنَى من الحناءة الأطُمُ
عن الأشاءة هَلْ زالت مَخارِمُهَا وهل تغير من آرامهـا إرَمُ
وجنةٍ ما يذمُّ الدهرَ حاضِرهَا جَبَّارُهَا بالندى والحمل مُحْتَزِمُ

ذكر هذه المواضع، وكلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد: الشقراء التي ذكرها هي جبل أشقر بين شقرى وذات غسل، فسميت «شقرى» عاصمة بلاد الوَشْم اليوم بهذا الاسم، بعد أن حذف حرف التعريف،

---

(١) انظر شرح التبريزي بتحقيق الأستاذ محمد محيى الدين (٣٢٤/٣).

والوشم: بلدان معروفة متفرقة يقال لها الوشم إلى هذا العهد، وقرى الوشم: شقرى، وهي عاصمة تلك النواحى، ويليها في الجهة الشمالية من البلاد: أشيقر، والفرعة، ويليها من ناحيتها الشمالية الشرقية الداهنة: الجريفة، والحريق، والقصب في جهاتها الشرقية والمشاش في تلك الناحية منها، ويليها في الجهة الجنوبية منها: القراين، وهما قريتان: الوقف، وذات غسل، وهي بلد مصنف هذا الكتاب، ومما يلي القراين في الجهة الجنوبية: أثيثية، وهي بلد جرير الشاعر وذريته، ويليها في الجهة الجنوبية منها: مراة، مساكن بني امريء القيس التميمي، وثرمداء لبني سعد وبني منقر في الجاهلية، وقد ذكروا أن قيس بن عاصم المنقري كان يرتاد ثرمداء من باديته، وهي التي يقول فيها علقمة الفحل:

ما أنت أم ما ذكرها رَبَعِيَّة يخطّ لها من ثرمداء قليب

وأشيقر وذات غسل وأثيفية ومراة وثرمداء والقصب، جميعُ هذه المواضع أسماؤها جاهلية وهي باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، والوشم يبعد بعضُه عن بعض مسافة يوم، والثنايا التي ذكرها الشاعر ثنايا الأديراب، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، وخَلُّ النقا: معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم، في شرقي شقرى الشمالي، ينفذ من الكثيب الأحمر الواقع شرقيَّ شقرى، والأشاءة هي أشَىّ الذي تقدم ذكره، وقال في قصيدته :

*** جَبَّارها بالندى والحمل محتزم ***

تلك الناحية التي ذكرها لأعلم أعظم جبارها إلى هذا العهد، تسمى النخلة العظيمة جبارة، وقال قي قصيدته :

بل ليت شعرى متى أغدو تُعَارضنى جَرْدَاء سابحةٌ أو سابح قُدُم
نحو الأمَيْلح أو سمنان مبتكرا بفتية فيهم المَرَّارُ والحكم
لَيْسَتْ عليهم إذا يغدون أرديةً إلا جياد قسّى النبع واللُّجُمُ

الأميلح: موجود بهذا الاسم إلى هذا العهد في سفح جبل اليمامة يقال له «مليح» نزله في هذا العهد الأخير قسم من مطير رئيسهم ابن سقيّان من بني عبد الله بن غَطَفان، وسمنان: قد مضى الكلام عليه في شواهد مالك بن الريب، يقال له: سمنان، والسمينة.

وجبل اليمامة ينقسم ثلاثة أقسام بالاسم : جبل طويق، وهو يطلق على القطعة الشمالية منه عند أهلها، وهي تعم جميع اليمامة، ووسطه يقال له: العارض، وهذا الاسم يعمه كله، والاسم الثالث يطلق على القسم الجنوبي منه العويرض، ثلاثة الأسماء هذه تطلق على جبل اليمامة من طرفه الجنوبي إلى طرفه الشمالي، وهو جبل ملتحم منعقد بعضه ببعض، طرفه الشمالي يبعد عن طرفه الجنوبي مسافة شهر أو أكثر، وفيه أودية تقسمه فتكون معها الطرق: منها وادي العتك الذي في أعلاه القصب، وفي هذا الجبل يقع المشقر، ومنها وادي الكلب وفيه قرى عامرة ونخيل منها بلد المجمعة، وهي عاصمة قرى سدير، ويليها بلد حرمة، وبلد ظلمى وبلد الحائر والحويرّ ووشى الذي مر ذكره، ومنها وادي جلاجل، ذكروا أنه يسمى وادي المياه، ويليه بلد التويم، وفي أعلى تلك الناحية المعشبة، ومنها وادي سدير، وهو وادٍ عظيم فيه قرى ونخيل، أعلاه بلد الروضة، وبلد الحصون، وبلد الجنوبية، وبلد الحوطة، وبلد العطار، وبلد العودة، وهي أسفل ذلك الوادي، وفي شرقي ذلك الوادي قرى: منها الخطائم، وعشيرة، وتمير فإذا قطعت وادي العتك قاصداً الجنوب أتيتَ إلى وادي بعيثران، وفي هذا الوادي مدينة ثادق بلد كثيرة النخل والمزارع، ثم تسير إلى جهة الجنوب، وتأتي بلد البير والصفرّات جاعلا بلد رغبة على يمينك، ثم تأتي وادياً عظيماً يقال له «أبو قتادة» وفي هذا الوادي بلد حريملا، وبلد القرينة، وبلد ملهم، ونخل تلك الناحية من أكرم النخيل وأحسنها، وفي جهته الجنوبية سدوس، وفي أسفل ذلك الوادي بلد دقلة، وغيانة، ثم تنفذ من تلك الناحية، وتأتي وادي حنيفة وقد مضى الكلام عليه، ثم يأتيك وادي

الحائر، ووادي الأوسط، ووادي نساح، وهو وادي الخرج، وسيأتيك الكلام على الخرج في معلقة عنترة.

فإذا توجهت قاصداً الجهة الجنوبية لقيك وادي ماوان، وقد مضي الكلام عليه، ثم يلقاك الواديان العظيمان: برك، وبريك، وفي أسفلهما بلد الحوطة، وبلد الحلوة، وبلد القويع، وبلد العطيان، وفيهما قرى ومزارع كثيرة ونخيل عظيمة ، وجميع هذه البقعة خالصة لبني تميم، وفي أعلى وادي بريك بلد نعام، وبلد المفيجر، وبلد الحريق، وهي لبني هزان، ومعهم جماعات من العرب، وبها نخيل كثيرة ومزارع، وإذا اتجهت نحو الجنوب لقيك قرى الأفلاج، وأعلاها في الجهة الشمالية منها بلد الحمر، وفي شرقيها الشمالي وسيلة، وتليها بلد ليلى، وهي عاصمة تلك الناحية، ثم بلد السيح وهي بلدة كثيرة النخيل، وبها عيون جارية تنبع من الأرض، ويليها بلد العمار، ثم بلد الخرفة، ثم بلد الروضة، ثم بلد سويدان، ثم بلد البديع، ثم بلد مروان، ثم بلد الرزيقية، وفي أسفل وادي الحمر واسط، والغيل مما يلي واسط جنوباً، وحراضة، والستارة ثم يتجه هذا الجبل جنوباً، ثم يلقاك وادي الهدّار، ثم يضعف هذا الجبل بين قرى الأفلاج وبين قرى الوادي، ثم تلقاك أودية كمدة، وفيها نخيل وغلّات كثيرة من نتاج الأثل الذي يسمى الكرمع، ثم يتجه هذا الجبل إلى جهة الوادي المسمى بوادي الدواسر، فإذا حاذى الوادي ذلك الجبل العظيم خفي من كثرة الرمال، ويسميه أهل تلك الناحية «المندفن» ثم يتجه إلى جهة مطلع الشمس، وهو على خفائه، وبعد الوادي بمسيرة يوم ونصف يومٍ يظهر رأسه، ثم يعظم وهو متجه إلى الجهة الجنوبية الشرقية من الوادي حتى يتصل بجبال نجران، وجميعُ قرى الوادي للدواسر وهم بطن من العرب أصلهم من اليمن، ثم تحالفوا وكانوا أخلاطاً وأقساماً، ويعرفون بالدواسر. فأما القرى التي تُطل على ذلك الجبل وهي في غربيه فجميع قرى الزلفى، وأسافل قرى القصيم، وقرى الوشم، وقرى البرة، وقرى ضَرَمى[1]، جميع تلك النواحي ترى ذلك

الجبل بأعينها وليس من شرط هذا الكتاب الإطالة، ولكن لما عرض ذكر اليمامة في قصيدة عمرو بن كلثوم أوردناها.

★ ★ ★

٤ ــ وقال عمرو بن كلثوم :

وَسَيِّـدِ مَعْشَرٍ، قَدْ تَوَّجُـوهُ بتاجِ الْمُلْكِ، يَحْمِي الْمُحْجَرِينَا
تَرَكْنَا الْخَيْـلَ عَاكِفَـةً، عَلَيْـهِ مُقَلَّـدةً أعِنّتهَـا، صُفُونَـا
وَأنْزَلْنَـا الْبُيُـوتَ بِذِي طُلُـوحٍ إلى الشَّامَاتِ نَنْفِي المُوعِدِينَا[١]

ذو طلوح

ذو طلوح: موضع موجود بهذا الإسم إلى هذا اليوم يقال له «الطليحى» يعرفه جميعُ أهل نجد بهذا الاسم، وهو من منازل الحاج بين العراق ومكة، يقع شمالي بلدة «قُبَة» التي سكنها بنو علي بطن من بني حربٍ في الأيام الأخيرة، ورئيسهم محسن الفرم، وهي على مسافة يوم أو أقل، بينه وبين زرود الأكثبةِ الحُمْر التي كان يقال لها في الزمن القديم «رمال عالج» وفي هذا العهد يقال لها «العروق» وذو طلوح واقع في ضفتها الشرقية، وزرود في ضفتها الغربية، وبينهما الكثيب، وقد وفد الأعشى[٢] الشاعر على عمرو بن هند اللخمي، فوافاه بذي طلوح في تَجواله في القنص، فقال قصيدة منها هذا البيت :

كم رأينا مِنْ أناسٍ هَلَكـوا ورأينا المَلْكَ عمراً بطلح

وقال أبو دُوَاد الإيادي :

تعرف الدار وَرَسْماً قد مَصَحْ ومَغَانى الحَيِّ في نعف طلحْ؟

---

(١) قلت :هذه رواية الجمهرة.

(٢) انظر معجم البلدان ٥٤/٦ و٥٦.

وقال جرير بن عطية :

مَتَى كان الخيامُ بذي طُلوح سُقِيتِ الغَيْثَ أيتُهَا الخِيَامُ

وله شواهد كثيرة قديمة وحديثة، ولكن بقاءه بهذا الاسم إلى هذا العهد يكفيه شاهداً، وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم «الطليحي».

الشامات الشامات: كثيبان أحْمَرَانِ فيهما بياض، وهما أعظم تلك الأكثبة، لاتبعدان عن ذي طلوح المتقدم ذكره، ولكنهما إلى زرود أقرب؛ فتسمى «شامات زرود» ولاتزال معروفةً بهذا الاسم إلى هذا العهد عند عامة أهل نجد، وهي التي عناها عمرو بن كلثوم بقوله :

* إلى الشامات ننفي الموعدينا *

★ ★ ★

٥ ــ وقال عمرو بن كلثوم :

وَنُوجَدُ نَحْنُ، أمْنَعَهُـمْ ذِمَـارًا وَأوْفَاهُمْ، إذَا عَقَـدُوا، يَمينـاَ
وَنَحْنُ، غَدَاةَ أوقِدَ في خَزَازٍ رَفَدْنَـا، فَوْقَ رَفْـدِ الرَّافِدِيـنَـا
وَنَحْنُ الحَابِسُونَ، بِذي أرَاطٍ تَسَفُّ الجِلَّة، الْخُورُ، الدَّرِينَا

خـــزاز خـــزاز: جبل معروف في عالية نجد الشمالية، وبه يوم من أيام العرب، وأشار عمرو بن كلثوم إلى هذا اليوم، لأنه لقبيلته، وهو أول يوم امتنعت فيه العدنانية من اليمانية وضَغْطهم، وهو الجبل الذي ذكره الحارث بن حلزة في معلقته[١] حين قال:

فتنوّرت نارَهَــا من بعيــد بخزازٍ هيهات منك الصلاءُ

وقد أصاب شاعر من العرب حين قال :

(١) انظر معجم البلدان ٤٢٨/٣ ــ ٤٣١.

ومصعدهم كي يقطعوا بطن منعج فضاق بهم ذَرْعاً خَزَازُ وعاقلُ

أما بطن منعج فهو موضع «دخنة» اليوم التي سكنها بطونٌ من حرب في أوائل القرن الرابع عشر، وخزاز واقع في غربيه على مسافة ساعة للماشي على قدميه، وهو من أجبلة المخامر، وعاقل قد مضى الكلام عليه وذكرنا أنه قريب الرس، وأنه يقال له اليوم «العاقلي» وقد أكثر الشعراء من ذكر خَزَاز، وقال النميري وهو رجل من بني ظالم يقال له الدهقان:

أنشد الدار بعطفي مَنْعج وخَزَازٍ نِشْدَةَ الباغى المضل
قد مضى حَوْلَان مذ عهدي بها وَاسْتَهَلَّتْ نصف حولٍ مقتبل
فَهْيَ خَرْساء إذا كلمتُهَا ويشوقُ العينَ عرفانُ الطلل

وقال القتال الكلابي :

وسفح كدود الهاجريِّ بجَعْجَع تحفّر في أعقارهن الهجارسُ
مواثل مادامت خَزاز مكانَهَا بجَبّانة كانت إليها المجالسُ
تَمَشَّى بها رُبْدُ النعام كأنها رجال القرى تمشى عليها الطيالس

وقال السفاح التغلبى :

ولَيْلٍ بتُّ أوقدُ في خَزاز هَدَيْتُ كتائباً متحيراتِ
ضللن من السُّهاد وكُنَّ لولا سُهَادُ القومِ أحسب هادياتِ

ويوم خزاز الذي أوقدت النار فيه بين نِزار واليمن، وعلى ربيعة السفاحُ التغلبي، واسمه سلمة بن خالد، وكليبٌ يجمع الجموع من ربيعة، فقال لسلمة: أوقد لي ناراً واحدة في أعلى خزاز فإن قرب منك العدو فأوقد نارين، فلما قرب العدو أوقد السفاحُ نارين، فاجتمعوا واقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت اليمن، وفي رواية ثانية عن أبي زياد الكلابى أن رئيس جيوش نزار الأحوص بن جعفر بن كلاب، وأن موقد النار في خزاز من ربيعة، ولهذا

كان شعراؤها يذكرون تلك النار وإيقادها، وخزاز: باق بهذا الإسم إلى هذا العهد.

ذو أراط

وذو أراط: موضع معروف عند جميع أهل نجد بهذا الاسم[1] إلى هذا العهد، وهو وادٍ يصب من جبل طويق متجهاً إلى جهة مطلع الشمس، جاعلاً وادي سدير على شماله، وقد مضى الكلام عليه في هذه المعلقة على ذكر اليمامة، قال راجز من بنى نمير[2] :

أنى لك اليوم بذي أراط ... وهنَّ أمثالُ السرى الأمراط
تنجو ولو من خلل الأمشاط ... يَلُحْنَ من ذي لائب شرواط

وقال ظالم بن البراء الفقيمى :

ونحن غَدَاة يوم ذواتِ بَهْدى ... لدى الوَتِدَاتِ إذ غَشِيَتْ تميمُ
ضربنا الخيلَ بالأبطال حتى ... تولت وهي شاملهُا الكلومُ
فأشْبَعْنَا ضباعَ ذوى أراط ... من القَتْلىٰ وألجئت الغُنوم
قَتَلْنَا يوم ذالكم ببشر ... فكان كفاء مَقْتَلكم حكيم

وهذا الوادي موجود بهذا الإسم إلى هذا العهد، ترعاه نعم جميع قرى سدير، وتَعْضِد الكلأ منه، وهو كالحمى تقيم به آبالهم وأغنامهم، وليس في هذا الوادي قرى معمورة، بل جميع القرى المعمورة محاذية لضفته الشمالية الشرقية، وتبعد عنه تلك القرى مسافة ساعتين أو ثلاث ساعات للماشي على قدميه.

---

(١) أراط: هو الذي ذكرنا، وهناك واديان عظيمان بعضهما قريب من بعض، الأول: بين وضاخ ونفي، والثاني: يقع شرقي جبال حليت المعروفة غربي بلد نفي، يقال لهما «الأرطاوى».

(٢) انظر معجم البلدان ١/١٦٨ وفيه أن الذي في رجز النميرى «أراط» بزنة غراب، وأن الذي في شعر الفقيمى «أراطى» بزنة حبارى.

وأراط، ومبايض، وذو طلوح، والنباج، وزرود، كل موضع من تلك المواضع به يوم من أيام العرب، وهي باقية بهذه الأسماء من الجاهلية إلى هذا العهد، ولا يبعد بعضها عن بعض إلا مسافة ثلاثة أيام للراكب المجد، وأكثر الأيام وقعت بين بني تميم وبكر بن وائل، وتلك المواضع واقعة في القطعة الشرقية الشمالية من نجد.

قد انتهينا من المواضع التي ورد ذكرها في معلقة عمرو بن كلثوم، وسنبتدئ في معلقة عنترة بن شداد العبسى، ونوضح ما ورد فيها من المواضع.

٦

عَنْتَرَةُ بْنُ شَدَّادٍ العَبْسِيُّ

عنترة بن شداد العبسي[1]

هو عنترة بن شداد، وفي رواية ابن عمرو بن شداد، ويُعد من أغربة العرب، سُمُّوا أغربة لسوادهم، كأنهم الغربان، منهم ثلاثة منسوبون بأمهاتهم عنترة،[2] وأمه زَبيبة، وخفاف بن عمير الشريدي، وأمه ندبة، والسُّلَيك بن عمير السعدي، وأمه السُّلَكة، وإليهن ينسبون، هلك عنترة قبل هجرة رسول الله ﷺ باثنتين وعشرين سنة تقريباً.

وهذا مطلع معلقته :

١ ــ هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ   أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

إلى أن قال :

يَادَارَ عَبْلَةَ بِالْجِوَاءِ تَكَلَّمِي   وَعِمِي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَٱسْلَمِي

إلى أن قال :

وتَحُل عَبْلَةُ بِالْجِوَاءِ وأَهْلُنَا   بِالْحَزْنِ فَالصَّمَّانِ فَالْمُتَثَلَّمِ

الجواء الجواءِ: قد مضى الكلام عليه في معلقة امرىء القيس.

الحزن الحَزْن: قال الأصمعي في كتاب جزيرة[3] العرب الحزون في جزيرة العرب ثلاثة: حزن بني يربوع، وحزن غاضرة من بني أسد، وحزن كلب من قُضَاعة، والذي عناه عنترة، هو حزن بني يربوع، وهو اليوم معروف عند عامة أهل نجد، ولكنهم أبدلوا نونه لاماً فقالوا له «الحزل» وجمعه حزول،

---

(١) قلت: انظر مصادر ترجمته:
الشعر والشعراء ١/٢٥٠، الأغاني ٨/٢٣٥، شرح شواهد المغني ١/٤٨١، وفي رجال المعلقات ٢٠٨، وقال: أنه توفي سنة ٦٠٠ أو ٦١٥ للميلاد.

(٢) لكن إضافة عنترة إلى أمه أقل من إضافة صاحبيه إلى أمهما. وانظر الشعراء (١٣١ أوربه).

(٣) انظر معجم البلدان ٣/٢٦٩.

وهو واقع في شرقي الأكثبة المتاخمة لجبلي طي في جهتها الشرقية، وهو الذي عناه جرير بقوله في مديحه لعبد الملك بن مروان :

ساروا إليك من السهبى ودونهمُ فَيْحَانُ فالحزن فالصمان فالوكف

إلى أن قال :

أعطوا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثمانيـة وليس في فضلهم منّ ولاسرف

وهذا الحزن هو الذي عناه القَتَّال الكلابي بقوله :

وما رَوْضَة بالحزن قَفْرٌ مَجُودة يمج الندى ريحانُهَا وصَبيبُهَا

بأطْيَبَ بعد النوم من أم طارق ولا طعم عنقود عقار زبيبها

وتلك القطعة الشمالية من نجد تُعَدُّ من أخصب البلاد إذا أمطرت، وكانت العرب تقول: من تربَّع الحزن وتَشَتَّى الصمان وتقيظ الشرف، فقد أخصب، وفي رواية ثانية عن الأصمعي أنه قال: من تشتَّى الدهناء وتربّع الصمان واصطاف الحمى، فقد استكمل المرباع. وقال محمد بن زياد الأعرابي: سُئلت بنت الخس: أيُّ البلاد أحسن مرعى؟ فقالت: خياشيم الحزن وجواء الصمان، وبالصمان موضع يقال له الجويات جويّات الهمل، وهي التي عَنَتْها، ثم سئلت وقيل لها: ثم ماذا؟ فقالت: أجَلَى، وأجلى: هضبةٌ في عالية نجد جاثمة على ضفة وادي الجرير الجنوبية، يتركها سالكُ الطريق من مكة إلى الرياض على شماله، وهي بين عفيف والدفينة، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، والحزن معروف بطيب النبات، ومشهور عند شعراء العرب بطيب الرائحة في أيام الربيع، وهو الذي يقول فيه كثير :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندىٰ جَثْجَاثُهَا وعَرَارُهَا

بأطْيَبِ من أردان عزة موهنا إذا أوقدت بالمندل الرطْبِ نارُهَا

وقال ابن الأعرابي: سرق رجلٌ من العرب بعيراً، فوُجد السارق في أرض الحزن، ووجد البعير عنده، فقيل له: إنك سارق هذا البعير، وكان أهل البعير شماليّ الحزن، فجحد سرقة البعير، وكانت أرض الحزن مخصبة، فقال الأعرابي: إني لم أسرقه، ولكن هاجت ريح الجنوب وشمّ بعيركم رائحَةَ نبات الحزن، فنزع إليها وأتاني، وحفظته لكم، وقال الأعرابي في ذلك:

ومالي ذنب إنْ جَنُوبُ تنفَّست بنفحة حزنيٍّ من النبت أخضرا

فأخذوا بعيرهم وتركوه، وهو مشهور اليوم عند عامة أهل نجد بالحزل كما قلنا، وبه مياه عادية يقال لواحدها: الحزل، وجمعها الحزول، تبعد عن بلد حائل ثلاثة أيام تقريباً، وهي مشهورة بهذا الاسم إلى هذا العهد تقع شرقي الأكثبة الشرقية عن الجبلين أجأ وسلمىٰ.

الصمان

الصمان: قطعة من الأرض معروفة عند عامة أهل نجد، جهتُها الجنوبية يشقها الطريقُ السالك بين اليمامة والأحساء، وشماليُّهَا يشقه الطريقُ السالكُ بين القَصيم والبصرة، وهذه القطعة الواقعة بين الطريقين هي التي تطلق عليها عند عامة أهل نجد «الصمان» وكانت مفاوز ومَوَامى في أيام القيظ لا يجوزها حينذاك إلا الإبل التي تحمل الماء، وفي هذا العهد الزاهر عهد جلالة الملك عبد العزيز استنبطت المياه الكثيرة العذبة في جهتين منها، بالآلات الحديثة: الأول: ماء في طريق الأحساء في روضة «الحنى» وهي في المنتصف بين الأحساء ومنهل أبى جفان في جبل العرمة في شرقيه من جهة الدهناء، والماء الثاني: في روضة «الشملول» على طريق الكويت مما يلي روضة معقلا، قال في معجم البلدان على ذكر معقلة[1]: سميت معقلا لأنها تعقل الماء في بطنها كما يعقل الدواء البطن، وقال في معجم البلدان عن الأزهري: قد رأيتها، وفيها خباري كثيرة تُمْسك الماء دهراً

(١) انظر معجم البلدان ٩٨/٨.

طويلاً، وبها جبال رمال متفرقة يقال لها: الشماليل، واحدها شملول، وهذا الاسم الذي به موضع الماء اليوم يقال له الشملول، وهو اسم جاهلي لم يتغير. ومياه الصمان التي في جهته الجنوبية قريبة المنزع كالعوينة وجودة والنجبية، وهذه المياه على طريق الأحساء الشمالي، والعوينة على طريق الجبيل، وأما مياهه الشمالية فهي نحائت عادية بعيدة المنزع من سبع وثلاثين باعاً إلى ثلاثين باعاً، وهي: ماءة القرعى، واللصافة، واللهابة، وتلك المياه لها ذكر في أشعار الجاهلية وهي مياه بني تميم. يقع في شرقيها مياه قريبة المنزع: وبرة، وهي التي ذكرها النابغة، وسماها «ثبرة» والوفري، وقرية، أما قرية: فسكنت وعُمرت، عمرها جماعة من مطير رئيسهم الدويش بن شقير، واللصافة التي مر ذكرها ووبرة هي التي يقول فيها النابغة وهو يعتذر إلى النعمان بن المنذر ذكرها في قَسَمه :

وبالمُرقِلَات من لَصَافِ وثبرة　　يَزُرن إلالًا سيرُهن تدافع

والمنهل الشمالى منها هو الحَفْر حفر أبي موسى الأشعرى.

المتثلم

أما المتثلم فإني لا أعلم موضعاً بهذا الاسم، إلا جبلاً قد مر ذكره في الكلام على معلقة زهير، وهو جبل مُتَثَلِّمٌ رأسُه، يقال له اليوم «جبل أبي ثلوم» ولا يستغرب ذكر الأماكن البعيد بعضها من بعض لأن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال في الجاهلية(١):

لمن الدار أقفرت بمعان　　بين شاطي اليرموك فالصَّمَّان
فالقُرَيَّات من بلاس فداريَّا　　فسَكَّاءُ فالقصور الدَّوانى

ذكر في هذه الأبيات «معان، واليرموك، والصمان، والقريات، والسكاء التي يقال لها السكاكا من قرى الجوف، وبين بعض المواضع وبعضها

---

(١) انظر معجم البلدان ٥/٣٨٣.

مسافة شهرين تقريباً، فلا يبعد أن عنترة ذكر الحزن والصمان والمتثلم[١]، وهي يطوف عليها الراكب في أقل من عشرين يوماً.

★ ★ ★

٢ ـــ وقال عنترة :

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلَا تَظُنِّى غَيْرَهُ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكـرَمِ
كَيْفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا بِعُنَيْزَتَيْـــنِ وَأَهْلُنَـــا بِالْغَيْلَـــمِ

عنيزتين: قد مضى الكلام عليها في مواضع كثيرة، على معلقة امرىء القيس، وهما موضع عنيزة اليوم. **عنيزتان**

أما الغيلم[٢] فلا أعلم موضعاً بهذا الاسم يقال له الغيلم آخره ميم، بل أعرف موضعاً يقال له «الغيل» آخره لام، وهو موضع في اليمامة في طرفها الجنوبى، وهو واد عظيم يلحق بقرى الأفلاج، وقد أكثر الشعراء من ذكره، قال ذؤيب بن بيئة[٣]: **الغيلم**

لعمري لقد أبكَتْ قُرَيم وأوجعوا بجزعة بطن الغيل مَنْ كان باكيا

وقال آخر :

يبرى لها من تحت أرواق الليل عملس ألزق من حمى الغيل

وقال البحتري الجعدى :

---

(١) ظهر لي بعد التأمل أنه إن لم يكن المتثلم الجبل المذكور فإنه يكون مقرماء، وهو في الصمان، يتثلم إذا كثر فيه الماء، فسمى المتثلم كما سميت الخرما بالخرما لخرم الماء لها إذا كثر.

(٢) رواه أبو عبيد البكرى «العيلم» بعين مهملة وذكر أنه في ديار عبس (٢/٩٧٧). وذكره ياقوت (٦/٣٢٠) ولم يبين له موقعا.

(٣) انظر ياقوت ٣١٩/٦.

ألا يَالَيْلَ قد برح النهار وهاج الليل حزنا والنهار
كأنك لم تجاور آل ليلى ولم يوقد لها بالغيل نار

والغيل: لبني جعدة لأنها تسكن تلك الناحية، قال عثمان بن صمصامة الجعدي وقد مر به حمزة بن عبد الله بن قرة يريد الغيل:

وقد قلت للقرىّ إن كنتَ رائحا إلى الغيل فاعرض بالسّلام على نُعْم
على نُعْمنا لا نُعْمِ قومٍ سِوَائِنا هي الهمُّ والأحلام لو يَقَعُ الحلم
فإن غضِبَ القرىُّ في أن بعثْتُه إليها فلا يبرح على أنفه الرَّغْمُ

والغيلم بهذا اللفظ لم يذكر أنه موضع محدّد في كتب اللغة، ولا في كتب المعاجم فأقرب ما يكون لهذه اللفظة التي ذكرها عنترة أنه قصد بها الغيل.

* * *

٣ ــ وقال عنترة :

تأوِى له قُلُصُ النَّعَامِ كَمَا أَوَتْ حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لأَعْجَمَ طِمْطِمِ
يَتْبَعْنَ قُلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ حَرَجٌ عَلَى نَعْشٍ لَهُنَّ مُخَيِّمِ
صَعْلٍ يَعُودُ بِذِي الْعُشَيْرَةِ بَيْضَهُ كالْعَبْدِ ذِي الْفَرْوِ الطَّوِيلِ الأَصْلَمِ

ذو العشيرة

المواضع التي تسمى بذي العشيرة كثيرة: منها موضع في أسفل وادي سدير في جهته الشرقية، ومنها روضة العشر، بين البتراء والصفرى صفرى وشم اليمامة، ومنها عشيرة في وادي العقيق يمر بها الخارج من مكة إلى نجد، وذكروا أن في الصمان موضعاً معروفاً يقال له «ذو العشيرة» نسب إلى عُشَرَة نابتة فيه. وذكر صاحب المعجم[1] أن في وادي الرمة موضعاً

(١) انظر معجم البلدان ١٨١/٦.

يقال له «ذو العشيرة» يصب من قطن، وهو في بلاد بني عبد الله بن غَطَفان وقال شاعرهم[1]:

غَشِيتُ لليلى بالبرود منازلا ... تقَادَمْنَ واسْتَنَّتْ بهن الأعاصر
كأنْ لَمْ يُدَمِّنْهَا أنيسٌ ولم يكن ... لها بعد أيام الهِدَمْلَة عامر
ولم يعتلج في حاضر متجاور ... قفا الغَضْن من ذات العُشَيْرة سامر

قال في معجم البلدان[1] عن أبي عبد الله السكوني: ذات العشيرة من منازل حاج البصرة بين مسقط الرمل وبين الشيحة، والشيحة: من قُرى الجِواء يقال لها اليومَ «الشيحية» ولا أعرف في تلك الناحية التي ذكرها صاحب المعجم موضعاً يقال له «ذو العشيرة» وفي عقيق المدينة موضع يقال له «ذو العشيرة» وهي التي عناها عروة بن أذينة في قوله:

ياذا العُشَيْرة قد هِجْتَ الغداةَ لنا ... شوقا وذكَّرتنا أيامك الأوَلا
ما كانَ أحْسَنَ فيك العيشَ مؤتنقا ... غَضًّا وأطْيَب في آصالك الأصُلَا

والذي ذكره عنترة هو الموضع الذي في الصَّمّان، لأن عنترة يقول :

صَعْلٍ يعود بذي العُشَيْرة بيضَه ... كالعَبْدِ ذي الفَرْوِ الطويل الأصلم

والنعام لا يبيض إلا في أرض فلاة خالية من الأنيس، قال في معجم البلدان: إن ذا العشيرة موضع في الصمان تنبت فيه عُشَرَة، وهو نوع من النبات، فسمى بها ذلك الموضع، وأنا لا أعرفه في هذا العهد، والمواضع المعروفة بهذا الاسم كثيرة في نجد والحجاز وتهامة، ولكن ذا العشيرة الذي في الصمان قد أكثر الشعراء من ذكره، قال أبو المكارم الزبيري:

تَبَصَّر خليلى هل ترى من ظعائن ... بروض القطا يشغفن كلَّ حزين؟
جَعَلْنَ يميناً ذا العُشَيرة كلَّه ... وذات الشمال الخرجَ خَرج هجين.

---

(١) انظر معجم البلدان ٦/١٨١.

انظر إلى الشاعر فإنه قرن ذا العشيرة بروض القطا، وروض القطا ليس بينه وبين الصمان إلا أكثبة الدهناء، وعنترة لم يعن إلا الموضع الذي في الصمان.

ثم إني أطَلْتُ بعد ذلك البحثَ والتحقيقَ والسؤالَ والتدقيقَ فاهتديت إلى ذي العشيرة، وهو جو عظيم في الصمان كثير الأشجار والنبات، يقال له اليوم «جو عشرى» معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم، ويقع في غربي اللصافة، يبعد عنها مسافة يوم.

★ ★ ★

٤ ـــ وقال عنترة :

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فأصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ

الدحرضان الدحرضان: ماءان لبني تميم: أحدهما: يقال له اليوم حرض، وهو واقع في طريق الأحساء للسائر من الخرج، ويقال له حرض إلى هذا العهد، والثاني «وسيع» وهو ماء واقع في شرقي العرمة مما يلي مطلع الشمس على طريق الأحساء، وكان بنو تميم في الجاهلية يسكنون تلك الناحية وفي لغتهم كشكشة بإبدال السين شيناً فتسمى ذلك المنهل[1] وشيعاً، فسكنت آل مرة وبطون من يام تلك النواحي فلم تَرِثْ من بني تميم إلا الكشكشة بإبدال السين شينا، فهي تستعملها إلى هذا العهد، إذا سألتهم في هذا العهد عن هذا المنهل المذكور قالوا: وشيع، وهي لغة بني تميم، وكان الزبرقان بن بدر التميمي ينزله وينزل «بنبان» المنهل المعروف بهذا الاسم إلى هذا العهد والذي يبعد عن الرياض مسافة يوم، قال الحطيئة في هجائه للزبرقان[2]:

(١) المعروف أن الكشكشة هي إبدال كاف المخاطبة المؤنثة شينا.

(٢) المعجم ٨/٤٢٤.

وما الزبرقانُ يَوْمَ يحرم ضيفه بمحتسب التقوى ولا متوكل
مقيم على بُنْبَانَ يَمْنَعُ ماءه وماء وشيع ماء عَطْشَان مرمل

وفي نوادر أبى زياد أن وشيعا ماء لبني الزبرقان قرب اليمامة، وهو معروف عند عامة أهل نجد إلى هذا العهد يسمى وسيعا، وهو منهل ترده الأعراب وهو دحرض الثاني، وقد غَلَّبَ القوم اسم حرض على وشيع فقالوا لهما «الدحرضين» وزادوا دالاً في أولهما، وباب التغليب بابٌ واسع جداً، كقولهم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما «العمران» وقولهم للشمس والقمر «القمران» ومن هذا الكلام يتبين أن «دحرض» هو حرض المنهلُ المعروفُ في طريق الأحساء تغير عن الاسم الجاهلي تغيراً بسيطاً، وهو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد، ولهما ذكر في أشعار الجاهلية، منها قول عنترة وقد قرنهما بالديلم، والديلم: قريب من الموضعين، وسيأتي الكلام عليه، وقال الأفوه الأودي[1] وهو شاعر جاهلي مشهور :

لنا بالدحرضين محـل مجـد وأحساب مؤثلـة طمـاح

الديلم

أما الديلم: فهو بلد عظيم معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهي عاصمة الخَرْج، ولكن سقط من هذا الاسم حرف الياء، فصار اسمه «الدلم» وهو بلد عظيم، كثير المياه، كثير العيون الجارية، كثير النخيل والمزارع، تتجه إليه أكثر السيول وتمر به، ثم تتجه إلى موضع السهبى

(١) قلت: الأفوه الأَوْدِي: هو صَلاءَة بن عمرو بن مالك توفي نحو ٥٠ ق.هـ من بني أود من مذحج: شاعر يماني جاهلي، يكنى أبا ربيعة. وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره، أشهر شعره أبياته التي منها:

لا يصلـح النـاس فوضىً لاسراة لهـم
ولا سراة إذا جُهّـالهـم سادوا

الأعلام ج ٢٩٧/٣ ــ ٢٩٨.

وادي الخرج، وهو وادي نساح الذي يسقيه، وأما الأودية التي تصب فيه، فقد مضى الكلام عليها عند الكلام على قول لبيد :

* جن البدىّ رواسيا أقدامها *

وأتممنا القول عليه عند الكلام على معلقة عمرو بن كلثوم في ذكر اليمامة. وقرى الخرج كثيرة منها السيح، ونعجان، والسلمية، واليمامة، وزميقة، والعذار، وفيه مواضع بعثت في عهدنا هذا وهي: الهياثم، وهو بلد لآل عاصم بطنٍ من قحطان يرأسهم ابن حشر، والضبيعة، وهذا الاسم جاهلي بقى إلى هذا العهد، قال في معجم(١) البلدان :

هي قرية باليمامة لبني قيس بن ثعلبة، سميت بالضبيعة لأنه سكنها ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وسكانها اليوم بطن من سبيع بن عامر يقال لهم «عجمان الرخم» يرأسهم ابن هديهد. وقال في معجم البلدان على ذكر الخرج(٢):

هو واد فيه قُرىً من أرض اليمامة لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن بكر بن وائل، وهو خير وادٍ باليمامة، أرضه أرض زرع ونخل ونبات كثير، إذا كثرت الأمطار في تلك الناحية أخصبت جوانبها، قال ذو الرمة(٣) في شطر بيت :

* بنَفْحَةٍ من خُزَامىٰ الخرج هَيَّجها *

وقال جرير :

آلَوْا عَلَيها يميناً لا تكلمنا ... من غير سُوء ولا من رِيبة حَلَفُوا
ياحبذا الخَرْجُ بين الدام والأدمىٰ ... فالرمث من برقة الروحان فالغرف

---

(١) انظره ٤٢٥/٥.
(٢) انظره ٤١٧/٣.
(٣) قلت ذو الرُّمَّة: غيلان بن عُقّبَة بن نهيس بن مسعود العدوي من مضر توفي ١١٧هـ. شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره.

وفي الخرج موضع يقال له «الغرافة»[1] إلى هذا العهد لايبعد أن يكون هو المراد بالغرف في بيتي جرير المذكورين، وهما من قصيدة استشهدنا ببيت منها على ذكر الحزن وهو قوله :

ساروا إليك من السهبى ودونهمُ فيحان فالحزن فالصمان فالوكف

السهبى التي ذكرها جرير في بيته تجتمع فيها سيول تلك الناحية، وذكروا أن امرأة من أهل تلك النواحي رأت السيول في وادي حنيفة تدنو من بيتها، فكأنها خشيت أن تهدم بيتها، فقالت تخاطب السيل : دَعْ بيتي، فإن كان بك شدة فإن السهبى تقابلها وتحتملها، والسهبى تبعد عن «الدلم» أقل من مسافة يوم، وتلك الأودية التي تصب فيها ذكر أهلُ المعاجم والأخبار أنها كانت عامرة في الأزمنة القديمة، ذكروا عن وادي حنيفة أن الرجل كان لايزال يحدث الرجل ويتناقل معه الأخبار من غير ارتحال من بلد البرة إلى حَجْر اليمامة عاصمةِ تلك الناحية، وذلك من كثرة السكان والقرى، وأن وادي نساح الذي يصب في الخرج عامر بالمزارع من أعلاه إلى بلد الخرْج، وأن وادي برك الذي يصب فيه عامر من أعلاه إلى بلد الخرج، ووادي حنيفة إذا سار سيلُه يصبُّ من جهة مغرب الشمس إلى جهة مطلعها، ووادي برك يصب سيلُه من مطلع القطب اليماني قاصداً مطلع القطب الشمالي حتى يصُب في الخرج، فأما وادي نساح الذي يصب في الخرج فإنه يأتي من جهة الغرب إلى جهة الشرق حتى يصب في الخرج، وهو وادٍ عظيم قد أكثر الشعراء من ذكره، قال عرقل بن الخطيم[2] :

لعمرك لَلرُّمانُ إلى بثاءٍ فحزم الأشيمين إلى صباح
أحبُّ إليَّ من كنفي بُحَار وما رأت الحواطب من نساح

---

(١) وهو موضع غير الموضع الحديث الذي يملكه الأمير سعود بن عبد العزيز الكبير.

(٢) انظر معجم ياقوت ٢٨٤/٨.

وحَجْر والمصانع حول حَجْر وماهضمت عليه من النفاح

وحجر والمصانع ومنفوحة كلها واقعة في بلاد الرياض والخرج عمره الله في هذا العهد على يدي جلالة الملك عبد العزيز آل سعود؛ أوجد فيه المياه الغزيرة، والزروع الكثيرة، والمباني الشاهقة الحصينة، وهناك روضة واقعة بين الخرج والسّهبى يقال لها «روضة البجادية» مَدّ شطراً من مياه تلك الناحية إليها، وجرت كالنهر التيار، وطافت بها، وزُرعت على تلك المياه وغرست فيها النخيلُ، وهو آخذ الآن ـــ بحول الله ومعونته ـــ في أن يصير إلى حالة أحسن من حالته الأولى بهمة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود، وفيه جهات يتنزهون فيها طيبة الهواء، لأن أرضه خصبة، ويأتيه جلالة الملك في بعض الأوقات إذا أراد تغيير الهواء يسكن في القصور التي عمرت على الطراز الحديث وأحاطت بها الجنان والحدائق.

قالت العرب عند تخطيط الكوفة: إن العرب أهل آبال وأغنام، ولكن لايصلح لها مسكن تسكنه إلا ما يصلح لإبلها، وكذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند تخطيط الكوفة، فالخرج هو أصلح أرض للإبل.

والديلم الذي ذكره عنترة هو مدينة «الدلم» الواقعة في وادي الخرج، وفي بلاد العرب أربعة مواضع يقال لها الخرج: خرج اليمامة، وهو الذي ذكره، وخرج هجين موضع بالصمان، وقد مر ذكره عند الكلام على ذي العشيرة على قول الزبيري :

جَعَلْنَ يميناً ذا العُشَيرة كله وذات الشمال الخرج خرج هجين

والفرق بين خرج اليمامة وخرج هجين أن خرج اليمامة مفتوحة خَاؤه وخرج هجين مضمومة خاؤه، والخرج الثالث موضع قريب المدينة مما

يلى النقيع، وهو مضموم الخاء كالذي قبله، وهو مجاور لبلاد بني سليم، بينه وبين جبل برام مسافة يوم، قال كثير:

أأطلال دارٍ مَنْ سُعَاد بيلبن وَقَفْتُ بها وَحْشاً كأنْ لَمْ تدمن
إلى تَلَعَاتِ الخَرْج غَيَّر رسْمَهَا همائم هطال من الدلو مُدجن

وأنت ترى أن كثيراً قد قرن يلبن بالخرج، وقد قرن يلبن ببرام في كلمة أخرى، وبرام مشهور أنه بين النقيع وبلاد بني سليم، وهذا قول كثير الذي ذُكر فيه يلبن وبرام[١]:

وأسألُ سلمىٰ والشباب الذي مضى وفاة ابن ليلى إذ أتاك خبيرها
فلست بناسيه وإن حيل دونه وحال بأحواز الصحاصح مورها
وإن نظرت من دونه الأرض وانبرى لنكب رياحٍ هبَّ فيها حفيرها
حياتى مادامت بشرقِّى يَلْبَـن برام وأضحت لم تسر صخورها

وقال أبو قطيفة[٢] وقَرَنَ يلبن ببرام:

ليت شعرى، وأينَ منىَ ليت أعَلَى العهـدِ يلبـن فبـرام

فالخرج الثالث الذي ذكره كثير موضع حجازي، وأما الخرج الرابع فهو بفتح الخاء والراء، وهو جبل أسود شرقي منهل سجا، منقاد إلى الجهة الشمالية حتى يقرب من عفيف، ويتصل بالجبال السمر الواقعة على ماءة عفيف، تسميها عامة أهل نجد الْخَرَجْ، والجبل الأسود الذي في طرف الْخَرَجْ الجنوبي يقال له «خرجاء» وبها بئر حديثة يقال لها «خرجاء» وقد أكثر الشعراء من ذكر هذه المواضع، قال الحكم الخضري[٣] :

---

(١) انظر معجم البلدان ٥١٣/٨ وديوان كثير ١٠٧/٢.
(٢) قلت: أبو قطيفة، هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي القرشي توفي نحو ٧٠هـ. شاعر رقيق الشعر. انظر الاعلام ج ٢٦٢/٥.
(٣) المعجم ٤١٦/٣.

لو أن الشمَّ من ورقاءَ زالت وجدتُ مودتـي بك لاتَـزُولُ
فقل لحمامة الخرجاء سَقْيـاً لظلك حيث أدركك المَقِيـلُ

وقال ابن مقبل :

يذكرني حُبّىٰ حنيف كليهمـا حمام ترادى في الركيِّ المعورا
ومالِيَ لا أبكي الديارَ وأهلَهَا وقد رادها رُوَّاد عك وحميرا
وإن بني الفتيان أصبح سربُهمُ بخرجاء عبس آمنا أنْ يُنَفَّرا

وقد نسب ابن مقبل خرجاء لبني عبس، وهي ليست في بلادهم، ولكن يحتمل أن ابن مقبل حين قال هذه القصيدة رأى بني عبس متربعة قريبَ هذا الجبل، وأما بلاد عبس فهي واقعة في بلاد غَطَفان شمالي أبانين وغربي الجواء وشرقيَّ النقرة، وقد قال شاعر من العرب :

* ليس لعبس جبل غَيْرُ قطـن *

وقد أوردنا هذا الشطر على ذكر قطن، ويحتمل أن يكون في بلاد بني عبس موضع غير هذا يقال له «الخرجاء» وأنا لا أعرفه في هذا العهد.

★ ★ ★

٥ ــ وقال عنترة :

أبْقى لَهَا طُولُ السِّفَار مُقَرْمَداً سَنَداً وَمِثْلَ دَعَائِمِ الْمتَخَيِّـمِ
بَرَكَتْ عَلَى مَاءِ الرِّدَاعِ كأنَّمَا بَرَكَتْ عَلَى قَصَبٍ أجَشَّ مَهضَّمِ(١)

الرداع الرداع: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد بين هَضَبَات الجثوم وهضبات المكيلي، وهي هضبات صغار سود يقال لها «الرداع» بها ماءة قليلة موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد، معروفة في بلاد بني عبد الله بن

(١) هذه رواية التبريزي، وذكر أنه يروى «بركت على جنب الرداع».

غَطَفان، وهذا الموضع الذي ذكرنا تحديده يبعد عن الدُّحْرُضَين والديلم، وذلك مستفاد أيضاً من كلام عنترة لأنه يقول :

شربت بماء الدحرضين وأصبحت زَوْرَاء تنفر عن حياض الديلم

ثم قال :

*** بركت على جَنْب الرداع كأنما ***

والمسافة بعيدة بين بعض تلك المناهل وبعضها الآخر، فأما الأعشى — وهو رجل من أهل اليمامة — فإنه يقول[1] :

فإنا قد أقمنا إذ فشلتم وإنا بالرداع لمن أتانا
من النعم التي كخراج أبلى تحش الأرض شيما أو هجانا

فيحتمل أن يكون «الرداع» في كلامه موضعاً باليمامة، لكنك إذا تبصرت وجدته قد ذكر أبلى في البيت الثاني، وأبلى قريب من الرداع الذي ذكرنا أنه في بلاد بني عبد الله بن غَطَفان، وقال لبيد :

وصاحب ملحوب فجعنا بموته وعند الرداع بيت آخر كَوْثَر

أشار لبيد بن ربيعة العامري إلى قبر شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، مات بوادي الرداع، وقبره هناك، وهو من سادات بني عامر، وصاحب ملحوب هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب مات بملحوب، وفي اليمن مخلاف يقال له «رداع» وهو من المخاليف النافذة من اليمن إلى جهة نجد، قال الصليحي اليمني يصف خيلاً:

حتى إذا جزنا رداع ألانها بَلُّ الجلال بماء ركض مرهج

وذكروا أن وادي النمل في ذلك المخلاف، وهو الوادي الذي نزل فيه

---

(١) انظر معجم البلدان ٢٤٣/٤.

القرآن الكريم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[1] والرداع الذي ذكره عنترة هو الرداع الواقع بين الجثوم والمكيلي شمالي وادي الجرير الذي كانت العرب تسميه في الزمن القديم «الجريب» على بعد يوم، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد.

والمواضع التي تسمى الرداه ـ بإبدال العين هاء ـ كثيرة في بلاد العرب لايحصيها الحصر. (انتهينا من المواضع التي ذكرها عنترة في معلقته).

---

(١) قلت الآية من سورة النمل الآية ١٧. وقلت أيضاً القول بأن وادي النمل في ذلك المخلاف فيه نظر، والله أعلم على كل حال.

٧

الحارِثُ بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيُّ

الحارث بن حلزة اليشكرى[1]

هو الحارث بن حِلِّزة الذي ينتهي نسبه إلى يَشْكُر بن بكر بن وائل، هلك سنة ٥٢ قبل الهجرة وهذا مطلع قصيدته وهي المعلقة السابعة :

١ ـــ آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أسْمَاءُ   رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ
بَعْدَ عَهْدٍ، لَنَا، ببُرْقَةِ شَمَّا   ءَ فأدْنَىٰ دِيَارِهَا الْخَلْصَاءُ
فَالمحَيَّاةُ، فَالصِّفَاحُ فأعْنَا   قُ فِتَاقٍ، فَعَاذِبٌ، فَالْوَفَاءُ[2]
فَرِيَاضُ الْقَطَا، فَأوْدِيَةُ الشُّرْ   بُبِ فَالشُّعْبَتَانِ فَالأَبْلَاءُ
لَا أرَى مَنْ عَهِدْتُ فيها فأبْكِي الْيَوْمَ دَلْهاً، وَمَا يُحِيرُ الْبُكاءُ[3]؟

برقة شماء

برقة شماء: شماء هضبة حمراء من أخيلة الحمى، سميت شَمّاء لطولها، وبرقتها مضافة إليها، وهي واقعة بين شعر وجبل الأكيثال، وهذا التحديد هو ما ذكروه عنها، وأنا لا أعرفها بهذا الإسم في هذا العهد، ولكني أعرف بهذا الاسم في هذا العهد تَلْعة في شرقي جبل ثهلان يصبُّ سيلُها في وادي الشعرى يقال لها «تلعة شماء» والذي يظهر من كلامهم أن شماء هضبة لها برقة مضافة إليها، وفي اللغة إذا كان الجبل طويلا قيل «جبل أشمّ» والهضبة الطويلة يقال لها «شماء» وقد ورد لهذه الهضبة ذكر في غير معلقة الحارث.

الخلصاء

الخلصاء: موضع بالدهناء قريبُ حُزْوَى، معروف عند أعراب تلك

(١) قلت انظر مصادر ترجمته في : الشعر والشعراء ١٩٧/١، الأغاني ٣٧/١١، وفي رجال المعلقات ٢٣١، توفي سنة ٥٢٠ وقيل ٥٨٠وقيل ٦٥٠م.
(٢) يروى «فالحيا فالصفاح» ويروى «فأعلى ذي فتاق».
(٣) يروى «ومايرد البكاء؟» وهي بمعنى ماأثبتناه.

الناحية بهذا الاسم إلى هذا العهد، قال ذو الرمة[1]:

ولم يَبْقَ بالَخلصاء مما عَنَتْ به   من الرطب إلا يبسها وهَشِيمُهَا

وقال أيضاً من قصيدة أخرى له :

أشْبَهْنَ من بَقَر الخلصاء أعْيُنَهَا   وهنْ أحسن من صيرانها صُوَرَا

وهي معروفة بكثرة الظباء، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

المحياة المحياة: هضبة شاهقة إلى السماء شرقي أبان، جنوبي النبهانية على ضفة وادي الرمة الجنوبية باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقال لها «محيوة» أبدلت الألف واواً، وهي معروفة في قديم الزمان وحديثه، قال الراعي[2]:

ونكَّبْنَ زُوراً عن مُحَيّاة بعدما   بدا الأثل أثل الغينة المتجاور

قال الأصمعي في كتاب جزيرة العرب: قال رُوَيْشِد الأسدي الذي جر المهاجاة بين بني أسامة ــ وهم من وَالبة ــ وعامر بن عبد الله ــ وهم من بني عمرو بن قُعَين ــ قال على لسان الأسامي:

نحن بنو أسام أيسار الشّاه   فينا رفيع وأبو محياه

★ وعَسْعَسٌ نعم الفتى تَبَيَّاه ★

أي يأتيه لحاجته ينتجعه، وبأبى محياة هذا سميت محياة، وهي ماءة لأهل النبهانية، هذا هو آخر رواية الأصمعي عنها في كتابه «جزيرة

(١) انظر معجم البلدان ٣/٤٥٥.

(٢) انظر معجم البلدان ٧/٤٠١. وقلت والراعي، هو الراعي النميري، محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة الثقفي النميري شاعر غزل توفي نحو ٩٠هـ. انظر الأعلام ج ٧/٨٩.

العرب» أما الاسم الذي يعرفه الناس فإنه يطلق على هضبة يقال لها اليوم «محيوة» وفيَ أصل تلك الهضبة مياه كثيرة لايبعد أن تجري على ظهر الأرض بعثها الذويبي الْحَرْبي صاحبُ بلد الشبيكة، وقد عَزَم على غرس النخيل الكثير فيها والزروع الوافرة لما رأى كثرة مائها.

الصفاح الصِّفاح ــ في اللغة يطلق على سفح كل جبل أو كثيب صفحته، فصفحته: جانبه، ويطلق لفظ الصفحة على جانب السيف، والموضع الذي يقال له الصفاح معروف في حدود الجبال المشرعة على وادي المغمس، وهي آخرها، يتركها قاصد مكة على شماله، قال الفرزدق للحسين ابن علي لما لقيه في توجهه إلى العراق(١) :

لقيتُ الحُسَين بأرض الصفاح عليــه اليلامــق والــدرق

وقال ابن مُقْبل في مرثيته لعثمان بن عفان رضي الله عنه حين قتل :

عفا بَطِحَانُ من سليمى فيثرب فملقى الرحال من مِنًى فالمُحَصَّبُ
فعُسْفَان سر السر كل ثنية بعسفان يأويها مع الليل مِقْنَبُ
فنعف وَدَاع فالصفاح فمكـة فليس بها إلا دماء ومحرب

ونعف وداع: موضع قريب نعمان، والصفاح الذي ينطبق عليه هذا الاسم بهذا الوزن هو هذا الموضع، وفي نجد موضع يقال له الصفاح ــ بضم الصاد وتشديد الفاء ــ وأصل الصفاح: نوع من الحجارة العريضة، قال النابغة:

★ ويوقد بالصُّفّاح نار الحباحب ★

فتاق أعناق فتاق ــ عنق كل شئ: أعلاه، وفتق: جبل به ثنية يسلكها القاصد

(١) انظر معجم البلدان ٣٦٦/٥ وليس بيت الفرزدق موجوداً في ديوانه، وعجزه ليس تام الوزن.

إلى بلد حائل في القَصيم، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو الذي عناه الحارث بن حِلِّزة، ذكر أعناق ذلك الجبل، وفتاق باق إلى اليوم باسم «فتق» وهو قريب جداً من اسمه القديم، قال الأعشى[١]:

أتاني وغور الحُوش بيني وبينه كرادِسُ من جنبى فتاق فأبلقا

وقال الراعى :

تبصر خليلي هل ترىٰ من ظعائن تحملن من جنبى فتاق فثهمد

وقال زيد الخيل الطائي في ذكر هذا الموضع؛ لأنه واقع في بلاد قومه[٢] :

منعنا بين شَرْق إلى المَطَالى بحيٍّ ذى مكابرة عَنُود
نزلْنَا بين فتق والخِلَاقى بحيٍّ ذى مُدَارأة شديد
وحَلَّت سِنْبِس طلح الغباري وقد رغبت بِنَصْرِ بني لَبِيِد

عاذب عاذب: موضع في الصَّمّان، به مواضع تحتبس المياه، وقد أكثرت الشعراء من ذكره، وهو قريب من موضع يقال له رهباء وقريب الأواعس، وجميع هذه المواضع ــ عاذب، ورهباء، والأواعس ــ كلها في الصمان، قال جرير في هجائه للفرزدق[٣]:

وما ذات أرواق تصدَّى لجؤذر بحيث تلاقى عاذب فالأواعِسُ
بأحسن منها يوم قالت: ألا ترى لمن حَوْلَنَا فيهم غيور ونافس
إلم تر أن الله أخزى مُجَاشعا إذا ماأفاضت في الحديث المَجَالِسُ
فما زال معقولا عقال عن الردى ومازال محبوساً عن المجد حابِسُ

(١) انظر معجم ياقوت ٣٣٨/٦.
(٢) الذي في معجم ياقوت في أبيات زيد الخيل «فتك» بالكاف موضع القاف.
(٣) المعجم ٩٢/٦.

وواحد الأواعس: أوعس، وعساء، وقال ذو الرمة:

أيا ظَبْية الوعساء بين جلاجل وبين النّقَا، أأنت أم أم سالم؟

جُلَاجل: بلد معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، به نخل وزروع، ذكرناه على ذكر اليمامة، ووادي جلاجل: بين وادي سدير ووادي المشقر الذي يصب عند بلد المجمعة.

والنقا: موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو أكثبة مرتكمة في الدهناء يقال لها النقيان.

الوفاء: معطوف على عاذب، ولم أعثر على موضعه بهذا الاسم، وصاحب معجم البلدان لم يحدده، إلا أنه قال[١]: هو موضع في شعر الحارث. **الوفاء**

ورهبى التي تقرن بهذه المواضع أكثر شعراء بني تميم من ذكرها، قال شاعر[٢] منهم في شطر بيت:

*** على جُمْد رَهْبىٰ أو شخوص خيام ***

والجمد: يطلق على الجبل الصغير، وقال العجاج في أرجوزته:

*** تُعْطِيــه رَهْبَاهــا إذا ترهّبــا ***

وقال جرير:

ألا حَيِّ رَهْبىٰ ثم حى المَطَاليا فقد كان مأنوساً فأصبح خاليا
فلا عهد إلا أن تَذَكَّرَ أو ترى ثُمَاماً حوالى منصب الخيم باليا

---

(١) المعجم ٨/٤٢٨.

(٢) انظر معجم البلدان ٤/٣٤٢.

وأخرى إذا أبصرت نجداً بداليا إلى الله أشكو أن بالغور حاجة
وحَنَّتْ جمال الحى حنت جماليا إذا ما أراد الحي أن يَتَزَيَّلُوا
إلينا هوى ظمياء حُيِّيتَ واديا ألا أيها الوادي الذي ضَمَّ سيلُه
فطارت برهْبىٰ شعبةٌ من فؤاديا نظرت برَهْبىٰ والظعائن باللِّوَى

وقال جواس بن القعطل الحنائى:

إلى واحف تزورها ومجالها برَهْبىٰ إلى روض القذاف إلى المعا

وقد قرن هذا الشاعر رهبى بالمعا، والمعا معروف بهذا الاسم في الصمان، وهو دحل يمسك الماء.

رياض القطا

رياض القطا: قد اختلف أهل الأخبار والمعاجم في موضعها، وهي الآن الرياض الواقعة في ضفة الدهناء الغربية، تصبُّ عليها سيولُ العرمة، وشماليها تصب عليه سيول مجزل، وهي تمسك الماء منذ الزمن القديم إلى هذا العهد. وهذه يَرِدُهَا القطا، فسميت «رياض القطا» روضة التنهاة، وروضة خريم، وروضة نورة، جميعُ هذه الرياض من رياض القطا، فأما تنهاة فهي اسم لأكثبة منقطعة من الدهناء، فأضيفت هذه الروضة إلى هذه الأكثبة فقيل لها «روضة التنهاة» وهي من منازل بني تميم، قالت صفية[1] بنت خالد المازني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وهي يومئذ بالبشر، تتشوق إلى أهلها وبلادِ قومها وهي من أشعر النساء:

نظرت وأعلام من البشر دونها
بنظرة أقنىٰ الأنف حُجْن المخالب

سما طرفُه وازداد للبرد حدة
وأمسى يروم الأمر فوق المراكب

(١) انظر معجم البلدان ٢/٤١٨.

لأبصر وَهْنــــاً نارَ تنهـــــاة أوقــــدَتْ
بروض القطــا والــهَضْب هضب التنـــاضب

ليالينـــا إذ نحـــن في الحَـــزْن جيـــرة
بأفيـــح حر البقـــل سَهْـــل الـــمشارب

ولـــم يحتمـــل إلا أبـــاحت رماحنـــا
حمــــى كل قوم أحـــرَزوه وجـــانب

وهذا من أحسن الدلائل وأجودها لأنها حين قالت :

لأبصر وهنـــا نار تنهـــاة أوقـــدت
بروض القطـــا والـــهضب هضب التنـــاضب

ذكرت أن نار تنهاة أوقدت بروض القطا، وثمة دليل آخر على صدق هذا التحديد، وهو قول الأعشى في معلقته:

حتى تَحَمّل منه الماء تكلفة روضُ القطا فكثيبُ الغينة السهل

كثيب الغينة السهل هو الذي يسمى اليوم نفيد بنبان، وهو كثيب الغينة، لأن الغينة تغير اسمها قليلاً فصار «غيانة» وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، مجاورة لهذا الكثيب، بها نخل وزروع، وقد تقدم الكلام عليها عند ذكر اليمامة على ذكر وادي أبو قتادة.

ورياض القطا هي كما حَدَّدنا في أول هذه العبارة بين الدهناء والعرمة، وقد أكثر الشعراء من ذكرها، قال[1] الحطيم المحرزى :

وهـل أهبطَنْ روضَ القطــا غيـر خائــف
وهـل أصبَحَنَّ الدهْرَ وَسْطَ بنــى صخـــر

(١) انظر معجم البلدان ٤/٣٢١.

وقال عمرو بن شاس الأسدي :

غشيت خليلي بين قَوٍّ وضارج فروض القطا رَسْماً لأم المسيب

وقال الأخطل :

وبالمعرسانيــــات حلّ وأرزمت بروض القطا منه مَطَافِيلُ حُفَّل

وقال أعشى بنى تغلب :

عفـا لَعْلَـع فريـاض القطـــا فجنب الأساود من زيـــنب

وقال الأخطل :

عفا واسط من أهله فَمَذَانِبُهْ فروض القطا صحراؤه فنصائبه

هذه أشعار شعراء مختلفين في الألفاظ على اختلاف قبائلهم وأنسابهم وأوطانهم، فمنهم من ذكر روض القطا في الصمان، ومنهم من يصفه بأنه واقع في طريق الحجاز، ومنهم من ذكر أنه بطريق الشام، وللجمع بين هذه الروايات نعتقد أنهم كانوا يسمون كل روضة تمسك الماء في أي ناحية من النواحي ويردها القطا بهذا الاسم[1]، فأما رياض القطا التي وضع لها هذا الاسم فهي المشهورة عند عامة العرب وهي: روضة التنهاة، وروضة خريم، وروضة نورة، وجميع هذه الرياض بين العرمة والدهناء كما قلناه.

قال ياقوت في معجمه[2]: أنا وجدت في كتاب أبي جعفر محمد بن إدريس بن أبي حفصة على ذكره مناهل اليمامة قال: إذا خرجت تريد البصرة فأول ما تطأ السفح، ثم الخربة، ثم قارات الحبل، ثم بطن السلى، ثم طار، ثم عيان، ثم روض القطا، ثم العرمة، وهذه كلها من أرض اليمامة.

---

(١) وهكذا رأي ياقوت (انظر المعجم ٣٢٢/٤).

(٢) انظر المعجم ٣٢٢/٤.

وقد غلط الرواة في تقديم رياض القطا على العرمة، ورياض القطا كما ذكرنا بين الدهناء والعرمة.

أودية الشربب

وأودية الشربب، والشعبتان، والأبلاء: هذه المواضع الثلاثة كلها متصل بعضها ببعض[1]، ولاتكون أودية الشربب إلا من أودية الشربَّة، وهي واقعة بين الشعبتين اللتين ذكرهما الحارث، ولا أعلم أحداً من العرب ذكر الشربب بهذا الوزن وهذا اللفظ إلا الحارث في معلقته، وأرطاة بن سهية حين قال:

أجليت أهل البرك من أوطانهم والخمس من شعبى وأهل الشربب

وألجأت الشاعر الضرورة حتى قال «الشربب» وليس هناك موضع مشهور عند العرب إلا الشَّرَّبَّة، وقد مضى الكلام عليها في أشعار امرىء القيس على قوله:

تَخَطَّفُ خِزَّانُ الشربَّةِ بالضحى وقد حجرت منها ثعالب أورال

وهذا البيت من قصيدة مطلعها:

*** ألا عِمْ صباحا أيها الطللُ البالى ***

عود إلى ذكر الشربة

والشربة: قد ذكرناها، واستقصينا الكلام على ذكرها، ولكن لما عرض لنا هذا البيت أحببت أن أزيد القارئ إيضاحاً:

الشربة: أسفلها عريق الدسم الواقع غربي شعبى، وأعلاها من عدنة إلى أبلى، أما عدنة المشهورة عند العرب بهذا الاسم فهي اليوم معروفة باسم «بدنة» وجميع هذه الأودية تصب في وادي الجريب من شماليه، والأودية التي تصب في وادي الرمة من جنوبيه هي من أودية الشربة ولا يبعد أن الأودية التي ذكرها الحارث في تلك الناحية؛ لأنه قرنها بأبلى والشعبتين.

(١) انظر المعجم ٢٤٨/٥.

الشعبتان

أما الشعبتان فمعروفتان بهذا الاسم عند عامة أهل نجد إلى هذا العهد، وهما واديان عظيمان تأتي سيولهُما من الجهة الشمالية من جنوبي بلاد طي، وتَمُرُّ ببلاد بني أسد، وتصب في وادي الرمة، وهاتان الشعبتان معروفتان لقوم من الأسلم من شمر تملكوهما من العهد القديم إلى هذا العهد ولا يزالون يتنقلون فيهما من محل إلى محل، وتأتيهما السيولُ من قريب سَلْمَى ورمان ثم تتجه حتى تصب في وادى الرمة، وتلك القبيلة التي تتربع فيهما وتتجول في نواحيهما يقال لهم آل البعير حتى إن فارسهم في المعارك يعتزى[1] إليهما وهو على ظهر جواده، فيقول: خَيَّال الشعبتين بعيريّ فينتسب لآل بعير قبيلتِهِ، وهم بطن من الأسلم من شمر، وقبيلة شمر تنقسم إلى أقسام منها قبيلتان اختصتا بالجبلين أجأ وسلمى؛ فقبيلة الأسلم اختصت بسلمى، وقبيلة عبدة اختصت بأجأ، وهاتان القبيلتان أهلُ الجبلين، والشعبتان معروفتان عند جميع أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد.

---

(١) هذه عادة عامة عند أهل نجد، بل عند العرب جميعهم، كقول رسول الله ﷺ يوم حنين:

انا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب.

وجميع قبائل نجد كل قبيلة لها سمة تعرف بها في القتال، فعزوة مليكنا وعشرته في المعارك وغيرها: خيال العوجا وأنا ابن مقرن، ولولا الإطالة لوضحت سمة كل قبيلة التي تعرف بها، ولكن أحببت أن أذكر شيئاً من ذلك حتى يتضح للقارىء: من قحطان قبيلة آل روق، وعزوتهم: مبعد مساريح البكار وأنا ابن روق، الخنافر: خيال الرحمان وأنا ابن دراج، آل عاطف عزوتهم: خيال سمحات الوجية وأنا ابن عاطف، وسمحات الوجيه في هذه العزوة الإبل، ومن قبيلة عتيبة المقطة قبيلة محمد بن هندى عزوتهم: خيال الرحمان كريزى،. وقبيلة النفعة ذوى زياد: خيال الحرشا زيود، والحرشا: اسم ناقة، والمساعيد: خيال الشرفا مسعودى، الشرفا: اسم ناقة، ومن قبيلة الروقة آل محيا من الحناتيش: خيال الحردا، وأنا أخو غزوا، غزوا: أخت للمعتزى، ومن مطير قبيلة الدوشان: خيال الرحمان وأنا ابن مدوش، والجبلان من قبيلة مطير: خيال صبحى جبلي، وصبحا: جبل في عالية نجد الجنوبية.

أَبْلى: قد وعدنا فيما سبق أنا نذكرها عند الكلام على معلقة الحارث بن حلزة، وإني أعرفها كما أعرف بلادى، وهي جبالٌ سود متصل بعضها ببعض، متاخمة لجبل كشب مما يلي جهته الشمالية، وهي قريبُ القرى الواقعة في شرقي الحرة، وهي: صفينة، والسويرقية، وماءة الجريسية واقعة في وسط جبال أبلى، وهي معروفة بهذا الإسم إلى هذا العهد، وأحببت أن أورد ماورد فيها قال في معجم البلدان[1]: وقال عرام بن أصبغ السلمي في كتابه:

تمضي من المدينة مُصْعِدا إلى مكة فتميل إلى وادٍ يقال له عريفطان معاً ليس له ماء ولا مرعى، وحذاؤه جبال يقال لها أبلى، هذا كلام عرام. وهو صحيح، ولكن السالك من المدينة إلى مكة يترك أبلى على شماله، ثم قال :

أبلى فيها مياه: منها بئر مَعُونة، وذو ساعدة، وذو جماجم أو حماحم، والوسباء، وهذه لبنى سليم وهي قناة متصلة بعضها ببعض، قال فيها الشاعر: أبلى

ألا ليت شعري هَلْ تغير بعدنا أروم وآرام فشابة فالْحُضْرُ
وهل تركت أبلى سوادَ جبالها وهل زال بعدي عن قُنينته الحجر

وعن الزهري أنه قال: بعث رسول الله ﷺ قِبَلَ أرض بنى سليم، وهو يومئذ ببئر مَعُونة بجُرْف أبلى، وأبلى بين الأرحضية وقرَّان، كذا ضبطه أبو نعيم، هذه رواية صاحب معجم البلدان، فأما الأسماء الوارد ذكرها هذين البيتين: أروم، وآرام، وشابة، والحضر، وأبلى، وقنينة الحجر، فجميعها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، وأنا أعرفها، وهذه رواية أبي عبيد البكري في معجم ماستعجم[2] برمتهما: أبلى هي جبال سود على طريق الآخذ من

(١) انظره ٩٠/١ وفيه «عريفطان معن».
(٢) انظره ٩٨/١.

مكة إلى المدينة على بطن نخل، وأبلى حذاء وادٍ يقال له عريفطان، قد حددتُه في رسم «ظلم» وبأبلى مياه كثيرة: منها بئر معونة، وذو ساعدة، وذو جماجم أو ذو حماحم، هكذا قال، وحذاء أبلى في غربيها قُنَّة يقال لها الشَّورة لبني خُفَاف من بني سليم، وماؤهم آبار يزرع عليها، ماء عذب، وأرض واسعة، وكانت بها عين يقال لها النازية، بين بني خُفَاف وبين الأنصار تضارُّوها فسدُّوها بعد أن قتل في شأنها ناس كثير، وكانت عيناً ثَرَّة، وطلبها السلطان مراراً بالثمن الجَزْل فأبوا عليه، وحذاء أبلى من شرقيها جبلٌ يقال له ذو المَرْقَعَة، وهو معدن بنى سليم، تكون فيه الأَرْوىٰ[1] كثيراً، وفي أسفله من شرقيه بئر يقال لها الشقيقة، وتلقاءه عن يمينه من تلقاء القِبْلة جبل يقال له أحامر، وهذه الجبال تضرب إلى الحمرة، وهي تنبت الغَرْبَ والغَضْوَر والثُّمام، وهناك تِعار والأخرب: جبلان لا يُنبتان شيئاً، قال الشاعر:

بليت ولا يبلى تِعَارٌ ولا أرى ... ببئر ثُمَيْل نائياً يتجدد
ولا الأخربُ الداني كأنَّ قِلَاله ... بَخاتٍ عليهنَّ الأجلَّةُ هُجَّدُ

وقال كثير :

أحبك مادامت بنَجْدٍ وشيجةٌ ... وما أنبتت أبلى به وتِعَار

وقال الشماخ :

فباتت بأبلى ليلةَ ثم ليلةً ... بحاذَةَ واجتابت نَوىً عن نواهما

(حاذة: باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد) وتجاوز عين النازية فترد مياها يقال لها الهَدَبية، وهي آبار ثلاث ليس لها نخل ولا شجر، في بقاع واسعة بين حَرَّتين، تكون ثلاث فراسخ عَرْضاً في طول ماشاء الله أن يكون، أكثر نباتها الحَمْض، وهي لبني خفَاف، ثم تنتهي إلى السُّوَارقيه على ثلاثة أميال من عين النازية، وهي قرية لبني سليم فيها مِنْبر، ويستعذبون الماء من وادٍ يقال له سُوَارق، ووادٍ يقال له الأبطن، ماءً عذباً، ولهم مزارع واسعة

ونخل كثير وفواكه جمة من الموزِ والتين والعنب والرمان والسفرجل والخوخ، وحَدُّها ينتهي إلى ضَرِية، وحواليها قُرَى منها قِيًّا، بينهما ثلاثة فراسخ، وهي كثيرة الأهل والمزارع والنخيل، قال الراجز:

ما أطْيَبَ المذق بماء قِيَّا وقد أكَلْتُ قَبْلَهُ بَرْنِيَّا

وقرية يقال لها الملحَاء، سميت بالملحاء بطنٍ من حَيْدَان، وهي في بطن وادٍ يقال له قَوْران يصب من الحرة، فيه ثلاثة آبار عذاب ونخلٌ وشجر، وحوليها هضابٌ يقال لها هضبات ذي مَجَر قال الشاعر:

★ بِذِى مَجَرٍ أسْقِيتُ صَوْب غوادى ★

وذو مجر: غديرٌ بينهن كبير في بطن قَوْران، وبأعلاه ماء يقال له لِيث، آبار كثيرة عذبة ليس لها مزارع لِغِلظَ موضعها وخشونته وفوق ذلك ماء يقال له شَسّ، آبار كثيرة، وفوق ذلك بئر يقال لها ذات الغار، أغزرها ماء وأكثرها، تسقى بواديهم، قال ابن قَطَّاب السلمي:

لقد رُعْتُمونى يوم ذي الغار رَوْعَة بأخبار سوء دونهنَّ مَشِيبى
نَعَيْتم فتى قيسٍ بن عيلان عَنْوة وفارسَهَا، تَنْعُونَه لحبيب

وحذاء هذا الجبل جبل يقال له أقراح، شامخ، لا ينبت شيئاً، كثير النمور والأروى، ثم تمضي من المَلْحاء فننتهي إلى جبل يقال له مُعَان، في جوفه أحساء ماء: منها حِسْى يقال له الهَدَّار، يفور بماء كثير، بحذائه حاميتان سوداوان، في جوف إحداهما مياه مِلْحة يقال لها الرَّفْدة حواليها نخلات وآجام يستظل بها المار، شبيهة بالقصور، وهي لبني سُلَيم، وبإزائها شُوَاحط، وهو مذكور في موضعه، انتهى من معجم ما استعجم بحروفه.

وهذه الأسماء التي ورد ذكرها في رواية أبي عبيد البكري قد تغير اسم

الكثير منها، وبقيت منها أسماء لم تتغير: منها جبل أحامِر، وهو جبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد غربي أبلى، والسوارقية: معروفة أيضاً بهذا الاسم إلى هذا العهد، وحاذة: معروفة أيضاً بهذا الاسم إلى هذا العهد، ومعدن بني سليم معروف إلى هذا العهد، وقد بُعِث في هذا العهد الحديث، وتجد فيه اليومَ العمالَ بآلاتهم العظيمة والمهندسين لاستخراج الذهب منه بأمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود.

فأما ما ذكره أبو عبيد البكري في قوله «وحدها ينتهي إلى ضَرِية» فهذا خطأ بين، فإن بينها وبين ضرية مسافة خمسة أيام، جميعُ الشَّرَبة وأوديتها وما وقع من الأودية والجبال والمياه بين وادي الرمة ووادي الجريب حاجزةٌ بين ضرية وبين أبلى، وأبلى: معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد عند عامة أهل نجد، وهي واقعة في القطعة الشمالية الغربية من عالية نجد، شرقيُّها في الجاهلية وفي الإسلام لبني عبد الله بن غَطَفان، وغربيها لبني سُلَيم، ويعد معدن بني سليم قطعةَ منها، والجبالُ المحيطة بها تضاف إليها، فيقال لها: جبال أبلى، فأما أبلى نفسُها فهي جبال سودُ متصل بعضُها ببعض يقطعها السالك في ساعتين.

★ ★ ★

٢ ــ قال الحارث بن حِلِّزة :

وَبِعَيْنَيْكَ أَوْقَدَتْ هِنْدُ النَّا ... رَ أَصِيلاً تُلْوى بِهَا الْعَلْيَاءُ[1]

فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ ... بِخَزَازَى، هَيْهَاتَ مِنْكَ الصِّلَاءُ[2]

خزاز العلياء في هذا البيت خاصةً: هي أرض مرتفعة من خَزَازي أو من حوله، وأما خزاز فقد مضى الكلام عليه في معلقة عمرو بن كلثوم، وأوضحنا أن يوم خزاز المشهورَ عند العرب هو أول يوم هزمت فيه بنو

---

(١) هذه رواية التبريزي، وذكر أنه يروى «أوقدت هند النار أخيراً».

(٢) في رواية التبريزي «بخزاز» وذكر الأخرى.

عدنان القحطانيين، وللحارث بن حلزة صاحب هذه المعلقة امتياز على شعراء المعلقات؛ لأنه لم يحضر يوم خزاز من شعراء المعلقات أحد غيره، وكانت الرآسة في ذلك اليوم لربيعة على جميع العدنانيين.

وذكروا أن كليباً كان في ذلك اليوم هو الرئيس المطاع، وهو الذي أَلَّبَ بطونَ العرب من ربيعة ومضر، فلما جاء النصر أَذْعَنَتْ له العدنانيون، فكان هو الرئيس المطاع؛ فحَمَى بعد ذلك حمى ضرية، ومنع العرب من دخوله، فسمى الحمى بعدما حماه «حمى كليب» فزاد به العُجْب والتكبر على العرب، فكان في بلاد العرب إذا نزل ماء من السماء في الحمى أو في غيرِه انتجع إليه، وحماه، ونزل به، فلما تجبر صَرَعَه تجبره حتى أورده حمامه، قتله ابنُ عمه. حمى كليب

وخزاز هو الجبل المعروف قريب بلد دخنة، وهو باقٍ بهذا الإسم إلى هذا العهد، يعرفه به عامة أهل نجد، وهو يعد من أخيلة المخامر، وإنما سميت تلك القطعة المخامر لأنها جبال متفرقة وآكام ورضمٍ مَنْ دخلها خمر بها، وهذه لغة عامة أهل نجد يسمون الوادي الملتفّ بالشجر خماراً، وإذا دخلت الأرنب في الشجرة قالوا: أخمرت، وقال في القاموس: خَمِر ـــ كفرح ـــ توارى كأخمر، وأخمرته الأرض عنى ومنِّى وعلى: وَارَتْه، فسميت المخامر بهذا المعنى، وهي قطعة من الأرض يبعد بعضها عن بعض مسافة يوم ونصف يوم، شماليُّها مما يلي الرمة، وجنوبيُّها مما يلي وادي نفى، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

٣ ـــ وقال الحارث بن حلزة :

أَوْقَدَتْها بَيْنَ الْعَقِيق فشَخْصَيْنِ بِعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِّيَاءُ

ذكر الحارث بن حلزة أنه تَنَوَّر تلك النار وهو في خزاز الذي ذكره، وهو بين شخصين والعقيق، فلا تكون النار إلا في جبال بني عبد الله بن

غَطَفان الواقعة بين شمالى كشب والعقيق، والعلياء ــ على هذا ــ لاتكون في خزاز ولا في نَوَاحيه، بل تكون في تلك الناحية التي أوقدت النار في رأسها.

الشخصان أما الشخصان فهضبة أصلُها واحد ولها رأسان، وكانت تسمى في الجاهلية بالشخصين، وهي في هذا العهد تعرف بالشواخص، ولاتزال باقية بهذا الاسم، وهي واقعة في شمالي كشب الغربى.

العقيق والعقيق: معروف عند عامة أهل نجد، يَصُبُّ من جبال الحجاز الشرقية، ويتجه شمالاً جاعلاً جبالَ الحجاز وحِرَاره على شماله حتى يختلط بعقيق المدينة، وماءة عشيرة المعرُوفَةُ في الطريق بين مكة المكرمة ونجد وماءة المحدثة وماءة تنضبة، هذه كلها في بطن وادي العقيق في أعلاه، في بطن ذلك الوادي إذا اتجَه شمالاً عيون وآبار كثير عذبة، وهي بالقرب من المدينة، وسيل ذلك الوادي يصب في وادي الحمض، ويصبان معاً في البحر، هذا هو الذي بلغني عن الثقات، وقد مر ذكره في كتابنا هذا، وذكرنا المواضع التي يطلق عليها لفظ العقيق، وقد أوضحنا ذلك إيضاحاً تاماً، قال شاعر مدني في عقيق المدينة:

إنى مررت على العقيق وأهلُهُ يشكون من مَطَر الربيع نُزُورَا
ما ضركم إن كان جعفر جاركم أن لا يكون عقيقُكمْ ممطورا

وجعفر هذا هو جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن على زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبى طالب، رضي الله عنه!

★ ★ ★

٤ ــ وقال الحارث بن حِلِّزة :

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرَقِّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو، وَهَلْ لِذَاكَ بَقَاءُ؟

لاتَخَلْنا عَلَى غَرَاتِكَ، إِنّا قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الأَعْدَاء
فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءَةِ تَنْمِينَا حُصُونٌ وَعِزَّةٌ قَعْسَاء[1]

اختلف أهلُ اللغة في هذا البيت الأخير، واختلف الرواة: أماروايةُ الزوزني، فهي «حصون وعزة قعساء» ورواية الخطيب «جدود وعزة قعساء» وأجمع الأكثرون على أن الشناءة هي العداوة والبغضاء، وهي لغة صحيحة ذكرها الله جل وعلا في محكم كتابه بقوله تعالى﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ﴾[2] فإذا صحت رواية الخطيب فالشناءة هي البغضاء، وإذا صحت رواية الزوزني فالشاعر يقصد إقامته على الشّنانة بلدٍ من قرى الرسِّ جاهلية بها نخيل ومزارع، فهذا الشاعر الذي قد مضى لموته ألف وأربعمائة وتسعة عشر عاماً ولم يتغير لفظه إلا بإبدال الهمزة نوناً نعني أن «الشناءة» هي البلد الذي يسمى اليوم الشنانة، وهي واقعة على ضفة وادي الرمة الجنوبية قريب الاختلاط ببلد الرس، لا تبعد عن الرس إلا أقل من مسافة ساعة ونصف.

* * *

٥ ــ وقال الحارث بن حِلِّزة :

أَيُّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُم فَأَدُّو هَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الأَمْلَاء
إِنْ نَبَشْتُم مَا بَيْنَ مِلْحَةَ فَالصَّا قِبِ فِيهِ الأَمْوات وَالأَحْيَاء
أَو نَقَشْتُمْ فَالنَّقشُ يَجْشَمُهُ النَّا سُ وَفِيهِ الصَّلَاحُ والإِبْرَاء

مِلْحة: هضبة معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، في شرقي بيشة، شهباء كأنها قطعة ملح، فلذلك سميت ملحة، وهي التي عناها الشاعر، ملحة

(١) قلت: وأمّا تَنْمِيْنَا فهي بضم التاء وليس بفتحها تُنْمِينا ورواية أبي جعفر النحاس في (شرح القصائد التسع) مماثلة لرواية الخطيب (جدود وعزة قعساء) انظر احمد خطاب شـرح القصائد التسع القسم الأول ص ٥٦٦.

(٢) سورة المائدة / ٢.

وهناك هضبات حُمْر يقال لها الأميلاح لاتزال تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهي واقعة في شرقي جبل الصاقب الجنوبى، تبعد عن الصاقب مسافَة نصف يوم، والذي يدل على أنه عنى بملحة الهضبَةَ الواقعة في أسفل بيشة أنه يقول:

*** إن نبشتم مابين ملحة فالصاقب ***

فهذا يدل على أنه يشير إلى المعارك وما قتل فيها من الأبطال: وما بين ملحة وجبل الصاقب إلا مسافة ست ليالٍ لحاملة الأثقال.

الصاقب والصاقب: هضبة حمراء شاهقة واقعة في عالية نجد الجنوبية، ولايوجد في بلاد العرب هضبة أعلاها أكبر من أسفلها إلا هضبة الصاقب، وهي واقعة في قطعة مصطحبة من الأرض كأنها متخفضة يقال لها «جفرة الصاقب» يرعى تلك الجفرة قوم من الأعراب القاطنون في المياه المجاورة لتلك القطعة، وهي ماءة الهمجة، وماءة الدخول، الذي ذكره امرؤ القيس في شعره ومضى الكلام عليه، وماءة محضب، وماءة ورشة، وهو منهل على طريق رنية، وهو المنهل الذي يجاوره جبل حوضا الجبلُ المعروف والذي يجرى ذكره في أشعار العرب وأخبارها، والصاقب: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد.

★ ★ ★

٦ ــ وقال الحارث بن حِلِّزة :

هَلْ عَلِمْتُم أَيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّا سُ غِوَاراً لِكـلِّ حَيٍّ عُوَاءُ
إِذْ رَكِبْنَا الجِمالَ مِن سعَفِ البَحْرَيْنِ سَيْراً حَتَّى نَهَاهَا الْحِسَاءُ

البحرين البحرين: هي البلد المعروفة الواقعة في سواحل البحر الشرقي، ويدخل

تحت كلمة البحرين الجزيرة المشهورة بهذا الاسم وهَجَرُ وجميع قراه، كلها يطلق عليها اسم البحرين.

الحساء

فأما الحساء الذي ذَكَره الحارث فهو بكسر الحاء، وهو غير الحساء الواقع في نواحي هَجَر، وهذا الاسم إذا فتح حاؤه يطلق على جميع القرى الواقعة في بلاد عبد القيس، لأنه في نفس البحرين، وأما الحِسَاءُ فإنه يطلق على موضعين: أحدهما في بلاد عبد الله بن غَطَفان، يصبُّ سيله في وادي الرمة، وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم «حسى عليا» هلكت عنده امرأة يقال لها «علياء» فقبِرَت على هذا الماء، وهو الذي يقول فيه زهير :

عَفَا من آل فاطمةَ الجِوَاء   فيُمْن فالْقَوَادم فالحِسَاء

والثاني: واقع قريبَ المدينة، وهو الذي يقول فيه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يخاطب راحلته:

إذا بَلَّغْتِنِي وحملتِ رحلي   مسافة أربع بعد الحِسَاء

★ ★ ★

٧ ـــ وقال الحارث بن حِلِّزة :

لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْـ   ـلِ وَلَا يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النّجَاءُ
لَيسَ يُنْجِي مُوَائِلاً مِنْ حِذَارٍ   رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلَاء

الطود والحرة الرجلاء

الطَّوْد: اسم عام لكل جبل شاهق، والحرة الرجلاء: هي الصَّعْبة المرتَقى لايسلكها خيل ولا إبل، لايسلكها[١] إلا الراجل، فسميت حرة رجلاء، والحرة: اسم لما غلظ من الحجارة واخشوشن، وهي تكون سوداء

(١) انظر معجم البلدان ٤/٢٢٧.

المنظر، ذكر في معجم البلدان في بلاد العرب[1] ثلاثين حرة كلها مضافة، فأما الحرة الرَّجْلاء التي ذكرها الحارث فهي واقعة بين المدينة والشام، وهي المختصة بهذا الاسم، يقال لها الحرة، قال الأخنس بن شهاب[2].

وكلب لها خَبْتٌ فَرَمْلَة عالج إلى الحرة الرجلاء حين تحارب

وقال الراعى :

يأهل مابال هذا الليل في صَفَر يزداد طولاً ومايزداد من قصر
في إثْرِ من قطعت منى قرينتُهُ يومَ الَحدَالى بأسبابٍ من القدر
كأنما شُقَّ قلبى يوم فارقهم قسمين بين أخِي نجدٍ ومُنْحَدر
هم الأحبة أبكى اليوم إثرهُم وكنت أطرب نحو الحيرة الشُّطُرِ
فقلت والحَرَّة الرَّجْلاءِ دونَهُمُ وبطن لُجَّان لما اعتادني ذكرى
صَلّى على عزةَ الرحمٰنُ وابنَتِهَا لَيْلَى وصَلّى على جاراتها الأُخرِ
هُنَّ الحرائر لا ربَّاتُ أحْمِرَةٍ سودُ المَحَاجر لا يقرأن بالسور[3]

ويحتمل أن الحارث بن حِلِّزة لم يقصد حرة بعينها، بل قصد موضعاً وَعْراً لا يُرْتَقَى لقوله:

لَيْسَ ينجى موائلا من حذار رأسُ طودٍ وحَـــرَّةٌ رجـــلاء

---

(١) انظرها في ٢٥٧/٣.
(٢) المعجم ٢٥٨/٣.
(٣) يروى أكثر الناس «لا ربات أخمرة» بالخاء المعجمة على أنه جمع خمار، وهو خطأ، فإن الخمار عند العرب مما يلبسه النساء الحرائر دون غيرهن، والأحمرة ــ بالحاء المهملة ــ جمع حمار، وهو الدابة المعروفة، وعليها تعمل الجوارى في نقل المياه من الآبار إلى الدور ونحو ذلك، فكأنه قال: هن الحرائر لا الإماءَ العاملات على الحمر، ولو أبقيت الخاء على أعجامها لتناقض الكلام؛ لأنه يصير كأنه قال: هن الحرائر لا الحرائر؛ إذ كان الخمار لاتلبسه إلا الحرة. وكانوا يكنون عن الحرة بذات الخمار.

قصد حرة صعبة المَدْخَل لا يدخلها أحد ولو أنه قال «الحرة الرجلاء» لكان ذلك أقربَ إلى أنه يريد الموضع المعين الذي يسمى بهذا الاسم، فلما ذكرها منكرة ووصفها بما يدل على الوعورة قلنا: لعله يريد مطلق حرة يصعب سلوكها.

★ ★ ★

٨ ـ وقال الحارث بن حِلِّزَة :

كَتَكاليفِ قَومِنَا إذْ غَزَا الْمُنْذِرُ وَهَلْ نَحْنُ لِابْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ؟
إذْ أحَلَّ الْعَلْيَاءَ قُبَّةَ مَيْسُو نَ فَأَدْنى دِيَارِهَا الْعَوْصَاءُ

العلياء: قطعة من الأرض مرتفعة، وقد أكثر الشعراء من ذكرها، وليست بموضع معلوم محدد، وقولُ الحارث في هذا البيت كقول زهير بن أبي سُلْمى: **العلياء**

تَبَصَّر خليلي هل ترى من ظَعَائن تَحَمّلْنَ بالعلياء من فوق جرثم

فالعلياء هي الأرض المرتفعة كما لو قلت: عالية نجد.

وقبة ميسون: هي قبة بنيت لمَيْسون، وميسون: ابنة لبعض ملوك غسان، قتل أباها عمرو ابن هند وسباها وبنى لها عمرو بن هند قبة في ذلك الموضع فقال الحارث. **قبة ميسون**

* **فأدني ديارها العوصاء** *

والعوصاء: قطعة في الحدود الواقعة بين الشام والعراق، وقد ذكرت العوصاء في أشعار كثيرة، قال عمرو بن قيس[1]: **العوصاء**

---

(١) معجم البلدان ٦/٢٤١.

أصابك ليلَةَ العوصاء عمدا بسَهْمِ الليل ساعدةُ بن عمرو

ولا أعلم هل هذا الاسم باقٍ إلى هذا العهد أم تغير!.

★ ★ ★

٩ ــ وقال الحارث بن حلزة :

فَرَدَدْناهُـم بِطَعْـنٍ كَمـا يَخْـ ـرُجُ مِنْ خُربَةِ الْمَزادِ الْمَاءُ
وَحَمَلْنَاهُم عَلَـى حَزْنِ ثَهـلَا نَ شِلَالاً وَدُمِّـــيَ الأَنْسَاءُ
وَجَبَهْنَاهُـمْ بِطَعْنٍ كمَـا تُنْـ ـهَزُ عَنْ جَمَّةِ الطَّوِيِّ الدِّلاءُ

ثهلان أما ثهلان: فجبل أسود، باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد في عالية نجد، وقد مضى الكلام عليه في قصيدة امرىء القيس عند الكلام على قوله:

كقيس الظباء الأعفر انضرجت له عُقَاب تدلَّتْ من شماريخ ثهلان

الطوى الطَّوِي: يطلق العرب على كل بئر صالحة لفظ الطوى!

★ ★ ★

١٠ ــ وقال الحارث بن حلزة :

ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَرْجِعُون فَلَم تَرْ جع لَهُمْ شَامَةٌ وَلَا زَهْـرَاءُ
لَمْ يُخَلُّوا بَنِـي رِزَاحٍ بِبَرْقَـا ءِ نَطَاعٍ لَهُـمْ عَلَيْـهِ دُعَـاءُ

برقاء نطاع برقاء نَطَاع: أما نطاع فهو معلوم بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو من مياه الطف الشرقية وهو بلد قديم الذكر بين الدهناء والجبيل، لم يخل من السكان منذ العهد القديم الجاهلي إلى هذا العهد، قال في معجم البلدان[١] على ذكر نطاع عن أبي منصور: إن نطاع على وزن قطام ماءة

---

(١) معجم البلدان ٢٩٦/٨.

في بلاد بني تميم، وقد وردتها، وشربت إبُلنا من ماء نطاع، وهي ركية عذبة الماء غزيرته، وكانت به وقعة بين بني سعد بن تميم وهوُذَة بن علي الحنفي، أخذت بنو تميم لطائم كسرى التي أجارها هوذة بن علي، الواردة من عند باذام والى كسرى على اليمن، فكان بعدها يوم الصَّفقة، وقد أعربه ربيعةُ بن مَقرُوم في قوله:

وأقرب منهلٍ من حيث راحا أثال أو غمازة أو نطاعُ
فأوردها ولونُ الليل داجٍ ومالغبا وفي الفجر انصداعُ
فَصَبَّحَ من بني جِلّان صِلًّا عطيفته وأسهمه المتاعُ
إذا لم تختزن لِبَنِيك لحما غريضاً من هَوَادِي الوحشِ جاعوا

وقال أيضاً في المعجم[1]: قال الحفصى: نِطاع، بكسر النون: واد ونخيلٌ لبني مالك بن سعد بين البحرين والبصرة.

وأنا أقول: قد أصاب الحفصى في هذا التحديد، وهذا التحديد ينطبق على نطاع الذي نعرفه اليوم بهذا الإسم.

★ ★ ★

١١ ــ وقال الحارث بن حِلِّزة :

ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ الْغَلّاق لَا رَأْفَةٌ وَلَا إبْقَاءُ
وَهُوَ الَّربُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْ مِ الْحِيَارَيْـنِ والبَـلاءُ بَلَاءُ

الحياران الحياران: لم أجد لهما ذكراً في أخبار العرب وأشعارهم، ويظهر لي من كلام الحارث أن به يوماً من أيام العرب، وأعرف موضعاً واحداً يقال له الحيار حيار بني القعقاع صقع من برية قنسرين، كان الوليد بن عبد

(١) انظره أيضاً في ٢٩٦/٨.

الملك أقطعه القعقاع بن خُلَيد، بينه وبين حَلَب يومان، وقال المتنبى في مدح سيف الدولة:[1]

وكنت السيف قائمُهُ إليهم وفي الأعداء حَدُّك والغِرَارُ
فأمست بالْبَدِيَّةِ شَفْرَتَاه وأمسى خلف قائمهِ الحيار

وأما المواضع التي بالواو بعد الحاء ــ كالحوار، والحوير، والحوارة ــ فهي كثيرة في بلاد العرب

انتهينا من معلقة الحارث بن حِلِّزة اليشكرى، وما ورد فيها من ذكر المواضع في بلاد العرب وغيرها.

(١) انظرهما في المعجم ٣/٣٧٥، وفي ديوان المتنبي ٢ /١٠٢ بشرح العكبرى، وانظر ثانيهما وحده في المعجم ٢/٩١.

٨

الأَعْشى مَيْمُونُ بنُ قَيْس

الأعشى ميمون بن قيس(١)

هو ميمون بن قيس بن جَنْدَل بن شراحبيل، ينتهي نسبه إلى ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، توفي سنة ٧ للهجرة في بلدة منفوحة.

وللأعشى أخبار كثيرة ذكرها المؤرخون، وفد على رسول الله ﷺ بقصيدته المشهورة، وقد أحببت أن أذكرها في كتابنا هذا، لما فيها من مدح الرسول والحث على مكارم الأخلاق الشرعية، وهاهي ذي :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرْمَدَا ... وبتَّ كما بات السليمُ مُسَهَّدا
وما ذاك من عِشق النساء، وإنما ... تناسَيْتَ قبل اليوم خلَّةَ مَهْدَدَا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن ... إذا صَلَحَتْ كفاهُ عاد فأفسدا
كهولاً وشبانا فقدتُ وثروةً ... فلِلّه هذا العيشُ كيف تردَّدا
ومازلتُ أبغي المال مذ أنا ناشىء ... وليداً وكهلاً حين شبْتُ وأمردا
وأبتذل العيسَ المراقيل تفتلى ... مسافَةَ ما بين النجير فصرخدا(٢)
ألا أيهذا السائلي أينَ يممت ... فإن لها في أهل يثرب موعدا
فإن تَسْألَنْ عني فياربَّ سائل ... حَفِيٍّ عن الأعشى به حيث أوردا
أجَدَّتْ برجليها النَّجاء وجاوزت ... يداها خفافا لينا غير أجردا
وفيها إذا ما هَجَّرَتْ عجرفِيَّةٌ ... إذا خِلْت حِرْبَاء الظهيرة أصيدا
وأمَّا إذا ما أدلَجَتْ فترى لها ... رقيبين جَدْياً ما يغيب وفرقدا

---

(١) قلت انظر مصادر ترجمته في : الشعر والشعراء ٢٢٧/١: الأغاني ١٠٤/٩، معجم الشعراء ٣٢٥، سمط اللآلي ٨٣/١، شرح شواهد المغني ٢٤٠، وفي رجال المعلقات ٢٥٤ انه توفي سنة ٧ هـ.

(٢) يروى «وأبتذل العيس المراقيل تغتدى» والعيس: جميع أعيس أو عيساء، وأراد الابل، والمراقيل: جمع مرقال، وهو السريع السير.

فآليت لا أرثى لها من كَلَالة ... ولا من حَفَىً حتى تلاقى محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم ... تُرَاحِي وتَلْقَىْ من فواضله ندى
نبى يرى مالا ترَوْنَ وذكرُهُ ... أغار لَعَمْرِى في البلاد وأنجدا
له نافِلَاتٌ ما تُغِبُّ ونائل ... وليس عطاءُ اليوم مانعه غَدَا
أجِدَّك لم تَسْمَعْ وَصَاة محمدٍ ... نبى الإِلٰه حيث أوصى وأشهدا
إذا أنت لم تَرْحَلْ بزاد من التقى ... ولَاقَيْتَ بعد الموت من قد تزودا
نَدِمْتَ على أن لا تكونَ كمثله ... وأنَّكَ لم تُرْصِدْ لما كان أرْصَدَا
وإياك والميتات لا تقربَنَّهَا ... ولا تأخُذَنْ سهما حديداً لِتَفْصِدَا
وذا النُّصُبَ المعبود لا تَنْسُكَنَّه ... ولا تحمد الشيطان والله فاحْمَدَا
ولا تقربَنَّ جارةً كان سِرُّها ... عليك حراما؛ فانكحن أو تأبدا
وذا الرحم القربى فلا تَقْطَعَنَّه ... لفاقته وأصْدُقْ وفكَّ المقيدا
وَسَبِّح على حين العَشِيَّاتِ والضحى ... ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تبتئس من سائل ذي ضَرورة ... ولا تحسبنَّ المالَ للمرء مُخْلِدَا

قال ابنُ هشام: فبلغ خبُره قريشاً، فرصَدُوه على الطريق، قالوا: هذا صَنَّاجة العرب مامَدَح أحداً إلا رفع من قدره، فلما ورد عليهم قالوا: أين تريد أبا بَصير؟ قال: أريد صاحبكم لأسلم، قالوا: إنه ينهاك عن خِلال، وكلُّها بك رافق! قال: وما هن؟ قال له أبو سفيان: الزنا، قال: لقد تركني وماتركته،وماذا؟ قال: القمار، قال: لعلي إن لقيتُه أصبتُ منه عوضاً من القمار، وماذا؟ قال: الربا، قال: مادِنْتُ قطُّ ولا ادَّنْتُ ، وماذا؟ قال: الخمر، قال: أوه، أرجِعُ إلى صُبابة قد بقيت لى بالمهراس فَأشربها، فقال أبو سفيان: هل لك في خير مما هممتَ به؟ نحن وهو الآن في هُدْنة، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سَنَتَكَ هذه، وتنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنت أخذت خَلَفا، وإن ظهر علينا أتيته، قال: ما أكره ذلك، فقال أبو سفيان: يامعشر قريش، هذا الأعشى، والله لئن أتىَ محمداً واتَّبعه ليُضْرِمنّ عليكم نيرانَ العرب بشعره، فأجمعوا له مائة من الإبل، ففعلوا،

فأخذها، وانطلق إلى بلاده، فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله.

هذا من أخبار الأعشى، وسنبتدىء في معلقته.

وهذه القصيدة ورد فيها موضعان: النُّجَير، وصرخد:

النجير أما النُّجَير: فهو قَصْر في اليمن لكندة، وهو الذي تحصَّن فيه الأشعث بن قيس الكِنْدي حين حاصره جيشُ أبى بكر رضي الله عنه!

صرخد وصرخد: قرية في الشام تنسب إليها الخمر الصرخدية.

والذي بين النجير وصرخد هي جزيرة العرب كلها.

أما معلقته فهذا مطلعها، وسنأتى على المواضع الواردة فيها.

١ ـــ وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الركبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ؟

غَرَّاءُ فَرْعَــــاء مَصْقُــــولٌ عَوَارِضُهـــــا
تَمْشِي الْهُوَيْنَا كمَـا يَمْشِي الْوَجِى الْوَحِــلُ

إلى أن قال :

إذَا تَقومُ يَضُوعُ الْمِسْكُ أصْوِرَةً وَالزَّنْبَقُ الْوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِلُ
مَارَوْضَة مِنْ رِيَاضِ الحَزْن مُعْشِبَةٌ خضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْها نَشْرُ رَائحةٍ مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ(١)
يَوْمَا بِأطْيَب مِنْهَا نَشْرَ رَائحَةٍ وَلَا بأحْسَنَ مِنْها إذْ بَدَا الأَصُلُ

الحزن الحزن: قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، واستشهدنا عليه بجميع ماورد فيه، وقد أوردنا عليه بيت جرير وهو الذي ينطبق على هذا الموضع لأنه في طريق الخارج من اليمامة إلى الشام، قال جرير في عبد الملك بن مروان أو ابنه :

---

(١) في رواية التبريزي «يضاحك الشمس منها كوكب شرق» وكوكب كل شيء : معظمه، والمراد به هنا الزهر، وشرق: أي ريان ممتلىء.

سَارُوا إليك من السَّهْبى ودونهمُ فيحان فالحزن فالصمان فالوكف

وهذا أحسن دليل، وهو يقال له اليوم «الحزل».

★ ★ ★

٢ ــ وقال الأعشى :

بل هَلْ ترى عارضا قد بِتُّ أرقبهُ كأنَّمَا الْبَرْقُ فِي حَافَاتِهِ شُعَلُ

إلى أن قال :

فَقلْتُ لِلشّرْبِ في دُرْنا وَقَدْ ثَمِلُوا شِيمُوا وكيْفَ يَشيمُ الشاربُ الثّمِلُ
قَالُوا نُمارٌ فَبَطْنُ الخَال جَادَهُما فَالْعَسْجَدِيَّةُ فَالأبْلَاءُ فَالرِّجَلُ
فَالسَّفْحُ يَجْرى فَخِنْزِيرٌ فَبُرْقَتُهُ حَتّى تَدَافَعَ مِنه الرَّبْوُ فَالُحبَلُ
حَتّى تَحَمَّلَ مِنْه الماء تَكْلفَةً رَوْضُ الْقَطا فَكثيبُ الغِينَة السِّهِلُ
يَسْقِى دِيَاراً لَهَا قَدْ أصْبَحَتْ غَرَضاً زُوراً تَجَانَفُ عَنْهَا الْقُودُ والرسَلُ

درنا دُرْنا: ذكروا أنها قرية باليمامة كانت تُباع فيها الخمور في الجاهلية، وكثرت الأقوال في هذا الموضع، ويُثبت أنها في اليمامة كلام الأعشى عنها، ومنه هذا البيت، ومنه قوله:

حَلّ أهْلِى مَا بَيْنَ دُرْنا فَبَادُو لى وَحَلَّتْ عُلْوِيَة بالسِّخَال

السخال السِّخال: هضبات في شمالي كشب باقية بهذا الإسم إلى هذا العهد، وهضبات في طرف الهضبة الجنوبي.

ومنها قوله وهو من أقوى الدلائل على أنها باليمامة، وهو يخاطب فيه عبد القيس القاطنين في هجر ونواحيه(١):

---

(١) انظر معجم البلدان ٤/٥٥.

فإن تَمْنعُوا منا المشقر والصَّفا فإنا وَجَدْنا الخط جما نَخِيلُها
وإن لنا دُرْنا فكلَّ عشيَّةٍ يحط إلينا خَمْرُها وخميلها

وثمةَّ موضع آخر يقال له دُرْنَا، وهو أول قرية من قُرَى العراق مما يلي الحِيرة كانت تبُاع فيها الخمور أيضاً، قال عميرة بن طارق اليربوعي[1]:

ألا أبلغَا أبا حمار رسالةً وخَبِّرْه أنِّي عنكما غير غافل
رسالَةَ من لو طَاوعوه لأصبحوا كسَاة نَشَاوَى بين دُرْنَا وبابل

فهذا يدل على أن هناك قرية يقال لها درنا في جهة العراق، لأنه قَرنَها ببابل، وقال مالك بن نُوَيرة اليربوعي[1]:

فما شُكْر مَنْ أدَّى إليكم نساءكم من القوم قد يَمَّمْنَ دُرْنَا وبارقا

وقد قرن مالك بن نويرة في بيته درنا وبارقا، وبارق معلوم بهذا الاسم أنه في نواحي العراق، وهو الحد بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة، وقد أكثر الشعراء في ذكر بارق، قال الأسود بن يَعْفر[2].

أهْل الخَوَرْنَق والسَّدِير وبارق والقَصْر ذي الشُّرُفات من سِنْدَادِ

وقال المتنبي[3]:

تذكَّرْتُ مابين العُذَيْبِ وبارق مَجَرَّ عَوَالينا ومَجْرَى السوابق

---

(١) انظر معجم البلدان ٤/٥٥.

(٢) قلت : هو الأسود بن يَعْفر النهشلي الدارمي التميمي، أبو نهشل، وأبو الجرّاح: شاعر جاهلي، من سادات تميم. من أهل العراق. كان فصيحاً جواداً. نادم النعمان بن المنذر ولمّا أسنَّ كف بصره. ويقال له (أعشى بني نهشل) اشهر شعره داليته التي مطلعها:

نام الخلـــــيَّ ومـــــا أحسّ رقــــــادي
والهــــــــمّ محـــــــتضر لدي وسادي

انظر الشعر والشعراء ٧٨، وطبقات ابن سلام ٣٢، وخزانة الأدب ١/١٩٥ وانظر معجم البلدان ٤/٥٥.

(٣) انظر معجم البلدان ٢/٣٢، ٣٣.

وهذه الشواهد واردة في بارق العراق، وهناك موضع آخر يقال له بارق في تهامة، بين البحر والسراة شرقي القنفدة، وهو الذي يقول فيه فِراس بن غنم المنتهي نسبُه إلى كنانة بن خزيمة[1]:

أقمنا على قيس عَشِيَّةَ بارقٍ ببيضٍ حديثاتِ الصِّقال بواتك
ضَرَبناهمُ حتى تَوَلوا وخليت منازلُ حِيزَتْ يوم ذاك لمالك

فأما درنا فقد ذكرنا أنها في اليمامة، وفي العراق، وأوردنا الشواهد الواردة في ذكر الموضعين.

وأنا لا أعرفها اليوم في اليمامة بهذا الإسم، قال في معجم البلدان عن الحفصي، ورواياته عن مواضع اليمامة هي أصح الروايات، لأنه من أهلها: درنا نُخَيلات لبني قيس بن ثعلبة، بها قبر الأعشى، وذكر الهمداني أن أثافِتَ التي في اليمن كان يقال لها في الجاهلية درنا، وقد ذكر في أثافِتَ، ومنه قول آخر :

أئـن طَحَنَتْ دُرْنيـة لعيالهـا تَطَبْطَبَ ثَدْيَاهَا فطار طَحِينهَا

نمار نمار: وادٍ يشقُّ جبلَ العارض يأتي سيله من جهة الغرب، ويصب في وادي حنيفة، وهو من أودية العارض المشهورة في طرف حَجْر اليمامة، وله ذكر كثير في أشعار العرب، والمواضع المشهورة بهذا الإسم كثيرة: منها ما هو في بلاد هذيل، قال البُرَيْقُ الهذلي يخاطب تأبَّط شراً[2]:

رميتُ بثابتٍ من ذي نُمَار وأردف صاحِبَيْـــنِ له سِوَاه[3]

وفي هذا الجبل الواقع في بلاد هُذَيل قُتل تأبط شراً، فقالت أمه ترثيه :

---

(١) انظر معجم البلدان ٣٢/٢ و٣٣.

(٢) انظر معجم البلدان ٣١٥/٨.

(٣) ثابت : اسم تأبط شراً، وتأبط شرا : لقبه.

فتى فَهِمٍ جميعـــاً غادروه مُقيمـا بالحُـرَيضة من نُمَـار

ومن روايات معجم البلدان[١] عن الحفصي قال: نمار وادٍ لبني جُشَم أبن الحارث، وبنمار عارضٌ يقال له المكرعة، وأنشد:

وما ملك بأغْزَر منك سَيْباً ولا وادٍ بأتْـزَهَ من نمَـــارِ
حلـلت به فأشرق جانبـــاه وعـاد الليـلُ فيـه كالنَّهـــارِ

ونمار مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد، يصب على بلد الرياض، يشق جبلَ العارض من غربيه إلى شرقيه حتى يصب في وادي حنيفة.

الخال الخال: جبل على ماءة الدفينة في جنوبيها الغربي، إذا كنت على ماء الدفينة فهو غربي مطلع سهيل أو يطلع عليه سهيل، وهو معروف منذ العهد القديم إلى هذا العهد، قال الشاعر:

أهاجكَ بالخالِ الحمولُ الدوافعُ فأنت لمهواها من الأرض نازع

وهو باق بهذا الإسم إلى هذا العهد تعرفه عامة أهل نجد، والسالك من مكة إلى الرياض إذا نظر وهو في وادي الدفينة على يمينه رآه قريباً منه.

العسجدية العسجدية: قالوا إنه سوق يكون فيه العَسْجد، قال في معجم البلدان عن الحفصي[٢]: العسجدية التي عناها الأعشى بقوله هي ماء لبني سعد، وأنا أظن أن الذي عناه الأعشى جبالٌ بكشب يقال لها اليوم العسلجية، واحدها عسلج، وكان واحدها في الجاهلية يسمى عسجداً، قال رزاح بن ربيعة العذري :

فلمـا مررن على عَسْجَـــدٍ وأسهلن من مستنـاخ سبيـلا

---

(١) انظره ٣١٦/٨.
(٢) انظر معجم البلدان ١٧٢/٦.

ومما يدل على أن العسلجيات التي في كشب هي العسجدية التي ذكرها الأعشى أنك تجده قَرَنها بالخال وجبال الأبلاء، والعسلجيات اليوم واقعة بينهما، قال شاعر حديث يقال له مخلد القَثَامي من قصيدة له نبطية

لي صاحب في سد هاك المراقيب   عسلج وضلع هدان وأكباد وأنياب

الأبلاء: قد مضى الكلام عليها وذكرنا ما يتعلق بها في معلقة الحارث ابن حِلِّزة عند قوله:

فرياض القَطَا فأودية الشر   بب فالشعبتان فالأبلاء

الرجل

أما الرِّجَل: فهي كثيرة في بلاد العرب، وأشهرها رجلتا وادي الرمة: إحداهما تصب في شماليه، والأخرى تصب في جنوبيه قريب أبانين، ورجلتا وادي الرشا: إحداهما تصب من الأسودة مما يلي كويكب، ويقال لتلك الرجلة رجلة كويكب، والأخرى تصب مما يلي جبل أبي دخن الذي يقطعه طريقُ مكة إلى الرياض قسمين، وهو جبل أسود متصل به جبيلات سود متصل بعضها ببعض ليست بالكثيرة، ويقال لتلك الرجلة رجلة أبى دخن، ووادي الرمادية يعد رجلتين؛ لأن أعلاه ينقسم قسمين، والرجل كثيرة في بلاد العرب، قال المثقب العبدى:

مررن على شراف فذات رجل   ونكبن الذرانج باليمين

وشراف: موضع في شرقي نجد، يعنى بهذه الرجلة إحدى رجلتي وادي الرشا.

السفح

السفح: موضع يذكر في مواضع اليمامة، وهو في الأصل : اسم عام لسفح كل جبل يسفح معه الماء، وأما السفح الذي في اليمامة فيقال له «سفح أكلب» وقد ذكر في أخبار طسم وجديس، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد.

برقة خنزير

خنزير وبرقته: خنزير جبل معروف متاخم لماءة الصخة[1] المعروفة في عالية نجد، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يعرفه جميعُ أهل نجد، منظَره بين الحمرة والسواد ليس بالرفيع يقع جنوبي ماءة الصخة، على مسافة أقل من نصف يوم، وبلغني أن باليمامة موضعاً يقال له «أنف خنزير[2]» واقع بين خشم العان والسلى فيه أبارق، وهو باق بهذا الإسم إلى هذا العهد.

الحبل

والحبل هي الأكثبة، كل كثيب يقال له الحبل عند عامة العرب.

روض القطا

روض القطا: قد أطلنا الكلام عليه في معلقة الحارث، واستشهدنا بهذا البيت، وذكرنا رياض القطا، وأن منها روضة التنهاة، وروضة خريم، وروضة نورة، واستدللنا بدلائل واضحة على تلك المواضع: منها ما ورد في قصيدة صفية بنت خالد المازنية حين قالت:

لأبصر وَهْناً نار تنهاة أوقدت
بروض القطا والهضب هضب التناضب

وليس ثمة دليل أوضح من هذا.

كثيب الغينة

كثيب الغينة: هو نفيد بنبان، والغينة هي بلد غيانة الواقعة في أسفل وادي أبي قتادة، والكثيب غالباً يطلق على كل ما تراكم وارتفع من الرمال، ولا يختص فيكون موضعاً بعينه، وثمة موضع يقال له «كثاب» في أعلى

(١) عند هذه الماءة كثيب مرتكم يقال له الحنان، وقد سالت البوادي والحضر عن هذا الاسم فقالوا: إن له حنيناً كحنين الإبل ليلا ونهاراً، فقلت: ماالسبب؟ قالوا: إنه رمال يتهايل. لايمسكُ بعضه بعضاً، ويكون له أصوات، فسمي الحنان، ولهذا الكثيب ذكر في معجم البلدان ماأحببت أن أورده لأنه ذكر عنه شيئاً لايتصوره العقل.

(٢) قال الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب»: إن باليمامة جبلا يقال له خنزير يمتد من الجنوب إلى جهة الشمال، وفي طرفه الشمالي ماء يقال له «هيت» وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد.

نجد، قال الحصين بن عمرو الأحمسي:

ألا هل أتى أهل العراق وبيشة ... ومَنْ حل أكناف الكثاب وتنضبا
بأنا كفينا يوم سارت بجمعها ... سليم إلينا ثم من قد تغيَّبا

★ ★ ★

٣ ـــ وقال الأعشى :

كلَّا زَعَمْتُمْ بِأنَّا لَا نُقَاتِلُكُمْ ... إنَّا لأمْثَالِكُمْ يَا قَوْمَنَا قُتُـلُ
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْحِنْوِ ضَاحِيَة ... جَنْبَىْ قُطَيْمَةَ لَا ميلٌ وَلَا عُزُلُ
قَالُوا الطِّعَانُ فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا ... أوْ تَنْزِلُونَ فَإنَّـا مَعْشَرٌ نُزُلُ

الحنو

الحنو: به يومان من أيام العرب، وهذا اللفظ يطلق على موضعين: أحدهما حنو قراقر، والآخر حنو ذي قار. والحنو الذي يفتخر به الأعشى ويذكره في قصائده حنو ذي قار، وهو يوم عظيم هزم فيه العربُ الفرس، وهو لربيعة خاصة من دون العرب، وكانت الرياسة في ذلك اليوم لبني شيبان، وفي هذا اليوم قال رسول الله ﷺ: «هذا أول يوم انتصرت فيه العربُ على العجم، وبى نصروا» قال الأعشى في ذلك اليوم في قصيدة له[1] :

فدًى لبني ذُهْلِ بن شَيبان ناقتى ... وراكِبُهَـا يوم اللقـاء، وقَـلَّتِ
كَفَوْا إذ أتى الهامرز تَخْفِقُ فوقه ... كظل العقاب إذ هوت وتدلَّتِ
أذاقوهمُ كأسا من الموت مُرَّةً ... وقد بذخت فرسانهم وأذلتِ
فصبَّحهم بالحنوِ حنوِ قراقـر ... وذي قارها منها الجنود فعلَّتِ
على كل محبوك السَّرَاة كأنه ... عُقَاب سرت من مرقب إذ تدلتِ
فجادت على الهامرز وسط بيوتهم ... شآبيبُ موتِ أسبلت فاستهلَّتِ
تناهَت بنو الأحزاب إذ صبرت لهم ... فوارسُ من شَيْبان غُلْبٌ فولَّتِ

---

(١) انظر معجم البلدان ٣/٣٥٢ وفيه أن حنو قراقر وحنو ذي قار واحد.

وذو قار موجود بهذا الاسم إلى هذا العهد بين العراق وحدود الشام التي تلي العراق.

انتهت معلقة الأعشى، وألفاظها عذبة، ومعانيها واضحة، وهو من أشعر أهل زمانه. قال صاحب الأغاني: أخبرني أبو حسن الأسدى قال: حدثنا علي بن سليمان النوفلي، قال: أتيت اليمامة فمررت بمنفوحة التي يقول فيها الأعشى.

*** بسفح منفوحة فالحاجر ***

فقلت: هذه قرية الأعشى؟ قالوا: نعم، قلت: أين منزله؟ قالوا: ذاك، وأشاروا إليه، قلت: وأين قبره؟ قالوا: بفناء بيته.

والشطر المذكور من قصيدته التي أولها :

شاقتك من قيلة أوطانُهَا   بالشَّط فالوتر إلى الحاجر
فركن مهراس إلى مارد   فقاع منفوحة فالحائر

وجميع هذه الأمكنة التي ذكرها في هذين البيتين باقية.

منفوحة أما منفوحة فهي باقية إلى هذا اليوم بهذا الاسم، قال في معجم البلدان: على شط اليمامة قرية في حَجْر اليمامة قبلتها بين الوتر والعرض قد اكتنفها حَجْر اليمامة، ويظهر لي من هذا التحديد أن هذه القرية لا تبعد عن موضع الشمسية اليوم، وشط الوتر: باليمامة، كان ينزله عبيد بن ثعلبة، وهو حصن عتيق من بناء جديس تحصن فيه عبيد بن ثعلبة حين خط حَجْرا.

الشط وقال أيضاً عن الحفصي: شط فيروز فيه نخيل ومحارث لبني العنبر باليمامة، والمواضع المسماة بشط كثيرة في بلاد العرب وغيرها، ولا أعلم أهذا الإسم باقٍ في اليمامة أم تغير.

الوتر والوتر: وادٍ من أودية اليمامة يصب في وادي حنيفة، يأتي سيله من

جهة القطب الشمالي، وهو معروف عند أهل الرياض اليوم باسم أبي رفيع، أو وادي البطحاء، أحد الواديين هو الوتر، قال الحفصي في رواياته عن اليمامة: ووتر نخيلات من نواحي اليمامة، وأنشد:

يذودها عن زُغَرِيٍّ بِوَتر صفائح الهند وفتيان غير

والمواضع التي تسمى بهذا الإسم كثيرة جداً، منها ماهو مثنى، ومنها ماهو على فعيل كقتيل وجريح؛ فالوتران ــ بالتثنية ــ موضع في بلاد هُذَيل، قال أبو جندب[1] الهذلي:

فلا والله أقْرَبُ بطن ضيم ولا الوتَرين مانطَقَ الحَمَامُ
رأيتهما إذا خلصا أكبَّا على البَيْتِ المجاور والحرام

وقال أبو بثينة الباهلي:

جلبناهُمْ على الوَتَرَيْنِ شدا على أستاههم وشَلٌ غزير

قصده في هذا البيت أنهم بالوا على أنفسهم، والوتير: ماءة لخُزَاعة في أسفل مكة، قال عمرو بن سالم الخزاعي يخاطب رسول الله ﷺ:

يارِبِّ إنّي ناشدٌ محمدَا حلفَ أبيه وأبينا الأتلدَا
فانصر هَدَاك الله نصرا أعْتَدَا إن قريشا أخلَفُوكَ الموعدا
ونَقَضُوا ميثاقَكَ المؤكدا وزَعَموا أنْ لست أدعو أحدا
وهم أذلُّ وأقلّ عددا هم بَيَّتونا بالوَتِير هجدا

* **وقتلونا ركعاً وسجدا** *

وكان رسول الله ﷺ لما صالح قريشا عام الحُديبية أدخل خُزَاعة في حلْفه، ودخلت كنانة في حلف قريش، فبغت كنانة على خُزَاعة،

(١) انظر شواهد هذا والذي بعده في معجم البلدان ٣٩٨/٨.

وساعدتها قريش، وكان ذلك سبب نقض الصلح وفتح مكة، وكانت الوقعة بين كنانة وخزاعة سنة سبع من الهجرة، فقال بُدَيل بن عبد مناة:

تعاقد قوم يفخرون ولم تدع لهم سيدا يندوهم غير نافِلِ
أمن خيفة القوم الأولى تزدريهمُ تجيزُ الوتير خائفا غير آبل

وقال أبو سَهْم الهذلى :

ولم يدعوا بين عرض الوتير وبين المناقب إلا الذئابا

وقالوا في تفسيره: الوتير ما بين عرفة إلى أدام، وأدام: موضع معروف بتهامة اليوم، وقال أهبان بن لَغَط بن عُرْوة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عديِّ بن الدئل، من كنانة:

ألا أبلغ لديك بني قرَيْم مُغَلغلة يجيء بها الخَبِيرُ
فَرُدُّوه الموالي ثم حُلوا مرابعَكم إذا مُطر الوَتِيرُ

مارد والحائر

وأما مارد فله ذكر في أشعار الأعشى، وأنا لا أعرفه بهذا الإسم في هذا العهد، وأما الحائر فهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد بين منفوحة وبلد الخَرْج، عامر فيه نخيل وسكان، يمر به السالك من الخرج إلى ضَرَمَى. والحاجر الذي ذكر في هذه الأبيات في اليمامة، ولست أعرفه بهذا الاسم اليوم.

انتهينا من معلقة الأعشى ميمون بن قيس

٩

النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ

النابغة الذبياني[1]

واسمه زياد بن مُعَاوية، ينتهي نسبه إلى ذُبْيَان بن رَيْث بن غَطَفَان بن قَيْس عَيْلان وكنيته أبو أمامة. توفي سنة ١٨ قبل هجرة النبي ﷺ.

وهذا مطلع المعلقة[2]:

١ ــ يَا دَارَمَيَّةَ، بِالْعَلْيَاءِ، فالسَّنَد   أَقْوَتْ، وَطَالَ، عَلَيْها، سَالفُ الْأَبَدِ

العلياء العلياء تطلق على كل أرض مرتفعة، وليست موضعا معينا، كقول زهير:

* **تحملن بالعلياء من فوق جرثم** *

السند السند[3]: قال في معجم البلدان: هو ماقابلك من الجبل، وعلا من السفح، ولايزال أهل نجد يطلقون على كل مرتفع سنداء، ولست أعلم موضعاً يقال له اليوم العلياء، ولا موضعاً يقال له اليوم : السند، إلا موضعاً واحداً يقال لها «سنيد» على صيغة التصغير، وهو الطريق الذي يسلك من عُشَيرة إلى نجد الذي فيه خيام أهل المركز اليوم، وهو ثنية الحريرة الواقعة على ضفة وادي العقيق الجنوبية النافذة من ماء عُشَيرة. يقال لتلك الثنية سُنَيد إلى هذا العهد.

---

(١) قلت انظر ترجمته في: الشعر والشعراء ١٥٧/١، الأغاني ٣/١١، سمط اللآلي ٧٩/١ شرح شواهد المغنى ٧٨/١، الخزانة ٢٨٧/١ وفي رجال المعلقات ٢٧٢ أنه توفي سنة ١٨ ق. هـ.

(٢) قلت : قد جعل القرشي في الجمهرة ٤١٧ من المعلقات قصيدته التي مطلعها.

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار
ماذا تحيون من نؤي وأحجار

(٣) قال البكرى : قد حدده الأحوص في قوله :

غشيت الدار بالسند * دوين الشعب في أحد (ج ٣ ص ٧٦١) مصنف.

٢ ــ وقال النابغة يصف راحلته

فَعَدِّ عمَّا تَرَى إذْ لَا آرْتِجَاعَ لَهُ وَانْمِ الْقُتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجُدِ
مَحْفُوفَةٍ بدَخِيسِ النَّحْضِ، بَازِلُهَا لَهُ صَرِيفٌ، صَرِيفَ الْقَعْوِ، بِالْمَسَدِ
كأَنَّ رَحْلِي، وَقَدْ زَالَ النَّهارُ، بنا يَوْم الْجَلِيلِ، عَلَى مُسْتأنِسٍ، وَحَدِ
مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ، مَوْشِيٍّ أكَارِعُهُ طَاوِى الْمصِيرِ، كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ، الْفَرَدِ
فَارْتَاعَ، مِنْ صَوْتِ كلَّاب، فَبَاتَ لَهُ طَوْعَ الشَّوَامِتِ، منْ خَوْفٍ، وَمِنْ صردِ

قلت : والرواية المشهورة في البيت الثاني «مقذوفة» لا (مَحْفُوفَة).

الجليل الجليل: هو في اللغة الثمام، ويطلق هذا الاسم على وادٍ من أودية الطائف يقال له «جليل» وهو الذي عناه النابغة، وهو واقع جنوبى الطائف، يبعد عنه مسافة أقل من نصف يوم، وهو معلوم، عند عامة العرب بهذا الاسم في الجاهلية والإسلام، ويحتمل أن النابغة أراد بالجليل الجبل الذي في الشام، وذلك أنه حين غضب عليه النعمان بن المنذر اللَّخْمِي التجأ إلى ملوك غَسَّان وكانوا مقيمين بالشام وفي سواحل جبل يقال له «الجليل» ممتد إلى قرب حمص، وقد كان معاوية ابن أبي سفيان يحبس في موضع من هذا الجبل مَنْ يظفر به ممن اتهم بالاشتراك في مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومنهم محمد بن أبي حذيفة، وكريب بن أبرهة، وهناك قتل عبد الرحمن بن عديس التجيبي، قتله بعض الأعراب لما اعترف عنده بقتل عثمان، قال ياقوت(١):

وعبد الرحمن بن عديس التجيبي هو الذي يقول لما خرج من مصر

(١) انظر معجم البلدان ٣/١٣١ وليس فيه الرجز ذكره ابن جرير في تاريخه ج ٥ ص ١١٥ وهذا الرجز :
أقبلنا من بلبيس والصعيد خوصا كأمثال القسى قود
مستحقبات حلق الحديد يطلبن حق الله في الوليد
وعند عثمان وفي سعيد يارب فارجعنا بما نريد (المصنف)

مع الثُّوار الذين كانوا يريدون قتل عثمان، وهو من رؤسائهم، قال وهو في طريقه:

أقبلن من بلبيس والصَّعِيدِ مستحقبات حلَقَ الحديد
يطلبن حق الله في الوليد وعند عثمان وفي سعيد

الوليد: هو الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط أخو عثمان بن عفان لأمه، أمهما أرْوَى، وسعيد: هو سعيد بن العاص الذي استعمله معاوية بن أبي سفيان في خلافته على المدينة، قال ابن الفقيه: وكان منزل نوح عليه السلام في جبل الجليل بالقرب من حمص في قرية تدعى سحر، وذكروا أن هذا الجبل الذي يسمى الجليل دعا له عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام ألا يَعْدُو سبعُه، ولا يجدب زرعه، وهو جبل يمتد من الجنوب إلى جهة الشمال، فما كان بفلسطين منه يقال له «جبل الحمل» وما كان بالأردن فهو جبل الجليل، وما كان بدمشق فهو لبنان، وما كان منه بحمص فهو سنير، وقد قال أبو قيس بن الأسلت في ذلك(١):

فلولا ربُّنَا كنا يهودا وما دين اليهود بذى شكول
ولولا ربُّنَا كنا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خُلقنا إذ خُلقنا حنيفٌ ديننا عن كل جيلِ

وقال الحافظ أبو القاسم الدمشقي: واصل بنُ جميل أبو بكر النسلاماني، من بنى سلامان، الجليلى، من جبل الجليل من أعمال صيدا وبيروت من ساحل دمشق، حدث عن مجاهد ومكحول وعطاء وطاوس والحسن البصري، روى عنه الأوزاعي وعمر بن موسى بن وجيه الوجيهي، وقال يحيى بن معين: واصل بن جميل مستقيم الحديث، ولما هرب الأوزاعي من عبدالله بن على بن عبدالله بن العباس اختبأ عنده، وكان

---

(١) انظر معجم البلدان ١٣٢/٣.

الأوزاعي يحمد ضيافته ويقول: ماتهنأت بضيافة أحد مثل ماتهنأت بضيافتي عنده. وكان خَبَّأني في هُرْى العدس؛ فإذا كان العشاء جاءت الجارية فأخذت العدس فطبخت ثم جاءتني، فكان لايتكلف، فتهنأت بضيافته. واستشهد صاحب معجم البلدان على وادي الجليل الذي بالطائف ببيت النابغة هذا.

وقال أيضاً في معجم البلدان(١): وذو الجليل: وادٍ بقرب أجأ. والجليل الذي نعرفه بهذا الاسم إلى هذا اليوْم هو الوادي القريبُ من الطائف ويعد من أوديته.

وجرة وأما وجرة فقد مضى الكلام عليها في شعر زهير. وقد أوضحناها هناك. يَقْسِمُهَا اليوم طريقُ المهد السالكُ من عشيرة إلى المهد نصفين: من عشيرة حتى يقرب المهد كلها يطلق عليها وَجْرة. وهي ركبة الشمالية. وقد أوردنا الشواهد الواردة في ذكرها. ومن ذلك قول أعرابي.

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة غَزَال أحمُّ المقلتين ربيب
فلا تحسبى أن الغريب الذي نأى ولكن من تنأين عنه غريب

* * *

٣ ـــ وقال النابغة :

وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاس يُشْبِهُهُ وَلَا أُحَاشِى مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ
إِلّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الإله له: قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ وَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ
وَخَيِّسِ الْجِنَّ إنِّي قَدْ أذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفّاحِ وَالْعَمَدِ

تدمر أما مدينة تَدْمُر فإنى أحببت أن أذكر عبارة صاحب معجم البلدان

(١) انظر معجم البلدان ١٣٢/٣.

برمتها، قال: مدينة[1] قديمة مشهورة في بريَّة الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام، قال بطليموس: مدينة تَدْمُر طولُها إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، داخلها في الإقليم الرابع، بيت حياتها السماك الأعزل، تسع درجات من الجدى، بيت ملكها مثلُها من الْحَمَل، عاقبتها مثلها من الميزان، وقال صاحب الزيج: طول تَدْمُر ٦٣ درجة وربع، وعرضها ٣٤ درجة وثلثان، قال: سُمِّيَتْ بتَدْمُر بنت حسان بن أذينة بن الْسَّمَيْدَعْ بن مزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وهي من عجائب الأبنية موضوعة على العُمُد الرخام، زعم قوم أنها مما بَنَتْه الجنُّ لسليمان عليه السلام، وذكر الشاهد على ذلك وهو بيت النابغة هذا، وأهل تُدْمُر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بن داود عليهما السلام بأكثر مما بيننا وبين سليمان، ولكن الناس إذا رأوا بناء عجيباً جهلوا بانيه أضافوه إلى سليمان وإلى الجن، وعن إسماعيل بن محمد بن خالد بن عبد الله القَسْرى قال:

كنت مع مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية حين هدم حائط تَدْمُر، وكانوا خالفوا عليه، فقتلهم، وفرق الخيل عليهم تدوسُهم وهم قتلى فطارت لحومهم وعظامهم في سَنَابك الخيل، وهدم حائط المدينة، فأفضى به الهدم إلى جرف عظيم، فكشَفُوا عنه صخرة فإذا بيت مُجَصَّص كأن اليد رُفِعَتْ عنه تلك الساعة، وإذا فيه سرير عليه امرأة مستلقية على ظهرها، وعليها سبعون حلة، وإذا لها سبع غدائر مشدودة بخلخالها، قال: فذرعت قدمها، فإذا هي ذراع من غير الأصابع، وإذا في بعض غدائرها صحيفة ذهب فيها مكتوب: باسمك اللهم، أنا تَدْمُر بنت حسان، أَدْخَلَ اللهُ الذلَّ على من يدخل بيتي هذا، فأمر مروان بالجرف فأعيد كما كان، ولم يأخذ مما كان عليها من الحليٰ شيئاً، قال: فوالله ما مكثنا على ذلك إلا أياماً

---

(١) انظر معجم ياقوت ٢/٣٦٩.

حتى أقبل عبدُ الله بن علي فقتل مروان، وفرق جيشه واستباحه، وأزال الملك عنه وعن أهل بيته، وكان من جملة التصاوير التي بِتَدْمُر صورة جاريتين من حجارة من بقية صُوَر كانت هناك، فمر بها أوس بن ثعلبة التميمي صاحب قصر أوس الذي في البصرة، فنظر إلى الصورتين، فاستحسنهما، فقال:

فَتَاتَيْ أهل تَدْمر خَبِّرانِي ... ألَمَّا تسأما طولَ القيامِ
قيامكما على غير الحشايا ... على جبل أصَمَّ من الرخام
فكم قد مر من عدد الليالي ... لعصركما، وعام بعد عام
وإنكما على مر الليالي ... لَأبقى من فروع ابنَيْ شمام
فإن أهلك فَرُبَّ مُسَوَّمات ... ضوامر تحت فتيان كرام
فرائصها من الإقدام نزع ... وفي أرساغها قطع الخدام
هبطن بهنَّ مجهولا مخوفا ... قليل الماء مَصْعُرَّ الجمام
فلما أن رَوِين صَدَرْنَ عنه ... وجئن فروع كاسية العظام

قال المدائني: فقدم أوس بن ثعلبة على يزيد بن معاوية فأنشده هذه الأبيات، فقال يزيد: لله درُّ أهل العراق، هاتان الصورتان فيكم ياأهل الشام لم يذكرهما أحد منكم، فمر بهما هذا العراقي مرة فقال ماقال، ويروى عن الحسن بن أبي سرح عن أبيه قال: دخلت مع أبى دُلَف إلى الشام، فلما دخلنا تَدْمُر وقف على هاتين الصورتين؛ فأخبرته بخبر أوس بن ثعلبة، وأنشدته شعره فيهما؛ فأطرق قليلاً ثم أنشد:

ماصورتان بِتَدْمُر قد راعتا ... أهل الحِجَىٰ وجماعةَ العشاق
غَبَرا على طول الزمان وَمُرِّهِ ... لم يسأما من ألْفَةٍ وعناق
فَلَيْرَمَينَّ الدهرُ من نكباته ... شخصيهما منه بسهم فراق
ولَيُبْلِيَنَّهما الزمان بِكَرَّةٍ ... وتعاقب الإظلام والإشراق
كي يعلم العلماء أنْ لا خالِدٌ ... غير الإلٰه الواحِد الخلاق

وقال محمد بن الحاجب يذكرهما :

أتَدْمُر صورتاك هما لقلبي غرام ليس يشبهه غرام
أفكر فيكما فيطير نومي إذا أخذت مَضَاجِعَها النيامُ
أقول من التعجبُ : أي شيءٍ أقامهما فقد طال القيام؟
أمُلِّكتا قيام الدهر طبعا فذلك ليس يملكه الأنامُ
كأنهما مَعاً قِرْنَان قاما ألَجَّهما لَدَى قاض خصام
يمر الدهر يوم بعد يوم ويمضى عامه يتلوه عام
ومكثهما يزيدهما جمالا جمال الدر زَيَّنَهُ النظام
وما تعدوهما بكتاب دهر سجيته اصْطِلام واخترام

وقال أبو الحسن العجلى فيهما :

أرى بِتَدْمُرَ تمثالين زانهما تأنق الصانع المستغرق الفَطِن
هما اللتان يروق العين حسنهما يستعطفان قلوبَ الخلق بالفتن

وفتحت تَدْمُر صلحا. وذاك أن خالد بن الوليد ــ رضي الله عنه! ــ مر بهم في طريقه من العراق إلى الشام، فتحصنوا منه، فأحاط بهم من كل وجه، فلم يقدر عليهم، فلما أعجزه ذلك وأعجله الرحيل قال: ياأهل تَدْمُر، والله لو كنتم في السحاب لاستنزلناكم ولأظهرنا الله عليكم، ولئن أنتم لم تصالحوا لأرجعن إليكم إذا انصرفت من وجهي هذا، ثم لأدخلن مدينتكم حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم. فلما ارتحل عنهم بعثوا إليه وصالحوه على ما أدوه له ورضي به. وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد. ولكن خرابها كثير لطول تداول السنين بها وهي واقعة بين دمشق وحلب، بينها وبين حلب مسافة خمسة أيام(١).

---

(١) قلت: وهي حالياً تابعة لمحافظة حمص السورية، وقد بدأت تزدهر لمرور الطريق الدّولي بين دمشق والجزيرة الفراتيه بها.

٤ ــ وقال النابغة :

سَعْدَانُ تُوضِحَ فِي أَوْبَارِهَا اللِّبَدُ[1] ‏ ‏ ‏ الْوَاهِبُ الْمِئَةَ الْأَبْكَارَ زَيَّنَهَا
بَرْدُ الْهَوَاجِرِ كَالْغِزْلَانِ بِالْجَرَدِ ‏ ‏ ‏ وَالسَّاحِبَاتِ ذُيُولَ المِرْطِ فَنَّقَهَا

توضح ‏ توضح: موضع معروف بنبات السَّعْدَان. وهو واقع بين جبل الهضب وجبل الحمل. وقد مضى الكلام عليه في معلقة امرىء القيس. والعرب تستمرىء نبات السعدان لرعي الإبل. وفي المثل «ماء ولا كصداء، ومرعى ولا كالسعدان» وهو نبات معروف عند عامة أهل نجد.

الجرد ‏ أما الجرد فهو عند أهل نجد القطعة من الرمال الصغار يكون منظرها أسود سهلة المرتَقَى، ولا أعلم موضعاً معيناً يقال له الجرد، إلا موضعاً جنوبي سامودة، والموضع المذكور يقطعه السالك من الطائف إلى تربة، يقال له الجرد، وأما قول النابغة «كالغزلان بالجرد» فهو يقصد الجرد بالمعنى الأول إذا رأيتها ظننت أنها حزون، وهي نوع من الرمال على ماذكرنا.

* * *

٥ ــ وقال النابغة :

إِلَى حَمَامٍ، سِرَاعٍ، وَارِدِ الثَّمَدِ ‏ ‏ ‏ وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ
مِثْلُ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ ‏ ‏ ‏ يَحُفُّهُ جَانِبَا نِيقٍ، وَيَتْبَعُهُ

(١) في هذا البيت ــ على هذه الرواية ــ الاقواء، وكان النابغة يقوى في شعره، ويروى :
* في الأوبار ذي اللبد *
قلت: المراد بقوله: المؤمن الله سبحانه وتعالى، فهو يؤمن الطير بتحريم صيدها.

قَالَتْ أَلَا، لَيْتَمَا هٰذَا الحَمَامَ لَنَا إِلَي حَمَامَتِنَا، أَوْ نِصْفَه، فَقَدِ
فَحَسَبُوهُ، فَأَلْفَوْهُ كَمَا زَعَمَتْ: ستا وستينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ

قلت: الرواية المشهورة لهذا البيت الشطر الثاني فيها. تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزدِ.

فَلَا لعَمُر الذي مَسَّحْتُ، كَعْبَتُه وَمَا هُرِيقَ، على الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
وَالْمُؤمِنِ الْعَائِذَاتِ، الطَّيْرَ تَمْسَحُهُ رُكْبَانُ مَكَّةَ، بَيْنَ الْغِيْلِ وَالسَّعَدِ[1]

الثمد

الثمد: يطلق على كل ماء قليل على ظهر الأرض يَرِدُه القطا. وهناك ماءة معينة معروفة يقال لها «الثميد» بالتصغير، وهو الماء الذي تستقى منه بلد بريدة وتستعذبه على جميع المياه الواقعة قريباً منها.

أما «جانبانيق» فليسا موضعاً معلوماً. بل أراد جانبى جبلين رفيعين سلك الحمام من بينهما.

والنيق: الجبل الشاهق.

الكعبة تكفى شهرتها عن ذكرها.

الغيل

أما الغيل فثمة موضع بهذا الإسم واقع في جبل العارض في جنوبي الأفلاج. وقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا. وهناك موضع كان يسمى الغيل في الزمن القديم في بطن وادي يلملم الذي يصب في تهامة من أعلى وادي المحرم، ويتجه مغرباً حتى يصب في البحر. وفي بطن هذا الوادي ماءة السعدية المعروفة بهذا الاسم في هذا العهد. وهذا الوادي هو ميقات أهل اليمن. وهو الذي يقول فيه أبو دهبل الجمحي :

خرجت بها من بطن مكة بعدما أصاح المنادي للصلاة فأعتما
فما نام من راعٍ ولا ارتدَّ سامرٌ من الحي حتى جاوزَتْ بي يَلَملَمَا

---

(١) قلت: المراد بقوله: المؤمن الله سبحانه وتعالى، فهو يؤمن الطير، بتحريم صيدها.

قال في معجم البلدان[1]: وفيه مسجد لمعاذ بن جبل. فأما أنا فوردت تلك الماءة ماءة السعدية وهي الميقات، فلم أر فيها مسجداً. والغيل الذي يقع في صدر يلملم في قول ذؤيب بن بوية بن لأي:

لعمري لقد أبكت قريم وأوجعوا بجزعة بطن الغيل من كان باكيا

وجزعة باقٍ بهذا الإسم إلى هذا العهد بين ماءة السعدية وجبال وادي المحرم.

سعد والمواضعِ التي يطلق عليها سُعْد ــ بسكون العين ــ كثيرة. قال ياقوت[2]: والسُّعْد: ماءة وقرية ونخل غربى اليمامة. قال أبو زياد: سُعْد ماءة وقرية ونخل من جانب اليمامة الغربي بقرقرى، وقد ذكره الشعراء؛ فقال الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيرى وقد فارق أهله وافترض في الجند:

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً بِسُعْدٍ ولما تَحُلُ من أهلها سُعْدُ
وهل أقبلَنَّ النجدَ أعناق أيْنُق وقد سار مُسْياً ثم صَبَّحها النجد
وهل أخبطن القوم والريحُ طَلَّة فروعَ ألاءٍ حفهُ عَقَد جعد
وكنت أرى نجدا وريًّا من الهوىٰ فما من هوَايَ اليوم ريًّا ولا نجدُ
فدعنىَ من ريًّا ونجد كليهما ولكنني غادٍ إذا ماغدا الجند

وقال جرير :

ألا حي الديار بِسُعْدَ إنِّى أحب لحب فاطمة الديارا
إذا ما حل أهلك ياسليمىٰ بدارة صُلْصُل شَحَطوا مَزارا
أراد الظاعنون ليحزنوني فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

وسَعْد أيضاً: موضع قريب من المدينة، كانت غزوة ذات الرقاع التي

---

(١) انظر معجم البلدان ٥١٤/٨.
(٢) انظر معجم البلدان ٨٣/٥.

غزاها رسول الله ﷺ قريباً منه، وهناك موضع يقال له «سعد» على طريق السالك من فَيْدَ إلى المدينة، قال فيه نصيب :

وهل مثل أيام بنعف سويقة عوائد أيام كما كنَّ بالسعد
تمنيت أنّا من أولئك، والمنىٰ على عهد عادٍ لا تُعيد ولا تبدى

ودير سعد: بين بلاد غطفان والشام، وحمام سعد: في طريق حاج الكوفة، ومسجد سعد على ستة أميال من الزبيدية بين القرعاء والمغيثة في طريق حاج الكوفة، فيه بركة، أما القرعاء فهي موجودة بهذا الإسم إلى هذا العهد من قرى الجِوَاءِ، يقال لها القرعى، وهذا المسجد ينسب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال ابن الكلبي: وكان لمالك وملكان ابني كنانة بساحل جدة وبتلك النواحي صنم يقال له سعد، وكان صخرة طويلة، فأقبل رجل منهم بإبل له ليقفها عليه، يتبرك بذلك فيها، فلما أدناها منه نفرت منه، فذهبت في كل وجه وتفرقت عنه، فأسف صاحب الإبل، فتناول حجراً، فرماه به وقال: لابارك الله فيك إلٰهاً! أنفرت عليَّ إبلي، ثم انصرف عنه وهو يقول :

أتينا إلى سعد[1] لِيَجْمَعَ شملنا فشتَّتنا سعدٌ فما نحن من سعد
وما سعد إلا صخرة بتَنُوفَة من الأرض لايدعى لغى ولا رشد

فأما الموضعان اللذان ذكرهما النابغة بقوله «بين الغيل والسعد» فالغيل ماء إذا كثرت السيول يصب من الجبل الذي يدعى اليوم جبل الرخم، وهو مُتَاخم للجبل المسمى اليوم «جبل النور».

---

(١) وفي معجم البكرى ج ٣ ص ٧٣٨: وهناك موضع يقال له «سعد» غير هذا، واقع في بلاد غطفان، وهو الذي يقول فيه كعب بن زهير :
جعـــل السعـــد والقنـــان يمينـــا
والمـــروراة شامـــة وحفيـــرا (المصنـــف)

وأما السعد ــ بفتح العين ــ فهو ماءة تصب من جبل أبي قُبَيْس، معروفة عند جميع العرب بهذا الاسم، ولكن هذا الماء انقطع إلا أن يكون هو الذي يُسَميه أهل مكة المكرمة في هذا العهد المصافي فهو باقٍ يحجز الماء، وأقرب ما يكون لهذا التحديد هو موضع المصافي اليوم.

* * *

٦ ــ وقال النابغة من قصيدة مطلعها :

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

وهو يمدح فيها الحارث الأعرج الغساني لما التجأ إليه حين هرب من النعمان بن المنذر، إلى أن قال:

حَلَفْتُ يَمِيناً غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنُ ظَنٍّ بِصَاحِبِ
لَئِنْ كَانَ لِلْقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجِلَّقٍ وَقَبْرٍ بِصَيْدَاءِ الَّتِي عِنْدَ حَارِبِ
وَلِلْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ لَيَلْتَمِسَنْ بِالْجَمْعِ أَرْضَ الْمُحَارِبِ
وَثِقْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ
إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

إلى أن قال :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

جلق جلق: قيل في كتب المعاجم أنها اسم لكورة الغُوطة، وقيل: بل هي دمَشق نفسها، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في جاهليته :

لله دَرّ عِصَابَــةٍ نَادَمْتُهُــمْ يَوْماً بِجلَّقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

وهي مشهورة بهذا الاسم إلى هذا العهد.

صيداء: قال في معجم البلدان(١): تطلق على كل أرض تربتها أجزاء غليظة الحجارة مستوية الأرض، قال الشماخ: **صيداء**

حذاها من الصيداء نعلا طراقها حوامى الكراع المؤيدات العشاوز

وهي اسم لمدينة عظيمة على ساحل بحر الشام، من أعمال دمشق، شرقي صور، بينهما ستة فراسخ، قالوا إنها سميت بصَيْدَاء لأن أول من اختطَّها صيدون ابن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

حارب(٢) موضع من أعمال دمشق بحوران قرب مرج الصفر، من ديار قُضَاعة، واستدل صاحب معجم البلدان على هذا الموضع ببيت النابغة، ولا أعلم أهو باقٍ بهذا الاسم أم قد تغير. **حارب**

الحارث الجفني الذي ذكره النابغة هو الحارث الأعرج الغساني، وعلى ذكر البيت الأخير الذي يقول فيه «ولاعيب إلخ» نقول: ذكروا أن عروة بن الزبير وفَدَ على عبد الملك بن مروان وقد كُفَّ بصر عروة، فقال له عبد الملك: أتعرف سيف أخيك عبدالله بن الزبير أن أتيناك به؟ قال : نعم، فجآءوه بعشرين سيفاً ووضِعَتْ بين يديه، فقال عبد الملك: أخرج سيف أخيك منها، فاندفع يتتبعها بيديه، فوجد سيف أخيه، فعرفه بمس يديه، ثم مده إلى عبد الملك بن مروان وقال: هذا سيف أخي، فقال له: وما يدريك وقد كف بصرك؟ قال: استدللت عليه ببيت النابغة حين قال:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنَّ فلول من قراع الكتائب

فأعجب عبد الملك به، فقال: صدقت هذا سيف أخيك.

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٤٠٣/٥.

(٢) معجم البلدان ١٩٨/٣.

قلت : ويروى أنه قال (عرفته بفلة فلها يوم أُحد، واستشهد بالبيت)

٧ ــ وقال النابغة من قصيدة مطلعها :

إنِّي كأنّي لَدَى النُّعْمَانِ خَبَّرَهُ بَعْضُ الأَوُدِّ حَديثاً غَيْرَ مَكْذُوبِ

إلى أن قال :

تأتِي الْجِيَادُ مِنَ الْجَوْلَانِ قَائِظَةً مِنْ بَيْنِ مُنْعَلَةٍ تُزجىٰ وَمَجْنُوبِ
حَتَّى اسْتَغَاثَتْ بأهْلِ الْمَلْح مَاطَعِمَتْ فِي مَنْزِلٍ طَعْمَ نوم غَيْر تأْوِيبِ
يَنْضَحْنَ نَضْحَ الْمزادِ الْوُفْرِ أَتأقَها شَدُّ الرُّوَاةِ بمَاءٍ غَيْرِ مَشْرُوبِ

إلى أن قال :

وَمَا بِحِصْنٍ نُعَاسٌ إذْ تُؤَرِّقُهُ أصْوَاتُ حَيٍّ عَلَى الْأَمْرَارِ مَحْرُوبِ

الجولان الجولان: قرية من نواحى الشام من أعمال حوران، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، ومنهم من قال: إنه موضع فيه مزارع في وسط جبل، وقال النابغة في غير هذه القصيدة:
بكى حارثُ الْجَوْلَانِ من فَقْد ربه وحورانُ منه مُوحِشٌ مُتَضائل

وجبل الجولان يقال له «حارث» قال حسان بن ثابت:

هبلَتْ أمهم وقد هبلتهم يوم راحوا لحارث الجولان

وقال الراعى :

كذا حارث الجولان يبرق دونه دساكر في أطرافهن بروج

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه من قصيدة له طويلة مطلعها «منع النوم إلخ». وهي في السيرة:

إن خالي خطيبُ جابية الجو لانِ عندَ النعمان حين يَقُومُ

وقال حسان أيضاً في قصيدة له ذكرها صاحب السيرة في ذكر خير البرية:

منعنا رسولَ الله إذ حَلَّ وَسْطنا على أنْفِ راضٍ من معَدٍّ وراغمِ
منعناه لما حَلَّ بين بيوتنا بأسيافنا من كل باغ وظالم
ببيتٍ حريدٍ أصلُه وثراؤه بجابية الجولان بين الأعاجم
هَلِ المجد إلا السؤدد العَوْدُ والنَّدَى وجاهُ الملوك واحتمالُ العظائم

وقال الجواس بن القعطل الكلبي يتهدد عبد الملك بن مروان، ويذكر مواقف قومه معه يوم مرج راهط لما هزمت كلب جيشَ ابن الزبير وقتل رئيسه الضحاك بن قيس، ورئيس أهل الشام مروان بن الحكم، ورئيس كلب حسان بن بحدل خال يزيد بن معاوية، وأقوى داع لنصرة كلب لبني أمية هذه المصاهرة، وهي تزوج معاوية بن أبي سفيان ميسونَ بنت بحدل أخت حسان المذكور، وهي التي تقول لما اختارت البادية على قصور الشام :

لبيت تخفق الأرواحُ فيه أحبُّ إليَّ من قصر منيف

وقصتها طويلة، قال الجواس :

أعبد المليك ما شكرتَ بلاءنا فَكُلْ في رخاء الأمن ماأنت آكلُ
بجابية الجولان لولا ابنُ بحدل هلكتَ، ولم ينطق لقومك قائلُ
وكنت إذا أشرفت في رأس رامة تَضَاءلت، إن الخائفَ المتضائلُ
فلما علوتَ الشام في رأس باذخ من العز لا يسطيعه المتناولُ
نضحت لنا سَجْلَ العداوة معرضا كأنك عما يُحْدِثُ الدهرُ غافلُ
فلو طاوعوني يومَ بطنان أسلمت لقيس فروج منكم ومقاتل

روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أرواح المؤمنين بالجابية من أرض الشام، وأرواح الكفار في برهوت من أرض حضرموت.

وأكثر شعراء غطفان ذكر الْمَلْح وذكر المروراة، قال النابغة:

*** حتى استقامت بأهل الملح ***

وقال في هذه القصيدة

*** أصوات حي على الأمرار محروب ***

وقال زهير[١] بن أبي سُلْمى وهو ــ مع كونه مزني النسب ــ يعد من شعراء غطفان :

تَرَبَّصْ فإن تُقْوِ المروراة منهمُ ... وداراتها لم تقومنهم إذا نَخْلُ

المروراة والأملاح التي أكثر شعراء غطفان من ذكرها واقعةٌ في بلاد غطفان، ولكن في بلاد العرب ثلاثة مواضع من الأرض لايستطيع أحد أن يشرب من مائها ولا أن يطبخ بها زاداً، ولكن الله اللطيف بعباده جعل للناس بين تلك الأملاح معاذبَ يستعذب أهلُ الأملاح منها، فيهم من يركب جمله بمزادة فيستقى ثم يعود إلى أهله، وفيهم من يبيت ليلة على الماء العذب، أما المياهُ المرة في بلاد بني عبد الله ابن غطفان فهي واقعة في أعلاها، وتنقسم سيول تلك الناحية إلى قسمين؛ فما كان يصبُّ إلى جهة الشرق فهو وادي الرمة، وما كان يصب منها إلى جهة الغرب فهو يصب في الشعبة التي تصب في وادي الحمض، وسنذكر المياه التي حضرتنا أسماؤها، بعضُها لا تسيغه الإبل، تكظم عليه ثم تمجه، قال شاعر غطفاني في ماءة المرير وقد أوردنا هذا الشاهد:

---

(١) قد ذكرنا في صفحة ٣٧ من الجزء الأول: أن زهيرا من قيس عيلان لأنه ناشىء في بلاد غطفان، ونسبه في مزينة وهم من بنى عمرو بن أد، من الياس بن مضر. (المصنف).

هذا المريـــــر فاشربيـــــه أوذَرِى
إن المريـــــرَ قطعـــــة من أخضر

(أي من بحَرْ)

وطرف تلك المياه الجنوبي: ماءة الخضارة الواقعة بين الدفينة وعفيف، وسنذكر المتصل بها منها إلى طرف المروراة الشمالي، وشحاذه، والغثمة، والسريحية، وثرب، وفج، وفجيج، والسليلة، والبدنة، والمرير، والمرة، وطلال، والهميج، وأبو مغير، والماوية، وبلغة، وبعض تلك المياه إذا خرج من الدلوجمد؛ فالسالك من الدفينة إلى عفيف يترك طرفها الجنوبيَّ على شماله، والسالك من النقرة إلى المدينة يترك طرفهَا الشمالي على شماله، وهذهِ كان يقال لها في الجاهلية «مروراة غطفان» وفي الإسلام همج بني عبد الله بن غطفان.

والقطعة الثانية: واقعة في عالية نجد الجنوبية ، معظمها للمقطة جماعةِ ابنِ حميد، يقال لها في هذا العهد «همج المقطة» والواقع منها في جهتها الجنوبية: حفاير خالد، والهمجة، والأروسة، ومحضب، والكبدي، والبديعة، والهتيميّة، ومأمون، ودسمان، ولقطان، ولقيطين، والأيسري، والبقرة،وعبّاب، والعوجا، والحفيرة، وللميسنة، وسم ساعة، والطفية، والرجمة، والرمرمية، وأحسن تلك المياه الهتيمية والبقرة.

والقطعة الثالثة: يقال لها «همج الدبول» وسيولُها تصبُّ في الركاء، يحدها من الشرق جبل العارض الواقع في طرف اليمامة الجنوبي، وأعلاها قريب جبل الحصاة، وهي في القطعة الجنوبية الشرقية من نجد، وهي: بقيران، ولجع، والوهوهي، وعمْق، والسيح، والخبراء، وحنيظلة، والهوة، والحيانية وقنا، وقنى، وجفن ضب، وماوان، والمنجور، وحميمان، والجويفاء، وهذه غير جويفاء الطريق.

هذه الأمواه الثلاثة من نجد ماؤها مر، ولكنها من أصلح الأرض للإبل، والقطعة الأولى لبني عبد الله بن غطفان، والثانية لبني عامر بن صعصعة، وقد يكون بعض البطون من عتيبة التي تسكنها الآن من بقايا بني عامر بن صعصعة، والقطعة الثالثة ــ وهي الجنوبية ــ تشترك فيها قحطان والدوّاس.

وإذ ذكرنا الأملاح من المياه فإنا نحب أن نكمل البحث بذكر معادن ملح الطعام وغيره، وسنبتدىء من شمالي المملكة فنقول: قريات الملح المشهورة، والسعدان وهو في بلاد غطفان، في مفيض سيل وادي المحاني مما يلي حاذة، على طرف الحرة في أرض سبخة، ومجيرمة بين الليث وجدة، وملح جيزان الواقع في القطعة الجنوبية من المملكة العربية السعودية، وملح مران وهو واقع في صبخا مران، وملح في طريق رنية، في طريق القاصد لها من نجد. بين العرق وجبل الصاقب، وملح الخبراء الواقعة في القطعة الجنوبية من نجد، وملح الأفلاج في فيضة شعيب الهدار، وملح القصب في شرقي بلدان الوشم، وملح العوشزية الواقعة شرقي عنيزة، وملح الشقة في غربي القصيم من قرى الجواء، وملح الخاصرة قريب جبل العلم الواقع جنوبي جبل ثهلان على مسافة يوم ونصف، وبعض تلك المواضع يُحْمَل ملحُهَا على الإبل بحبال من غير شئ يمسكه، كأنه قطع من الحجارة وهو ملح الشقة وملح العوشزية الذي في جهة القصيم، وملح الخاصرة، والملح الذي يكون قريب الصاقب في القطعة الجنوبية من نجد.

وفي عالية نجد معادن ملح البارود: ملح القهر، وهو في الجنوب بين اليمن ونجد، وملح الشبكة في شرق نجد بين بلد عروى وبلد الشعرى، وهو من أحسن تلك المعادن، وملح واسط في بلد الدوادمي، وملح خفا قريب ماءة القاعية يمر به القاصد إلى مكة من الرياض، إذا ترك القاعية وراء ظهره فالتفت يميناً رأى هضبة هناك حمراء، وملح شبيرمة بين بلد نفى وكبشان، وملح الركاء بين دخنة وسواج، وهو غير وادي الركاء

المشهور في جنوبي نجد، وملح الجريف قريب بلد الرس وملح العقابة في حمرة عرض ابني شمام، وملح وضاخ، وملح القرى قرى الحرة.

هذا الذي حضرني اسمه من جميع الأملاح الواقعة في نجد، وهذه الأسماء هي أسماؤها في هذا العهد، ولما ورد ذكر الأملاح في قصيدتي زهير والنابغة لم أشأ إهمالها(١):

٨ ــ وقال النابغة :

ظَلَّتْ أَقَاطِينُ أَنْعَامٍ مُؤَبَّلَـةٍ ... لَدَى صَلِيبٍ عَلَى الزَّوْرَاءِ مَنْصُوبِ
فَإِذْ وُقِيتِ بِحَمْدِ اللهِ شِرَّتَهَا ... فَابْجِي فَزَارَ إلَيَ الأَطْوَادِ فَاللُّوبِ
وَلَا تُلَاقَى كَمَا لَاقَتْ بَنُو أَسَدٍ ... فَقَدْ أَصَابَتْهُمُ مِنْهُ بِشُؤْبُوبِ

الزوراء

الزوراء: في بلاد العرب مواضع كثيرة تسمى بهذا الاسم، وكذلك في غير بلاد العرب، فأما الزوراء التي عناها النابغة فهي دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة، كان يتنزه فيها في بعض الأوقات، قال النابغة أيضاً :

وأنت ربيعٌ ينعشُ الناسَ سَيْبُه ... وسيفٌ أعيرته المنيةُ قاطع
وتُسْقَى إذا ما شئت غير مُصَرَّد ... بزوراء في أكنافها المسك كارع

وقول النابغة :

* لدى صليب على الزوراء منصوب *

(١) قال المصنف: لما ذكرت الأملاح الواقعة في بلاد العرب خطر لي أن أذكر المياه العذبة التي كأنها من ماء المزن، ثم خشيت الإطالة، غير أنى أذكر أن معظم مياه بلاد العرب عذبة: فجبل اليمامة من طرفه الجنوبي إلى طرفه الشمالي أغلب مياهه عذبة، وجميع جبال نجد أغلب المياه الواقعة فيها عذبة، والذي دعانا إلى ذكر الأملاح مرورها في شعر النابغة، وهي من شروط كتابنا هذا.

وقال في معجم[1] البلدان رواية عن الأصمعي : الزوراء هي رصافة هشام بن عبد الملك، وكانت فيما سبق للنعمان، وفيها كان يكون، وإليها كانت تنتهى غنائمه، وكان عليها صليب لأنه كان نصرانيا، وكان يسكنها بنو حنيفة، وكانت أدنى بلاد الشام للشيح والقيصوم.

الأطواد واللوب الأطواد واللوب: تطلق على الجبال والحِرَار، يقال للجبل «طَوْد» وللحرة «لَابَة» وليسا بموضعين معينين

* * *

٩ ـــ وقال النابغة :

فإنْ تَكُنِ الْفَوَارِسُ يَوْمَ حِسْيٍ أصَابُوا مِنْ لُقَيِّكَ مَا أصَابُوا
فَمَا إنْ كانَ مِنْ نَسَبٍ بَعيدٍ وَلٰكِنْ أدْرَكُوكَ وَهُمْ غِضَابُ
وَلَمْ نَرَ مِثْلَ جَمْعِ بَني عَدِيٍّ غَدَاةَ الْحِسْى إذْ حَمِىَ الضِّرَابُ

الحسى الحِسْي: أكثرت شعراء غطفان من ذكره، وقد مضى الكلام عليه في أشعار زهير، وهو موجود بهذا الإسم إلى هذا اليوم، يقال له اليوم «حسى علياء» وكانت به وقعة عظيمة في الجاهلية كانت لبني بَغِيض على بنى عامر بن صَعْصَعَة، قتل فيها حَنْظلة بن الطُّفيل أخو عامر بن الطفيل، وفي هذه الوقعة يقول النابغة يخاطب عامر بن الطفيل :

فإن يَكُ عامرٌ قد قال جهلا فإن مَظِنة الجهل السِّبَابُ[2]
فكن كأبيك أو كأبى بَرَاءٍ تُوَافِقْكَ الحكومةُ والصَّوَابُ
فإنك سوف تحكم أو تناهي إذا ما شِبْتَ أو شاب الغرابُ
ولا تذهب بقولك طاميات من الخُيَلاء ليس لهنَّ باب

---

(١) انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٢) ويروى * فإن مطية الجهل الشباب *

١٠ ــ وقال النابغة:

أَرَسْمًا جَدِيداً مِنْ سُعَادَ تجنُّبُ عَفَتْ رَوْضَةُ الأجْداد مِنْهَا فَيثْقُبُ
عَفَا آيهُ رِيحُ الَجْنُوبِ مَعَ الصَّبَا وَأَسْحَمُ دَانٍ مُزْنُهُ مُتَصَوِّبُ

إلى أن قال :

رَعَى الرَّوْضَ حَتّى نُشَّت الغُدْرُ وَالْتَوَتْ
بِدحْلَانِهَا قِيعَانُ شَرْجٍ وَأَيْهَبُ[١]

روضة الأجداد

روضة الأجداد: معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، تبعد عن بلد قصيبة مسافة يوم ونصف مما يلي جنوبيها الغربي، قال مرداس بن حشيش التغلبى[٢]:

إن الديار بروضة الأجداد عَفَّتْ سَوَارٍ رسَمهَا وغواد
من كل سارية وغادٍ مُدْجِنٍ خَنِقِ البوارق مُونق الرواد

وكانت روضة الأجداد المذكورة تتربَّع فيها بطونٌ من بنى عبس وبطونٌ من بنى أسد. وهي واقعة بين القبيلتين: بين غطفان وبنى أسد. وهي الفاصل بينهما. قال صاحب معجم البلدان[٣]: قال الهيثم بن عدى: خرج عروة الصعاليك العبسى وأصحابه إلى خيبر يمتارون منها، فعشروا، وهم يرون أنهم إذا خافوا وباء مدينةٍ وأرادوا دخولها وقفوا على بابها وعشروا كما تعشر الحمير، والتعشير: نُهاَق الحمير؛ فيرون أنه يصرف عنهم وباءها. قال: فعشروا خوفا من وباء خيبر، وأبىٰ عروة أن يعشر، وهذا التعشير ذكرته لهم يهودُ خيبر تهكما بالعرب؛ فقال عروة:

وقالوا اجْبُ وانُهَقْ لا تضرك خيبر وذلك من دين اليهود وَلُوعُ
لعمرى لئن عَشَّرْتُ من خشية الردى نُهَاقَ الحمير إننى لَجَزُوعُ

---

(١) في الديوان «والتوت بدجلاتها».

(٢،٣) معجم البلدان ٤/٣٠٩ .

فلا وألَتْ تلك النفوسُ ولا أتت على روضة الأجداد وَهْيَ جميعُ
فكيف وقد ذكَّيْتُ واشتدَّ جانبى سُلَيْمىٰ وعندى سامعٌ ومُطِيعُ
لسانٌ وسيــفٌ وحَفِيظـــة ورأى لآراء الرجـال صَرُوعُ
تُخَوِّفُنى ريبَ المنون وقد مضى لنا سَلَف قَيْسٌ مَعاً وربيع

يشير إلى قيس بن زهير رئيس عبس، والربيع بن زيادة العبسى. قال: فدخلوا وامتاروا ورجعوا فلما بلغوا إلى روضة الأجداد ماتوا إلا عروة.

يثقب يثقب: أكثرت الشعراء من ذكره، وأنا لا أعرفة بهذا الاسم في هذا العهد.

شرج أما شرج[1] فكل وادٍ يصب منه الماء يقال لها شرج. والشراج: مجاري المياه من الحِرَار إلى السهل، واحدها شرج. فأما شرج الذي عناه النابغة فهو موضع بعينه شرقي بلاد غطفان قريب الأجفر، داخل في بلاد بني أسد، يسمى شرجا في هذا العهد أيضاً، وبهذا الموضع ماء عذب، قال الراجز:

أنْهلْتُ من شَرْج فمن يعِلُّ ياشرجُ لافاء عليك الظِّلُّ
* في قَعْر شرج حَجَر يَصِلُّ *

وقالت امرأة من كلب :

سقىٰ الله المنازلَ بين شرج وبيـن نواظرٍ دِيَماً رِهَامَـا
وأوسَاط الشقيق شقيق عبس سقى رَبِّى أجَارِعَهَا الْغَمَامَا
فلو كنـا نُطَاع إذا أمَرْنـا أطَلْنـا في ديارهُـمُ الْمُقَامَـا

ونواظر التي قرنتها بشرج: أكثبة مرتكمة لاتزال إلى هذا العهد تعرف بهذا الاسم، وهي واقعة بين النباج وزرود يقال لها نواظر. وأما شقيق عبس

(١) في معجم البلدان ٥/٢٥٠.

التي قرنتها بهما فإنها موجودة إلى هذا العهد ويقال لها اليوم «الشقق» وهي في بلاد غطفان من قرى الجواء، مفردها شقة، وقال حسين بن مطير الأسدي :

عرفْتُ منازلاً بِشِعَاب شَرْج فحيَيْتُ المنـازلَ والشِّعابـا
منازل هَيَّجَتْ للقلب شوقا وللعينين دمعـا واكتئابـا

أيهب وأيهب: أكثرت ذكره الشعراء من بنى أسد ومن غطفان، ولا أشك أنه واقع في بلادهم، وأنا لاأعرفه.

* * *

١١ ــ وقال النابغة :

فَرَاحَ يُرِيُد الْعَيْنَ، عَيْنَ مُتالِعٍ يَؤُمُّ بَنَاتِ الْأُحْدَرِيِّ، وَيَقْطُبُ
إِذَا هبَطَا سهْلاً، أثَارَ عَجَاجَةً كأنَّ بِهِ منْها مُلَاءً، يُنَصَّبُ

متالع متالع: جبل قريب حمى ضَرِية، وفي جهة الأحساء جبل كان يقال له في الجاهلية «متالع» وثمة جبل في بلاد غطفان يقال له «متالع» ولا أعلم جبلاً بهذا الاسم في هذا العهد. وإليك روايات صاحب المعجم عنه(١) قال الأصمعي: مُتَالع جبل بنجد، وفيه عين يقال لها الخرارة، وهو الذي يقول فيه صدقة بن نافع العميلي، وكان بالجزيرة :

أرقْتُ بحران الجزيـرة مَوْهِنـاً لِبرْق بَدَا لى ناصبٍ متعال
بَدَا مثل تَلْماع الفتاة بكفها ومن دونه نأى وعبر قلال
فَبتُّ كأن العين تُكْحَل فلفلا وبي عس حُمَّى بيِّن وملال(٢)
فهل يرجعَنْ عيشٌ مضى لسبيله وأظـلال سدرٍ تالـع وسَيَـالُ

(١) معجم البلدان ٧/٣٨٠.
(٢) الأبيات الأربعة الأخيرة مرفوعة القوافي على الإقواء في البيتين الأولين.

وهـل ترجعـن أيامُنَـا بِمُتَالـع وشرب بأوشال لهـن ظلالُ
وبيض كأمثال المَهَا يستبيننا بقيلٍ وما مَعْ قيلهن فَعَالُ

ومتالع: جبل بناحية البحرين بين السودة والأحساء، وفي سفح هذا الجبل عين يسيح ماؤها يقال لها «عين متالع» ولذلك قال ذو الرمة:

نحاها لثأج نَحْوَه ثم إنـه تَوَخَّى بها العينين عينَيْ متالع

قال الحفصي: وهو جبل وعنده ماء، وهو لبني مالك بن سعد، وقيل: متالع جبل لغنى. وقال الزمخشري: متالع لبني عميلة، قال صدقة بن نافع العميلي:

وهـل ترجعـن أيامنـا بمتالـع وشرب بأوشال لهـنَّ ظلالُ

وقال السكونى أبو عبد الله: متالع: ماء شرقي الظهران عند الفوارة، وقال كثير :

بكى سائب لمّا رأى رملَ عالج أتى دونه والهضبَ هضب متالع
بكى إنه سهو الدموع كما بكى عشية جاوزنا نجـاد البدائـع

* * *

١٢ ـــ وقال النابغة :

فَمَـا جَادَلْتُمـا بِقِيَادِ خَيْــلٍ يَصُونُ الْوَرْدُ مِنْهَا وَالْكمَيْتُ
إلَـى ذُبْيَـانَ حَتَّـى صَبَّحَتْهُـمْ ودُونَهُـمُ الرَّبائِــعُ وَالْخُبَــيْتُ

الربائع: هضبات[1] حُمْر في بلاد بني أسد، منقطعة عن جبل الغيمار الربائع

---

(١) انظر معجم البلدان ٢٢١/٤.

كأنها منه. ويقال لها اليوم «الروابع» وهي لاتبعد عن جبل التين. وجبل التين يقال له اليوم «تين»تراه إذا كنت قريبَ الجبل المسمى «حبش» وماءة الخوة لاتبعد عن جميع تلك المواضع. وقد أكثر الشعراء من ذكر تلك المواضع. وفي ذكر الربائع المذكورة يقول الراجز:

وبين خَوَّيْن زقاقٌ واسِعٌ زقاقُ بين التين والربائع

وقالت امرأة من بني أسد وقد أوردنا هذه الأبيات شاهداً على غمار، ولكنا أعدناها هنا لأنها ذكرت فيها الربائع:

لعمرك لَلْغَمْران غَمْرا مقلد فذو نَجَب غُلَّانُه ودوافعه
وخَوٌّ إذا خو سقته ذِهَابُه وأمرعَ منه تينهُ وربائعه
أحبُّ إلينا من فراريج قريةٍ تَزَاقَى ومن حي تنقُّ ضفادعه

والخوة وسميراء منهلان، وحبشي والربائع وغمار وتين جبال، وتلك المواضع في بلاد بنى أسد.

الخبيت

أما الخبيت فهو تصغير الْخَبْت، وأصل الخبت المنخفض من الأرض، وقال أهل اللغة: إنه يطلق على كل منخفض سواء أكان رملاً أم حزنا. والخبوت كثيرة، ولا أعرف موضعاً يقال له «الخبت» في هذا العهد. وبين مكة والمدينة موضع يقال له «خبت الجميش» وبين مكة والمدينة موضع آخر يقال له «خبت البزوا» وخبت: من قرى زبيد باليمن، وظني أن الخبت الذي ذكرهُ النابغة مصغراً قريب الربائع الواقعة في بلاد بني أسد؛ لأنه عطف الخبت عليها.

* * *

١٣ ـــ وقال النابغة :

كأنَّ الظُّعْنَ حِينَ طَفَوْنَ ظُهْراً سَفِينُ الْبَحْرِ يَمَّمْنَ الْقَرَاحَا

قِفَــا فَتَبَيَّنَــا أعُرَيْتِنَــاتُ تَوَخَّى الحَيُّ أمْ أمُّوا لُبَاحَا
كَأنَّ عَلَى الْحُدوجِ نِعَاجَ رَمْلٍ زَهَاهَا الذُّعْرُ أوْ سَمِعَتْ صِيَاحَا

عريتنات أما عريتنات فقد مضى الكلام عليها.

لباح ولباح: لم أسمع لها ذكرا، ولاأعرفه بهذا الاسم في هذا العهد. قال صاحب المعجم[1]: هو موضع في قول النابغة، يريد هذا البيت، ولم يزد على ذلك. وفي غامد بلد يقال لها «الباحة» تتبع مقاطعة بلد الطفير بين أعلى وادي تربة ووادي بيشة، ولا أعرف غير تلك القرية باسم يقارب هذا الاسم.

* * *

١٤ ــ وقال النابغة، وهو مطلع قصيدة له يمدح فيها النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي، وقد أغار على بني ذبيان وأخذ وسَبَى، وكان في السبايا عقرب ابنة النابغة، فسألها من أبوها؟

فقالت: النابغة الذبياني، فقال: قد وهبتك لأهلك، ووهبت هؤلاء السبايا لك. فزوَّد السبايا وكساهُنَّ ورجعهن إلى بني ذبيان؛ فمدحه النابغة بعد ذلك، وليس من شرط كتابنا هذا إلا ذكر المواضع:

أهَاجَكَ مِنْ سُعْدَاكَ مَغْنَى الْمَعَاهِدِ بِرَوْضَةِ نُعْمِيٍّ فَذَاتِ الْأسَاوِدِ
تَعَاوَرُهَا الْأرْوَاحُ يَنْسِفْنَ تُرْبهَا وَكُلُّ مُلِثٍّ ذِي أهَاضِيبَ رَاعِدِ
بِهَا كُلُّ ذَيَّالٍ وَخَنْسَاءَ تَرْعَوِي إلي كُلِّ رَجَّافٍ مِنَ الرَّمْلِ فَارِدِ

روضة نعمى روضة نعمى: قد مضى الكلام على وادي النعيم في قصائد امرىء القيس. وقد مضى ذكر «الأنيعم» بالتصغير، وهذه الروضة لاتكون إلا من رياضه، وهو واقع في عالية نجد.

---

(١) انظر معجم البلدان ٣١٨/٧.

ذات الأساود

فأما ذات الأساود فإن ثمة موضعين بهذا الاسم قريب تلك الروضة، وهي «جبال الأسودة» الواقعة بين جبل ثهلان وكثيب رمحة. ومنهم من يقول «رمحات» وفي جبال الأسودة ماءة يقال لها «ملية» وهي من الآبار القديمة، ورمحات المذكورة غير رمح الواقعة في الشمال الشرقي لبلد اشيقر، وهي التي يقول فيها ناهض بن ثومه[1] وقد ثناها على عادتهم في ذلك:

فما العهد من أسماء إلا محلَّة كما خُطَّ في ظهر الأديم الرواقشُ
برمحين أو بالمُنْحَنَى دبَّ فَوْقَهَا سَفَا الريح أو جزع من السَّيل خادشُ

المنحنى: هو وادي أشيقر، ورمحان معروفان بقريب من هذا الاسم إلى هذا العهد، وينتهي سيل المنحنى إلى روضة رمحين، أما الموضع الثاني فهو «جبال السوادة» التي تمتد من قريب ذقانين، وتندفع إلى جهة الشرق الجنوبي، وتقف عند جبل صاحة التي مر ذكرها في أشعار امرىء القيس؛ والنعيم والأسودة كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد.

* * *

١٥ ـــ وقال النابغة :

يَاعَامِ لَا أَعْرِفكَ تُفْكِرُ سنَّة بَعْدَ الَّذِينَ تَتَابَعُوا بِالْمَرْصَدِ
لَوْ عَايَنَتْكَ كُمَاتُنَا بِطُوَالَـةٍ وَالْحَزْوَرِيَّـةِ أَوْ بِلَابَـةِ ضَرْغَـدِ
لثَوَيْتَ في قدٍّ هُنَالِكَ مُوثَقاً فِي الْقَوْم أَوْ لَثَوَيْتَ غَيْرَ مُوَسَّدِ

طوالة

طُوَالَة: في عالية نجد، وهي جبل يقال له اليوم «الأطولَة» واقع بين سجا وحماه وبين الجنوبي من أجبلة النير، قال الحطيئة[2]:

---

(١) معجم ياقوت ٢٨٥/٤.
(٢) انظر معجم البلدان ٦٥/٦.

وفي كل مُمْسَى ليلةٍ ومُعَرَّس   خيالٌ يوافي الركب من أم مَعْبَد
فَحَيَّاك وُدٌّ، ماهداك لفتيةٍ   وخوصٍ بأعلى ذي طُوَالة هُجَّدِ؟

وقال الشماخ :

كلا يَوْمَيْ طُوَالَة وَصْلُ أروى   ظَنُون، آنَ مُطَّرَحُ الظنونِ

وفي طُوَالة يوم من أيام العرب.

الحزورية الحزورية: ماءة تُعَد من أملاح غَطَفان، ولكن اسمها قد تغير الآن فصار في هذا العهد «حزرة» إذا سلكت الشعبة مُغَرباً أتيت على ثرب، ثم فج، ثم فجيج، ثم حزرة، ثم النعيرية وعندها جبيلات صِغار يقال لها «الحزورية».

لابه ضرغد أما لابة ضرغد فقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا، وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد «ضرغد» موضع به زروع ونخيل وسكان، وعنده لابة عظيمة، إذا دخلها الجاني لم يُقْدَر عليه واقع في بلاد بني أسد، وهو الفاصل بينها وبين بلاد طي.

* * *

١٦ ــ وقال النابغة

نُبِئْتُ زُرْعَة وَالسَّفَاهَةُ كَاسْمِها   يهدِي إلَيَّ غرَائِبَ ٱلأشْعَارِ
فَحَلَفْتُ يَازُرْعَ بْنَ عَمْروٍ إنَّنى   رَجُلٌ يَشُقُّ عَلَى الْعَدُوِّ ضِرَارِى
أرَأيْتَ يَوْمَ عُكاظَ حِينَ لقيتني   تحت الْعجَاجِ فما شَقَقْتَ غُبارِي
إنَّا ٱقْتَسْمنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا   فَحَمَلْتُ بَرَّةَ وَاحْتَمَلْتَ فَجَارِ

عكاظ عكاظ: قد أكثر أهل المعاجم وأهل اللغة من ذكره وتحديده، واختلفوا، وأحسن كلام ذكره الذين تعرضوا لتحديده كلامُ عالمٍ يقال له

الرداعي، يماني، ذكر ذلك في قصيدة له ذكر فيها المواضع التي يمر بها السالك من صَنْعاء حتى يدخل مكة. وذكر الهمداني القصيدة في كتابه صفة جزيرة العرب، ومن قول الرفاعى في أرجوزته:

حتى إذا استَسْهَلْنَ من كلاخ ... وأوقح ذي الْحَمْض والسباخ
وأسْهَلَتْ في البطن من عُكَاظِ ... وسيرها في زاجر كظَّاظ
وخلفت قرَّان ذا المَناقب ... وشرباً في جنح لَيْلٍ واقب

فقران الذي ذكره: ثنايا السَّيْل الصّغير وماحولها، ولايزال يقال لها «قران» إلى هذا العهد، وهناك وادٍ يقال له «قران» إلى هذا العهد أيضاً يقع شمال مطار الحوية وسيلُه يصب في العقيق.

وهذا من أقوى الدلائل على أن عكاظاً في وادي شرب في مفيضه، ومما يدل على ذلك أيضاً قولُ الكميت بنَ زيد الأسدي:

وفي الْحَنيفة فاسأل عن مَنَازلهم ... بالمسجدين ومَلْقَى الرحل من شرب

المسجدين: حَرَم المدينة وحرم مكة، وملقى الرحل من شرب: سوق عكاظ الذي تُلْقِى فيه العربُ رحالها، أما موضع عكاظ[١] اليوم فحدوده الشمالية قريب المطار الواقع قريب وادي الحوية، وحدوده الجنوبية العبلاء، وعند العبلاء كان اليومُ الثاني من أيام الفِجَار، وقال خداش بن زهير[٢]:

إلم يبلغكم أنا جَدَعْنَا ... لدى العَبْلَاء خندف في القياد
ضربناهم ببطن عكاظ حتى ... تولوا طالعين من النجاد

وقال خداش[٣] أيضاً :

---

(١) عكاظ بعد اكتشافنا الأخير يبعد عن المطار عشرة كيلو مترات من جهته الشرقية وسنذكر اكتشافنا له برمته في آخر هذا الكتاب.

(٢) انظر معجم مااستعجم ٩٦١ ومعجم البلدان ١١٣/٦.

(٣) انظر معجم البلدان ١١٤/٦.

ألم يبلغك بالعَبْلَاء أنَّا ضربنا خندفاً حتى استقادوا
نبَنِّي بالمنازل عز قيس ووَدُّوا لو تَسِيخُ بنا البلاد

وعكاظ: واقع أسفل وادي شرب، وقد غلط من قال: إنه السيل الصغير أو داخل الريعان، والصحيح أن موضعه هو الذي ذكرناه؛ لأنه موضع يتسع لاجتماع الناس، وبه آثار ومياه عذبة، والأرجوزة التي أشرنا إليها في تحديده قيلت منذ ثمان مائة سنة تقريباً.

* * *

١٧ ــ وقال النابغة في هذه الرائية :

وَبَنُو جَذِيمَةَ حَيُّ صِدْقٍ سَادَةٌ غَلَبُوا عَلَى خَبْتٍ إِلَى تِعْشَارِ

خبث وتعشار: ماآن لكلب، وقد مضى الكلام على خبت مصغراً في الكلام على بيت النابغة الذي يقول فيه:

إلى ذُبْيَان حتّى صَبَّحتهم ودونهمُ الربائع والخبيت

* * *

١٨ ــ وقال النابغة في هذه الرائية أيضاً :

حَوْلِي بَنُو دُودَانَ لَا يَعْصُونَنِي وَبَنُو بَغِيضٍ كُلُّهُمْ أَنْصَارِي
زَيْدُ بْنُ بَدْرٍ حَاضِرٌ بِعُرَاعِرٍ وَعَلَى كُنَيْبٍ مالِكُ بْنُ حِمَارِ
وَعَلَى الرُّمَيْثَةِ مِنْ سكينٍ حُضَّرٌ وَعَلَى الدُّثَيْنَةِ مِنْ بَنِي سَيَّارِ

عراعر — عُرَاعر: ماءة في الهضب، لاتزال تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد مضى الكلام عليها في رائية امرىء القيس.

كنيب — كُنَيْب: لم أجد في بلاد العرب موضعاً بهذا الاسم[1]، وهناك

(١) ذكر ياقوت (معجم البلدان ٧/٢٨٧) أن كنيبا ــ بضم الكاف وفتح النون ــ موضع في ديار فزارة لبنى شمخ منهم، واستشهد له ببيت النابغة هذا.

موضعان: أحدهما كتيبة، بالتاء وآخره هاء، والآخر: كثيب بالثاء المثلثة، فأما كتيبة: فحصن من حصون خيبر، ذكر في المغازي[1] قال: لما قُسمت خيبر كان القَسْم على نَطَاة والشق والكتيبة، فكانت نطاة والشق في سهام المسلمين، وكانت الكتيبة خمسَ الله وسهم النبي ﷺ وسهم ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وطعم أزواج النبي ﷺ وطعم رجال مَشَوا بين رسول الله وبين أهل فدك بالصلح، ووقع في كتاب الأموال لأبي عبيد «كثيبة» بالثاء المثلثة، والموضع الثاني الذي بالثاء ذكره صاحب معجم البلدان[2] فقال: الكثيب: ــ بلفظ الكثيب من الرمل ــ قريتان في البحرين، يقال: الكثيب الأكبر، والكثيب الأصغر، والذي عناه الشاعر هو الموضع الواقع في خيبر.

الرميثة أما الرميثة فقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا، وأوضحنا أن هذا الإسم يطلق على وادي الرميثي الذي يصب من شمال جبل النير ويختلط سيله بسيل وادي غثاة، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد.

الدثينة الدثينة: يذكرها العرب كثيراً في أشعارهم، غير أن منهم من يذكرها بالفاء، ومنهم من يذكرها بالثاء، فأما الدفينة المشهورة فهو المنهلُ المشهور المعروف بين المويه وعفيف والذي يجاوره جبل الخال، وقد سألت في هذا العام رجلاً من بني سليم، فقلت له: هل عندكم ماءة يقال لها الدثينة؟ قال: نعم هي باقية في بلادنا بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهي الحد الفاصل في بلادنا بين الحجاز ونجد، فصح أن هناك موضعين؛ فمن ذكره بالفاء فإنما قصد المنهل الواقع على الطريق بين المويه وعفيف، ومن ذكره بالثاء فإنما يقصد المكان الواقع في بلاد بني سليم.

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٧/٢١٧.

(٢) انظر معجم البلدان ٧/٢١٩ وعبارته «الكثيب : قرية لبني محارب بن عمرو بن وديعة من عبد القيس، بالبحرين».

١٩ ـــ وقال النابغة في آخر هذه الرائية :

إنَّ الرُّمَيْثَـةَ مَانِـعٌ أَرْمَاحُنَـا   مَا كانَ من سَحَمٍ بهَا وصُفَارِ

السَّحَم والصُّفَار نباتٌ معروف، وأما الرميثة فهي كما ذكرنا.

قال مصنف هذا الكتاب: لقيني في بلادنا ذات غسل من الوشم قومٌ من المقطة من جماعة ابن حميد، ومعهم امرأة يقال لها رُمَيْثَة، فسألت أهلها: ماالسبب لتسميتكم هذه المرأة رميثة؟ قالوا: ولدت في وادي الرميثي، ونحن قاطنون على مائه، فسميناها باسم ذلك الموضع الذي ولدت فيه، وقد مضى الكلام على تحديده.

* * *

٢٠ ـــ وقال النابغة :

يَوْمَا حَلِيمَة كانَا مِنْ قَديمهِمِ   وَعَيْنُ بَاغٍ فَكانَ الأمْرُ مَاائْتَمَرَا
يَاقَوْمِ إنْ ابْنَ هِنْدٍ غَيْرُ تَارِكِكُمْ   فلَا تَكُونُوا الأدْنىٰ وَقْعَةٍ جَزَرا

يوم حليمة

يوم حليمة: يومٌ عظيم من أيام العرب، وحليمة: هي بنت الحارث الغساني، واليوم المذكور بين الغسانيين ملوك الشام، واللَّخميين ملوكِ الحِيرَة، قتل في ذلك اليوم المنذرُ بن المنذر بن امريء القيس اللَّخْمي.

عين أباغ

عين أباغ: قال أبو الحسين التميمي النسابة: كانت منازل إياد بن نزار بعين أباغ: رجلٍ من العمالقة، قال أبو نُوَاس[1]:

فما نجدت بالماء حتى رأيتها   مع الشمس في عينى أباغ تغور

وعين أباغ ليست بعين ماء، وإنما هي اسم لوادٍ وراء الأنبار، على طريق

---

(١) معجم البلدان ٦٨/١.

الفرات إلى الشام يقال له «عين أباغ» معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٢١ ـــ وقال النابغة في مطلع قصيدة :

بخَالَةَ أو مَاءِ الذّنَابَةِ أوْ سِوَى مَظِنَّةِ كَلْبٍ أوْ مِيَاهِ الْمَوَاطِرِ

إلى أن قال :

تَظَلُّ ٱلإمَـاءُ يَبْتَـدِرْنَ قَرِيحَهَـا كَمَا ابْتَدَرَتْ سَعْدٌ مِيَاهَ قُرَاقِرِ
اتَطْمَعُ فِي وَادِى الْقُرَى وَجنابِهِ وَقَدْ مَنَعُوا مِنْهُ جَمِيعَ الْمَعَاشِرِ

خالة والذنابة

قال مصنف هذا الكتاب: أحب أن أزيل الشك عن قارىء هذه الأبيات، فأذكر له أن خالة التي ذكرها النابغة والذنابة ليست بخال الدفينة ولاذنابتها المجاورة لها، بل تلك المواضع واقعة في مفاوز بلاد كلب، وهي معروفة بهذه الأسماء إلى اليوم، ودليل ذلك أنه قرن خالة والذنابة بسوى وقراقر، وجميع هذه المواضع متصل بعضها ببعض في بلاد كلب، قال في الفتوحات: لما عزم خالد بن الوليد على التوجه من العراق إلى جهة الشام، وذلك في سنة اثنتي عشرة في أيام أبي بكر الصديق ـــ رضي الله عنه! ـــ قيل له: إنها مفاوز لا يجيزها إلا دليل خِرِّيت، فسأل عن الدليل، فذكر له رافع الطائي، فجيء به إليه، وسأله فقال: أتعرف هذه المفاوز؟ قال: قطعتها مع أبي وأنا غلام من ثلاثين سنة، فقال: هل تعرفها؟ فقال: نعم، هذه العبارة قصتها طويلة، فلما مشى بالمسلمين وجعته عيناه، وهو في عرض المسافة، وكان يسأل غلاماً له عن العلامات، وكلما ذكر له علامة قال: اجعلها عن يمينك، أو اجعلها عن شمالك، حتى ورد الماء، فقال الشاعر يمدحه:

لله در رافع قَدِ اهتدى فوز من قراقر إلى سوى
خمسا إذا ماسارها الجبس[1] بكى ماسارها من قبله إنس يرى

وسوى مقصورة، ومدها عبيد الله بن قيس الرقيات لضرورة الشعر، فقال:

وَسَوَاء وقريتان وعَيْنُ التمر خَرْقٌ يكلُّ فيه البعيرُ

وذنابة، وخالة، وسوى، وقراقر، كلُّها في بلاد كلب، وقراقر قريب ذي قار.

وادي القرى — وادي القرى: معروف بهذا الإسم إلى هذا العهد، وهو وادٍ عظيمٌ كثير المياه والنخيل، له ذكر في المغازي، وفي كتاب الفتوحات أنه بين تَبُوك والمدينة، مر عليه رسولُ الله ﷺ في غزوة تبوك.

* * *

٢٢ ــ وقال النابغة :

كَأَنَّمَا الرَّحْلُ مِنْهَا فَوْقَ ذِى جُدَدٍ ذَبِّ الرِّيَادِ إِلَى ٱلْأَشْبَاحِ نَظَّارِ
مُطَرَّدٍ أَفْرِدَتْ عَنْهُ حَلَائِلُهُ
مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ أَوْ منْ وَحْش ذِى قَارِ

وجرة — وجرة: قد مضى الكلام عليها في أشعار زهير، وقد مضى الكلام على «ذي قار» في ذكر الوقعة المشهورة بين العرب والعجم.

* * *

(١) «الجبس» ــ بالكسر ــ الجامد التقيل الروح، والفاسق، والجبان، واللئيم، ووقع في معجم البلدان ٧/٤٤ «الجيش» محرفا عما ذكرته، وقد أوردها على الصواب في ٥/١٥٧.

٢٣ ـــ وقال النابغة :

كتَمْتُكَ لَيْلاً بالْجَمُومَيْنِ سَاهِرَا وَهَمَّيْنِ هَمًّا مُسْتَكِنًا وَظَاهِـرَا
أحَادِيثَ نَفْسٍ تَشْتَكى مَا يَرِيبُهَا وَورْدَ هُمُوم لَنْ يَجِدْنَ مَصَادِرَا

الجمومين

الجمومين: أعلم موضعاً يُمْسك الماء في جهة الحجرة، بين لينة وحدود العراق، يقال لهذا الموضع «الجميماء» تصغير الجَمَّاء، وظني أن هذا الموضع هو الذي عناه الشاعر، والجَمُوم: عين جارية عليها زروع وغروس، وهي في مر الظهران الذي يقال له اليوم «وادي فاطمة» وأعرف قريب المدينة هضبة يقال لها «الجما»، والجمَّا والجموم باقيان باسميهما إلى هذا العهد. وأم الجماجم: مَنْهَل معروف في جبل مجزّل يُعَدُّ من مياه البطين التي يقال لها البطينيات؛ وهذه المياه هي: أم الجماجم المذكورة، والدجانى، والقاعية، والأرطاوية، وأم جريف، وجراب، جميعُ هذه المناهل يقال لها البطينيات، فأما منهل الأرطاوية فقد عمر في هذا الوقت الأخير، سكنته مطير ورئيسهم الدويش. قال في معجم البلـدان: ذو جُمَاجم من مياه العمق على مسيرة يوم منه، وقال صاحب معجم البلدان في كلامه على جماءِ المدينـة: وفي كتاب أبى الحسن المهلبى: الجماء اسمُ هضبةٍ سوداء قال: وهما جماوان، يعنى هضبتين عن يمين الطريق للسالك من المدينة إلى مكة، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وكان بأكناف العقيق وبيـدِهِ يحطُّ من الجماء ركناً ململما

وفي كتاب أحمد بن محمد الهمذاني: الجماوات ثلاث بالمدينة، فمنها «جماء تُضَارع» التي تسيل إلى قصر أم عامر وبئر عروة وما وإلى ذلك، وفيها يقول أحيحة بن الجُلاح:

إنـى والمَشْعَر الحرام ومـا حَجَّتْ قريشٌ له وما نَحَرُوا
لا آخذُ الخُطَّة الدنيَّـةَ ما دام يُرَى من تضارع حجر

ومنه مكمن الجماء، وفيه يقول سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

عفا مكمن الجماء من أم عامر فسَلْع عفا منها فَحَرَّةُ واقم

ثم الجماء الثانية «جماء أم خالد» التي تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفري وما والاه، وفي أصلها بيوت لأشعث بن قيس من أهل المدينة، وقصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلى، وفيفاء الخبار: من جماء أم خالد، والجماء الثالثة «جماء العاقر» بينها وبين جماء أم خالد فسحة، وهي تسيل على قصور جعفر بن سليمان وما والاها، وإحدى هذه الجماوات أراد أبو قطيفة بقوله:

الْقَصْر فالنَّخْل فالجَمّاء بينهما أشهى إلى القَلْبِ من أبْوَاب جَيْرُون
إلى البلاط فما حازت قرائنهُ دور نزحْنَ عن الفحشاء والهون
قد يكتم الناسُ أسراراً وأعلمها وليس يدرون طول الدهر مكنوني

* * *

٢٤ ــ قال النابغة :

فآلَيْتُ لا آتِيكَ إنْ كُنْتُ مُجْرِمَا وَلَا أبْتغِى جَاراً سِوَاكَ مُجَاوِراً
فأهْلِي فِدَاء لامرىء إنْ أتَيْتُهُ تَقَبَّلَ مَعْرُوفِي وَسَدَّ المَفَاقِرَا
سَأكْعَمُ كلْبي أنْ يَرِيبَكَ نَبْحُهُ وَإنْ كُنْتُ أرْعىٰ مُسْحُلَانَ وَحَامِرَا

مسحلان وحامر مُسْحُلَان: قد تغير اسمه، وصار الآن يقال له «السحَّل» وهي أودية

معروفة بين قرى الجبل وقرى القصيم[1]، معروفة عند عامة أهل نجد بهذا الاسم، وقد أكثر الشعراء من ذكر مُسْحُلَان وقَرَنُوه بحامر، وحامر في بلاد العرب، وأنا أعرف في عالية نجد خمسةَ جبالٍ كلُّهَا يقال لها «حامر» والذي قرنوه بِمُسْحُلَان منها واقع في شرقي بلاد غَطَفان، قال النابغة في غير هذه الرائية[2]:

ليت قَيْساً كلها قد قطعت مُسْحُلَانـاً فحصيـداً فَتُبَـلْ

وحصيد، وتُبَلُ: في عالية نجد الشمالية، وحَصِيد غير حُصَيد الذي يقع بين الكوفة والشام فإن الذي بين الكوفة والشام مصغر بضم الحاء وسكون الياء، وقد أوقع القعقاع بن عمرو في سنة ثلاث عشرة من الهجرة بالأعاجم ومن تجمع إليها من تغلب وربيعة وقعةً منكرةً وقُتِل من الأعاجم في المعركة (روز مهر) و (دوذبة) مُقَدماهم، وكانت هذه الواقعة في ذلك الوادي، فقال القعقاع بن عمرو في ذلك اليوم[3]:

ألا أبلغا أسماء أن خليلها قضى وَطَرا من روز مهر الأعاجم
غَدَاةَ صبحنا في حصيد جموعَهُمْ بِهِنْدِية تَفْرى فِراخ الجَمَاجِمِ

وهذا الوادي المذكور في جهة العراق، وهو ـــ كما قلنا ـــ في غير الموضع الذي ذكره النابغة، والحصيدات ـــ بالضم والتصغير ـــ جبل في شعر عدى بن الرقاع[4]:

فَلَمَّا تجاوزن الْحُصيْدات كلها وخَلَّفْن منها كل رَعْن ومَخْرَمِ
تخطَّيْنَ بطن السر حتى جَعَلْنَه يلي الغرب سيل المنتوى المتيمم

وحصيد وتبَل اللذان ذكرهما النابغة وقَرَنهما بمُسْحُلان في نجد، قال

(١) صح عندي أنها بين بلد الكهفة وبين ياطب وفيد، وفيها جبيل يقال له «الحويظ».
(٢) انظر معجم البلدان ٨/٥١ وليس في ديوان النابغة المطبوع.
(٣،٤) معجم البلدان ٣/٢٨٨.

لبيد بن ربيعة العامرى وقد ذكر تُبَلا[1]:

ولقد يعلم صحبي كلُّهم بَعَدَان السَّيف صَبْرِى ونَقَلْ
ولقد أغدو وما يَعْدَمُنِي صَاحِبٌ غيرُ طَوِيلِ المُحْتَبَلْ
كلَّ يوم مَنَعُوا جَاملهم ومرنَّاتٍ كآرامِ تُبَلْ
قَدِّمُوا إذ قال قَيسٌ قَدِّمُوا واحْفَظُوا المجدَ بأطراف الأَسَلْ

ذكر لبيد الآرام وأضافها إلى تُبَل، وأظن أنه قصد بذلك آرام تَبَالة فقال تبل لضرورة الشعر والحطيئة العبسِي شاعر مُخَضْرم من شعراء غطفان قرن مُسْحُلَان إلى حامر فقال:

عَفَا من سليمي مُسْحُلَان فحامِرُهْ تَمَشَّى بها ظِلمانه وَجآذِره

وَمُسْحُلَان وحامر اللذان ذكرهما النابغة في موضع السحل اليوم الواقع بين قرى القَصيم وقرى الجبل، وحامر: جبل معلوم بهذا الاسم إلى هذا العهد في شرقي بلاد غطفان، والموضعان قريبان بعضهما من بعض، وقد أكثر القوم من الكلام على مُسْحُلَان وحامر، ومما قالوه أنهما واديان بين العراق والشام، وقال آخرون: هما واديان في بلاد كلب، ولكن من تأمل قول النابغة «وإن كنت أرعى مُسْحُلَان وحامرا» تبين له أنه إنما أراد البعد عن النعمان، والمواضع التي ذكرها الشراح لا تبعد عن النعمان ذلك البعد الذي يومىء إليه قول النابغة، فدل ذلك على أنه إنما يريد مواضع في بلاد قومه، والسحل وحامر باقيان بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٢٥ ــ وقال النابغة :

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ أقُرٍ وَعَنْ تَرَبُّعِهِم في كُلِّ أصْفَارِ
فَقُلْتُ: ياقَوْمِ إنَّ اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ عَلَى بَرَاثِنِهِ لِعَدْوَةِ الضَّارِى

(١) انظر معجم البلدان ٣٦٤/٢. وانظر ديوان لبيد ١٤ ليدن ١٨٩٢.

إلى أن قال :

اضْطَرّكَ الْحِرْزُ مِنْ لَيْلى إِلَى بَرَدٍ ... تَخْتَارُهُ مَعْقِلاً عَنْ جَشٍّ أَعْيَارِ

إلى أن قال :

قَدْ كَانَ وَافِدَ أَقْوَامٍ وَجَاءَ بِهِمْ ... وَانْتَاشَ عَانِيَه مِنْ أَهْلِ ذِي قَارِ

أقر أُقُر: قد مضى الكلام عليه في قصائد امرىء القيس، وهو موضع قريب الشربة، وقد أوردنا هناك الشواهد عليه.

ليلى ليلى: يشير في هذا البيت إلى «حرة ليلى» وهي واقعة في بلاد غطفان، يسلكها حاجُّ البصرة إلى المدينة[1]، قيل: إن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعث إلى الرماح بن أبرد المرى الذي يعرف بابن ميادة حين استخلف، فمدحه، فأمره بالمُقَام عنده فأقام، ثم اشتاق إلى وطنه، فقال هذا الشعر، وهو مما يدل على أنها في بلاد بني مرة:

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً ... بحَرّة ليلى حيث ربّتني أهلي
بلادٌ بها نِيطَتْ عليَّ تمائمى ... وقطعن عني حين أدركني عَقْلِي
وهل أسمعَنَّ الدهر أصواتَ هَجْمَةٍ ... تُطَالع من هجل خصيب إلى هجل
تحنُّ فأبكي كلما ذَرَّ شارقٌ ... وذاك على المُشْتَاق قبل من القبل
فإن كنتَ عن تلك المواطن حابسِى ... فأفْشِ عليَّ الرزق واجْمَعْ إذاً شملى

فقال الوليد: اشتاق الشيخُ إلى وطنه، فكتب له إلى مصدّق كلب أن يعطيه مائة ناقة دَهْماء جَعْداء، فأتى المصدّق، فطلب إليه أن يعفيه من وصف الجعودة ويأخذها دُهْما، فكتب الرماح إلى الوليد:

ألم تعلم بأن الحيَّ كلْباً ... أرادُوا في عطيتك ارتدادا

---

(١) انظر معجم البلدان ٣/٢٦٠.

فكتب الوليد إلى المصدّق أن يعطيه مائة ناقة دهماء جعداء، ومائة صهباء، فأخذ المئتين وذهب بها إلى أهله، فجعلت تضيء هذه من جانب، وتظلم هذه من جانب، حتى أوردها حوض البَرَدَان، فجعل يرتجل ويقول :

ظلت بحوض البردان تَغْتَسِلْ تشرب منهـا نَهَـلَاتٍ وتُعَـلْ

وقال بشر بن أبي خازم :

عَفَتْ من سُلَيمى رامةٌ فكثيبها وشَطَّتْ بها عنك النوى وشعوبها
وَغَيَّرَهَا ماغير النـاسَ بعدهـا فباتتْ وحاجاتُ النفوس نَصِيبُهَا
معاليـةً لاهَـــم إلا مُحَجَّـــر وحرة ليلى السهل منها فَلُوبُهَا

ولا أعرف موضعاً باسم «حرة ليلى» في هذا العهد.

بـــرد أما بَرَدُ الذي ذكره النابغة فقد أكثر شعراء غطفان من ذكره، وظني أنه كان في موضع بريدة اليوم، لأن بريدة بلد حديث، وقد مضى الكلام عليها وعلى بَعْثها في أشعار زهير على ذكر القَصِيم، وفيه يقول الفَضْل بن العباس اللَّهْبي[1] :

عوجا على ربع سُعْدَى كي نسائله عُوجَا فما بكما غيٌّ ولا بَعَدُ
إني إذا حَلَّ أهلي من ديارهِمِ بَطْنَ العقيق وأمست دارَها بَرَدُ
تجمعنا نِيَّةٌ، لا الخلَّ واصلةٌ سُعْدَى، ولا دارُنا من دارهم صَدَدُ

وقال المغترف المالكي :

سائلـوا عن خيلنـا مافَعَـلَتْ ببني القَيْنِ على جنبي بَرَدْ

---

(١) انظر معجم البلدان ١١٦/٢.

وقد ورد هذا الإسم على اختلاف ضبطه: بَرَد، وبُرْد، وبَرْد، وبَرَدَانِ، وَبَرَدَى، وبَرُود، ويومُ البردين من أيام العرب، وهو يوم الغبيط المشهور، ظفرت فيه بنو يربوع ببني شَيْبان، وفيه يقول مالك بن نُوَيْرة اليَرْبُوعي :

فأقررت عَيْنِي يوم ظَلوا كأنهم ... ببطن الغَبيط خُشْبُ أثْلٍ مُسَنَّدُ
صَرِيعٌ عليه الطيرُ تنقر عَيْنَه ... وآخر مكبولٌ بمالٍ مقيدُ
لَدُنْ غدوةً حتى أتى الليلُ دونهم ... ولا تنتهي عن مَلْئها منهمُ يَدُ
وأصبح منهم بعد فل لقاؤنا ... بِفَيْفَاءة البردين فَلٌّ مُطَرَّدُ

وقال القَتّال الكلابى :

سمعت، وأصحابي بذي النَّخْل، نازلاً ... وقد يَشْعَفُ النفسَ الشعاع حَبِيبُهَا
دُعَاء بذي البردين من أم طارقٍ ... فيا عَمْرُو هل تبدو لنا فَتُجِيبها

قال في معجم البلدان[1]: البَرَدَان مواضع كثيرة، فالبَرَدَانُ: اسمُ نهرٍ بالشام، واستدل ببيت أبي القاسم الزمخشري:

إلا إن في قلبى جَوى لايبلُّه ... قويقٌ ولا العاصِى ولا البَرَدَانُ

وهذه أنهار بالشام، وقال: البردان بأعلى نخلة الشامية، ثم قال عن نصر: البردان جبل مشرف على وادي نخلة قريب مكة، وقال عن الأصمعي: البردان ماء بنجد لبني عقيل، وقال أبو زياد: البردان في أقصى بلاد عقيل، وقال أيضاً: البردان ماءة لبنى نصر بن معاوية في الحجاز وقال أيضاً: البردان ماء بالسماوة دون الجناب، والبردان أيضاً: ماء للضباب قرب دارة جلجل، وقال أيضاً عن الأصمعي: البردان في جبال الحمى، وقال أيضاً: البردان من قرى بغداد، وقال أيضاً: البردان موضع أسكَنَ فيه بخت نصر اليهودَ حين سباهم، وقال أيضاً: البردان بالكُوفة، وقال أيضاً: البردان

(١) انظر معجم البلدان ١١٣/٢ ومابعدها.

نهر بثغر طرطوس، مجيئه من بلاد الروم، ويصب في البحر، والبردان أيضاً: نهر يسقى بساتين مرعش، والبردان أيضاً: سَيْح البردان موضع في اليمامة فيه نخل عن ابن أبى حفصة والبردان: غديران بنجد بينهما حاجز، فهذه رواية المعجم، وأسقطنا منها أكثر الشواهد.

والذي أعرفه بهذا الاسم موضع يقال له «البردان» بين ثرمدا ورغبة، وفي شرقى الكثيب الواقع بينهما، فيه قصر ومزارع، وأعرف موضعاً يقال له «البرود» من قرى السر، فيه مزارع وقصور، وماءة يقال لها «الباردة» في عالية نجد الجنوبية، وبلد «بريدة» التي مر ذكرها، وجبل «برد» في غربي الطائف، ومنها «البرود» بئر كثيرة الماء، تقع في وادي المغمس، يمر بها السالك من مكة إلى نجد، والذي عناه الشاعر موضع بريدة اليوم.

جش أعيار جش أعيار: قال صاحب معجم البلدان[1] هو من المياه الأملاح في بلاد فزارة، مجاور عدنة، وعدنة قد صار اسمها اليوم «بدنة» وأعرف جبيلات صغار يقال لها «أعيار» والجبيلات فيها ماءة ملحة، وربما كانت هي «جش أعيار».

فأما ذو قار، فقد تقدم الكلام عليه في مواضع كثيرة.

* * *

٢٦ ــ وقال النابغة :

فَلَمْ يَكُ نَوْلكم أنْ يقذعُونى وَدُونى عَازِبٌ وَبِلَادُ حجْرِ

عـــازب عازب: جبل في اليمامة، وعازب وعارمة متجاوران، فأما عارمة فهي طرف العرمة الجنوبى، وعازب واقع غربيها في جبل اليمامة، وهو الذي

(١) انظر معجم البلدان ١٠٦/٣.

يصب منه وادي نساح ووادي الأوسط ووادي لحا وجميعها قد مضى الكلام عليها عند ذكر اليمامة.

حجر

وحجر: هو حجر اليمامة الموجود اليوم في الرياض، ولايزال بهذا الاسم. **قلت** لم يعد معروفا، وكان يطلق على بستان بين شارعى الملك فيصل والبطحاء.

وعازب قد انقطع اسمه.

* * *

٢٧ ــ وقال النابغة :

لَقَدْ قُلْتُ لِلنُّعْمَانِ حِينَ لَقِيتُهُ ... يُرِيدُ بَنِي حُنٍّ بِبُرْقَةِ صَادِرِ
تَجَنَّبْ بَنِي حُنٍّ فَإِنَّ لِقَاءَهُمْ ... كَرِيهُ وإنْ لَمْ تَلْقَ إِلاَّ بصابر
هُمْ مَنَعُوا وَادِي الْقرى عَنْ عَدُوِّهِمِ ... بجَمْعٍ مُبِيدٍ لِلْعَدُوِّ الْمُكَاثِرِ
مِنَ الْكَارِعَاتِ الْمَاء بِالْقَاعِ تَسْتَقِي ... بأعْجازِهَا قَبْلَ اسْتِقَاءِ الْحَنَاجِرِ
بُزَاخِيَّةٌ أَلْوَتْ بليفٍ كَأَنَّهُ ... عَفَاءُ قِلَاصٍ طَارَ عَنْهَا تَوَاجِرِ
هُمُ طَرَدُوا عَنْهَا بَلِيًّا فأصْبَحَتْ ... بلىٌّ بوَادٍ مِنْ تِهَامَةَ غَائِرِ
وَهُمْ قَتَلُوا الطَّائِيَّ بِالْحِجرِ عَنْوَة ... أَبَا جَابِرٍ وَاسْتَنْكَحُوا أُمَّ جَابِرِ

برقة صادر

برقة صادر: أكثر أهل المعاجم من ذكرها وذكر صادر؛ فمنهم من قال: إنها في الشام، ومنهم من قال: إنها في اليمن، والذي أعرفه بهذا الاسم لم يتغير جبلٌ على طريق المدينة يمر به السالكُ من الحناكية إلى المدينة، ولايزال يقال له «صادر»، وعنده ماءة يقال لها «الصويدرة» يردها السالك لذلك الطريق، وهي التي عناها النابغة، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

أما «وادي القرى» قد مضى الكلام عليه.

بزاخــــة

بزاخة: اختلف أهل المعاجم في تحديدها؛ فمنهم من قال: إنها في بلاد طي، ومنهم من قال: إنها في بلاد بني أسد، والصحيح أنها في بلاد بني أسد، ولا تبعد عن سميراء، وقد نسي اسمها اليوم، ولكن هناك وادياً بين جبال سميراء وجبل رمان يقال له «بزاخ» ولاشك أن بزاخة فيه أو قريبة منه، وإليك رواية صاحب معجم البلدان عنها[1] بتمامها، قال الأصمعي: بزاخة ماء لطي بأرض نجد، وقال أبو عمرو الشيباني: ماء لبني أسد كانت به وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع طليحة بن خويلد الأسدي، وكان قد تنبأ بعد النبي ﷺ، واجتمع إليه أسد وغطفان، فقوى أمره، فبعث إليه أبو بكر خالد بن الوليد، فقدم خالد أمامه عُكَّاشة بن مِحْصَن الأسدى حليفَ الأنصار، فلقيه ببُزَاخة ماء لبني أسد، فقتل عكاشة، وكان عيينة ابن حصن مع طليحة في سبعمائة من بني فزارة، وجاء خالد على الأثر، فلما رأى عيينة أن سيوف المسلمين قد استلحمت المشركين قال لطليحة: أما ترى ما يصنع جيش أبى الفضل؟ يعنى خالد بن الوليد، فهل جاءك ذو النون بشيء؟ قال: نعم قد جاءني وقال لي: إن لك يوماً ستلقاه، ليس لك أوله، ولكن لك آخره، ورَحىً كرَحَاه، وحديثاً لاتَنْساه، فقال: أرى والله أن لك حديثاً لاتنساه، يابني فزارة هذا كذاب، وولَّى عن عسكره، فانهزم الناسُ، وظهر المسلمون، وأسر عيينة بن حصن، وقدم به المدينة، فَحقَن أبو بكر دمه، وخلَّى سبيله، وهرب طُلَيحة فدخل جُبًّا له فاغتسل وخرج، وركب فرسه وأهَلَّ بعمرة ومضى إلى مكة وأتى مسلماً، وقيل: بل أتى الشام فأخذه غُزَاة المسلمين وبعثوا به إلى المدينة فأسلم وأبلى بعده في فتوح العراق، وقيل: بل هو قدم على عُمَر بعد وفاة أبى بكر مسلماً، فقبله، وقال له عمر: أقتلت الرجلَ الصالح عكاشَةَ بن مِحْصَن؟ فقال: إن عكاشة سَعِدَ بي وشقيتُ به أنا، وأنا أستغفر الله، فقال له عمر: أنت الكاذب على الله حين زعمتَ أنه أنزل عليك إن الله لايصنع

(١) انظر معجم البلدان ٢/١٦٠.

بتعفير وُجُوهكم وقُبْح أدباركم شيئاً فاذكروا الله قياماً فإن الرغوة فوق الصريح؟ فقال: ياأمير المؤمنين ذلك من فتن الكفر الذي هَدَمه الإسلام كله، فلا تعنيفَ عليَّ ببعضه، فسكت عمر، وقال القعقاع بن عمرو يذكر يوم بُزَاخة :

وأفلتهُنَّ المِسْحَلَانُ وقد رأى بعينيهِ نِقْعاً ساطعاً قد تَكَوْثَرَا
ويوما على ماء البُزَاخةِ خالدٌ أثار بها في هَبْوة الموت عِثْيَرَا
ومَثَّلَ في حافاتها كلَّ مُثْلَة كفعل كلاب هارشَتْ ثم شَمَّرَا

وقال ربيعة بن مقروم الضبي :

وقَوْمـي فإن أنتَ كذبتنـــي بِقَوْلِي فاسألْ بقومـي عَلِيمـاً
بنو الحرب يوماً إذا استلأموا حسبتَهُمُ في الحديِد القُرومَا
فِدًى ببزاخـة أهلـي لهـم إذا مَلَئوا بالجمـوع الحريمـا

وقال جحدر بن معاوية المُحْرزى اللص :

يادار بيـن بُزَاخـة فكثيبهـــا فلوى غبير، سَهْلِهَا أو لُوبها
سقتِ الصَّبا أطلال رَبعْك مُغْدقا ينهلُّ عارضُها بلبس جيوبهـا
أيام أرعى العين في زهر الصبا وثمار جنات النساء وطيبهـا

هذا آخر عبارة معجم البلدان على ذكر بزاخة، وأنت ترى جَحْدر اللص قرن بُزَاخة بلوى غبير، ودارة غبير لبني الأضبط من بني كلاب، في عالية نجد الشمالية، ولاشك أن بُزَاخة في بلاد بني أسد، ولوى الغبير الذي قُرنت به قريب منه، قال شبيب بن البرصاء :

ألم تر أن الحَيَّ فرَّق بينهم نوىً بين صحراء الغبير لجوجُ

ولا أعلم موضعاً يقال له «غبير» إلا بئراً في بلد الفرعة المجاورة لأشيقر من أعمال الوشم، يقال لها «غبيراء» جاهلية عظيمة الماء، إذا

سقط فيها الرجل لم يُرْجَ خروجه، بل تكون هي مقبرته من بُعْد قعرها ووسع أسفلها، وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد.

وقد ذكر بُزَاخة أبو عبيد البكرى في معجم ما استعجم وأنشد عليه قول البعيث المُجَاشِعى، يمدح الوليد بن عبد الملك:

وخَالُكَ رَدَّ القوم يوم بُزَاخة وكر حفاظا والأسنة تردم

والبعيث أراد بخاله قيس بن زهير العبسي، ولا أعلم في بُزَاخة يوماً من أيام العرب إلا يوم خالد بن الوليد على طُلَيحة وكان معه عيينة بن حصن الفزاري وأخوه خارجة بن حصن، والصحيح أن بُزَاخة في بلاد بني أسد، وظنى أن النابغة لم يَعْن بزاخَةَ الواقعَةَ في بلاد بني أسد؛ لأنه لما ذكر وادي القرى ذكر نخَلةً ووصفها بقوله «بزاخية ألوت بليف كأنه — إلخ» بزاخة الممدوحة بجَوْدة النَّخْل واقعة في نواحى هجر، كانت مشهورة بهذا الاسم في الزمن القديم، ولا أعلم اليوم لها ذكراً، ومنهم من قال: إن بُزَاخة موضع بلد المبرز اليوم التابع للأحساء.

تهامة تهامة: معلومة بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهي: ما كان بين جبال الحجاز والبحر، يطلق هذا الاسم على تلك القطعة الواقعة بين عدن والعقبة مما يلي ساحلَ البحر، والشواهد كثيرة، وليس في ذكرها فائدة؛ لأن شهرة اسمها تغنى عن ذكر الشاهد عليها.

الحجر الحجر: هو الموضع المعروف الذي ذكره القرآن الكريم في شأن قوم صالح عليه السلام، وبه بئر الناقة، وهو يُعَد من وادي القرى، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو الذي عناه جَميل في قوله:

أقول لداعى الحب والحجْرُ بيننا ووادي القرى: لَبَّيْكَ لَمَّا دعانيا
فما أحدث النأىُ المُفَرق بيننا سُلوا ولا طولُ اجتماعٍ تقاليا

وموضعه قريب العلا، بينه وبين تبوك.

٢٨ ــ وقال النابغة :

وَدِّعْ أُمَامَـةَ وَالتَّوْدِيـعُ تَعْذِيـرُ وَمَا وَدَاعُكَ مَنْ قَفَّتْ بِهِ الْعِيرُ
وَمَا رَأَيْتُكَ إلا نَظْرَةً عَرَضَتْ يَوْمَ النُّمارَةِ وَالْمَأمُـورُ مَأمُـورُ
إنَّ الْقُفُولَ إلَى حَيٍّ وَقَدْ بَعُدُوا أَمْسَوْا وَدُونَهُمُ ثَهْلَانُ وَالنِّيـرُ

النمارة النمارة، هضبة سوداء منقطعة من حَرَّة بني سُلَيم، معروفة إلى هذا العهد بهذا الاسم، وهي واقعة في بلاد بني سليم، وبها يوم من أيام العرب، وقد سألت غيرَ واحدٍ من بنى سُليم، فذكروا أنها باقية بهذا الاسم.

ثهلان والنير وثهلان، والنير: جبلان في عالية نجد، باقيان على اسميهما لم يتغيرا، وقد مضى الكلام عليهما وأوضحنا ما يتعلق بهما.

٢٩ ــ وقال النابغة :

ظَلِلْنَـا بِبَرْقَـاءِ اللُّهَيْـمِ تَلُفُّنَـا قَبُولٌ نَكادُ مِنْ ظِلَالَتِهَا نمْسِي
إذَا مَا تَدَاعَتْ مِنْ كِنَانَة عُصْبَةٌ عَلَيْهَا سَرَاوِيلُ الْحَدِيدِ أولُو بأسِ
هُمُ قَتَلُوا مَنْ قَتَّلُوا مِنْ سَرَاتِنَا وَهُمْ حَبَسُوا الْأَمْلَاكَ بِالْمَحْبِسِ الشَّأْسِ

اللهيم اللُّهَيم: رأيت في معجم البلدان[1] وأخبار المغازى أنها بطنٌ من الأرض في أرض الجزيرة في غربي تكريت، وهو ماء للنمر بن قاسط، يلتهم الماء ويفرغ في السِّهاب، فسمى اللُّهَيم لالتهامه الماء، والذي أعرفه في بلاد العرب موضعان أحدهما يقارب اسمه هذا الاسم، الأول جبلٌ يقال له «ليم» وعنده أبارق يقال لها «برقاء ليم» وهو قريب مسكة المعروفة في الحمى شماليَّ ضرية، في جهة الشمال الشرقي لمسكة على مسافة نصف يوم، والموضع الثاني جبيلات صغار يقال لها «اللهيب» بين سواج وجبل نجخ وأبان، وعندها أبارق يقال لها «برقاء اللهيب» وعندها ماءة يقال لها «بقيعاء اللهيب» وهي قريب أمَّرة، واللهيب هو الذي يقول فيه الأفوهُ الأودي :

(١) معجم البلدان ٧/٣٤٥.

وجرَّد جمعَها بيضٌ خفاف على جنبى تضارع فاللهيب

* * *

٣٠ ـــ وقال النابغة

عَفَا ذُو حَسًى مِنْ فَرْتَنَا فَالْفَوَارِعُ فَشَطَّا أريكٍ فَالتِّلَاعُ الدَّوَافِعُ
فَمُجْتَمَعُ الْأَشْرَاجِ عَفَّى رُسُومَهَا مَصَايِفُ مَرَّتْ بَعْدَنَا وَمَرَابِعُ
تَوَهَّمْتُ آياتٍ لَهَا مَا عَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ

ذو حسى — ذو حسى: قد مضى الكلام عليه في مواضع كثيرة، وهو في بلاد غطفان.

الفوارع — والفوارع: قد تغير اسمها؛ ففى بلاد غطفان هضبة يقال لها «الفارعة» ويمكن أن تكون من الفوارع، قال في معجم البلدان(١): تلال رمال مشرفة، وقال في غير المعجم: كل ما ارتفع من تل أو جبل يقال له فارع.

شطا أريك — شطا أريك: أما أريك فهو جبل في بلاد غطفان قريب النقرة، معروف، له ذكر في كتب المعاجم بهذا التحديد، وأنا لا أعرفه اليوم، إلا أني أعرف جبلاً في تلك الناحية يقال له «ريك» به ماءة، ويمكن أن يكون هو الذي ذكره النابغة، قال رجل من بني مرة يصف ناقة:

إذا أقبلت قلت مشحونــة أطاع لها الريح قلعا جفولا
فمـرت بذي خُشُب غدوةً وجـازت فويـق أريك أصيـلا
تخبــط بالليــــل حزّانـــهُ كخبط القوى العزيز الذليـلا

ويدل على أن أريكا جبلٌ قولُ جابر بن حنى التغلبى :

---

(١) انظر معجم البلدان ٤٠٣/٦.

تصعد في بَطْحاء عرق كأنها ترقى إلى أعلى أريك بسلم

وقال عمرو بن خويلد أخو بني عمرو بن كلاب :

فكنّا بني أم جميعاً بيوتُنَا ولم يك منا الواحدُ المتفرِّدُ
نفيل إذا قيل اظْعَنُوا قد أتِيتُم أقاموا وقالوا: الصَّبْرُ أبقى وأحمد
كأن أريكا والفوارع بيننا لِثَامِنة من أول الشهر مَوْعِدُ

هذه الشواهد المذكورة تدل على أن أريكا هو الجبل الواقع قريب النقرة والذي يقال له في هذا العهد «ريك» سقطت منه الهمزة، وهناك موضع آخر في بلاد عنزة، وهي أكثبة مرتكمة يقال لها «وريك» بالواو، وقد قُتل في هذا الموضع ناس من عنزة، وفي القتلى عقاب العواجى وأخوه حجاب، قتلهم ناس من عبدة بطنٍ من شمر، في معركة قريب وريك المذكور، وأكثر شعراء النبط من ذكر تلك الوقعة، قال التبيناوى وهو من شعراء شَمَّر في قصيدة له :

*** غطا زبار وريك مثل الهماليل ***

وقال ولد العواجى المقتول في قصيدة له يطلب فيها الأخذ بثأر أبيه :

لوى على من قاد عليا ثنيه بدور أبويه عند روس الخواوير

عليا: اسم فرس له، وهي قصيدة طويلة، فأجابه التبيناوي على هذه القصيدة بقصيدة نبطية فمنها قوله:

أبوك ضرب بحربة شوشلية كزه حبيبى كزة الدّلو في البير

ومن هنا يتضح أن أريكا الذي ذكره النابغة هو «ريك» الواقع في بلاد غطفان والذي يسمى اليوم بهذا الاسم، وشطاه: جانباه.

فأما «الأشراج» فهي مجارى الماء التي تهبط من الجبال، وتصبُّ في

الأشراج

الحِرار، وتشق بطون الارض، وشرج الذي يعنيه هنا قد مضى الكلام عليه في أشعار النابغة أيضاً.

* * *

٣١ ــ وقال النابغة :

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ وَالِجٌ مَكَانَ الشَّغَافِ تَتَّقِيهِ الْأَصَابِعُ
وَعِيدُ أبى قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ
فَبِتُّ كَأَنِّى سَاوَرَتْنِى ضَئِيلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ

راكس: قد مضى الكلام عليه غير مستقصى، قال العباس بن مرداس السُّلمى: راكس

لأسماء رَسْمٌ أصبح اليوم دارسا وأوْحش إلا رَحْرَحَانَ فراكسا

وقال دواد بن عوف أخو بني عامر بن ربيعة :

وأنا دمَمْنَا الأعلم بن خُوَيلد وحلم عقال إذ فَقَدْنا أبا حرب
إذا ما حَلَلْتُم بالوحيد وراكِسٍ فَذَلك نصرٌ طائش عن بني وهب

أما راكس فقد أعياني الوقوف على حقيقته، وبعد طويل البحث والتدقيق وقفت على حقيقته كفلق الصبح، كنت في بلد الشعرى عند تصنيف كتابي هذا، وعندي رجل علامة خبير ببلاد بني عبد الله بن غَطَفان، فعزم على السفر إلى تلك الناحية، فقلت له: ابحث لي عن راكس واعلم أنه يذكر في بعض الأشعار مقترناً برَحْرَحان، فقال: أنا أعرف رحرحان، فقلت: وتجده يُقْرَن في بعض الأشعار بالوحيد، قال: أنا أعرف الوحيد، وهو جُبَيْل صغير ليس عنده جبال، فسمى الوحيد لذلك، فلما عزم على المسير إلى غرضه قال: سآتيك بالخبر اليقين، فغاب شهراً ثم عاد إلينا في بلد الشعرى، فقال لي: وجدت راكساً وهو واقع شرقي ماءة

«بلغة» الماء المعروف بين النقرة واللعبا، قال في وصفه: إنه سناف أسود، وعنده أبرق يسمى «أبرق راكس» فتغلب هذا الأبرق على هذا الاسم فلا يعرف اليوم إلا بلفظ «أبرق راكس» وهو قريب الجبل الشاهق الرفيع، وهو صغير المنظر يقال له «عاج[1]» وراكس وعاج متجاوران، أحدهما قريب من الآخر.

الضواجع: قال في معجم البلدان[2]: هي هضاب، ثم قال: هي موضع في قول النابغة الذبياني. **الضواجع**

* **ودونـــي راكس فالضواجـــع** *

وأنا لاأعرفها بهذا الاسم في هذا العهد، وسألت الخبيرين ببلاد غطفان عن الضواجع فلم أجد لها عندهم ذكرا.

* * *

٣٢ ــ وقال النابغة في قَسَمه، وهو يعتذر إلى النعمان بن المنذر :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو إِمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ
بمُصْطَحِبَاتٍ من لَصَافٍ وَثبرة ... يَزُرْنَ إلالاً سَيْرُهُنَّ التَّدَافُعُ
سمام تُبَارِى الرِّيحَ خُوصاً عُيُونُهَا ... لَهُـنَّ رَذَايـاً بِالطَّرِيـقِ وَدَائِـعُ
عَلَيْهِنَّ شُعْثٌ عَامِدُونَ لِحَجِّهِمْ ... فَهُنَّ كَأَطْرَافِ الحنىِّ خَوَاضِعُ
لكلَّفتَني ذَنبَ امْرِيءٍ وَتَرَكْتَهُ ... كَذِى الْعُرِّيْكَوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ

لصاف: منهل معروف في الصمان شرقي الدو، وهو في طرف الشواجن من جهتها الجنوبية، وهو من النحائت القديمة من أعلاه إلى أسفله، منحوت في حجر، وطوله خمسة وثلاثون باعاً تقريباً، على طريق **لصـــاف**

(١) انظر لمعرفة عاج معجم البلدان ٨/٢٦.
(٢) انظر معجم البلدان ٤٤٢/٧.

السالك من نجد إلى الكويت، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقال له «اللصافة» واستشهد صاحب المعجم عليه ببيت النابغة المذكور، ولكنه أكثر من الروايات عنه؛ وبعضها صواب وبعضها خطأ؛ فمما أخطأ فيه من رواياته قوله: لصاف ماء بقرب شرج وناظرة، أما شرج وناظرة فهما قريب النباج الذي يقال له اليوم «الأسياح» يمر به حاجُّ العراق فيمكن أن ياقوتاً قصد منهلا على هذا الطريق يقال له «اللصف» لايزال يعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد، فأما الذي أصاب فيه فقوله: قال أبو زيد: لصاف ماء بالدو لبني تميم، هذا صحيح لصاف بالدو، وهي من مياه بني تميم في الزمن القديم، ولم يتغير هذا الاسم إلى اليوم، إلا أن المتأخرين زادوا هاء فقالوا «لصافة».

والدليل على أن لصاف منهل لبني تميم في الجاهلية قولُ المهوس الأسدى[1] وهو يهجو بنى تميم:

قد كُنْتُ أحْسِبكم أسودَ خَفِية فإذا لصاف تَبِيضُ فيه الحُمَّرُ
فترفعوا مدح الرئال فإنما تجنى الهُجَيْم عليكم والعَنْبَرُ
عضت تميم جلد أيْر أبيكُم يوم الوقيط وعاونتها حَضْجَرُ

الوقيط — والوقيط: يوم من أيام العرب، ووقيط: منهل معروف إلى اليوم قريبَ أبان يقال له في هذا العهد «وقط» حذفوا منه الياء.

ثبرة — ثبرة:[2] اسم ماء من مياه الشواجن، وهو لبنى تميم، لبني مناف بن دارم ولبني مالك بن حنظلة يقال له في هذا العهد في ألْسُن عامة أهل نجد «وبرة» أبْدِلت ثاؤهُ واواً، وهو متاخم للصافة في الجهة الشرقية منها، يبعد عنها مسافة يوم ونصف يوم تقريباً، وهو في المنتصف بين اللصافة وقرية، وبه يوم من أيام العرب، وهو اليوم الذي فر فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب

(١) انظر معجم البلدان ٣٢٩/٧.
(٢) معجم البلدان ٦/٣.

وأسّلمه ابنُه حَزْرة بن عتيبة، فقتله جعل ابن مسعود بن بكر بن وائل، وقتل وديعة بن عتيبة، وأسر ربيع بن عتيبة، فنجا عتيبة بن الحارث، وقُتل ابناه حَزْرة ووديعة، وأسر ابنه ربيع، فقال في ذلك اليوم في ابنه حزرة:

نَجَّيْتُ نفسي وتركت حَزْرَه ... نعم الفتى غَادَرْتُهُ بثبرهْ

والمنهلان معروفان بهذين الاسمين إلى هذا العهد، أما لصاف فيقال له في هذا العهد «لصافة» وأما ثبرة فيقال لها في هذا العهد «وبرة».

إلال

إلال: هو جبل عَرَفَة الذي يُحيط به الحجاج يَمْنَةً وَيسْرة يوم الوقوف بعرفة، وهو معروف اليوم عند عامة الناس بجبل الصخرات، واسمه في الجاهلية إلال، وهذا النابغة قد ذكره في شعره في قصيدته العينية، وقال النابغة أيضاً في لاميته التي مدح فيها النعمان بن المنذر:

فأرْسِلْ فِي بني ذُبْيَان فَاسأل ... وَلا تَعْجَلْ إليّ عن السُّؤال
فلا عمر الذي أثنى عليه ... وقد رفع الحجيج إلى إلال
لما أغْفَلْتُ شُكْرَكَ فاصطنعني ... وكيف ومن عطائك جُلُّ مالي؟

وقال أبو طالب يذكر إلالاً، في قصيدته اللامية المشهورة التي يُدَافع فيها عن رسول الله ﷺ:

ومَنْ حَجَّ بيتَ الله من كل راكبٍ ... ومن كل ذي نَذْرٍ ومن كل رَاجلِ
وبالمَشْعَر الأقْصَى إذا عَمَدُوا لَهُ ... إلال إلى مُفْضَى الشِّرَاج القَوَابل
وتَوْقَافهم فوق الجِبال عشيةً ... يُقيمون بالأيدى صدورَ الرواحل

وقال الرضى الموسوى :

فأقْسِمُ بالوقوف على إلَالٍ ... ومَنْ شهد الجِمارَ ومن رَمَاهَا
وَأركان العقيق ومَنْ بَنَاها ... وزمزم والمَقَام ومن سَقَاها
لأنْت النفسُ خالصةً وإن لم ... تكونيها فأنت إذاً مُنَاها

وقد أكثر الشعراء من ذكر هذا الجبل باسمه الجاهلى «إلال» وهذا الاسم قد نسى الآن، وقد صار له اسم آخر، وهو «جبل الصخرات» وإذا قيل «مشعر عرفة» فهم يعنونه، وهو يعد من المشاعر في الجاهلية وفي الإسلام.

* * *

٣٣ ــ وقال النابغة :

فَمَا أنَا فِي سَهْمٍ وَلَا نَصْرِ مَالِكٍ ... وَمَوْلَاهُمُ عَبْدِ بْنِ سَعْدٍ بِطَامِعِ
إذَا نزلُوا ذا ضَرغد فَعتَائِداً ... يُغَنِّيهِمُ فِيهَا نَقِيقُ الضَّفَادِعِ
قُعُوداً لَدَى أَبْيَاتِهِمْ يُثمدُونَهَا ... رَمَى اللهُ في تلْكَ الْأنُوفِ الْكَوَانِعِ

ضرغد — ضرغد: قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وله لَابَةٌ عظيمة قد مضى الكلام عليها، واسمه في هذا العهد «ضرغط». أبدلت داله طاء.

عتائد — عتائد: قال في معجم البلدان(١): عتائد ماء بالحجاز لبني عوف بن نَصْر بن معاوية خاصة، ليس لبني دهمان فيها شيء، عن الأصمعي، أما هذا الموضع فهو معروف قريب الطائف، وقد تغير اسمه بعض التغير فصار يقال له «عتود»، وهو في بلاد بني عوف بن نصر بن معاوية، وقال أيضاً في المعجم(٢): قال العمراني في هضبات أسفل من أبُر لبني مرة، وهذا الموضع هو الذي عناه النابغة؛ لأنه قريبُ بلادِ بني مرة ولأنه قرنه بضَرْغد وأنا أعرف وادياً يقع بين ضرغد والحائط الذي كان يقال له في الجاهلية «فدك» يعرف بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا العهد يقال له «عتاد» في موضع متسع، وهو بين حَرَّتين.

* * *

(١، ٢)معجم البلدان ٦/١١٦.

٣٤ ــ وقال النابغة، وهو مطلع القصيدة التي مدح بها النعمان بن المنذر وقد أوردنا ذكر إِلَالٍ منها:

أَمِنْ ظَلَّامَةَ الدِّمَنُ الْبَوَالِي بِمُرْفَضِّ الْحَبِّى إِلَى وُعَالِ
فأَمْوَاهِ الدَّنَا فَعُوَيْرِضَاتٍ دَوَارِسَ بَعْدَ أَحْيَاءٍ حِلَالِ
تَأَبَّدَ لَا تَرَى إِلَّا صُوَاراً بِمَرْقُومٍ عَلَيْهِ الْعَهْدُ خَالِى
تَعَاوَرَهَا السَّوَارِى وَالْغَوَادِي وَمَا تُذْرِى الرِّيَاحُ مِنَ الرِّمَالِ

الحبى الحبى: موضع في تهامة، كان لبني أسد وكنانة، وهو الذي قال فيه مُضَرس بنُ رِبْعى[1]:

لعمرك إنَّني بِلوَى حُبَى لأرجى عائنا حذرا أزوحا[2]
أرى طيراً تمرُّ ببين سَلْمى وقبل النفس إلا أن تريحا

وحُبّىٰ ــ بالضم وتشديد الباء مقصوراً ــ موضع في قول الراعي، ومنهم من قال: إنه اسم امرأة، ولكنه للموضع أقرب:
أبتْ آياتُ حُبَّى أنْ تُبِينَا لَنَا خَبَراً فأبكين الحزينا.

ولا أعرف الآن موضعاً بهذا الاسم، إلا منهلا قريب نجران يقال له «حبيّة».

وعال أما «وُعَال» فقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وهناك جبل في عالية نجد الجنوبية يقال له «وعلة» ومنهم من يقول له «وعال» وهو جبل طرفه الشمالى منعقد في جبل كرش الواقع قريب الصخة مما يلى مطلع سهيل، وطرف وعال الجنوبى يتصل بحدود ماءة «الكبدى» وهو منهل

---

(١) معجم البلدان ٣/٢١٥.
(٢) وقع في معجم البلدان «أروحا» بالراء المهملة ــ وهو تحريف، صوابه ما أثبتناه بالزاى، والأزوح : المتخلف المتباطىء المستأخر عن المكارم، قال الراجز :
جرى ابن ليلى جرية السبوح جرية لا كاب ولا أزوح

معروف في عالية نجد الجنوبية قد ذكرناه في ذكر الأملاح.

الدنـا — الدَّنَا: قال في معجم[1] البلدان: إنه موضع بالبادية، وقيل: في ديار بني تميم بين البصرة واليمامة، واستدل ببيت النابغة الذي أثرناه، ثم انتقل إلى موضع ثان، وقال: إنه قريب الكوفة واستدل بشطر بيت للمتنبى :

*** وغَـــادَى الأضارعَ ثم الدَّنـــا[2] ***

عويرضات — عويرضات: موضع، قال عامر بن الطُّفَيل :

وقد صبحـن يوم عويـرضات ... قبيل الصبح باليمن الحصيبا

وأنا لاأعرف موضعاً بهذا الاسم، إلا موضعاً واحداً يقارب اسمه ذلك الاسم، وأظنه الذي عناه النابغة، سِناف بين الشقرة والسواد، منقطع من جبل النير في شرقيه، يقال له «متعرضات» طرفُها الشمالى يتصل بوادي بحار، وطرفها الجنوبى يتصل بوادي المصلوب الذي كان يقال له في الزمن القديم «المسلوق» وغربيها جبل النير، وشرقيها جبل الخوار، وسيول تلك الناحية تصب في وادي طينان الذي يقطعه طريق السيارات بين القاعية وجبل ذريع، وتصب تلك السيول في وادي خنوقة، وخنوقة معروفة بهذا الاسم منذ العهد القديم إلى هذا العهد، قال القُحَيف العقيلى[3]:

تحملن من بطن الخنوقة بعدما ... جرى للثريا بالأعاصير بارح

وقد ذكرنا تفصيل تلك الأودية التي يصب سيلهُا في وادي الرشاء.

* * *

---

(١) معجم البلدان ٨٩/٤.

(٢) صدره * ومسى الجميعى دأداؤها * وهو من قصيدة له يهجو فيها كافورا الأسود.

(٣) قلت : وهو القحيف بن حمير بن سليم العقلي : شاعر عده الجمحي في الطبقة العاشرة من الإسلاميين، وكان معاصراً لذى الرمة، له تشبيب بمحبوبته (خرقاء) وعاش إلى يوم (الفلج) الذي قتل فيه يزيد بن الطثريه مات سنة ١٣٠ هـ. انظر الاعلام ٣٠/٦ ــ ٣١.

٣٥ ـــ وقال النابغة من قصيدته التي رثى بها النعمان بن الحارث الغسانى التي مطلعها:

دَعَاكَ الْهَوَىٰ وَاسْتَجْهَلَتْكَ الْمنَازِلُ ... وَكَيْفَ تَصَابِى الْمرَءِ وَالشَّيْبُ شَامِلُ

إلى أن قال في ذكر راحلته :

وسَلَّيْتُ مَاعِنْدِي بِرَوْحَةِ عِرْمِسٍ ... تَخُبُّ بِرَحْلِي تَارَةً وَتُنَاقِلُ
مُوَثَّقَةِ الأَنْسَاءِ مَضبُورَةَ الْقَرَى ... نَعُوبٌ إِذَا كَلَّ الْعِتَاقُ الْمَرَاسِلُ
كَأَنِّي شَدَدْتُ الرَّحْلَ يَوْمَ شَدَدْتُه ... عَلَى قَارِحٍ مِمَّا تَضَمَّنَ عَاقِلُ

عاقل: قد مضى الكلام عليه، يقال له اليوم «العاقلي» يصب في وادي الرمّة، في جهته الجنوبية مما يلي الرس. عاقل

* * *

٣٦ ـــ وقال النابغة في هذه المرثية :

فآبَ مُصَلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّـــةٍ ... وَغُودِرَ بالْجَوْلَانِ حزْمٌ وَنَائِلُ
سَقَى الْغيْثُ قَبْراً بيْنَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ ... ثَوَى فِيهِ جُودٌ فَاضِلٌ وَنَوَافِلُ
وَلَا زَالَ يَسْقِي بَطْنَ شَرْجٍ وَجَاسِمٍ ... بِغيْثٍ مِنَ الْوسْمِيِّ قَطْرٌ وَوَابِلُ

الْجَوْلان، وبُصْرى: قد مضى الكلام عليهما. الجولان

جاسم: قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ، على يمين الطريق إلى طبرية، سميت باسم جاسم بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه: جاسم

* فَقَفَا جاسمٍ فأودية الصفر مَغْنَى قنابل وهجان *

وقد نسب إليها عدى بن الرقاع العاملي الطائي الشاعر، وقد قال:

لولا الحياة وأن رأسي قد عَسَى فيه المشيبُ لزرْتُ أَمَّ القاسِمِ
وكأنها بين النساء أعارها عينيه أَحْوَرُ من جآذِرِ جاسِمِ
وَسْنَان أَقْصَدَه النعاسُ فرنَّقَتْ في عَيْنه سِنَة وليس بنائم

شرج أما شرج فقد مضى الكلام عليه في مواضع كثيرة. وأما شرج الذي ذكره النابغة وقَرَنه بجاسم فهو واد من أودية جاسم، وكل واد يطلق عليه لفظ «شرج».

* * *

٣٧ ــ وقال النابغة :

وَيَنبتُ حَوْذَانًا وَعوْفاً مُنَوِّراً سَأتْبِعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قالَ قَائِلُ
بَكى حَارِثُ الَجْولَان مِنْ فَقْدْ رَبِّهِ وَحَوْرَانُ مِنْهُ مُوحِشٌ مُتَضَائِلُ
سُجُوداً له غَسَّانُ يَرْجُونَ أَوْبَهُ وَتُرْكُ وَرَهْطُ الْأَعْجَمِينَ وَكابِلُ

حارث الجولان، وجولان، وحوران: قد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا.

* * *

٣٨ ــ وقال النابغة، وهو مطلع قصيدته التي ذكر فيها غزوة عمرو بن الحارث الأصغر الغساني لبني مرة :

أَهَاجَكَ مِنْ أَسْمَاء رَسْم الْمنَازِلِ بِرَوْضَةِ نُعْمِيٍّ فَذَاتِ الْأَجَاوِلِ
أَرَبَّتْ بهَا الْأَرْوَاحُ حَتَّى كأنَّمَا تهَادَيْنَ أَعْلَى تُرْبِهَا بالْمنَاخِلِ
وَكُلُّ مُلِثٍّ مُكْفَهرٍّ سَحَابُهُ كمِيشِ التَّوَالِى مُرْتعنِّ الْأسَافِلِ

روضة نعمى روضه نعمى: قد مضى الكلام عليها، ولا تكون إلا قريب وادي النعيم الذي ذكرناه في عالية نجد.

ذات الأجاول: لم أجد لها ذكراً في بلاد العرب الآن، ولعل اسمها قد تغير. **ذات الأجاول**

* * *

٣٩ ــ وقال النابغة :

نَصَحْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا وَصَاتِي، ولَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ رَسَائِلِي
فقُلْتُ لَهُمْ لَا أعْرِفَنَّ عَقَائِلاً رَعَابِيبَ مِنْ جَنْبَيْ أرِيكَ وَعَاقِلِ

أريك وعاقل أريك، وعاقل: قد مضى الكلام عليهما.

* * *

٤٠ ــ وقال النابغة :

خِلَالَ الْمَطَايا يَتَّصِلْنَ وَقَدْ أَتَتْ قَنَانُ أُبَيْرٍ دُونَهَا وَالْكَوَاتِلِ
وَخَلَّوْا لَهُ بَيْنَ الْجُبَابِ وَعَالِجٍ فِرَارَ الْخَلِيطِ ذِي الْأَذَاةِ الْمُزَايِلِ
وَلَا أعْرِفَنِّي بَعْدَمَا قَدْ نَهَيْتُكُمْ أُجَادِلُ يَوْماً بين شرى وَحَائِلِ

قنان أبير القنان غير المضاف إلى أبير قد مضى الكلام عليه، وأما القنان المضاف إلى أبير فلا أعلم موضعاً في بلاد العرب بهذا الاسم في هذا العهد، إلا موضعاً واحداً يقرب اسمه من هذا الاسم، وهو من المدينة في جهة مطلع الشمس يقال له «البوير» ولايزال معروفاً بهذا الاسم إلى هذا العهد.

الكواتل الكواتل: قال في معجم البلدان[1]: الكواثل: جمع كوثل، وهو مؤخر السفينة، واسم موضع في أطراف الشام مر به خالد بن الوليد لما قصد الشام من العراق. واستدل ابنُ السكيت ببيت النابغة المذكور، ثم قال :

(١) المعجم ٢٨٩/٧.

الكواتل ــ بالتاء ــ من نواحي أرض ذُبْيَان، تلى أرض كلب.

وأنا أعرف موضعا لايزال معروفاً بهذا الاسم إلى هذا العهد.

الجباب الجباب: عطف عالجا عليها، وقد مضى الكلام عليها.

عالــج عالج: قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وهو الأكثبة المرتكمة عن الأسياح شمالا.

شرى شرى: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، في بلاد طى، وهو من المياه المعروفة في تلك الناحية الشمالية في الجاهلية والإسلام، وقد أكثر الشعراء من ذكره، قالت امرأة من طى(١):

دَعَا دعوة يوم الشرى يالَمَالِكٍ ومن لم يُجب عند الحفيظة يكلم
فيا ضَيْعَةَ الفتيان إذ يعتلونه ببطن الشرى مثل الفنيق المسدَّل
أما في بني حصن من ابن كريمة من القوم طَلَّاب التِّراتِ غشمشم
فيقتل حُرًّا بامرىء لم يكن له بَوَاء، ولكن لاتكايل بالدم

وشرى باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقع في جهة «حائل» مما يلي مطلع الشمس على مسافة يوم تقريباً.

حائــل حائل: قد مضى الكلام عليها، وهي عاصمة قرى الجبل، ولاتزال بهذا الاسم إلى هذا العهد، وأميرها اليوم عبد العزيز بن مساعد بن جلوى ابن عم جلالة الملك.

* * *

(١) معجم البلدان ٢٤٥/٥، والشرى في هذه الأبيات مقصور كفتى، وفي بيت النابغة بوزن ظبى.

٤١ ــ وقال النابغة :

تحِينُ بِكَفَّيْهِ الْمَنَايَا وَتَارَةً تَسِحَّانِ سَحًّا مِنْ عَطَاءٍ وَنَائِلِ
إذَا حَلَّ بالْأَرْض الْبَرِيّةِ أصْبَحَتْ كَئِيبَةَ وَجْهٍ غبها غيْرُ طَائِلِ
يَؤُمُّ بربْعِيٍّ كأنَّ زُهَاءَهُ إذَا هَبَطَ الصَّحْرَاءَ حَرَّةُ رَاجِلِ

حرة راجل: قد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا. حرة راجل

* * *

٤٢ ــ وقال النابغة في مرثية له في أخيه صحار، وهو أخوه لأبيه وأمه، وأمهما عاتكة:

لايهنأ الناسَ مَا يَرْعَوْنَ مِنْ كَلأٍ وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أهْلٍ وَمِنْ مَالِ
بَعْدَ ٱبْن عَاتِكَةَ الثَّاوِى عَلَى أَبْوَى أَضْحىٰ بِبِلْدَةِ لَاعَمٍّ ولَا خَالِ
سَهْلِ ٱلْخليقةِ مَشّاءٍ بِأقْدُحِهِ إلَى ذَوَاتِ الذُّرَى، حَمَّالِ أَثْقَالِ
حسْبُ ٱلْخلِيلَيْنِ نأْىُ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا، وَهَذَا تَحْتَهَا بَالِ

أبْوَى ــ بفتح الباء ــ الذى ذكر النابغة أن فيه قبر أخيه: اسْم موضع أو جبل بالشام، وأما الذي بسكون الباء مقصوراً فاسم لقريتين على الطريق السالك من البصرة إلى مكة منسوبتين إلى طَسْم وجَديس، واقعتين في القصيم، قال المثقَّبُ العبدي : أبوى

ألَا مَنْ مُبلغ عَدْوان[1] عنى وما يُغْنى التوعُّدُ من بعيد
فإنك لو رأيت رجالَ أبْوَىَ غداة تَسَرْبَلُوا حلَقَ الحديد
إذاً لظننت جنة ذي عرين وآسادَ الغريفة في صعيد

---

(١) قلت: ومازالت بقايا قبيلة عدوان العربية مقيمة في الجزيرة الفراتية بالقرب من رأس العين في بعض القرىٰ المحيطة بها.

والأبواء: موضع معروف بين مكة والمدينة، ولايزال بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد سئل كثيّر الشاعر: لماذا سميت الأبواء أبواء؟ فقال: لأنهم تبوؤوا بها منزلاً، وهي قريب «الفرع» بينها وبين الجُحْفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، قال ابن قيس الرقيات :

فمنًى فالجمار من عبد شمسٍ ... مُقْفِرات فبلدح فحراء
فالخيامُ التي بعُسْفَان أقْوَتْ ... من سُلَيمى فالقَاع فالأبواء

الأبواء

وبالأبواء قبر آمنة بنت وَهْب أم النبي ﷺ، وكان السبب في دَفْنها هناك أن عبدَ الله والد رسول الله ﷺ كان قد خرج إلى المدينة[1] يمتار تَمْراً فمات بالمدينة، فكانت زوجتُه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب تخرج في كل عام إلى المدينة تزور قبرهُ، فلما كان رسول الله ﷺ ابَن ست سنين خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطَّلب وأم أيمن حَاضنة رسول الله ﷺ، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها، ويقال: إن أبا طالب زار أخواله بني النَّجّار بالمدينة، وحَمَل معه آمنة أم رسول الله ﷺ، فلما رجع منصرفاً إلى مكة ماتت آمنة بالأبواء.

* * *

٤٣ ــ وقال النابغة :

بَانَتْ سُعَادُ وأمْسَى حَبْلُهَا انْجَذَمَا ... وَاحْتَلَّتِ الشَّرْعَ فَالْأَجْزَاعَ مِنْ إضَمَا
احْدَى بَلِّى وَمَا هَامَ الْفُؤَادُ بِهَا ... إلَّا السَّفَاة وَإلَّا ذكرَةً حُلُمَا
لَيْسَتْ مِنَ السُّودِ أعْقاباً إذَا انْصَرَفَتْ ... وَلَا تَبيعُ بجنْبَىْ نَخْلَةَ الْبُرَمَا

(١) المشهور أنه خرج في تجارة قريش إلى الشام، فلما كان في طريقة عائداً إلى مكة مرض فعرج على المدينة ليتمرض فيها عند أخواله ــ وقيل : أخوال أبيه عبد المطلب ــ فمات بها.

الشرع: وادٍ معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، قريب صفينة به ماءة يقال لها «الشارعة» وهي التي عناها الشاعر. الشرع

إضم: هذا الاسم يطلق على مواضع يسمى كل واحد منها بهذا الاسم؛ يطلق هذا الاسم على موضع بالعراق معروف بهذا الاسم، والموضع الثاني: بطن كبير من الأرض في جهة النباج، وهو حنيظل وأبو الدود، وبه قصور ونخيل ومزارع، وهو من قرى الأسياح، والموضع الثالث: وادٍ يصب من الجبال المجاورة للمدينة حتى ينتهي إلى البحر يقال له «إضم» وهو الذي عناه الشاعر، وهو الذي عناه سلامة بن جندل[1] بقوله: إضم

يادار أسْمَاءَ بالعلياء من إضَمِ　　بين الدَّكادك من قَوٍ فمعصوب
كانت لها مرة دارا فغيرها　　مَرُّ الرياح بسافِي التُّرْب مجلوب

الموضع الرابع: منهل في بلاد العرب، وهو بضم الهمزة، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم، وهو الذي قال فيه عنترة العبسي:

عجلت بنو شيبان مدتهم　　والبقعُ أستاهَا بنو لأم
كنا إذا نفر المطيُّ بنا　　وبدت لنا أحواض ذي أضْمِ
نعدى فنطعن في أنوفهم　　نَخْتارُ بين القتلِ والغنمِ

والشرع المتقدم ذكره المجاور لصفينة هو الذي يقول فيه بَشَامة بن الغَدِير[2]:

طن الديار عَفَوْنَ بالجزع　　بالدوم بين بحار فالشرع

وهو الذي يقول النابغة فيه أيضاً :

(١) معجم البلدان ٢٨١/١ على اختلاف ضبطه في شعر سلامة وشعر عنترة.
(٢) المعجم ٢٥٢/٥.

لسعدى بشرع فالبحار مساكن قفار تَعَفَّتْها شَمالٌ فداجنُ

نخلة نخلة: ذكروا أن العرب في الجاهلية لهم سوق، إذا أفضت نخلة الشامية على بستان ابن عامر في مكان عين الجديدة اليوم؛ هناك سوق تباع فيه على الحاج موجوداتُ البلاد؛ ومنها البرم، والبرم: أوانٍ من الطين، فيها الكبير والصغير، والكبير منها يطبخ فيه الحمل من الضأن، والصغير يستعمل لشرب الماء، ونخلة الشامية هي التي تمر في عين المضيق وتصب إلى وادي فاطمة جَمِيعُ سيولها، وهي التي يقول فيها كثير:

حلفت برب المُوضِعين عشيةً وغيطانُ فلج دونهم فالشقائق
يحثون صبح الحر خُوصاً كأنها بنَخْلة من دون الوحيفِ المطارق
لقد لقيتنا أم عمرو بصادقٍ من الصرم أو ضاقت عليها الخلائق

* * *

٤٤ ــ وقال النابغة :

هَلا سَأَلْتَ بَنِي ذبْيَانَ مَاحَسَبِى إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الْأَشْمَطَ الْبَرَمَا
وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ ذي أُرُلٍ تُزْجِى مَعَ الصُّبْحِ مِنْ صُرَّادِهَا صِرَمَا
صُهْبَ الظلَالِ أَتيْنَ التِّينَ عَنْ عُرُضٍ يُزْجِيَن غَيْماً قليلاً مَاؤُه شَبِمَا

أرل أرل: موضع ذَكروا أنه في بلاد غطفان، وأنا لاأعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، وامرؤ القيس ذكره بضبط آخر حين قال:

تخطَّف خزان الشَّرَبّة بالضحى وقد حجرت منها ثعالب أورال

التين التين : جبل أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، وهو في بلاد بني أسد، بالقرب من سميراء، وهو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم في الجاهلية وفي الإسلام، وهذا الجبل قد رأيته، أصله واحد، وأعلاه كأنه جبلان، قال شاعر أسدي[١]:

(١) انظر معجم البلدان ٤٤٤/٢ وفيه «ممنونة رهبا».

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً بأسفل ذات الطلح ممنوعة رهبا
وهل قائل هذاكُمُ التين قد بدا كأن ذرى أعلامه عممت عصبا
ولا شارب من ماء زلفة شربة على الْعَلِّ منى أو مُجِيرٌ بها ركبا

وأنشد شاعر آخر أسدى، وثناه :

أحبُّ مغارب التينين إنـى رأيت الغوث يألفها الغريب
كأن الجار في شَمَجَى بن جرم له نعماء أو نسب قريب

وقال شاعر من بنى فَقْعس، وقد ثناهُ أيضاً :

أرَّقَنِـى الليلَـة برقٌ لامـعُ من دونـه التينانِ والربائـعُ

والربائع قد مضى الكلام عليها، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد قريب التين، وقال العوام بن عبد الرحمن:

أحقّاً ذرَى التينين أن لَسْتُ رائياً قِلَالَكما إلا لعينىَ ساكبُ

وهناك جبل آخر يقال له «تين» واقع جنوبىَّ منهل القنصلية الواقعة في أسفل الوادي وادي الخرمة، يبعد عنها مسافة نصف يوم، وشرقيَّ بلد الخرمة على مسافة يوم أو أكثر، معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم.

* * *

٤٥ ــ وقال النابغة :

بَاتَتْ ثَلَاثَ لَيَالٍ ثُمَّ وَاحِدَةً بِذِي الْمَجَازِ تُرَاعِي مَنْزِلاً زِيَمَا
فَانْشَقَّ عَنْهَا عَمُودُ الصُّبْحِ جَافِلَةً عَدْوَ النُّحُوصِ تَخَافُ الْقَانِصَ اَللَّحِمَا

وفيها :

تَحِيدُ مِنْ أَسْتَنٍ سُودٍ أَسَافِلُهُ مَشْىَ الْإِمَاءِ الْغَوَادِى تَحْمِلُ الْحُزَمَا
أوذِي وُشومٍ بِحَوْضَى بَاتَ مُنْكَسِرًا فِي لَيْلَةٍ مِنْ جمَادَى أخْضَلَتْ دِيَماَ

ذو المجاز

ذو المجاز[1]: واقع في وادي المغمس، إذا قطعت وادي الشرائع المعروف وأنت قاصدُ مكة أتيتَ وادي المغمس في الطريق على يسارك، فإذا أنت حاذيت كَبْكَب فهو هناك، فيه آثار قديمة لاتزال ماثلة إلى هذا العهد، وهو سوق من أسواق الجاهلية المشهورة، ولكن هذا الاسم قد أَمَّحَىٰ واضمحل إلا عند القليل، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يخاطبُ أبا سفيان في شأن أبي أزيهر، وكان الوليد بن المغيرة المخزومى قَفَلَة، وكان أبو سفيان صِهْرهُ، فأراد حَقْن الدماء وأدَّى عَقْلُه[2]، ولم يطالب بدمه، فقال[3]:

غدا أهلُ ضوجَىْ ذي المجاز كليهما وجارُ ابنِ حرب بالمُغَمَّسِ ما يغدو
ولم يمنع العير الضروط ذِماره وما منعت مَخْزاة والدها هندُ
كساك هشامُ بن الوليد ثيابَهُ فأبْلِ وأخْلِقْ مثلها جُدداً بعدُ

وقال المتوكل الليثي :

للغانيات بذى المجاز رسومُ في بطن مكة عَهْدُهُنَّ قديمُ
لاتنه عن خلق وتأتى مثلَه عار عليك إذا فَعَلْتَ عظيمُ

حوضى

حوضى: جبل أسود في عالية نجد لبني عامر بن صعصعة، عند ماءة يقال لها «ورشة» يقع شرقيها، على مسافة نصف ساعة للراجل، وهو معترض شمالاً وجنوباً، من أحد طرفَيْهِ إلى طرفه الآخر مسافة ساعة للراجل، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العَهد لم يتغير منه شيء، وأحببت أن أورد ما حضرني من الشواهد لشعراء[4] الجاهلية وغيرهم، قال أبو خِرَاش الهُذَلى :

---

(١) المجاز فيه بئر باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقال لها «ذو المجاز» وهي في الموضع الذي ذكرنا تّحديده، يعرفها جميع أهل تلك الناحية.

(٢) العقل ــ بالفتح ــ الدية.

(٣) انظر معجم البلدان ٣٨٥/٧.

(٤) انظر جميع هذه الشواهد في معجم البلدان ٣٦٦/٣.

فأقسمَت لا أنسى قتيلا رزئتُهُ بجانب حوضى ما مشيت على الأرض

وقال أبو ذؤيب :

من وحش حوضى يراعى الصيد مبتقلا كأنه كوكب في الجو منفرد

وقرأت في نوادر أبي زياد: حوضى منازل بني عقيل، وفيه حجارة صلبة، ليس بنجد أصلب منها، قال ذو الرمة :

إذا ما بَدَت حوضى وأعرض حارك من الرمل تمشى حوله العين أعفر

لقد صدق غيلان في هذا التشبيه، لأن الحارك المرتفع من الرمل، وحوضى يجاورها عرقُ سبيع وهي في ضفته الشرقية، يرى جبل حوضى من مسافة يوم أو أكثر، وهي أعظم دليل للسفار على ماءة «ورشة» وهي بئر واحدة لكنها لا تنضب على كثرة من يردها. وقد وردت هذا المَنْهل مراراً، ومررت على حوضى في طريقي للاتجار.

وقرأت في بعض الكتب أن أعرابية توفى زوجها فخطبها ابن عم لها، فأطرقت وجعلت تنكت الأرض بأصبعها حتى خَدَّت فيها حفيراً وملأته بدموعها وقد دفن زوجها في سفح حوضى، ثم قالت:

فإت تسألاني عن هَوَاى فإنه مقيمٌ بحوضى أيُّهَا الرجلانِ
وإن تسألاني عن هَوَاي فإنه رهينٌ له بالبث يافَتَيَانِ
وإني لأَسْتَحْيِيه والتربُ بيننا كما كنت أستحييه وَهْوَ يراني
أهابك إجلالاً وإن كنت في الثَّرَى وأكره حقاً أن يسؤك مكاني

فقام الفتى وآيس منها، ثم رآها بعدُ عند قبر زوجها في أحسن زي، فقال لرجل معه: أما ترى فلانة في أحسن زى؟ لقد خرجت متعرضة للرجال، فلما دنت من قبر زوجها التزمته وأنشأت تقول:

ياصاحبَ القبر يامن كان يَنْعَم بي عيشاً ويكثر في الدنيا مُوَاتاتي
لما علمتك تهوى أن ترانِيَ في حَلْى وتهواه من ترجيع أصواتى
فمن رآني رأى حَيْرَى مُفَجَّعَةً بشهرة الزى أبكى بين أموات

ثم شهقت شهقة فارقت معها الدنيا، فدفنت إلى جنب زوجها.
وقال القتال الكلابي[1]، وحوضى من بلاد قومه:

وما أنس مِ الأشياء لاأنس نسوةَ طوالعَ من حوضى وقد جَنَحَ العصر
ولا موقفى بالعَرْج حتى أجنها عليَّ من الْعَرْجَيْنِ أسبرة حمر
طوالع من حوضى الرداة كأنها نواعم من مرّانَ أوقرها النشر
بشرقيِّ حوضى أخرتنى منازل قفار، جلا لي عن معارفها القطر
تُنِيرُ وتُسْدِى الريح في عَرَصَاتها كما نمنم القرطاسَ بالقلم الحَبْرُ
وخيط نعامى الربد فيها كأنها أباعِرُ ضُلَّال بآباطها نشر

وحوضى: واقعة شرقي عِرق سبيع وغربي جبل الصاقب.

* * *

٤٦ ــ وقال النابغة :

بَاتَ بِحقْفٍ منَ الْبَقَّارِ يَحْفِزُهُ إِذَا اسْتَكَفَّ قَلِيلاً تُرْبَهُ انْهَزَمَا
مُوَلِيَ الرِّيحِ رَوْقَيِهِ وَجَبْهَتَهُ كالْهبرقيِّ تَنَحَّى يَنْفُخُ الْفَحَمَا

البقار البقار: المواضعُ التي أعرفها بما يقرب من هذا الاسم في هذا العهد منها «أبقار» وهي أودية وسنفان بين منهل عفيف ومنهل القاعية على الطريق السالك من مكة إلى الرياض، وموضع «أبقار» بين المنهلين، وهي التي قال فيها صاحب المعجم[2]: هي من الحمى، واستدل بقول الشاعر:

---

(١) **مرت ترجمته.**
(٢) معجم البلدان ٢/٢٥٠.

إلَّا كداركُمُ بذِى بقَرِ الحمى   هيهات ذو بقَرٍ من المزدار

وقال القُحَيف العقيلي وهو يقصد «أبقارا» المشار إليها، لأنه من أهل تلك الناحية:

فياعجبا منى ومن طارق الكَرَى   إذا منع العين الرقاد وسهدا
ومن عبرة جاءت شآبيبَ إنْ بَدَا   بذى بَقَرٍ آيات ربع تأبـدا

وأعرف وادياً يقرب اسمه من هذا الاسم إلى هذا العهد، وهو واقع بين الزلفى والأرطاوية، يقال لذلك الوادى «بقر»، وأعرف منهلا في عالية نجد يعد من الأملاح، يقال له «البقرة» وهو من أعذب الأملاح، وأعرف مخلافاً من مخاليف الطائف يقع جنوبي الطائف يقال له «بقران».

* * *

٤٧ ــ وقال النابغة :

حَتَّى غَدَا مِثْلَ نَصْلِ السَّيْفِ مُنْصَلِتاً   يَقْرُو الأَمَاعِزَ مِنْ لُبْنَانَ والْأَكَمَا
وَغَارَةٍ ذَاتِ أَظْفَـارٍ مُلَمْلَمَـةٍ   شَعْوَاءَ تَعْتَسِفُ الصَّحْرَاءَ وَالْأَكَمَا
أَقْدَمْتُها وَنَوَاصِى الْخَيْلِ شَاحِبَةٌ   جَرْدَاءَ عِجْلِزَةٌ أرْمى بِهَا قُدُمَا

لبنان: شهرته تكفي عن تحديده، ولكني أحب أن أورد عبارة صاحب معجم البلدان[1] قال: لُبْنَان ــ بالضم وآخره نون ــ قال رجل لآخر: لي إليك حُوَيجة، فقال: لا أقضيها حتى تكون لبنانية، أي مثل لبنان، وهو اسم جبل، وهو فُعْلَان منصرف، كذا قال الأزهرى، ولبنان: جبل مطل على حمصٍ، يجىء من العرج الذي بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام، فما كان بفلسطين فهو جبل الحَمَل، وما كان بالأردن فهو جبل الجَليل، **لبنان**

(١) معجم البلدان ٧/٣٢٠.

وبدمشق سنير، وبحلب وحماة وحمص لبنان، ويتصل بأنطاكية والمصِّيصة فيسمى هناك اللُّكَامَ، ثم يمتد إلى ملطية وسُمَيْساط وقاليقلا إلى بحر الخَزَر فيسمى هناك القَبْق، وقيل: إن في هذا الجبل سبعين لساناً، لايعرف كل قوم لسانَ الآخرين إلا بترجمان، وفي هذا الجبل المسمى لبنان كورة بحمص جليلة، وفيه من جميع الفواكه والزروع من غير أن يزرعها أحد، وفيه يكون الأبدال من الصالحين، وقال أحمد بن الحسين بن حيدرة المعروف بابن الخراساني الطرابلسي(١):

دَعُونِى لَقىً في الحرب أطفو وأرْسُبُ ... ولا تنسبونى فالقواضب تنسب
وإن جهلَتْ جُهّال قومي فضائلي ... فقد عرفَتْ فضلى مَعَدٌّ ويعرب
ولا تعتبوني إذ خرجت مُغاضباً ... فمن بعض مابي ساحلُ الشام يغضَبُ
وكيف التذاذي ماء دجلة معرقا ... وأمواه لبنان ألَذُّ وأعذب
فمالي وللأيام لا دَرَّدَرُّهَا ... تُشرق بى طَوْراً وطَوْراً تغرب

* * *

٤٨ ــ وقال النابغة :

أَبْلِغْ بَنى ذُبْيَانَ أنْ لَا أخالَهُمْ ... بِعَبْس إذَا حَلُّوا الدّمَاخَ فَأظْلَمَا
بِجمَعٍ كَلَوْنِ ٱلأعْبَلِ الْجَوْنِ لَوْنُهُ ... تَرَى في نَوَاحِيهِ زُهَيْراً وَجِذْيَمَا

دماخ

دماخ: لا أعرف موضعاً بهذا الاسم إلا جبلاً مشهوراً في عالية نجد يقال له «دمخ» وهو باقٍ على اسمه إلى هذا العهد، وقد مضى الكلام عليه.

(١) قلت: هو أحمد بن الحسين بن حيدرة، أبو الحسين، المعروف بابن خراسان: شاعر، من أهل طرابلس الشام. كان هجاءاً هجا فخر الملك وأخاه فأمر به فضرب حتى مات. ودفن بطرابلس. له «ديوان شعر» كان مترفاً في حياته، أورد له سبط ابن الجوزي أبياتاً، قال الحافظ ابن عساكر إنه عملها في بركة له في طرابلس. انظر الأعلام ج ١١٣/١.

أظلم

فأما «أظلم» فأنا أعرفه، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، تراه بعينك إذا كنت في الحناكية، يقع في غربيها الشمالي على مسافة أقل من نصف يوم، وهو الذي قال فيه[1] كثير:

سقى الكُدْر فاللَّعْباء فالبرق فالِحمىٰ فَلوْذَ الحصى من تَعْلَمَين فأظْلَمَا

وأظلم معروف عند جميع أهل نجد في تلك الناحية التي ذكرنا، والمواضع التي ذكرها كثير في هذا البيت ــ وهي: الكدر، واللعباء، والبرق ــ كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، يطوف عليها الراكب في يوم ونصف يوم، أما أظلم ففي شماليها وأما اللعباء ففي جنوبيها.

وقد كنت في الحناكية ضيفاً عند أحمد بن نيف العلوي في أواخر الحرب العظمىٰ سنة ١٣٣٧ هجرية، فبينا نحن في قصره نشرب القهوة سألت أهل تلك البلد عن جبل معترض أسْوَدَ فقالوا: هذا الجبل أظلم، وقد كنت رأيت ذكره في الأشعار وفي كتب المعاجم، فغربت الشمس عنا ونحن جلوس مما يلى طَرَفهُ الغربى، ولا يبعد أظلم عن الحناكية أكثر من نصف يوم.

أما جبل دماخ فقد ذكرت أني لا أعرفه ولا أعرف موقعه، إلا أني خرجت من الحناكية يوماً وسرت متجهاً إلى جهة الشرق قاصداً قريات الحمى مسكة وضرية، فلما خلفت جبل رَحْرَحَان المتاخِمَ للحناكية الواقعَ في جنوبيها التفتُّ على يميني ثم سألت رجلاً في صحبتنا من أهل تلك الناحية: ما هذه الهضبة؟ فقال: هي «الدمخاء» وأعتقد أن الدمخاء هذه هي دماخ الذي ذكره النابغة، فلما خلفنا الدمخاء المذكورة التفتُّ على يميني فرأيت أبرق رملٍ مرتفعاً إلى السماء في أرض مصطحبة، فقلت لصاحبي: ما هذا الأبرق؟ فقال: هذا «قوز اللعباء» الذي تسمع به، نفع

(١) : معجم البلدان ١/٢٨٨.

الله الناس به، فقلت: ما سبب المنفعة؟ قال: إن به جنّاً يسكنونه، فإذا اشتكى المريضُ خرجوا به إلى هذا القوز، فيذبحون عنده ويهدون إليه الحلى والحلل وخواتم المرضى. فقلت له: إلى هذا العهد؟ فقال: إلى هذا العهد، ولكنه قد قل اليوم خوفاً من تأديب الحكومة، وهذه إحدى خرافات الأعراب المقيمين في بلاد غَطَفان، وثمة خرافة أخرى لأعراب عتيبة تتعلق بأبرق خنوقة الذي على طريق مكة، إذا قطعت وادي الرشا وأنت قاصد مكة وخَلَّفت جبل ذريّع جهة منكبك الأيسر ثم التفت إلى يمينك رأيت هضبة شهباء بها أبرق رمل له ذكر في أشعار العرب بهذا الاسم إلى هذا العهد، ولكن هذه الخرافات انقطعت ببركة جلالة الملك وهمته وإقامته معالم الدين وإزالته البدع والخرافات.

وسبب نزول أحمد بن نيف بلَدَ الحناكية الذي كنت ضيفاً عنده أنه لما كانت الحربُ العظمىٰ أخرج فخري باشا جميعَ قبائل حرب من المدينة المنورة وضواحيها، فتفرقوا في البلاد، ونزل جماعة من بني على وغيرهم بلد الحناكية، وبنو على المقيمون في العوالي الذين منهم أحمد بن نيف المذكور جميعُهم رافضة، إلا هذا الرجل، وجدته شافعيَّ المذهب، له تُقىً ودين، فقلت له: ما السبب في تركك مذهب قومك؟ قال: هلك والدي وأنا في حجر والدتي، فتزوجها رجل من أهل المدينة شافعي المذهب عالم في شرائع الإسلام، فربّاني ونشأتُ على تربيته، وأحمد اللّٰه الذي وفَّقني وأخرجني من هذه الطغمة الضالة، وليس لهذا الرجل إلا الدعاء له بالجنة.

* * *

٤٩ ــ وقال النابغة :

كَأَنَّ الشَّذْرَ وَالْيَاقُوتَ مِنْهَا عَلَى جَيْدَاءَ فَاتِرَةِ الْبُغَامِ
خَلَتْ بِغَزَالِهَا وَدَنَا عَلَيْنَا أَرَاكُ الْجِزْعِ أَسْفَلَ مِنْ سَنَامِ

تَسُفُّ بَرِيرَهُ وَتُرُود فِيهِ ... إلَى دُبُرِ النَّهَارِ مِنَ الْقَسَامِ
كَأن مُشَعْشَعاً مِنْ خَمْرِ بُصْرى ... نَمَتْهُ البخت مَشْدُودَ الْخِتَامِ
نَمَيْنَ قِلَالَهُ مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... إلَى لُقْمَانَ فِي سُوقٍ مُقَامِ

سنام

سَنَام: أعرف ثلاثة مواضع يقال لكل واحد منها سنام، اثنان منها في بلاد العرب، والثالث قلعة أحدثها المقنع الخارجي، وهي التي عناها مالك ابن الرَّيْب في قوله حين خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان إلى خراسان:

تُذَكِّرني قبابُ الترك أهلي ... ومبدأهم إذا نزلوا سناما
وصوت حمامة بجبال كِشٍ ... دَعَتْ من مطلع الشمس الحَمَامَا
فبتُّ لصوتها أرِقاً وباتت ... بمنطقها تُرَاجِعُني الكلاما

والموضعان اللذان في بلاد العرب أحدهما جبل مجاور لبلد الزبير يقال له «سنام» وذكروا فيه أخباراً كثيرة أغلبها قريب من الخرافات، قالوا: إن بجنبه ماء كثير السافي، ولا شك أنه ماءة سَفَوان، قال صاحب معجم البلدان[1]: إنه أول ماء يرده الدجال من مياه بلاد العرب، وذكروا في رواية ثانية أنه سار من الحجاز حتى وقف مكانه الآن متاخماً لبلد الزبير، ونباته الذي فيه من نبات جبال الحجاز: القطف، والإذخر، والقيا، كلُّها موجودة فيه، وقالوا: إن ذلك الجبل طريقه وادي الرمة الذي يصب من قريب الحجاز وينتهى قريب الزبير، ولكن هذه خرافات لايتصورها العقل وقد اختصرناها، وهذا الجبل قريب من الزبير، ولم أر فيه أشعاراً وهو أشهر الموضعين المعروفين بهذا الاسم إلى هذا العهد، والجبل الثاني جبل صغير له رأس في بلاد غطفان، قريب ماءة المرير، يقال له «سنام» وهو الذي قال فيه شاعر من غطفان:

شربن من ماوانَ ماء مُرَّا ... ومن سَنَام مثلَه أوشَرَّا

(١) انظر معجم البلدان ٥/١٤١.

أما قوله «من ماوان» فإنه قصد ماءة المويه التي تحت جبل ماوان، وهي من أَمَرِّ المياه، وقصد بسنام ماء المرير الذي يقول فيه الأعرابى حين مجت ناقته الماء:

هذا المريرُ فاشربَيه أو ذَرِى إن المَرِيَر قطعة من أخْضَرِ

وهذا الجبل يدخل في ذكر الحِمَيْنِ: حمى الرَّبَذَة، وحمى ضرية، وهو الذي يقول فيه الشاعر.

أحقًّا عبادَ الله أن لستُ ناظراً سَنَامَ الحمى أخْرىَ الليالى الغوابر
كأنَّ فؤادى من تَذَكُّره الحِمَى وأهلَ الحمى يهفو به ريشُ طائر

وهذه الأبيات للصمة بن عبد الله القُشَيرى، قالها وهو مريض في «طبرستان» وهي في قصيدة طويلة، ومات هناك من ذلك المرض.

بصرى بصرى: قد مضى الكلام عليها.

بيت رأس بيت رأس: اسم لقريتين[1] في كل واحدة منهما كروم كثيرة ينسب إليهما الخمر: إحداهما بالبيت المقدس، وقيل: بيت رأس كورة بالأردن، والأخرى من نواحي حلب؛ قال حسان بن ثابت:

كأنَّ سبيئةً من بيت رأسٍ يكون مزاجَهَا عسلٌ وماء
فنشربهـا فتتركنـا مُلُوكـا وأسدْاً ما ينهنهنـا اللقـاء

وهذه الأبيات من قصيدة لحسان بن ثابت رضي الله عنه قالها في فتح مكة؛ مطلعها:

عفت ذاتُ الأصابع فالجواء إلـى عذراء منزلُهَـا خلاء

وقال أبو نواس يذكر بيت رأس :

(١) معجم البلدان ٣٢١/٢.

دِثار من غنية أو سليمى | أو الدهماء أخت بنى الحماس
كأن معاقد الأوضاح منهـا | بجيد أغنَّ نوم في الكِنَاسِ
وتبسم عن أغر كأن فيه | مُجَاج سلافة من بيت راس

* * *

٥٠ ــ وقال النابغة :

وَلٰكِنْ مَا أَتَاكِ عَنِ ابْنِ هِنْدٍ | مِنَ الْحَزْمِ الْمُبَيِّنِ وَالتَّمَامِ
فداء ما تُقِلُّ النعلُ منى | إلى أعْلٰى الذُّؤابَةِ لِلْهُمَامِ
وَمغْزَاهُ قَبَائِلَ غَائِظَاتٍ | عَلَى الذِّهْيَوْطِ في لِجَبٍ لُهَامِ

إلى أن قال :

وَأنَّ الْقَوْمَ نَصْرُهُمُ جَمِيعٌ | فِئَام مُجْلِبُونَ إلَى فِئَامِ
فَأوْرَدَهُنَّ بَطْنَ الأتم شُعْثاً | يَصُنَّ الْمَشْيَ كَالْحِدَاء التُّؤَامِ

ذهيوط، لاأعرفه بهذا الاسم في بلاد العرب، ولاأعرفه في غيرها، إلا أن صاحب معجم البلدان[1] قال: ذَهْوطَ على مثال قسور: موضع عن ابن دريد، وقال أيضاً: ذهيوط ــ بوزن عِذْيوط ــ واستدل ببيت النابغة الذي أوله «ومغزاه». ذهيوط

الأتم: قيل: إنه موضع بالعراق، والرواية الثانية أن الأتم قُرىً واقعة في حَرَّة بنى سليم، بينها وبين المسلح تسعة أميال، وهي من منازل حاج البصرة القاصدين لمكة، وقال ابن السكيت[2] : الأتم اسم جامع لقريات أربع: حاذة، ونقيا، والمحدث، والقيا، وأنا لاأعرف موضعاً بهذا الإسم ولا قرية من تلك القرى، إلا حاذة فإنها باقية بهذا الاسم في بلاد بني سليم، الأتم

(١) معجم البلدان ٤/٢٠٠.
(٢) معجم البلدان ١/١٠٥.

وقريب منها صفينة والسوارقية، وقريب منها بلد المهد المعدن المعروف في بلاد بني سليم، وقد ذكر عمرو بن كلثوم الأتم في قصيدة له حين قال:

صَبَحْنَاهنَّ يوم الأتم شعثاً فَرَاسا والقبائل من غِفار

ويمكن أن هذا الاسم باق في ألسن سكان تلك الناحية إلى هذا العهد بلفظة الأتم.

* * *

٥١ ــ وقال النابغة :

يُوَصِّينَ الرُّوَاةَ إذَا ألَمُّوا بشُعْثٍ مُكْرَهِينَ عَلَى العِظَامِ
وَأَضْحَى سَاطِعاً بِجبالِ حِسْمَى دُقَاقُ التُّربِ محتزِمَ القَتَامِ
فَهَمَّ الطَّالِبُونَ لِيُدْرِكُوهُ وَمَا رَامُوا بِذَلِكَ مِنْ مَرَامِ
إلَى صَعْبِ المغارَةِ مُنْذِرِيٍّ نَمَاهُ في فروع الْمَجْدِ نَامِي

حسمى

حِسْمَى: أحببت أن أورد عبارة كاملة لصاحب المعجم على حسمى، وهي[1] يجوز أن يكون أصلها من الحسم، وهو المنع، وهي أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القرى ليلتان، وبين وادي القرى والمدينة ست ليال، قال الراجز:

جاورن رمل أيلة الدَّهَّاسَا وبَطْنَ حِسْمَى بلداً هِرْمَاسَا

أي واسعاً، وأيْلَة: قريبة من وادي القرى، وحسمى: أرض غليظة، وماؤها كذلك، لاخير فيها، تنزلها جُذَام، وقال ابن السكيت: حسمى لجذام، جبال وأرض بين أيْلَة وجانب تيه بني إسرائيل الذي يلى أيْلَة، وبين أرض بنى عُذْرَة من ظهر حرة نهيل، فذلك كله حسمى، قال كثير :

(١) معجم البلدان ٣/٢٧٦.

سيأتي أمير المؤمنين ودونَـهُ جماهيرُ حِسْمىٰ قُورهَا وحُزُونُهَا
تجاوب أصدائي بكل قصيدةٍ من الشعر مُهْدَاةً لمن لا يُهينها

ويقال: آخر ماء نَضَبَ من ماء الطوفان حسمىٰ، فبقيت منه هذه البقعة إلى اليوم، فلذلك هو أخبث ماء، وفي أخبار المتنبي وحكاية مسيره من مصر إلى العراق قال:

حسمى أرض طيبة، تؤدي لين النخلة من لينها، وتنبت جميع النبات، مملوءة جبالاً في كبد السماء متناوحة مُلْس الجوانب إذا أراد الناظر النظر إلى قُلَّة أحدها فتل عنقه حتى يراها بشدة، ومنها مالا يقدر أن يراه، ولا يكاد القتامُ يفارقها، ولهذا قال النابغة :

فأصبح عاقلا بجبال حسمى دقـاق التـرب محتـزمَ القتَـامِ

واختلف الناس في تفسيره ولم يعلموه، ويكون مسيرةَ ثلاثةِ أيام في يومين، يعرفها مَنْ رآها حيث يراها، لأنها لا مثيل لها في الدنيا.

ومن جبال حسمى جبل يعرف بإرَم عظيم العلو، تزعم أهل البادية أن فيه كروماً وصنوبراً، وفي حديث أبى هريرة رضي الله عنه «تُخْرِجُكم الرومُ منها كَفْراً كفراً إلى سنبك من الأرض» قيل له: وما ذلك السنبك؟ قال: «حسمى جذام» وقرأت في بعض الكتب أن بعض العرب قال: إن الله اجتبى ماء إرَم والبَدِيعة ونَعْمان وعَلَلَان بعباده المؤمنين، وهذه المياه كلها بحسمى، وفي كتب السير وأخبار نوح أن حسمى جبل مُشْرِف على حَرَّان قرب الجودى، وإن نوحاً نزل منه فبنى حران،(١) وهذا بعيد من جهتين: إحداهما أن الجودى بعيد من حران، بينهما أكثر من عشرة أيام، والثانية أنه لايعرف بالجزيرة جبل يقال له حسمى.

أما ذو حسم الذي ذكره لبيد في شعره فإنه غير حسمى التي ذكرها النابغة والتي أوردنا عليها الشواهد، وأصح ماورد في حسمى العبارة التي

---

(١) قلت : وحران اليوم ولاية من ولاياتِ تركيا تبعد عن الحدود السورية قدر ثمانية أميال.

أوردنا، وأهل تَبُوك يرون جبل حسمى في غربيهم وفي شرقيهم وشرورى، وهذه أبيات لبيد في ذي حسم[1].

لِيَبْكِ على النعمان شَرْبٌ وقَيْنَة ومختبطات كالسَّعَالِي أرامِلُ
له المُلْكُ في ضاحى معد، وأسلمت إليه العباد كلُّهَا ما يحاوِلُ
فيوماً عناةٌ في الحديد يكفُّهم ويوماً جيادٌ مُلْجَمات قوافِلُ
بذى حُسَم قد عُرِّيَتْ ويزينها دِمَاثُ فيج رَهْوُهَا والمحافل

وذو حسم لاأعرفها بهذا الاسم في بلاد العرب، أعرف حسلات، وهي هضبات بين شُعَبَى وبين عريق الدسم، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٥٢ ــ وقال النابغة :

طَلَعُوا إلَيْكَ برَايَةٍ مَعْرُوفَةٍ يَوْمَ ٱلأنَيِّسِ إذْ لَقِيتَ لَئِيمَا
قَوْمٌ تَدَارَكَ بِالْعُقَيْرَةِ رَكضُهُمْ أولاد زرْدَة إذْ تَرَكْتَ ذَميمَا

الأنيس: لاأعلم في بلاد العرب موضعاً بهذا الاسم، إلا أنى أعرف جبلا أحمر منقطعاً من جبيلات ظخفة الواقعة في عالية نجد، يقع في جنوبيها بين وادي الريان وجبال كبشات يقال له «إنسان» في هذا العهد، كأنه إنسان واقف، وهو الذي يقول فيه الراجز[2]: الأنيس

خَلِيـة أبوابهـا كالطيقـان أحمى بها الملك جنوب الريَّان

فكـبشات فجنوبـى إنسان

والريان الذي قرن بإنسان: وادٍ عظيم بين ظخفة وغول، قد مضى الكلام

(١) انظر معجم البلدان ٢٧٦/٣.
(٢) انظر معجم البلدان ٣٥٢/١.

عليه في معلقة امرىء القيس، ليس بجبل، ويمكن أن النابغة قصد هذا الجبل المسمى اليوم بإنسان.

العقيرة

العقيرة: لاأعرف في بلاد العرب موضعاً بهذا الاسم، واعرف موضعاً يقرب اسمه من هذا الاسم، وهو مرسى هجر، يقال له «العقير» في هذا العهد، ويمكن أن اسمه كان في الجاهلية العقيرة، لأن صاحب معجم البلدان قال: العقيرة مدينة على البحر، بينها وبين هجر ليلة، والمواضع التي تقارب هذا الاسم كثيرة: منها «عقار» موضع قريب اليمامة، وفيه وقع يوم عقار على بني تميم وكان فارسهم شهاب بن عبد قيس، فقتله سيار بن عبيد الحنفي، وفي ذلك يقول شاعرهم:

وأوسَعْنَا بنـى يربـوعَ طَعْنـا　　فأجْلَـوْا عن شهـابٍ بالعُقَـار

هذا عقار الواقع في اليمامة، وهو الذي يقول فيه الضبابى حين أخذت ناقته إلى معاذ بن الأقرع القشيرى(١):

قلت لها بالرمل وهي تَضْبَع　　رمـل عقـارٍ والعيـونُ هُجَّـع
بالسلع ذاتِ الحَلَقَات الأربع　　ألِمُعَـاذٍ أنت أم للأقـــرع

وهذا الموضع واقع قريب الأملاح من مياه الدبول قريب كثيب الدحى، وهو الذي يقول فيه الفرزدق:

أقـول لصاحِبـيَّ من التَّعَـزى　　وقـد نكبـن أكثبـة العقـــار
أعِينَانـى علـى زفـرات قلـبٍ　　يحـنُّ برامتيـن إلـى البـــوار
إذا ذكـرت منازلـه استهلَّتْ　　مدامعُ مسبلِ العَبَرَات جَارِى

وهناك جبل في عالية نجد في جنوبيها يقال له «العاقر» وهناك جبال

---

(١) معجم البلدان ١٩١/٦ وفيه أن عقار اليمامة بضم أوله، والذي في شعر الضبابى بفتح أوله.

متصلة بمنهل البديعة الماء المعروف في عالية نجد يقال لها «العقر» وهناك جبل في عرض بنى شمام مرتفع إلى السماء يقال له «العاقر» وجميعُ هذه المواضع المذكورة باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، هذا الذي أعرفه من جبال نجد، فأما لفظ العقر فإنه يطلق على كل قصر منيع، ويطلق على الدار، قال لبيد في ذكر[1] القصر:

كعقر الهاجري إذا ابتناه   بأشباه حُذِينَ على مثال

وبنو شليل من بجيلة، وشليل هو جد جرير بن عبد الله البَجَلى، قال تأبط شراً في قصر بنى شليل:

شنئتُ العقر عقر بني شليل   إذا هَبّتْ لقارئها الرياح

ويطلق اسم العقر على عدة مواضع: منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة، وقد روى أن الحسين بن علي رضي الله عنه لما انتهى إلى كربلاء وأحاطت به خيلُ عبيد الله بن زياد قال: ما اسم تلك القرية؟ وأشار إلى العقر، فقيل له: اسمها العقر، فقال: نعوذ بالله من العقر، فما اسم تلك الأرض التي نحن فيها؟ قال: كربلاء، قال: أرض كرب وبلاء، وأراد الخروج منها فمنع، وكان ما كان، وهذا الموضع الذي يقال له العقر قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبى صفرة في سنة ١٠٢هـ، وكان خلع طاعة بني مروان، ودعا إلى نفسه، وأطاعه أهلُ البصرة والأهواز وفارس وواسط، وخرج في مئة وعشرين ألفاً، فندب له يزيدُ بن عبد الملك أخاه مَسْلَمة، فواقفه بالعقر من أرض بابل، فانجلت الحربُ عن قتل يزيد بن المهلب، وقال الفرزدق يُشَبب بعاتكة بنت عمرو بن يزيد الأسدي زوجة يزيد بن المهلب:

---

(١) انظر معجم البلدان ١٩٤/٦ وما بعدها، ونسب في اللسان (ق ر أ) بيت تأبط شرا إلى مالك بن الحارث الهذلي.

إذا ما الْمَزُونِيَّاتُ أصبحن حُسَّرا وبكين أشلاء على عَقْرِ بابل
وكم طالبٍ بنت المُلَاءة أنها تُذَكِّر ريعانَ الشباب المزايـل

والعقر أيضاً: قرية بين تكريت والموصل، تنزلها القوافل، وهي أول حُدود أعمال الموصل من جهة العراق، والعقر: قرية على طريق بغداد إلى الدَّسْكرة، ينسب إليها أبو الدر لؤلؤ بن أبي الكرم بن لؤلؤ فارس العَقْرِيُّ، من هذه القرية، والعقر أيضاً: قلعة حصينة في جبال الموصل، أهلها أكراد، وهي شرقي الموصل، تعرف بعقر الحُمَيْدية، خرج منها طائفة من أهل العلم وفي حمى ضرية جبالُ يقال لها العقر، وهي التي قال فيها طُفَيل الغَنَوي(١):

وبالعقر دار من جميلة هيجت سوالف حب في فؤادك منصب

وعقر السدن: من قرى الشرطة، بين واسط والبصرة، منها كان الضالُّ المضلُّ سنان داعية الإسماعلية ودَجَّالهم ومضلهم الذي فعل الأفاعيل التي لم يقدر عليها أحد قبله ولا بعده. والعقر ــ بالتحريك ــ من قرى الرملة في حسبان السمعانى، ونسب إليها أبو جعفر محمد بن أحمد بن إبراهيم العَقَرى الرملي، يروى عن عيسى بن يونس الفاخورى، روى عنه أبو بكر المقرى، سمع منه بعد سنة ٣١٠هـ.

قال مصنف هذا الكتاب: وأريد أن أنبه هنا إلى أن الذي أوردته عن العاقر والعقر والعقير فما كان من الحديث عن العقير الواقع في سواحل هَجَر إلى عالية نجد من المواضع التي تسمى بهذه الأسماء في بلاد

(١) قلت : هو طفيل بن عوف بن كعب، من بنى غنيّ، من قيس عيلان: شاعر جاهلي فحل، من الشجعان. وهو أوصف العرب للخيل، وربما سمي (طفيل الخيل) لكثرة وصفه لها ويسمّى أيضاً المحبّر، لتحسينه شعره، عاصر النابغة الجعدي، وزهير بن أبي سلمىٰ، ومات بعد مقتل هرم بن سنان توفي حوالى سنة ١٣ ق. هـ. انظر الاعلام ح ٣٢٩/٣.

العرب فإني أعرفها وأعرف مواضعها، وما كان منها خارج بلاد العرب فهي رواية صاحب معجم البلدان، والذي ذكره النابغة بقوله العقيرة هو الواقع في سواحل هجر.

* * *

٥٣ ــ وقال النابغة :

أَلِمْ بِرَسْمِ الطَّلَلِ الأَقْدَمِ   بجَانِبِ السَّكْرَانِ فَالأَيْهَمِ

السكران السكران: ذكروا أنه وادٍ عظيم بمَشَارِف الشام، وهو الذي يقول فيه الأخطل[1]:

فرابية السكران قَفْر فما بها   لهم شبَحُ إلّا سِلَام وحَرْمَلُ

وذكروا أنه وادٍ عظيم قريب الشام، إذا خرجْتَ من الشام قاصداً المدينة جعلته على يسارك وهو الذي يقول فيه عبيد الله بن قيس[2] الرقيات:

زَوَّدَتْنَا رقيةُ الأحزانا   يوم جازت حمولُها سكرانا
إن تكن هي من عبد شمس أراها   فعسى أن يكون ذاك وكانا[3]
أنا من أجلكم هَجَرْتُ بن بدرٍ   ومن أجلكم أحبُّ أبانا
ودخلنا الديار مانشتهيها   طَمَعاً أن تنيلنا أو تدانا

وذكروا أن قريب المدينة جبل يقال له السكران؛ فإذا صح ذلك فعُبَيد الله بن قيس الرقيات يقصده؛ لأنه شاعر حجازي.

(١،٢) انظر معجم البلدان ٥/٩٧.

(٣) هكذا وقع البيت في معجم البلدان، وهو في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص ٢٦٢ أوربة على وجه آخر لا ضرورة فيه، وهو:

إن تقل هن من بنى عبد شمس   فعسى ذاك أن يكون وكانا

وأحب أن أزيل عن القاريء بعض الالتباس، هناك قصور ومزارع وفيها نخيل يقال لها السكران، واقعة بين «البرود» و«الفيضة» الواقعتين في قرى السر، وهذا الاسم حديث، بعثها علي بن سكران وإخوته، وهم أهل أشيقر، وهم بطنٌ من قبيلة الوهبة من بني تميم، بعثت تلك الناحية في أوائل القرن الرابع عشر، فأول ما بُعث قصر واحد، وسمي قصر ابن سكران، ثم زادت القصور والمزارع فاستمر الاسم «قصور ابن سكران» ثم حذفوا لفظ القصور فصار «سكران» إلى هذا العهد، فهي لا تعرف عند عامة أهل نجد إلا بهذا الاسم، وهناك في كثيب السر طريق مما يلي السكران يسلكه القاصد إلى قرى الوشم يسمى «خل السكران» فأما سُكَر بوزن زفر ــ فهو موضع بشرقي صعيد مصر، بينه وبين مصر يومان، كان عبد العزيز بن مروان في ولايته يخرج إليه ويعده من متنزهاته، وبه مات عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، ومات به أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان، فقال نصيب يرثيه:

أصبت يوم الصعيد من سُكَر ... مصيبة ليس لي بها قِبَلُ
تالله أنسى مصيبتي أبداً ... ما أسمعتنى حنينَهَا الإبلُ
ولا التبكى عليه أتركُه ... كل المُصيبات بعده جَلَلُ[1]
لم يعرف النعش ما عليه من السـ ... ـعُرْفِ ولا الحاملون ما حَمَلُوا
حتى أجَنُّوه في ضريحهم ... حيث انتهى من خليله الأمَلُ

وأما عبد العزيز بن مروان والى مصر في خلافة أخيه عبد الملك فقد ثبت أنه هلك في حلوان قرب مصر.

قلت: ومن جبال الطائف (جبل السكارى) فلعله حرِّف والله أعلم.

الأيهم: ذكروا أنه في نواحي الشام، وذكروا أيضاً أن أيهم وادٍ من أودية طى، ولكنى لم أجد له ذكرا إلا في بيت النابغة الذي مر ذكره. **الأيهم**

(١) جلل، هنا : أي هينة سهلة.

٥٤ ـــ وقال النابغة :

أَلَا أَبْلغْ لَدَيْكَ أَبَا حُرَيْثٍ وَعَاقِبَـــةُ الْمَلَامَـــةِ لِلْمُلِيـــمِ
فَكَيْف تَرَىَ مُعَاقَتَى وَسَعْيـى بأَذْوَادٍ الْقصيمـــة وَالْقَصِيـــم

نحب أن ننبه القارىء على هذين البيتين لئلا يظن أن القصيم فيهما هو القصيم المذكور المشهور الواقع في القطعة الشمالية من نجد.

القصيمة في اللغة: القطعة من الأرض ينبت فيها الغضى والأرطى والسلم، وهي أيضاً ما سهل من الأرض.

* * *

٥٥ ـــ وقال النابغة :

إنِّى أَظُنُّ ابْنَ هنْد غَيْرَ تَارِكِكُمْ بالْقُرْنَتَيِن وَلَمَّا يُفْـرِع النَّعَـمُ
حَتَّى تَرَاءوْهُ مَعْصُوبـاً بلمتـه نَقْعُ الْقَنَابل في عِرْنِينِهِ شَمَمُ

القرنتين: المواضع التي يطلق عليها اسم قريب من هذا اللفظ كثيرة، يوجد في بلاد غطفان هضبتان يقال اليوم لهما «القَرِينتان» وكان يقال لهما «القرين» وهما اللتان قال فيهما ذو الرمة(١): القرنتين

يردفْنَ خَشْباء القرين وقد بدا لهنَّ إلى أرض الستار زيالها

وهما قريبتان من الستار الواقع بين أَبْلَىٰ وحدود حمى ضرية، الموضع الثاني هضبة لها رأسان بين شقرا والقراين تسمى تلك الهضبة «القراين» وهناك موضع ثالث بين حريملاء وملهم، يقال لتلك البلد اليوم القرينة، وهي التي قال فيها جرير(٢):

كأن أظعانهم تحدى مقفيـة نَخْلٌ بملهم أو نخل بقرانا

---

(١) انظر معجم البلدان ٧٢/٧.
(٢) انظر معجم البلدان ٤٦/٧.

وفي بلد سدوس بئر كثيرة الماء عظيمة يقال لها القرينان؛ فأما القرية الواقعة بين مَلْهم وحريملاء المعروفة اليوم بالقرينة فهي التي قتل فيها نجدة ابن عامر الحنفي الحروري، والقرينة أيضاً: اسم روضة بالصمَّان، قال الشاعر في شَطْر بيت:

* **جرى الرمث في ماء القرينة والسدر** *

وقال صاعد، وأنشده أبو زياد :

ألا ياصاحبيَّ قفا قليلَا على دار القدور فَحَيّيَاها
ودارٍ بالشميط فحيياها ودارٍ بالقرينة فاسألاها
سَقَتْها كلُّ واكفة هَتُون تُزَجِّيها جنوبٌ أوصَبَاها

وشميط التي ذكرها قريبُ القرينة الواقعة في بلاد غطفان من أشماط الرضم المعروفة في هذا العهد بالأشماط وهي هضبات شهب.

* * *

٥٦ ــ وقال النابغة :

عَشِيتُ مَنَازِلاً بعُرَيْتِنَاتٍ فَأَعْلىٰ الجزْعِ لِلْحَيِّ الْمُبِنِّ
تَعَاقدهُنَّ صَرْفُ الدَّهْرِ حتَّى عَفَوْنَ وَكُلُّ مُنْهمِرٍ مُرِنِّ

عريتنات: قد مضى الكلام عليها. **عريتنات**

* * *

٥٧ ــ وقال النابغة :

إذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُوراً فَإنِّى لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ منّى
فهُمْ دِرْعِي الَّتي اسْتَلأَمْتُ فِيهَا إلَى يَوْمِ النَّسَارِ وَهُمْ مجنّى
وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ إنِّى
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ أَتَيْتُهُمُ بِوُدِّ الصَّدْر مِنِّى

يوم النسار

يوم النسار: يوم عظيم من أيام العرب المشهورة، وهذه رواية صاحب العقد الفريد بتمامها، قال أبو عبيدة: تحَالفت أسد وطي وغَطَفان، ولحقت بهم ضبة وعدى، فَغَزَوْا بني عامر، فقتلوهم قتلاً شديداً، فغضبت بنو تميم لقتل بني عامر، فتجمعوا حتى لحقوا طيا وغطفان وحلفاءهم من بني ضبة وعدي يوم الفجار، فقتلت تميم طيا أشدَّ مما قتلت عامر يوم النسار، فقال في ذلك بشر بن أبي خازم:

غضبتْ تميمٌ أن تُقتل عامر　　يوم النسار فأُعْتِبُوا بالصَّيْلَمَ

وأحب أن أورد العبارات الواردة في النسار، قال صاحب معجم البلدان[1]: النسار: جبال صغار كانت عندها وقعة بين الرباب وهوازن وسعد بن عمرو بن تميم، فهزمت هوازن، فلما رأوا الغلبة سألوا ضبة أن تشاطرهم أموالهم وسلاحهم ويُخَلُّوا عنهم، ففعلوا، قال ربيعة بن مقروم الضبي:

قَوْمي فإن كنت كذبتني　　بما قلت فاسأل بقومِي عليما
فدى ببُزَاخة أهلِي لهم　　إذا ملئوا بالجموع القَضيما
وإن لقيَتْ عامر بالنسا　　ر منهم وطخفة يوماً غشوما
به شاطروا الحى أموالهم　　هوازن ذا وَفْرها والعَدِيما

وقال في معجم البلدان[2] عن أبي عبيدة: النسار أجبال متساورة يقال لها الأنسر، وهي التي تسمى النسار، وكانت به وقعة قال النظار الأسدي:

ويوم النسار ويوم النضا　　ر كانوا لَنَا مقتوى المقتوينا

المقتوى: هو الخادم، كأنه يقول: إنهم صاروا خدماً لخدمنا.

وأنا أعرف النسار المذكور يقينا، كان به ثلاث وَقَعَات في الجاهلية

(١، ٢) انظره ٨/٢٨٤.

ووقعة في مبتدأ القرن الرابع عشر عظيمة، بين عرب نجد، وفي وقعة الأنسر المتأخرة يقول رباح الصانع أحد شعراء النبط:

كريم يبارق نوه حقوق يشعل أشعال
أخيل ضوحة إلى حزات وجبات الصلاة

أمطر على وادي الأنصر وأرجعه من عقب المحال
وسيّل شعيب الخنوقة بعد ماسيّل غثات

وهو يعرف عند عامة أهل نجد اليوم بالأنصر، أبدلت سينه صاداً، وماءة الأنصر ماءة القاعية الواقعة على طريق السيارات السالكة من الرياض إلى مكة، بين منهل عفيف وبلد الدوادمي، إذا طلعت على ماءة القاعية فانظر على يمينك فإنك ترى جبيلاتٍ صغاراً أصلُهَا واحد، ورؤسها ثلاثة، وحولها أبارق، يقال لتلك الجبيلات «الأنصر» والنسار هو الذي يقول فيه بشر بن أبى خازم[1]:

ويوم النسار ويوم الجفا ركانا عذاباً وكانا غراما

وسَبَتْ بنو أسد نساء كثيرة من نساء ذبيان، فقالت سلمى بنت المحلق تعير جَوَّابا والطفيل وغيرهما:

لحى الإلٰهُ أبا ليلى بفَرَّتـه يوم النسار وقُنْبَ العَيْر جَوَّابا
كيف الفَخَار وقد كانت بمعترك يوم النسار بنو ذبيان أربابا
لم تمنعوا القوم إذ أشكوا سَوَامكم ولا النساء، وكان القوم أحزابا

النسار: جبل أصله واحد ورؤسه ثلاثة كأنها أَنْسرُ وقَّع على ظهر ذلك الجبل، فسميت الأنسر، فبقيت على هذا الاسم في الجاهلية، ثم تداولته

(١) انظر معجم البلدان ٢٨٤/٨ وما بعدها.

الألسن حتى صار هذا الاسم الأنصر، وعنده أبارق وجبيلات كان يقال لها فيما سبق الأناسر، ويقال لها اليوم «الأناصر».

الجفار الجفار: منهل في[1] عالية نجد، وبه وقعة عظيمة في الجاهلية بين بكر ابن وائل وتميم بن مر أسر فيه عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع، أسره قتادة بن سلمة، وقال شاعر بكر:

أسر المحشر وابنه وخويرثا والنهشليَّ ومالكا وعقالا

وقال الأعشى :

وإن أخاك الذي تعلمين ليالينا إذ نَحُلُّ الجفارا
تبدَّل بعد الصبا حلمُهُ وَقَنَّعه الشيب منه خمارا

والجفار: موضع معلوم، إذا انقطع جبل شعبى في الجهة الجنوبية منها فهناك موضع يقال له «الجفر» وذكروا عنه أخباراً كثيرة، منها أنه من مياه الضباب، وبلى، قبل ضرية على ثلاث ليال يشبه هذا الماءَ ماء السماء يخرج من عيون تحت هضبة كأنه وشَل وليس بوشل، ولما سمع أمير نفى عمر بن ربيعان هذه العبارة خرج بأصحابه يلتمس تلك العين، فلم يجدها في جنبات الموضع الذي يقال له «الجفر»، ويليه في جهته الجنوبية الغربية منه هضبة يقال لها «مصودعة» إذا رأيتها فكأنها متصدعة، ويضاف هذا الجفر إليها فيقال له «جفر مصودعة». وهو الذي يقول فيه الشاعر الضبابي[2]:

كفى حزنا أنى نظرت وأهلنا بهَضْبَيْ شماريخ الطوال طلول
إلى ضوء نار بالجديف يشُبُّهَا مع الصبح سنح الساعدين طويل

---

(١) انظر معجم البلدان ١١٢/٣.

(٢) معجم البلدان ١١٣/٣.

فَخَرَّ على اللحيين وهو كليل على لحم ناب عَضَّه السيفُ عضةً
ألا هل إلى ماء الجفار سبيل أقول وقد أيقنت أن لَسْتُ فاعلا
بأشهب يشفى لو كرهت غليل وقد صدر الوُرَّاد عنهُ وقد طما

وهذا الجفر هو الذي كان يقال له «الجفار» في الزمن القديم، وهو الذي كانت به الوقعة المشهورة بين بكر وتميم. وقد صار اسمه في هذا العهد «الجفر» وقد أكثر الشعراء من ذكره شعراءُ العرب المتقدمين وشعراء العرب المتأخرين الذين سلكوا في الشعر المنهج النبطى، ومن هؤلاء متعب بن جبرين، وهو من رؤساء بنى عبدالله بن غَطَفَان، وله ذكر في قيادة الفرسان، وهو من أحلاس الخيل، وكانت زوجته قد هلكت وهم حلول في سفح الهضبة المعروفة بهذا الاسم «المصودعة» فدفنت زوجته في سفح الجفر المذكور، فقال أبياتاً نبطية منها:

سيل على سيل ووبل يهل يَمْصُودعة عَلَّك من الوسم رَعَّاد
حيثن فيها بالدّويجن هل لى عساه يسقى لبة الجفر من غاد

ولمتعب بن جبرين هذا أخبار طريفة، وكان تريحيب بن شرى بن بصيص من مطير، وهو من فرسان أهل نجد في أوائل القرن الرابع عشر، حتى إن كل معركة وقعت بين مطير وعتيبة لم يتخلف عن واحدة منها، وقد قتل في آخر وقعة قريب ماءة الغزيز القريب من وادي الحيسية قتله فاجر السلات من الروقة من ذوى عطية، وكان متعب بن جبرين المذكور أخاً له من أمه، فقال قصيدة نبطية منها :

نبى تدوّر فوقهنّه اتريحيب يَهْل الرمك زيدولهن في البريرة
عسامهْ أكبر من خشوم العراقيب لابد من يوم يثور صبيرة

الرمك: الخيل، والصبيرة: هو القَتَام، والعسام: نوع من القتام، العراقيب: أكثبة تقع جنوبي جبل النير.

ومن طرائف أخبار متعب بن جبرين ما حدثني به دعييس الصفياني من عتيبة سنة ١٣٤٥هـ وعمره في ذلك الوقت قريب ثمانين سنة، قال: كنا قاطنين على ماءة «دغيبجة» المعروفة قريب المويه، وكنت إذ ذاك ابن خمس عشرة سنة، فقال لي والدي: إن لنا غرضنا عند أهل «تنضبة» الماءِ الواقعة في وادي العقيق قريب عشيرة والمحدثة، وإني لا أقدر أن أترك إبلي خشية الأعداء، ولكن انظر إلى هذا الجمل، فإني والله لا أعلم ناقة ولا جملاً يُردانه عن طريقه، فاركبه، فإن رأيت أحداً فانهزم به فإنك تنجو إن شاء الله، قال: فأخذت مزادتي وزادي، وركبته لما بزغ الفجر، فقصدت أهل تنضبة تارةً يسير سيراً عجلاً وطوراً يُرْقل إرقالاً، فلما اشتدت القيلولة إذا أنا قد قربت جبيل بسيان المتاخِمَ لماءة المحدثة في ركبة، فقلت في نفسي: أرتاح قليلاً ويرتاح جملي، فأنخته في ظل دَوْحة، ووضعت عنه زادي ومزادتي، وقيدته، فتركته يرعى في الشجر، واضطجعت على جنبي، فما شعرت وأنا في النوم إلا بالأصوات المرتفعة، وإذا جيش يبلغ عدده مئة من المهارى النجُب، وإذا السابقون من هؤلاء إلى جملي يجاوزون العشرين وهم مختلفون على هذا الجمل الواحد، كل منهم يقول: أنا السابق إليه وهو لي، فما شعرت إلا برجل يقول: ياصاحب الجمل من أنت وما قبيلتك؟ فقلت: من عتيبة، فقال: عليك اللعنة مأخوذ ومجحود، أقبل إليّ وخذ أمتعتك معك، فجئت بها، وكان هذا الشيخ هو متعب بن جبرين، فلما أتيته بأمتعتي قال: ضعها على جملك واركبه، وقف، ثم الْتَفَتَ إلى هؤلاء فقال لهم: أيها المختلفون، إني أريدُ أن أترك صاحب هذا الجمل حتى يصل إلى تلك الشجرة، ونأمره يندفع في السير، ثم أنتم تغيرون على أثره، فمن لحقه فهو له، فرضى الجميع بذلك، فالتفت إليّ وقال: اندفع على جملك، فاندفع الجيش على أثرى فما مضى إلا قليل، ثم التفتُّ فلم أر من القوم إلا ثمانا، ثم اندفعت أيضاً والتفت فلم أر إلا أربعاً، ثم اندفعت قليلاً ثم التفت فلم أر إلا اثنين، فأنخت جملي

وأخذت حَثَوات من التراب فرميت بها أمام وجوههم، وركبت جملي، فانطلقت إلى ماءة تنضبة، فأنجاني الله منهم، ووصلت قومي سالماً[1].

والذي أعرفه في بلاد العرب من المواضع التي يقال لها «الجفر» هو هذا الموضع المذكور، وهو الجفار الذي ذكره النابغة. وأعرف منهلاً بين القَصيم وحائل يقال له «الأجفر» وأعرف منهلاً كثير الماء في عالية نجد جنوبي عرض باهلة يقال له الجفر جفر بتران، وبتران: جبل أسود رفيع القِمة مُطل على هذا الجفر، فأضيف الماء إلى هذا الجبل، فقيل له «جفر بتران» وقد مضى الكلام عليه في ذكر أملاح الدبول، وبتران قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وهناك موضع آخر يقال له «الجفر» في أسفل بيشة، وهو هضبات حمر بها ماء يقال له «الجفر» مطل على النقيع البلدِ الواقعِة في وادي بيشة وفي بلد أشيقر بئر يقال لها الجفر.

عكاظ وعكاظ: قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وسيأتي لنا بحث وافٍ عنه في آخر هذا الكتاب.

* * *

٥٨ ــ وقال النابغة :

لَعَمْرُكَ مَاخَشِيتُ عَلَى يَزِيد ... مِنَ الْفَخْرِ المضَلَلِ مَا أَتَانِي
كَأَنَّ التَّاجَ مَعْقُودٌ عَلَيْـهِ ... لَأَذْوَادٍ أَخِـذْنَ بِذِى أَبـانِ
فَحَسْبُكَ أَنْ تهَاضَ بُمحْكَمَاتٍ ... يَمُرُّ بِهَا الرَّوِيُّ عَلَى لِسَانِي

---

(١) قلت: ذكر هذه القصة في الجزء الأول وعاد إليها هنا مرّة ثانية.

أبان: قد مضى الكلام عليه مفرداً ومثنى، وذكرنا تحديده وبينا أن وادي الرمة ينفذ إلى جهة القصيم من بينهما وهذا المنفذ يقال له الخنق. أبان

* * *

٥٩ ــ وقال النابغة:

أتُهْدِي لي الْوَعِيدَ بِذَاتِ وَجٍّ كَأنِّــى لَا أَرَاكَ وَلَاتَرَانِــي
فَإنْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ أبُو قُبَيْسٍ تمط بِكَ الْمَعِيشَةُ فِي هَوَانِ

وج: هو وادي الطائف، واسمه باقٍ إلى هذا العهد، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إن آخر وطأة الله وج**» وهو الطائف، وأراد بالوطأة الغزاة هاهنا، وكانت غزاة الطائف آخر غزوات النبي ﷺ، وقيل: سميَت وجا بوج بن عبد الحق من العماليق، وقيل: من خزاعة، وقد ذكر خبر وج مستقصىً في معجم البلدان على ذكر الطائف، وقال أبو الصلت والد أمية يصف وادي وج(١): وج

نحن المبنُّونَ في وج على شرف تلقى لنا شفعا فيه وأركانـا
إنا لَنَحْنُ نسوق العِيْر آونة بنسوة شُعُثٍ يزجيـن ولْدَانـا
وما وأدْنا حذارَ الهزل من ولد فيها وقد وأدت أحياء عَدْنَانا
ويانِعاً من صنوف الكَرْم عنجدنا منـه، ونـعصره خَلًّا ولذانــا
قد أدْهأمَّتْ وأمست ماؤها غَدِق يمشي معا أصلها والفرع آبانا
إلى خضارم مثلِ الليل متجئا فُومـاً وقضبـا وزيتونـا ورمانـا
فيها كواكب مثلوج مناهلها يشفي الغليل بها من كان صَدْيانا
ومقربات صفُونٌ بيـن أرحلنـا تخالُها بالكماة الصيِّد قُضْبانا

(١) معجم البلدان ٨/٤٠٠

وقال عروة بن حزام[1]:

أحقاً يا حمامةَ بطنِ وَجٍّ ... بهذا النوح أنك تصدقينا
غلبتك بالبكاء لأن لَيْلى ... أواصِلُه وأنك تَهْجَعينا
وأنى إن بكيتُ بَكَيْتُ حَقًّا ... وأنك في بكائك تكذبينا
فلستِ وإن بكيت أشدَّ شوقا ... ولكنى أسِرُّ وتعلنينا
فنوحى ياحمامة بطن وج ... فقد هَيَّجْتِ مُشْتَاقاً حزينا

وقال كعب بن مالك الأنصارى[2] :

قضينا من تهامة كل إرْبٍ ... بخيبر ثم أغمدنا السُّيوفا
نسائلها، ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دوسا أو ثقيفا
فلست لمالك إن لم نُزِرْكم ... بساحة داركم منا أُلوفا
وننتزع العروشَ عروشَ وَجٍّ ... وتصبح دوركم منا خلوفا

وفي وادي وج أحاديث كثيرة، منها أن رسول الله ﷺ قال : «**إن وادي وج حرام، لايُعْضَد شجرهُ، ولايقتل صيده**» وهذا حديث لم تثبت صحته.

---

(١) قلت : هو عروة بن حزام بن مهاجر الغنى، من بني عذرة: شاعر، من متيمي العرب. كان يحب ابنة عم له اسمها (عفراء) نشأ معها في بيت واحد، لأن اباه خلفه صغيراً فكفله عمه، ولما كبر خطبها عروة، فطلبت أمها مهراً لاقدرة له عليه، فرحل إلى عم له باليمن، وعاد، فأذا هي قد زوجت بأمويّ من أهل البلقاء (بالشام، فلحق بها، فأكرمه زوجها، فأقام أياماً وودعها وانصرف، فضنى حباً، فمات قبل بلوغ حيّة. ودفن في وادي القرى (قرب المدينة) له «ديوان شعر ــ خ» صغير. انظر الأعلام ج ١٧/٥.

(٢) قلت : هو كعب بن مالك بن عمرو بن القِن البدري الأنصاري السَّلمِي (بفتح السين واللام) الخزرجي : صحابي، من، أكابر الشعراء. من أهل المدينة. كان من شعراء النبى (ﷺ) وشهد الوقائع.

أبو قبيس

أبو قبيس: هو الجبل المشهور المُطِل على الكعبة، قيل: إنه سمى باسم رجل من مَذْحِج كان يكني أبا قبيس لأنه أول من بنى به قبة، قال أبو المنذر هشام: أبو قبيس الجبلُ الذي بمكة، أول من كناه بهذا الاسم آدم عليه السلام حين اقتبس منه هذه النار التي في أيدي الناس إلى اليوم من مَرْخَتَيْن نزلتا على أبي قبيس من السماء فاحتكَّتا فأورتا ناراً، فاقتبس منها آدم، فذلك المرخ إذا حك أحده بالآخر خرجت منه نار، وكان في الجاهلية يسمى الأمين؛ لأن الركن كان مستودعاً فيه أيام الطوفان، وهو طرف أحد الأخشبين، والروايات في ذلك كثيرة، قال عمرو بن حسان أحد بني الحارث بن همام، وذكر الملوك الماضية :

ألا يا أم قيس لا تلومي وأبقى إنما ذا الناسُ هامُ
أجدَّكِ هَلْ رأيت أباقبيس أطال حياته النَّعَمُ الركام
وكسرى إذ تَقَسَّمه بنوه بأسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المَنُونُ له بيومٍ أنىً، ولكل حاملة تمام

وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو الجبل المعروف الآن بمكة.

* * *

٦٠ ــ وقال النابغة :

إِنَّا أُنَاسٌ طَالِبُونَ لِثَارِنَا فَالْحَقْ بِأَرْضِكَ خَارجَ بْنَ سِنَانِ
لَا أعْرِفَنْ شَيْخاً يَجُرُّ بِرِجْلِهِ بَيْنَ الْكَثِيبِ وَأَبْرَقِ الْحَنَّانِ

أبرق الحنان

أبرق الحنان: لايزال معروفاً بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو متاخم لماءة إلصخة، يقع في الجهة الشمالية منها، بينها وبينه أقل من نصف يوم، والصخة قد مضى الكلام عليها، وهو منقطع من كثيب الصخة، قال في معجم البلدان[1]: هو ماءة لبني فزارة، فأما الماءة فهي ماءة الصخة

(١) معجم البلدان ١/٧٦.

المعروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، فأما أبرق الحنان فهو كثيبٌ مرتكم، إذا ارتكمت رماله وتساقط بعضها على بعض من تحريك الرياح سمع له حَنِين، ولايزال الناسُ يسمعون ذلك إلى هذا العهد، ولا أشك أن هذه الأصوات التي تسمع فيه ناشئة عن نزول الرمل من أعلاه إلى أسفله، وفي رواية صاحب معجم البلدان: قالوا[1] سمى ذلك لأنه يسمع فيه الحنين، فيقال: إن الجن فيه تحنُّ إلى مَنْ قفل عن ذلك المنهل، هذا كلام أهل الجاهلية، فأما كلام الأعراب فيقولون: إنا نبيت تحت هذا الكثيب ونسمع فيه الأصوات المزعجة المختلفة الجَرْس، ولانشك أنها أصوات الرمال إذا تهايل بعضُها على بعض، قال كثير[1]:

لمن الديار بأبرق الحَنَّانِ فالبرق فالهضبات من أدمان
أقوت منازلُها وغَيَّرَ رسْمَهَا بعد الأنيس تعاقُبُ الأزمان
فوقفت فيها صاحبيَّ وما بها ياعز من نَعَم ولا إنسان

ولا أعرف في نجد كثيباً له حنين وأصوات إلا هذا الكثيب الذي في هذا الموضع، أعرف أكثبة مرتكمة في الجنوبي الغربي من ثادق وهي أكثبة ارتكم بعضُها فوق بعض ثم زاد هذا الارتكام وسار قليلاً قليلاً وترك مدينة ثادق على شماله وهو يمشي وتتاخمه محلةُ من تلك المحلات يقال لها الشعيبية مختلطة بمدينة ثادق، فعزم أهل تلك القرية أن يحجزوا دونه، واستصرخوا بأهل المدينة، فلم يُجْدِ ذلك شيئا، بل ردم ما فيها، ودَفَنَ القصور والنخيل، واضطر أهلها إلى أن يرحلوا عنها، ورأيتها بعد ذلك فإذا القصرُ الذي طوله خمس عشرة قامة إلى عشرين قامة، لايظهر منه غير شرفاته العالية، وإذا النخلة السامقة في الجو لاترى منها إلا أطراف جريدها، وعلى الجملة فإن هذه القرية قد انطمست تحت الرمال، وخرج يتبنى ويمشي قليلاً قليلاً فسلمت منه مدينة ثادق الواقعة في مفيض العتك

(١) انظر معجم البلدان ٧٦/١.

مما يلي بلد القصب تقع عن البكرات والغرابة جنوباً، وقد سلم أهل تلك القرية من الرمال، ومع هذا فإنك لا تسمع فيها أصواتاً كالتي يتحدث الناسُ عنها في أبرق الحنان، ولأشك أنها من الرمال وسقوطِ بعضها على بعض.

* * *

٦١ ــ وقال النابغة

لسُعْدَى بسرع فَالْبُحَارِ مَسَاكِنُ ... قفَارٌ تَعَفَّتْهَا شمَالٌ فَدَاجنُ

سرع — سرع ــ وقع اختلاف في هذا اللفظ، فبينا تجده في هذه القصيدة في نسخة ديوان النابغة التي جمعها الشيخ عبد الرحمن سلام بالسين المهملة، إذا أنت تجده في مراجع أخرى منها معجم البلدان لياقوت بالشين المعجمة، وقد وجدنا سرعا بضم السين والراء المهملتين في كلام ابن مقبل، وهو من شعراء نجد المشهورين[١]:

قَاتْ سُلَيْمىٰ بِبَطْنِ الْقَاعِ مِنْ سُرُعٍ ... لاخَيْرَ في المرءِ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالكِبَر

وأما «شرع» فقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، قال بَشَامة بن الغدير[٢]:

لمن الديار عَفَوْنَ بالجزع ... بالدَّوْم بين بُحَار فالشِّرْع

وأنت تجد الشرع قد قرن ببحار في بيت بشامة هذا، كما قرن به في بيت النابغة الذي أثرناه وأنا لاأعرف ذلك الموضع بهذا الاسم في هذا العهد، إلا أن يكون «الشارعة» التي هي ماءة قريب صفينة.

---

(١) انظر معجم البلدان ٥/٧٠.

(٢) معجم البلدان ٥/٢٥٢ واستشهد له أيضاً ببيت النابغة وجعله بالمعجمة.

بحار

أما بحار: فهو وادٍ معروف، يقسم جبل النير نصفين من غربيه إلى شرقيه، جميع أودية النير التي تتجه إلى جهة الشرق تصب في وادي بحار، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهذا اسمه في الجاهلية والإسلام، قال النمر بن تولب[1]:

وكأنها دَقَرَى تخيل نبتها أنُفٌ يَغُمُّ الضالُ نَبْتَ بحارها

الدقرى: الروضة الكثيرة الماء والنَّدَى، وقال النابغة الجعدي في يوم شعب جبلة وهذا الوادي ليس بالبعيد عن جبلة:

ونحن حَبَسْنَا الحيَّ عبسا وعامرا بحَسَّان وابْنِ الجون إذ قيل أقبلا[2]
وقد صعدت عن ذي بحار نساؤهم كإصعادِ نَسْرٍ لايرومون منزلا
عَطَفْنَا لهم عَطْفَ الضَّرُوس فصادفوا من الهَضْبة الحمراء عِزًّا ومعقلا

يعنى بالهضبة الحمراء شعب جَبَلة، وهو معدود من بلاد بني عامر بن صَعْصعة، وتختص به بنو عمرو بن كلاب، قال شاعر منهم:

عَفَا ذو بحار من أميمةَ فالهَضْبُ وأقفر إلا أن يُلِمَّ به الركب

وقال بشر بن أبي خازم :

لليلى على بعد المزار تذكُّرُ ومن دون ليلى ذو بحار فمنور

(١) معجم البلدان ٦٤/٢ ومابعدها إلى آخر هذا المبحث.
قلت : والنمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي: شاعر مخضرم. عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعر الرباب، ولم يمدح أحداً ولاهجا. وكان من ذوى النعمة والوجاهه، جواداً وهّابا لما له. يشبه شعره بشعر حاتم الطائى عمرّ طويلاً ثم إلى أن ادرك الاسلام. وأسلم وعاش إلى أن خرّف، فمات سنة ١٤ هـ الاعلام ج ٢٢/٩.
(٢) في معجم البلدان «بحسان وأبي الجون» ولا يستقيم عليه الوزن.

منور قول بشر بن أبي خازم إما أن يكون قد عنى به النير، وألجأته الضرورة، أو يكون جبلاً يقال له «منور» وقد درس ذكره اليوم، وبحار الواقع في عالية نجد جميعُ سيوله تأتي مع الوادي الذي يقال له «طينان» المعترض في طريق نجد بين مكة والرياض، بين جبيلات ذريع وماءة القاعية، وهناك في بلاد بني سُلَيم جبل يقال له «بُحَار» وهو الذي يقول فيه البريق الهذلي:

وَمَرَّ على القرائن من بُحَار فكاد الوَبْلُ لا يُبْقى بُحَارا

وهناك بين بلاد بني سليم وبلاد غطفان هضبات يقال لهن «القرائن» إلى هذا العهد، وأما الواقع في جبل النير فهو باقٍ على اسمه إلى هذا العهد.

* * *

٦٢ ـ وقال النابغة :

كأنَّ حُدُوجَهَا في الآل ظُهْراً إذَا أفْرَغْنَ مِنْ نَشَزٍ سَفِينُ
أو النَّخَلَاتُ مِنْ جَبَّارِ قَرْحٍ تُرَبِّبُهُنَّ يَعْبُوبٌ معِينُ
قَطَنَّ الدَّارَ نَعْفَ عُرَيْتِنَاتٍ فَجزْعِ أرِيكَ فَانْتَقَلَ الْقَطِينُ

قرح قرح(١): هو موضع في سِيف القطيف من ديار هجر يقال له «القراح» وهو الذي قال فيه جرير:

ظعائن لم يَدِنَّ مع النصارى ولم يدرين ما سَمَكُ القُرَاحِ

فمن كان من أهل تلك الناحية يقال له «قُرَاحِيٌّ» كما قال أبو عمرو

(١) انظر معجم البلدان ٧/٤٠.
قلت : وهذا من قصيدته المشهورة التي مطلعها :
أتصحو أم فؤادك غير صاح عشيّة همَّ صحبُكَ بالرّواح

في قول الشاعر:

* **وأنت قُرَاحى بِسيفِ الكواظم** *

وتلك الناحية معروفة بجودة النخل، وقد سمعت في بيت النابغة الذي يقوله في صفة النخلة:

* **بُزَاخيـة ألـوت بليـف كأنهـا** *

وقد مررنا على هذا البيت في كتابنا هذا، وأوردنا الشواهد على بُزَاخة، وأعرف موضعاً في بلاد العرب في جبل اليمامة مما يلي وادي سدير يتفرع منه واديان: أما أحدهما فهو وادي المشقر، الذي يصب سيلهُ عند المجمعة وقراها وبلد حرمة، وهذه الناحيةُ معروفةٌ بجَوْدة النخل أيضاً، وأما الوادي الثاني فإنه يصب عند بلد الحريق، ويتجه إلى بلد القصب، ويشرب من هذا الوادي نخيلُ البلدين وزروعُهما، وفروع الواديين يقال لها «المقرح» وأما لفظة القراح فكثير في بلاد العرب وفي جهة بغداد، وأما القراح المذكور فهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد.

أما عريتنات فقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا. **عريتنات**

* * *

٦٣ ــ وقال النابغة :

رَبَاعِيَـــةٌ أضَرَّ بِهَـــا رَبَـــاعُ بِذَاتِ الْجِزْعِ مِسْحَاجٌ شَنُونُ
تَرَبَّـــعَتِ الشُّهَـــاقَ فَجَانِبَيْـــهِ وَلاَقَاهَا مِنَ الصمَّـــانِ عُونُ
نَهَـزْنَ الْبَقْـلَ بِالْقِيعَـانِ حَتَّـى تَعَالَى النَّبْتُ وَالْتَقَتِ الْبُطُـونُ

شهاق: موضع، وأنا لاأعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، ولم أره في أشعار العرب إلا في هذا البيت من كلام النابغة، ولكنك تجده قرنه **شهاق**

بالصمان، فلابد أن يكون من الصمان أو من نواحيه، فأما الصمان فقد مضى الكلام عليه.

* * *

٦٤ ــ وقال النابغة :

وَقَالَ الشَّامِتُونَ هَوَى زِيَادٌ   لِكُلِّ مَنِيَّةٍ سَبَبٌ مُبِينُ
حَلَفْتُ بِمَا تسَاقُ لَهُ الْهَدَايَا   عَلَى التَّأْوِيبِ يَعْصِمُهَا الدَّرِينُ
بِرَبِّ الرَّاكِضَاتِ بِكُلِّ سَهْبٍ   بِشُعْثِ الْقَوْمِ مَوْعِدُهَا الْحَجُونُ

الحجون الْحَجُون: هو الجبل المعروف في أعلى مكة، لايزال معروفاً بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو الذي يقول فيه مُضَاض بن عمرو الْجُرْهمي:

كأن لم يكن بين الْحَجُون إلى الصَّفَا   أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر
بَلَى نحنُ كنَّا أهلَهَا فأزالنا   صروفُ الليالي والْجُدُودُ العواثر

وهذا الجبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وبه اليوم ثَنِية يسلك فيها السائر بين المعابدة وجرول، وتقع مقابر أهل مكة القديمةُ والحديثة في منتصف هذا الطريق.

انتهى بنا القول على المواضع الواقعة في شعر النابغة الذبياني ونأخذ، بعده ــ إن شاء الله ــ في القول على المواضع الواقعة في قصيدة عَبيد بن الأبرص المعدودة في جملة المعلقات، نسأله تعالى أن يسددنا في القول والعمل؛ إنه ولى ذلك.

١٠

عَبِيدُ بنُ الأَبْرَصِ الأَسَدِيُّ

عبيد بن الأبرص[1]

هو عَبيد بن الأبرص، ينتهي نسبُه إلى أسد بن خُزَيمة، وهو من فحول شعراء مضر في الجاهلية، واشتهر بعدم إقامته وزنَ الشعرِ حتى قال أبو العلاءِ المعري في إحدى لزومياته:

وقد يُخطىء الرأىَ امرؤ وَهْوَ حازِمٌ ... كما اختَلَّ في وَزْنِ القَرِيضِ عَبِيدُ

وقد هلك عَبيد بن الأبرص في سنة ١٧ قبل الهجرة (٦٠٥ من الميلاد) وسنورد في هذا المكان من كتابنا المواضِعَ التي وردت في قصيدته المعتبرة عند بعض العلماء من المُعَلَّقات.

* * *

١ ــ قال عَبيد بن الأبرص :

أقْفَرَ مِنْ أهْلِـهِ مَلْحُـوبُ ... فالْقُطَّبِيَّـاتُ فَالذَّنُـوبُ
فَرَاكِسٌ فَثُعَيْلَبَـاتٌ ... فَذَاتُ فِرْقَيْـنِ فَالْقَلِـيبُ
فَعَـرْدَةٌ فَقَفَـا جِبِـرٍّ ... لَيْسَ بِهَـا مِنْهُـمُ عَرِيبُ
وَبُـدِّلتْ مِنْهُـمُ وُحُـوشاً ... وغَيَّـرَتْ حَالَهَـا الْخُطُـوبُ

ملحوب

ملحوب: معروف في الجاهلية بهذا الاسم، ومعروف موقعه، وقد أكثر الشعراءُ من ذكره منهم لبيد بن ربيعة العامري حين قال:

---

(١) قلت : انظر مصادر ترجمته في الشعر والشعراء ٨٤، والأغاني ٨٤/١٩ والأمدي ٥٠، وشرح الشواهد ٩٢، وهبة الأيام للبديعي ٢٨٥، وخزانة الأدب ٣٢٣/١، وصحيح الأخبار ١٤/١ ثم ٧٦/٢ جمهرة أشعار العرب ١٠٠، وسمط اللآلي ٤٣٩ رغبة الأمل ٦٢/٢.

* وصاحب ملحوب فجعنا بموته *

وقد ذكرنا هذا الشطر فيما مضى، وصاحبُ ملحوب الذي أشار إليه لبيد هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، وقد مات بملحوب.

وقال عامر بن عمرو الحصني ثم المكارى[1]:

بسهلة دار غيرتها الأعاصِرُ تُرَاوِحُهَا والغاديات البواكر
قطار وأرواح فأضحت كأنها صحائفُ يتلوها بِمَلْحُوبَ وابِرُ
وأقفرت العَبْلاء والرسُّ منهم وأوحش منهم يثقب فقراقر

قال في معجم[2] البلدان: قال الكلبى عن الشرقي: سمى ملحوب ومليحيب بابنى تريم بن مَهْيع بن عَرْدَم بن طَسْم، فأما تلك الأسماء فقد تغيرت ودرست وليس لها اليوم ذكر.

أما ملحوب فهو يعرف اليوم بمكحول، ومليحيب يعرف اليوم بالعظيم ــ بصيغة التصغير ــ وهما في بلاد بني أسد، أما مكحول فهو مَنهل عظيم كثير الماء، والعُظَيم: جبيل على سطح وادٍ به منهل، وقد تحول الاسمُ اليومَ لهذا المنهل، وبين المنهلين أقل من نصف يوم، يقعان في شرقي سميراء، على مسافة أكثر من يوم، وجبل حبش المعروف بهذا الاسم واقع بين سميراء ومكحول، وهذه من مناهل بنى أسد، متصلٌ بعضُها ببعض: العظيم، ومكحول، والجرثمى وهو المنهل الذي ذكره زهير بن أبي سُلمى في قوله:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحمَّلْن بالعلياء من فوق جرثم

القطبيات القطبيات: ذكر أهل اللغة وأصحابُ المعاجم[3] أن القطبيات، أو

(١، ٢) معجم البلدان ١٤٨/٨، وفيه «والعاديات البواتر» تحريف ما أثبتناه.
(٣) انظر معجم البلدان ١٧١/٧ فلم يزد على أنه اسم جبل.

القطبية، في جبل سُوَاج أو قريب منه، وأنا لأعرفها بهذا الاسم في هذا العهد، ولكنني أعرف في عالية نجد الجنوبية ثلاث هضبات حمر يقال لها: «الحصيات» وهناك ملازم مياه قريب جبل الينوفي يقال لها: «الربقيات» فهذا الذي أعرفه مقارباً للفظ القطبيات.

الذنوب أما الذنوب فهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهي جبيلات صغار يقال لها «الذنائب» وهي متفرقة قريب ست أكمات، جمعُها الذنائب، ومفردها الذنوب، والذنيبة والذنيِّبة مصغرها، قال صاحب معجم البلدان على ذكر الذنائب: هي جمع[1] أذْنِبة، وأذنبة: جمع ذَنُوب، وهي الدَّلو الملأى ماء، وقيل: القريبة من الملأى، وهي ثلاث هضبات بنجد، قال: وهي عن يسار فلجة للمصعد إلى مكة، وفي شرح قول كثير:

أمن آل ليلى دِمْنَة بالذَّنائب ... إلى الميث من ريعان ذات المطارب

الذنائب: في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة، والمطارب: الطرق الصغار.

يَلُوح بأطراف الأجدة رسْمُها ... بذى سَلَم أطلالها كالذواهب

ذو سلم: واد ينحدر على الذنائب، وبها قبر كُلَيب بن وائل، قال مهلهل أخوه يرثيه:

أليلَتَنَا بذى حُسُم أنيرى ... إذا أنت انْقَضَيْت فلا تَحُورى
فإن يك بالذنائب طال ليلى ... فقد أبكى من الليل القصير
فلو نبِشَ المقابرُ. عن كليب ... فيخبر بالذنائب أىُّ زير
بيوم الشعثمين أقَرَّ عينا ... وَكيف لقاء مَنْ تحت القبور
وأنى قد تركت بواردات ... بُجَيرا في دَم مثلِ العَبير
فلولا الريح أسمع أهلُ حجر ... صليلَ البيض تُقْرَع بالذكور

---

(١) معجم البلدان ٤/١٩٧.

وقال أبو زياد: الذنائب من الحمى حمى ضَرِيَة في غربي الحمى، والله أعلم.

وقال بشر بن أبي خازم :

أي المنازل بعد الحيِّ تَعْتَرِف ... أم هل صباك وقد حكمت مُطرف

كأنها بعد عهد العاهدين بها ... بين الذَّنوب وحَزْمى واهب صُحُف

أما حزما واهب فهما معروفان بهذا الاسم إلى هذا العهد، بين الذَّنوب وبين الخرب واللساسة وعندها ملزم ماء يسمى «خفق واهب» وما حوله من السنفين مضاف إليه، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد.

والذنائب باقية بأسمائها إلى هذا العهد، إذا كنت على ماءة الخضارة على الطريق بين مكة والرياض فالتفت على شمالك وأنت مشرق فإنك ترى جبيلات الذنائب هناك، ينقطع جذيب الخضارة في جهته الشمالية قريباً منها، والجذيب هو الذي يسمى اليوم «سمر الخضارة» وهو جبيلات سود متصل بعضها ببعض، ذكروا في أوائل القرن الرابع عشر أن امرأة من قبيلة الروقة من ذوى عطية يقال لها «مرساء» وهي من شواعر النبط كانت مسافرة إلى مكة مع قومها للامتيار، فسمعت مناديا ينادى، وهو طوراً يقول «لبن، لبن» وتارة يقول «حليب، حليب» فنادته وقالت: ما تقول؟ قال:أبيع حليبا، فقالت له: أين حليبك؟ فرفع لها (السطل) الجردل فالتفتت إليه وقالت: الحليب ليس في (سَطْلك جردلك)، بل الحليب عند خونان بن عقيل[1] في الدعيكة، ثم اندفعت تقول أبياتاً نبطية منها:

---

(١) خونان بن عقيل من رؤساء عتيبة من الدعاجين، صاحب إبل كثيرة، والدعيكة موضع صالح لرعى الإبل في حمى سجا، المنهل المعروف في عالية نجد، يقع في نصف الطريق بين مكة والرياض.

يالى اتنادى باللبن مالنا فيه أبا ذكره وإن كنت للدَّرْب غاوى
خشم الينوفي والحوم بارك فيه وسيحان والبرة وعبلة ملاوى
ووادي الجرير إلى حدر من علاويه وخشم الذنيبة والجذيب متساوى

الينوفي، والحوم، وسيحان، والبرة، وعبلة ملاوى: جميعُ هذه المواضع المذكورة في الموضع الذي كان يسمى في الجاهلية المطلى، ويسمى اليوم العبلة، وبعضها في حمى سجا الذي حماه صاحب السمو الملكي **الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود** لمواشيه فأما الذنيبة فهي التي كنا في ذكرها، والجذيب هو جذيب الخضارة، ووادي الجرير معروف عند عامة أهل نجد، وقد مضى الكلام عليه، وهو الذي كان يقال له في الجاهلية «الجريب» وهو أعظم واد من الأوْدية التي تصب في الرمة، قالت العرب على لسان الرمة[1]:

كل بني فإنه يحسيني إلا الجريب إنه يرويني

وهو من أصلح البلاد لرعي الإبل، قال الشاعر:

سيكفيك بعد الله ياأم عاصم مجاليح مثل الهضب مصبورة صبرا
عوادِنُ من حمض الجريب، وتارة تعاتب منه خلةً جارةٌ جأرا

وقال عمرو بن شاس الكندى :

قلت لهم إن الجريب وراكسا به إبلى ترعى المرار رِتاع

وقال المهدى بن الملوح :

إذا الريح من نحو الجريب تنسمت وجدت لريَّاها على كبدى بردا
على كبدٍ قد كاد يُبْدِي بها الجوى نُدُوباً، وبعض القوم يحسبني جَلْدَا

(١) انظر معجم البلدان ٣/٩١.

أما سيول الذنائب وما حولها فأما ماكان منها يتجه إلى جهة الشرق فإنه يصب في وادي الجريب المعروف بوادي الجرير اليوم، وماكان منها يتجه إلى جهة الغرب فإن سيوله تجتمع حتى تصب في الشعبة التي تتجه إلى المدينة، وقد مضى الكلام عليها.

ووادي الجريب من أصْلح بلاد الله لرعى الإبل، ويقتتل عنده قبائلُ العرب من أجل الكلأ وقد قتل في ذلك الوادي من رؤساء عتيبة عدد كثير: منهم تركى بن حميد أكبر رئيس في عتيبة في زمانه، قتله الشريّف أَحَدُ بني عبدالله بن غَطَفان، ثم من بعده ابنُ عمه سلطانُ بن هندى بن حميد وهو من أكبر الرؤساء في زمانه، وقتل في ذلك الوادي زايد بن محيا رئيس الحناتيش من الروقة، وقتل بعده ابن عمه فلاح بن محيا، وقتل في ذلك الوادي أيضاً شليل بن نجم، ومارق الضيط قتلته حرب، وهو رئيس العضيان من الروقة، وغزا بعد ذلك ابنه بدر بن مارق ليأخذ ثأر أبيه فألحقته حرب بأبيه، وقتل في ذلك الوادي جدى بن زريّبة قتله دواس أحد الغيادين، وهم بطن من حرب، وقد وقعت على أثر هذه القتلة حروب كثيرة. وأما القتلى الذين ليسوا برؤساء فهم كثيرون في هذا الوادي.

راكس

راكس: سِناف متصل به أبرق في أسفل وادي بلغة قريب الجبل المشهور الذي يقال له عاج، وهو في بلاد غطفان، وقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا.

ثعيلبات

ثعيلبات، لايزال معروفاً إلى اليوم، وقد صار اسمه «الثعيلبي» وهو من مناهل الجبلين أجأ وسلمى أو قريب منهما، وهو غير الثعلبية التي في طريق حاج البصرة، وفي ثعيلبات يقول بعض شعراء الجاهلية(١) :

---

(١) معجم البلدان ١٦/٣.

أجدك لن ترى بثعيلبات ولا بيدَانَ ناجيةً ذَمُولا
ولا متلاقيا والشمس طَفْلٌ ببعض نواشغ الوادي حمولا

ذات فِرْقَين: هو جبل له رأسان، إذا كنتَ في «نفى» تراه بعينك، وقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وعامة أهل نجد يعرفونه باسم «فرقين» قال شاعر نبطى: **ذات فرقين**

الركايب وطن فرقين والغضى مدهله حرمه
عقبكم يا مقر الزين عروة القلب منصرمه

القليب: قد مضى الكلام على هذا الموضع، وهو معروف بهضب القليب، وعَبيد ترك كلمة الهضب للضرورة واكتفى بالقليب، وهو معروف مقابل لطرف كشب الشمالي. **القليب**

عردة: باقية بهذا الاسم، إلا أنها أبدلت هاؤها نوناً، فيعرف هذا الموضع اليوم عند عامة أهل نجد بعردان، وهو أبرق بين ظلم وأجله، وبه حجارة ورمال، وهو الذي يقول فيه طهمان[1]: **عردة**

صعلا تذكر بالسفاء وعَرْدة غلس الظلام فآبهن رئالا
ياويح ما يفرى كأنَّ هويَّهُ مريخ أعسر أفرط الإرسالا

وقال عبد بن معرض الأسدي:

لمن طلل بعردة لا يبيد خَلَا ومضى له زمن بعيد

والسفاء الذي قرنه طهمان بعردة هو «سفوات» المعروفة اليومَ بهذا الاسم، وسفوات وعردان معروفان عند عامة أهل نجد بهذين الاسمين اليوم، وهما في شمالي المطلى، ومن حدود حمى سجا، في الجهة الغربية منه.

---

(١) معجم البلدان ١٤٢/٦.

قفا حبر

قفا حبر: حبر: جبل أسود معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقع في عالية نجد في الجهة الشمالية منها، إذا خرجت من ماء الدفينة قاصداً عفيفاً، وكنت بين ماءة الدفينة وماءة الخضارة، وأنت إلى ماءة الدفينة أقرب، فالتفت صَوْبَ يمينك فإنك ترى رأس عردان الذي ذكره عَبيد في معلقته باسم «عردة» ثم التفت صوب شمالك فإنك ترى رأس حبر، وأنت في مكان واحد، والموضعان متقابلان، وبينهما الطريق النجدي النافذ من مكة إلى الرياض، وحبر كما قلنا لم يتغير اسمه إلى هذا اليوم من العهد الجاهلي، وقد أكثر الشعراء من ذكره، قال الفقعسي وهو يرثى أخاه بدراً [(١)].

ألا قاتِلِ الله الأحاديث والمُنَى وطيرا جرت بين السعافات والحبر
وقاتل تثريب العيافة بعد ما زجرْتُ فما أغنى اعتيافي ولا زجري
وما للقُفُول بعد بدرٍ بشاشةٌ ولا الحى يأتيهم ولا أوبة السفر
تذكرني بدرا زعازع لَزْبَةٍ إذا أعصبت إحدى عَشِيَّاتها الغُبْر

وقال ابنُ مقبل :

سَلِ الدارَ من جنبي حِبِرّ فواهب إلى ما ترى هَضْب القليب المضيح

والمضيح في قول ابن مقبل «هضب القليب المضيح» معطوف على القليب، لأن بين المضيح وهضب القليب مسافة ثلاثة أيام أو أربعة، والمضيح باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد.

والمواضع الذي ذكرها عبيد: حبر، وعردة، والذنوب، والقليب، هذه يُرَى بعضُها من بعض، وهي باقية إلى هذا العهد بما ذكرنا من الأسماء، وملحوب، وراكس، وذات فرقين: لايبعد بعضها عن بعض، وأما القطبيات فلا أعلم موقعها.

(١) معجم البلدان ٢٠٨/٣ والذي في شعر المرار بكسر الحاء وسكون الباء، والذي في بيت ابن مقبل بكسرتين فراء مشددة كالذي في بيت عبيد وجعلهما ياقوت موضعين.

٢ ــ وقال عَبيد بن الأبرص :

أحْلَفَ ما بازَلاً سَدُوسُهَا لَاحِقَّةٌ هِي وَلَا نَيُوبُ
عَيْرَانَةٌ مُؤْجَدٌ فَقَارُهَا كَأَنَّ حَارِكَهَا كَثِيب
كَأَنَّهَا مِنْ حَمِيرِ غَابٍ جَوْنٌ بصَفْحَتِهِ نُدُوبُ[1]

إلى أن قال :

كَأَنَّهَا لِقْوَة طَلُوبٌ تَخِرُّ فِى وَكْرِهَا الْقُلُوبُ
بَاتَتْ عَلَى إرمٍ عَذُوباً كَأَنَّهَا شَيْخَةٌ رَقُوبُ

غاب: لاأعرف موضعاً في بلاد العرب يقال له غاب، ولكنني أعرف موضعاً يقال له «الغابة» وهو موضع تجتمع فيه سيول وادي القصب ووادي الحريق المجاورين لجبل طويق. غاب

إرم: هو ــ كما ذكره عبيد ــ مَرْقَب في رأس جبل، وكل مرقب يقال له «إرم» وليس بموضع مخصوص. إرم

(١) رواية التبريزى «كأنها من حمير عانات» والعانات : جمع عانة، وهي الجماعة من حمر الوحش، وذكر الرواية الأخرى «من حمير غاب» ثم قال: «وغاب مكان». والجون: الأبيض، وهو الأسود أيضاً، ضد، والندوب: جمع ندب ــ بالفتح ــ وهو الجرح.

القسم الثاني

من الكتاب

في ذكر أماكن وردت في غير المعلقات

لشعراء مختلفين

١ ـ قال عمرو بن كلثوم يهجو النعمان بن المنذر ويعيره بأمه:

حَلَّتْ سُلَيْمىٰ بِخَبْتٍ بَعْدَ فِرْتَاجِ ... وَقَدْ تَكُونُ قَدِيماً فِي بَنِي نَاجِ
إذ لا تُرَجِّي سُلَيْمىٰ أَنْ يَكُونَ لَهَا ... مَنْ بالْخَوَرْنَقِ مِنّ قَيْنٍ وَنَسَّاجِ
وَأَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِهَا حُرُسٌ ... وَلَا تُكَفِّفُ قُبْطِيًّا بِدِيبَاجِ[1]
تَمْشِي بِعِدْلَيْنِ مِنْ لُؤْمٍ وَمَنْقَصَةٍ ... مَشْيَ الْمُقَيَّدِ فِي الْيَنْبُوتِ وَالْحَاجِ

فرتاج أما فِرْتَاج الذي ذكره عمرو بن كلثوم فكاني اراه، هضبات بها ماء يقال لها «فرتاج» إلى هذا العهد: فرتاج، والغيمار، والقعساء، جميعُ هذه الهضبات بها مياه، وهي من هضبات سميراء لاتبعد عنها أكثر من نصف يوم، وفرتاج في الجهة الغربية منها، قال زيد الخيل الطائي[2] :

فلو أن نَصْرا أصلحت ذاتَ بينهَا ... لَضَحَّتْ رويداً عن مطالبها عمرو
ولكن نصراً أدمنت وتخاذلَتْ ... وقالوا: عَمَرْنَا من محبتنا القفر
فإن تمنعوا فرتاجَ فالغمرَ منهم ... فإن لهم ما بين جرثم والغمر

وفي كلام زيد الخيل.وهو مخضرم ذكر فرتاج والغمر وجرثم الذي ذكره زهير، وهذه المواضع الثلاثة يرى بعضها من بعض: فرتاج، والغيمار، والجرثمى، وقال الراعي النميرى يذكر فرتاجا[3]:

مازال يفتح أبوابا ويُغْلقها ... دوني وأفتح بابا بعد إرتاج
حتى أضاء سراجٌ دونَهُ بقر ... حورُ العيون مِلَاح طَرْفُها ساج
يكشرن للهو واللذات عن بَرَد ... تكشُّفَ البرقِ عن ذي لجة داج
كأنما نظرت دوني بأعينها ... عينُ الصَّرِيمة أو غزلانُ فِرْتَاجِ

---

(١) هذه رواية ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦ ووقع في بعض الأصول :
* كما تلفف قبطى بديباج *
(٢) معجم البلدان ٦/٣٥٤ وفيه في ثالثها «ما بين جرثم فالغفر».
(٣) المعجم في الموضع نفسه.

وقال رجل من عُذْرة :

بِفِرْتَاجَ من أرض الحَليفين أَرَّقَتْ — جَنُوبٌ ولا لاح السِّماك ولا النَّسْرُ
ومن دون مَسْرَاها الذي طرقت به — شماريخُ من ريّان يَرْوَى بها الغمر[1]

وهذا الشاعر العذري ذكر فرتاجاً والغيمار وكان يسمى الغمر في الزمن القديم.

* * *

٢ ــ وقال لَبِيدُ بن ربيعة العامري[2]:

لِهِنْدٍ بِأَعْلامِ الأَغَرِّ رُسُومُ — إلى أُحُد كأَنَّهُنَّ وُشُومُ
فَوَقْفٍ فَسُلِّيٍّ فَأَكنافِ ضَلْفَعٍ — تَرَبَّعُ فِيهِ تَارَةً وَتُقِيمُ
بما قد تَحُلُّ الواديَيْنِ كِلَيْهِمَا — زنانِيرُ فيها مسكنٌ فتدومُ

في هذه الأبيات الثلاثة أربعة مواضع كلها باقية بأسمائها إلى هذا العهد، وهي: سلىّ، وضلفع، وزنانير، وتدوم.

زنانير

أما زنانير فهي هَضَبات على وادي رنية في المنتصف بين رنية وجرش الذي يقال له اليوم «أبا الجُرشى» يقع وادي رنية بينهن. «بالجرشاي» تصحيح

سلى

فأما سلى فهو جبل أسود، ليس بالكبير، على ضفة وادي رنية، على جانبه الجنوبى مما يلى موضعاً يقال له «الخرقان» مزارع، وهو حد المعمور من رنية من جهة الشرق، وجبلُ سلى مجاور لذلك الموضع، ووادي رنية يأتي بينها: الخرقان على ضفته الشمالية، وسلى على ضفته الجنوبية وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد.

---

(١) في معجم البلدان «الغفر» وفسره فقال «الغفر : ولد الأروية، والجمع غفرة وأغفار».
(٢) البيتان الأولان في معجم البلدان ١١٨/٥ وفي ٥٣٠/٨، وثالثها وحده فيه ٣٧٢/٢، وثلاثتها مجتمعة في ٤٠٦/٤.

ضلفع وضلفع: جبل يقع في الجهة الجنوبية من جبل سلى، على مسافة نصف يوم، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يمر به السالك من نَجْد إلى بيشة، وضلفع هذا في الجهة اليمانية من نجد، وهو غير ضلفع الذي ذكره متمم بن نويرة وهو يرثي أخاه مالكاً حين قال[1]:

أقول وقد طار السنا في ربابه ... وغيث يسُحُّ الماء حتى تَرَبَّعا
سقى الله أرضا حَلَّها قبرُ مالكٍ ... ذِهَابَ الغَوَادى المُدْجنات فأمْرَعَا
وآثـر سيـل الواديـن بديمـة ... ترشح وَسْمِيًّا من النَّبْتِ خِرْوَعَا
فمنعرج الأجناب من حول شارع ... فروَّى جنابَ القريتين فضلفعا
تحيته منى وإن كان نائيا ... وأمسى تراباً فوقه الأرضُ بَلْقَعَا

أما ضلفع الذي ذكره متمم بن نويرة فهو الموضع الذي في أعلى القَصيم، يقال له في هذا العهد «الضلفعة» وذلك لأن مالك بن نويرة قتل في البطاح، والبطاح من أودية الرس، ودُفن في وادي الضلفعة المعروف بهذا الاسم اليوم، ولكن أهل المعاجم الذين يوردون الشواهد على الأسماء ليس لهم علم بما اتفق منها وما اختلف، وضلفع الذي ذكره لبيد في شعره هو الذي يقول فيه جامع بن عمرو بن مُرْخية[2]:

بَدَتْ لي وللتيمى صهوة ضلفع ... على بعدها مثل الحصان المحجل

وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد في تلك الناحية.

تدوم أما تدوم فهو جبل مُعْبر الجنبات، ليس بالكبير، يقع في الجهة الجنوبية من رنية، على مسافة ساعة، وهو الذي يقول فيه الراعي وقد غضب عليه مروان بن الحكم وتوعده، فذهب إلى بلاد قومه، وقال:

(١) معجم البلدان ٥/٤٣٩.
(٢) المعجم ٥/٤٣٩ أيضاً.

خُبِّرت أن الفتى مَرْوَان يُوعِدُنِى فاسْتَبْقِ بعضَ وعيدى أيها الرجلُ
وفي تدومَ إذا اغبرَّتْ مناكبُه ودارة الكور عن مروان مُعْتَزَلُ

سألت الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم قاضى رنية في سنة ١٣٦٦هـ عن تدوم، فقال: والله إني إذا رأيته أذكر بيت الراعى الذي يقول فيه :

* **وفي تَدُوم إذا اغبرت مناكبه** ـ البيت *

وأما الكور الذي ذكره الراعي فهو جبل عظيم أسود، يطل على بلد رنية، يقع في غربيها، ولا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد، ووادي رنية يقسم هذا الجبل نصفين، وفيه نخل يقال له الأملح، في وادي رنية في مقسم تلك الجبل، وهذا المقسم كان يقال له في الجاهلية ثنية الكور، وكان به يوم من أيام العرب بين بني عامر وبين اليمن، وفي هذه الثنية التي تسمى اليوم الأملح كانت أيام وحروب في أوائل القرن الرابع عشر بين سبيع بن بريهة وبين الزكور، والكور يقال له «ضلع المجامعة» والمجامعة: بطنٌ من سبيع، والحروب التي وقعت بين بطنين عظيمين من سبيع: بين بريهة، وهي التي تسكن جبل الكور والأملح، والزكور، وهم سكان رنية، وبين الموضعين أقل من مسافة نصف يوم، وأنا أعرف في بلاد العرب أربعة جبالٍ تعد من الجبال السود، وكل جبل في ضفته الشرقية بلد: أحدها أبان الأسود، وهو الشمالي من أبانين، في ضفته الشرقية «النبهانية» وبها قصور ونخيل ومزارع، وثانيها جبل شعبىٰ، في شرقيه مسكة وضرية، وهو جبل الحمى المشهور، وثالثها جبل ثهلان، وفي ضفته الشرقية الشعراء، وهي ذات قصور ومزارع ونخيل حديثة، ورابعها جبل الكور الذي مر ذكره، وفي ضفته الشرقية رنية ذات قصور ونخيل ومزارع. وهي لعقيل بن عامر، وربما أن سبيع بطن من عقيل.

* * *

٣ ـــ وقال الحطيئة، وهو شاعر مخضرم[(١)]:

أقاموا بها حتى أبنت ديارهم عَلَى غَيْرِ دِينٍ ضَاربٍ بِجِرَانِ
عَوَابِسَ بَيْنَ الطَّلْحِ يرجمن بالْقَنَا خُرُوجَ الظباء مِنْ حِرَاجِ قِطَانِ

قطان

قطان: وادٍ عظيمٌ كثير الظباء، سيلُه يأتي من جهة الجنوب إلى جهة الشمال، أعلاه مُتَاخم لبريم الواقع في شرقي حضن، ومتاخم لجبيلات الرحى، يقطعه طريق السيارات بين ركبة وقصر المويه، يصب سيلُه في الأرض السبخة التي تلى دغيبجة المنهلِ المعروف في جبل كشب، وقد أحسن الحطيئة في ذكره الظباء؛ فإن وادي قِطان من أعلاه إلى أسفله مجمع للظباء، ولايزال معروفاً باسم قطان إلى هذا العهد.

* * *

٤ ـــ وقال الأعشى[(٢)]:

لَمِنِ الدَّارُ تَعَفَّى رَسْمُهَا بِالْغُرَابَاتِ فَأَعْلَى العَرَمَة

الغرابات

العَرَمَة، والغُرَابات: معروفان بهذين الاسمين إلى هذا العهد، قال رؤبة الراجز[(٢)]:

*** وعارض العرق وأعناق العَرَم ***

الغرابات: هي جبيلات صغار سود في العتك، بين القصب وثادق، عندما ينقسم جبل اليمامة هناك.

---

(١) معجم البلدان ٧/١٢٠.

(٢) معجم البلدان ٦/١٥٧ و٢٧٢.

العرمة

وأما العرمة: فهو جبل عظيم طرفُه الجنوبى مما يلي السهباء، وفيه منهلُ وسيعٍ، ومنهل أبي جفان، ومناهل كثيرة: منها رماح وغيرة، ورماح هذا هو الذي يقول فيه جرير :

يذكرنـــــي فؤادي من هواه ظعائن يجتزعـن علـى رمـاح

وطرف العرمة الشمالي ينعقد في جبل مجزل، وقد قال صاحب معجم البلدان عن مجزل: هو جبل أو روضة، ولكني أعرف أنه جبلٌ، ولا يزال باقياً بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٥ ــ وقال الحارث بن عمرو الفزارى(١):

فَحَزْم قُطَيَّاتٍ إذِ الْبَالُ صَالِحٌ فَكَبْشَة مَعْرُوف فَغَولاً فَقَادِمَا

قُطَيات: قد مضى الكلام عليها، وغول كذلك.

كبشة

وأما كبشة فهو اسم لواحد من كبشات، وكبشات ثلاثة أجْبُل سود عظام، إذا أفردت أحدها قلت كبشة، وإذا جمعت يقال لها كبشات، وهي باقية على أسمائها إلى هذا العهد، وهي لم تدخل في حمى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودخلت في حمى عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال الأصمعي: كبشات جبال في الحمى: كبشة بني جعفر، وكبشة لقيطة، وهي لغنى، وكبشة الضباب، وهي حدود حمى عثمان، بينها وبين بلد ضرية مسافة يوم مما يلي مطلع الشمس.

* * *

---

(١) معجم البلدان ٢١٣/٧.

٦ ــ وقال الحطيئة لما حَبَسه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه[١]:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخٍ بِذِي مَرَخٍ زُغْبِ الْحَواصِلِ لَامَاءٌ وَلَا شَجَرُ

أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَاْغِفرْ عليك سلام الله يَاعُمَرُ

مرخ الموضع المشهور عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو واد يقع في الجهة الشمالية الشرقية من الزلفى، قريب روضة السبلة وقريب نفوف الضويحي، وادٍ عظيم يقال له «مرخ» وهو الذي ذكره أبو وَجْزة في قوله:

واحْتَلَّتِ الجوَّ فالأجزاع من مرخ فما لها من ملاحاة ولا طلب

وبين المدينة وفَدَك واد عظيم يقال له «مرخ» وظني أن هذا الوادي الحجازي هو الذي عناه الحطيئة؛ لأنه سجن في المدينة، وربما كانت فراخه قريبا منه.

* * *

٧ ــ وقال عرْوَة بن الوَرْد العبسي[٢]:

سَقَى سَلْمىٰ وأَيْنَ محل سَلْمىٰ إِذَا حَلَّتْ مُجاوِرَةَ السَّرِيرِ
إذا حَلَّتْ بأَرْضِ بَنِي عَلِيٍّ وَأَهْلُكَ بَيْنَ إِمَّرةٍ وَكِيرِ
ذَكَرْتُ مَنَازِلًا مِنْ آلِ وَهْبِ مَحَلَّ الْحَيِّ أسْفَلَ ذِي النَّقِيرِ

إمرة كير إِمَّرَة: معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، جبيل صغير، كانت به أبارق، بين أبانين وخزاز.

(١) المعجم ٢٠/٨.
(٢) المعجم ٣٠٥/٧ و ٣١١/٨.

وجبل كِير معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، من أجبلة المخامر، بين الشبيكية والرس، لايزال يطلق عليه جميعُ الناس اسم «كير».

* * *

٨ ــ وقال أبو زياد الكلابي[١]:

أَرَاكَ إِلَى كُثْبَانِ يَبْرِينَ صَبَّةَ وَهذَا لَعَمْرِي لَوْ قَنَعْتِ كَثِيبُ
وَإِنَّ الْكَثِيبَ الْفَرْدَ مِن أيمن الْحِمىٰ إليّ وإنْ لَمْ آتِـهِ لَحَبيبُ

يبرين: منهل كثير المياه، به عيون ونخيل، باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، في شرقي الدهناء مما يلي الخرج، في الجهة الشرقية الجنوبية من الخرج، وهو الذي يقول فيه جرير: يبرين

لما تذكرت بالديرين أَرَّقَنِي صوتُ الدجاج وضَرْبٌ بالنواقيس
فَقُلْت للركب إذ جَدَّ الرحيلُ بنا يابُعْدَ يَبْرِين من باب الفراديس

وهو من مياه بني تميم في الجاهلية، ويسكنه الآن آل مرة.

* * *

٩ ــ وقال القحيف العقيلي[٢]:

أَلَا يَاحَمَـــامَ الشِّعْبِ شِعْبِ مُرَيِّفِــــقِ
سَقَتْك الْغَـوَادِي مِنْ حَمَـام وَمِـنْ شِعْبِ

سَقَـــتْكَ الْغَـــوَادِي رُبَّ جَوْدٍ غَزِيـــرةٍ
أصَاحَتْ لَخِـفْضٍ مِنْ عنـــانك أو نَصْبِ

(١) معجم البلدان ٤٩٤/٨.

(٢) معجم البلدان ٤٢/٨ غير منسوبة.

فَإنْ يَرْتَحِـلْ صَحْبِـي بجُثْمَـانِ أعْظُمِـي
يَقُـم قَلْبِيَ الْمَحْـزُونُ فِي مَنْـزِلِ الـرَّكْبِ

مريفق — مريفق: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو ماء عذب، بل هو أعذب المياه التي في جهته، في شمالي الزيدى مما يلي الصخة، وعليه شجرة أراك عظيمة، معروفة بحسن المساويك، وقد وردتُ ذلك المنهل وأخذت مساويك من تلك الشجرة.

* * *

١٠ ـ وقال أبو ذؤيب الهُذَلي(١):

لَعَمْرُكَ مَا عيْنَاءُ تَنسَأُ شَادِنَا يَعِنُّ لَهَا بِالْجزْعِ مِنْ نَخبِ النَّجْلِ

نخب — نخب: وادٍ من أودية الطائف، وهو من الأودية العظام، يقع جنوبيَّ الطائف، على طريق الحجاز، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وأبو ذُؤيب الهُذَلي من شعراء تلك الناحية، وقال شاعر من ثقيف :

حَتَّى سمعتُ بكم ودعْتُمُ نخبا ما كان هذا بحين النفر من نخب

وهذا الوادي المسمى نخبا فيه أحجار لم أر مثلها، كبيرة الحجم جداً، حتى إنك لترى الحجر منفردا، وترى الحجر عليه حجر ثانٍ لا يقدر أن يضعه فوقه مئات من الناس، وعليه حجر ثالث مثله، رأيت جملة من الأحجار على هذه الصفة، وهو بين وادي الطائف ووادي ليّة، وهو لقوم يقال لهم وقدان، هم أهله في هذا العهد، وهم من العرب، لكنهم ليسوا من ثقيف ولا من عتيبة على ماظهر لي.

* * *

---

(١) المعجم ٢٧٣/٨ واللسان (ن خ ب).

١١ ـ وقال عَبْدَةُ بن الطبيب، وهو تميمي النسب وأسلم[١]:

كأنَّ ابنَةَ الزَّيْدِى يوم لقيتُهَا ... هنيدة مكْحُولُ المدامِعِ مُرْشِق
تُرَاعِي خَذُولاً ينفض المَرْدَ شَادِنا ... تَنُوشُ من الضَّالِ القذاف وتعلق
وقلْتُ لها يومَا بِوَادِي مُبَايضٍ ... ألا كُلُّ عَانٍ غير عَانِيك يُعْتَقُ
يُصادف يومَاً من مَليكٍ سماحةً ... فيأخذ عرض المال أو يتَصَدَّقُ
وذكَّرَنيها بعد ما قد نسيتهَا ... ديارٌ علاها وابلٌ مُتَبَعِّقُ
بأكناف شَمَّاتٍ كأنَّ رُسُومها ... قَضِيمُ مَنَاعٍ في أديمٍ مُنَمَّقِ

مُبَايض: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وكان به يوم من أيام العرب بين تميم وبكر، وكانت بنو بكر قد لجأت إلى وادي مبايض فتألبت بنو تميم فجاءت إلى بني بكر، ورئيس بني حنظلة أبو الجدعاء، ورئيس بني سعد بن زيد مناة فدكى، ورئيس بني العنبر طريف، ورئيس بني بكر هاني بن مسعود الشيباني، فالتقوا في وادي مبايض، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت بنو تميم، وقتل طريف وهو فارس تميم على الإطلاق، قتله حميصة بن جندل الشيباني. مبايض

ومبايض في جبل مجزل مما يلي شمالي العرمة، يقع شرقي وادي سدير، سكنته في هذا العهد،الأخير قبيلتان من بريه: بطن من مطير، وهم الهوامل والعفسة.

١٢ ـ قال شاعر من بني إنسان بن عتوارة[٢] :

أَتَتْنَا بنو نصر تَزُجُّ وطابها ... وخرفانها مسمومة لِلتَّزَوُّدِ
إذا مابرئتم من بَريم وأهله ... فردوا عكاظيا بكم للتصعُّدِ
فإني أرى أنَّ المَخَاض أصابها ... بني عامرٍ أهل التهدّى وثهمد
سرت من جنون الليل عَزْفَاً فأصبحت ... بشعفين ياهذا بإدلاج أعْبُدِ

(١) انظر معجم البلدان ٣٧٩/٧.
(٢) انظرها وأبيات ابن مقبل في معجم البلدان ٢٧٥/٥.

وقال ابن مُقبل :

تأمل خليلي هل ترى ضوء بارق يمانٍ مَرَتْهُ ريحُ نجدٍ فَفَتَّرا
مرته الصَّبا بالغَوْر غور تِهَامةٍ فلما دنت منهن شَعْفَين أمطرا

بريم أما بريم فهو منهل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد يقع شرقي جبل حَضَن.

شعفان وأما شَعْفان فهما جبيلان صغيران في قطعة من الأرض تسمى اليوم عند عامة أهل نجد «الحزم» واقعة بين المويه والخرمة، وهما مختلفا الألوان، يقال لأحدهما «شعف الأسود» ويقال للثاني «شعف الأعفر» والعفار: البياض، والمسافة بينهما للسائر على قدميه ثلاث ساعات، أحدهما مقابل الآخر، الأسمر مما يلي مغرب الشمس، والأعفر مما يلي مطلعها، وأما المثل السائر عند العرب إلى هذا العهد «لكن بشعفين كنت جدودا» فقد قال في معجم البلدان: إن أصل هذا المثل أن عروة بن الورد وجد جارية بشعفين وقد أنحى عليها الزمان فأتى بها أهله ورباها، حتى إذا سمنت وبطنت بطرت، فرآها يوماً وهي تقول لجوارٍ كن يلاعبنها وقد قامت على أربع «احلبوني فإنى خَلِفة» فقال لها عروة «لكن بشعفين كنت جدودا» يضرب مثلاً لم نشأ في ضر ثم ترفع عنه فبطر، والجدود: هي التي انقطع لبنها، وهذه لغة باقية إلى الآن، وقد غلط صاحب معجم البلدان في قوله «إن شعفين أكمتان بالسى» والصحيح أنهما أكمتان بالحزم، وأما السى فهو القطعة من الأرض الواقعة بين جبل كشب ووادي العقيق والذي فيه جبل بسيان.

* * *

١٣ ــ وقال شاعر جاهلي اسمه عوف بن الخرِع أحد بني الرباب[١]:

---

(١) معجم البلدان ٥/٢٨٤.

أمن آل سَلْمىٰ عرفتَ الديارا بجنب الشقيق خلاءً قفارا
وقفت بها أصُلاً ما تبين لسائلها القول إلا سرارا

وقال ابن مقبل :

فحياض ذي بقر، فحزم شقيقة قَفْر، وقد يغنين غير قفار

الشقيق: جمع شقيقة، وهو كل ما غلظ من الأرض وانخفض بين كثيبين، وتسميها عامة أهل نجد اليوم «الخبة» وأعرف موضعاً في بلاد العرب باقياً بهذا الاسم الذي مر ذكره. **الشقيق**

الشقيقة: قطعة من الرمال واقعة بين عنيزة والمذنب، تقع في غربيهما، يحدها شمالاً وادي الرمة، ويحدها جنوباً الخرما وخريمان التي تجتمع بها سيول أودية نجد الوسطى. **الشقيقة**

قال نصر بن زياد العقيلي :

مَرَّتْ حمولهمُ سفحى شبيرمة والشمسُ طالعةٌ والقلبُ مشتغلُ

قال في معجم البلدان : الشبيرمة كأنها تصغير شبرمة ضرب من النبات، وهو ماء للضباب بالحمى حمى ضرية، وأقول: شبيرمة في خارج حدود الحمى الجنوبية.

١٤ ــ وقال حيان بن جبلة المحاربي، وهو شاعر جاهلي :

أَلَا إنَّ جِيرَانَ العَشيَّةِ رَائِحٌ دَعَتْهُمْ دَوَاعٍ من هَوًى وَمَنَادِحُ
فَسَارُوا لِغَيْثٍ فيهِ اغى وغُرَّبٌ فَذُو بَقَرٍ فَشَابَةٌ فَالذَّرَائِحُ

أغى وغرب: جبال قريب بعضها من بعض، في عالية نجد، لاتزال بهذا الاسم إلى هذا العهد. **غرب**

أما غرب فهي جبيلات سود في طرف أجبلة الحمار في جنوبيها مما يلي عرق سبيع.

أغى وأما أغى فيقال لها في هذا العهد «بني غي» وهي سنفان بين الحمرة والسواد، بين غرب وعرق سبيع، تقع في جهة مطلع الشمس من غرب.

ذو بقر أما ذو بقر، وشابة: فقد مضى الكلام عليهما.

الذرائح والذرائح: لا أعلمها بهذا الاسم في هذا العهد.

* * *

١٥ ــ وقال شاعر، وأنشده أبو النَّدَى[1]:

وَرَيْتَ جَرِيراً يَوْمَ أَذْرِعَةِ الْهَوَى وَبُصْرَى وَقَادَتْكَ الرِّيَاحُ الْجَنَائِبُ
سَقَى الله نَجْداً مِنْ رَبِيعٍ وَصَيِّفٍ وَخُصَّ بِهَا أَشْرَافُهَا فَالْجَوَانِبُ
إلَى أَجَلَي فَالْمَطْلَيَيْنِ فَرَاهِصٍ هُنَاكَ الْهَوَى لَو أَنَّ شَيْئاً يُقَارِبُ

أجلى أما أجلى: فهي معروفة، وقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا، إذا قطعت وادي الخضارة متجهاً إلى عفيف ثم أتيت وادي الثعل، فانظر على شمالك تجدها، ويقال لها في هذا العهد «أجلة».

المطليان والمطليان: موضع الحمى اليوم حمى سجا والعبلة، تقع جنوبيه، فإن أفرد أحدهما بلفظة المطلى فهي تكفى للحمى أو العبلة.

راهص وأما راهص: فهو باق بهذا الاسم، هضبات متصل بعضها ببعض، يقال لها الآن «الرواهص» تقع بين جبل المردمة وجبل العلم، معروفة عند عامة أها نجد.

* * *

(١) معجم البلدان ٢١٦/٤.

١٦ ــ وقال الراعى النميرى[1] :

يُشَوِّقُهَا تَرْعِيَّةُ ذُو عَبَاءَةٍ بِمَا بَيْنَ نَقْبٍ فَالْحَبِيسِ فَأَفْرَعَا

نقب قال ياقوت في معجمه: هذا نقب ضاحك، طريقٌ يصعد في عارض اليمامة. قال المصنف: أنا أعرف هذا النقب، طريقٌ بين مدينة ثادق البلد المعروفة من مدن اليمامة وبين بلد عودة سدير، وهي طرف قرى سدير الجنوبية، يقال لهذا الطريق اليوم «ثنية ضاحك» جميعُ أهل تلك الناحية لايزالون يعرفونه بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

١٧ ــ وقال طهمان بن عمرو الكلابي[2]:

لَقَدْ سَرَّني مَا جَرَّفَ السَّيْلُ هَانِئاً وَمَا لَقِيتْ مِنْ حَدِّ سَيْفِى أَنَامِلُهْ
وَمَتْرَكُهُ بِالْبَرَّتَيْنِ مُجَدَّلَا تَنُوحُ عَلَيْهِ أُمُّهُ وَحَلَائِلُهْ

البرتان البرتان: جبيلان صغيران في حد حمى سجا الجنوبي، يقال لكل واحد منهما البرة، وهما معروفان عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد، وكان عندهما يوم من أيام العرب بين بني عامر وبني أسد، وكانت النصرة فيه لبني عامر، وقال مُطَير بن الأشيم الأسدي يرثي قرة وعلقمة ابني عمه:

أَحَقًّا أن قرة لا أراهُ فما أنا بَعْدَه بقريرِ عَيْنِ
وعلقمة الذي قد كان عزى وإن حَفلَ المجالسُ كان زَيْني
إذا قال الخليل تَعَزَّ عنهم ذكرتُ رئيس يوم البُرَتَيْنِ
ألا لاخُلْدَ بعدَكما، ولكن ضُحاء الورد بينكما وبيني

---

(١) المعجم ٣٠٧/٨.

(٢) معجم البلدان ١٠٨/٢.

قال صاحب معجم البلدان: البرتان جبيلان بالمطلى أرض لبني أبي بكر بن كلاب، وهي مختلطة فيها، وقال أيضاً في معجم البلدان: والبرتان هضبتان حميراوان مقترنتان بأعلى خنثل، هذه العبارات قريبة من الصواب، أما قوله «بأعلى خنثل» فإنهما ليستا بأعلى خنثل، ولكنهما قريبتان منه، وقال أيضاً في اشتقاق الأسماء: كأن هذا الموضع يبر أهله بالخصب والربيع، وهذه عبارة جيدة، فإن تلك الناحية من أخصب أرض الله وأَمْرَاهَا لرعى الإبل، وأما البرتان اللتان ذكرهما يحيى بن طالب الحنفى في أشعاره فهى البرة الواقعة في اليمامة، وهي التي يقول فيها يحيى بن طالب الحنفي[1]:

خليليَّ عُوجا بارك الله فيكما   على البَّرة العَلْيا صدورَ الركائب
وقولا إذا ما نَوَّه القوم للقِرَى   ألا في سبيل الله يحيى بنُ طالبِ

وكلتا البرتين ــ البرة التي في المَطَلَىَ بالقرب من سَجَا، والبرة التي في اليمامة ــ باقية بهذا الإسم إلى هذا العهد. وعندها بلد يقال لها «رغبة» كما أن عند البرة التي في حمى سجاجبل يقال له رغبة.

* * *

١٨ ــ وقال الراعى النُّمَيْري[2] :

فَلَنْ تَشْرَبِى إلّا بريقٍ وَلَنْ تَرَىْ   سَوَاماً وَحِسًّا بِالْقَصِيبَةِ وَالْبِشْر

وقالت وَجيهة بنت أوس الضَّبية :

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْـلٍ تَلُومُنِـى   عَلَى الشَّوْقِ لَمْ تَمْحُ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي
فَمَالِيَ إنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي   وَأَحْبَبْتُ طَرْفَاءَ الْقَصِيبَةِ مِنْ ذَنْبِ

---

(١) المعجم ١٥٨/٢.
(٢) المعجم ١١٥/٨

القصيبة قال ياقوت[1]: قال ابن أبي حفصة: القُصَيبة من أرض اليمامة لبني امريء القيس وقال ياقوت[2] في موضع آخر: القصبات من قرى اليمامة لم تدخل في صلح خالد بن الوليد أيام مسيلمة.

قال المصنف: هي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، مدينة من ملحقات وَشْم اليمامة يقال لها القصب إلى هذا العهد، أغلبُ إنتاجها البر، موقعها بين الكثيب والعتك.

* * *

١٩ ــ وقال سرية الفزاري، وقالوا: إنها لابن مَيَّادة[3]

يَاصَاحِبَ الرَّحْلِ تَوَطَّأْ وَاكْتَفِلْ وَاحْذَرْ بِدَغْنَانَ مَجَانِينَ الإِبِلْ
كُلّ مُطَارٍ طَامِحِ الطَّرْفِ رَهِلْ أَلْزَمَهَا الرَّاعِى صِرَاراً لَا يُحَلْ

أي: فرزها حتى سمنت، وقال شاعر كلابي:

مِنَ الْأَعْنُزِ اللَّائى رَعَيْنَ مُحَمراً وَدَغْنَانَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِنَّ قَانِصُ

دغنان دَغْنَان: هو ركن من أركان النير الجنوبية، جبال متصل بعضُها ببعض، تسمى بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقال لها دغانين، ودغنون، ودُغَيْنَان، كل هذه الأسماء تطلق عليها، وهي مشرعة في الحمى، والحَميُّ هو الأرض الواقعة بين المصلوب والمردمة.

* * *

٢٠ ــ وقال لَبيد بن ربيعة العامري[4] :

(١) المعجم ١١٥/٨
(٢) المعجم ٩٥/٨
(٣) المعجم ٦٣/٤
(٤) المعجم ١٥٥/٦

فَصَلَقْنَا فِي مُرَادٍ صَلْقَةً وَصُدَاءٍ أَلْحَقَتْهُمْ بالشَّلَلْ
لَيْلَةَ الْعُرْقُوبِ حتَّى عَامرت جَعْفَراً تدعى وَرَهْط ابْنِ شَكَلْ
وَمَقَامٍ ضيِّقٍ فَرَّجْتُهُ بِلِسَانِي وَبَيَانِي وَجَدَلْ
لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أو فَيَّالُهُ زَلَّ عَنْ مثل مَقَامِي وَزَحَلْ

العرقوب

العرقوب: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، متاخم لدغنون الذي تقدم ذكره لا يفصل بينهما غير أرض الحِمى، دغنون في جهة الحِمى الشمالية، والعرقوب في جهة الحِمى الجنوبية الشرقية وكان به يوم من أيام العرب بين بني عامر وبين اليمن، وهو الذي يقول فيه معاوية المرادي:

لقد علم الحيَّانِ كعبٌ وعامر وحَيًّا كلابٍ جَعْفَرٌ وعبيدُهَا
بأنا لَدَى العرقوب لم نسأم الْوَغَى وقد قلعت تحت السروج لُبُودُهَا
تركنا لدى العرقوب والخيلُ عُكَّفٌ أسَاوِدَ قتلىٰ لم توسَّد خدودُهَا
ورُحْنَا وفينا آبنا طُفَيل بغلةٍ بما قَرَّ حَيٌّ عاد فَلَّا شريدُهَا

العرقوب: جمعه عراقيب، وهي واقعة في الجهة الجنوبية الغربية من ماءة المصلوب التي كانت تسمى في الجاهلية المسلوق، وقد كان بها اليوم المذكور من أيام العرب، وقد وقع فيه في الربع الأول من القرن الرابع عشر يومٌ بين العرب المتأخرين بين علوى وبني عبد الله بن غَطَفان، أما علوى فكان رؤساؤهم في هذا اليوم: بدر بن محمد الدويش، ووطبان الدويش، وكانوا قد رجعوا من غزوتهم مفلسين من عتيبة، وكان بنو بدير قاطنين على ماءة المصلوب، ورئيسهم محمد بن حوكة وأخوه سالم بن حوكة، فعزم الغزاة المفلسون على أخذ غنم ذوي بدير، وكلهم قبيلة واحدة، ولا تُحِلُّ لهم تقاليدُ البدو أن يغيروا عليهم في حال السلم؛ لأنهم يد واحدة، ولكنهم أرادوا مخالفة هذه التقاليد، فأغاروا عليهم، وأخذوا الأغنام، وثار عليهم بنو عبد الله بن غَطَفان، وهم من ذوى بدير، على ماءة المصلوب، فلحقوهم، فكانت المعركة عظيمة، واسترجعوا أغنامهم، فصمموا على أخذ

ركابهم، ولم يكن معهم من الخيل إلا فَرَسَان: فرس تحت بدر بن محمد الدويش، والثانية تحت مشارى بن بصّيص رئيس الصعران بطنٍ من مطير، فلما رأى الدوشان ومَنْ معهم أنهم قد أدركوا دخلوا على مشارى بن بصيص وسألوه أن يمنعهم من ذوى بدير ولو أنهم معتدون عليهم؛ لأن صنعهم هذا يسيء إلى مابين قبائلهم، فرجع مشارى بن بصيص، واجتمع برؤساء القوم محمد بن حوكة وأخيه سالم فَطَال الجدال بينهم، فانتهى الأمر بقبول وساطته للكف عنهم، وقد حدثني رجل من ذوي بدير يقال له الحميدي البديري كان حاضراً تلك الوقعة قال: لما اختلفنا في الغنائم والعقائر من الإبل، وكان منا رجل يقال له عتيق من الذين عُرفوا بإصابة المرمى، فسمع الرمى، واعترض للمنهزمين ومعه بندقيته من الصمع، فلما اختلفوا عند العقائر من جيش الأعداء قال: ما أدركه مضرب السهم منها في ملكث العرقوب من يمين فهو لي، وماأدركه مضرب السهم في غير هذا الموضع فلا أنازعكم فيه قال: فوجدنا ماأصابه السهم منها في الموضع الذي ذكره خمس عشرة ناقة، ذلك لأنه معروف بجودة الرمي عند قبيلته وعند كثير من أهل نجد، فأخذها، والعرقوب والعراقيب يكون إذا خرجت من ماء المصلوب قاصداً مكة على شمالك من حين تمشي من الماء حتى تصل الحِمى، أبارق وأحجار منعقد بعضها ببعض.

* * *

٢١ ــ وقال طهمان بن عمرو الدارمي(١):

ألا يا اسْلَمَا بالبئر من أم واصلٍ ... ومِن أم جبر أيُّهَا الطَّلَلانِ
وهل يعَلم الرَّبْعَان يأتي عليهما ... صباحَ مَسَاءٍ نائبُ الحَدَثَانِ
ألَا هَزِئَتْ مني بنجران إذ رَأَتْ ... عثاريَ في الكَبْلَيْن أمُّ أبانِ

(١) المعجم ٤/٧١

كأن لم ترى قبلي أسيراً مكبّلا ... ولا رجُلَا يُرْمى به الرَّجَوَانِ
عذرتُكِ ياعيني الصحيحة والبكى ... فما لَكِ ياعوراءُ والهَمَلانِ
كفي حَزَناً أني تطالَلْتُ كي أرى ... ذُرَى قُلتي دَمْخ كما تَرَيَانِ
كأنهما والآل يَجرِي عليهما ... من البعد عَيْنَا برقُعٍ خَلقَانِ
ألا حبذا والله لو تعلمانِهِ ... ظلالُكما ياأيها العَلمَانِ
وماؤكما العَذْبُ الذي لو وردتُه ... وبي نافضُ الحمىَّ إذَا لَشفَانِي
وإنِّى والعبسِّى في أرض مذحج ... غريبانِ شتَّي الدارِ مختلفانِ
غريبان مَجْفُوَّانِ أكثَرُ همنا ... وجيفُ مطايانا بكل مكان

دمخ: جبل عظيم في عالية نجد الجنوبية، وقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، قال شاعر من بني كلاب:

أمغترباً أصبحْتُ في رامَهُرْمُز؟ ... نعم كل نجديٍّ هناك غَريبُ
فياليت شعرى هل أسيرنَّ مُصْعِدا ... ودَمْخٌ لأعضاد المطى جَنيبُ

وقد أكثرت الشعراء من ذكره، وهو متاخم لجبل ثهلان، ولونه كلونه.

* * *

٢٢ ـــ قال ساعدة بن جؤيَّة الهُذَلي[١]:

أخِيلُ بَرْقًا مَتَى حَاب لهُ زِجَلٌ ... إذا يفتِّرُ عن تَوْمَاضِهِ حَلَجَا
مُسْتَأرضاً بين بطن اللَّيْثِ أيمنُهُ ... إلى شَمَنْصِيرَ غَيْثاً مرسلا مَعِجَا

الليث: موضع معروف على ساحل البحر بين مكة المكرمة والقنفدة، مرسى لأهل تلك الناحية، وهو لبني حسن بطن من أشراف تهامة، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد.

(١) المعجم ٢٩٦/٥ وديوان الهذليين ٢٠٩/٢.

شمنصير أما شمنصير فهو جبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، منقطع من جبال كشب الغربية يبعد عنها مسافة نصف يوم، أقرب ما يليه من الأودية المعمورة وادي رهاط، له ذروة شاهقة لايستطيع أحد أن يرتقيها، وفيه نبات لايوجد في جبال الحجاز كالنَّبْع والغَرْب والشَّوْحَط وهذا الجبل هو الذي ذكره أبو صخر الهُذَلى في قوله من قصيدته التي رثى بها ابنه تليدا:

وذكَّرنى بُكَاىَ على تليد حمامة مَرَّ جاوبَتِ الحَمَامَا
ترجِّعُ منطقاً عجبا وأوفت كنائحة أتَتْ نوحاً قياما
تنادي ساق حُرٍّ ظَلْتُ أدعو تليداً لايُبِينُ به الكلاما
لعلك هالك إما غلامٌ تبوأ من شَمَنْصِيرٍ مقاما

ويلى شمنصير جبال، هي عمدان والعرضاء، قال شاعر من الروقة نبطى :

اسال عمدان والعرضا واسالك ياشمنصير
وسال عدن عليه الورد يسقى كل فجرا

اسالهم عن ابكار ما عليها الا البواكير
غدت نهار التفرق بين بدوان وحضرا

البواكير: وسوم للإبل كية بالنار، ولا أعلم أن بواكير بهذا المعنى تستعملها أعراب تلك الناحية غير قبيلة الهمارقة من سكان الحجاز، ومياههم العقيق، ويرجعون في النسب إلى قبيلة المقطة قبيلة ابن حميد، والعد الذي ذكره هو رهاط الذي يجاور شمنصير، وشمنصير تعرفه عامة أهل نجد.

٢٣ ــ وقال شاعر من بني كلاب :[1]

---

(١) المعجم ١٩٠/٦

وَمَا أمُّ طفلٍ قد تَجَمَّمَ رَوْقُهُ تُفَرِّى به طَلْحاً وسدراً تناسقُهْ
بأسْفَل غُلَّان العفيفِ مَقِيلُهَا أراكٌ وسدرٌ قد تحضر وَارِقُهْ

عفيف عفيف: هو المنهل المعروف على طريق السيارات إلى مكة، بين الدفينة والقاعية، عمر في هذا العهد الأخير، وأقيم به بلد، وكثرت به القصور والدكاكين، وبه مركز للحكومة فيه أمير وقاض، وتصلى فيه الجمعة، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٢٤ ــ وقال البريق الهذلي(١):

سَقَى الرحمنُ حَزْمِ يُنَابعاتٍ من الجـوزاء أنـواءً غِزَارَا
بمُرْتِجـزٍ كأن علـى ذَرَاهُ رِكابَ الشأم يحملن البَهَارَا
يحطُّ العُصْمَ من أكناف شِعْرٍ ولم يترك بذي سَلْع حِمارَا

شعر شعر: جبل أسود ململم طويل، إذا خرجتَ من ماءة عفيف قاصداً الرياض، وسرت بالسيارة ثلث ساعة انعرَجَ طريق على شمالك، وهو طريق القصيم، سالكُ هذا الطريق يمر بشعر، وبه بئر يقال لها الأشعرية في وسط هذا الجبل، تقف عنده السيارات، إذا انعرج الطريق المذكور فالتفِتْ على شمالك فإنك ترى شعرا، ليس حوله جبال مثله، أسود طويل ململم، يبعد عن الطريق المذكور مسافة نصف يوم للإبل حاملة الأثقال، ولكني لست على ثقة أن البريق عناه، وأغلب ظني أنه قصد جبل شعر الواقعَ غربي كشب، ولايزال يقال له شعر إلى اليوم، تعرفه عامة أهل نجد، وهو في المنتصف بين كشب وجبال الحجاز، وأما شعر المتقدم ذكره فهو الذي يقول فيه ذو الرمة :

---

(١) المعجم ٥/٢٧٤

أقول وشعر والعرائس بيننا   وسُمْرُ الذرى من هضب ناصفة الحمر

والعرائس: هضبات ثلاث حمر مُتَاخمات لشعر في جهته الشرقية، تبعد عنه أقل من نصف يوم، تعرف بالعرائس إلى هذا العهد، قال الخطيم العكلي:

وهل أرَيَنْ بين الحفيرة والحِمَى   حمى النير يوماً أو بأكثبة الشعر

والذي يدل على أن الخطيم قصد شعرا المذكور أنه متاخم للنير، قال غسان بن ذهل السليطي[1]:

تُسَائلني جنباء أين عشارها   فقلت لها تعل عَثْرَةَ ناعِس
إذا هي حَلَّت بين عَمْرو ومالك   وسعد أجيرت بالرماح المَدَاعِسِ
وهان عليها ما يقول ابنُ دَيْسَقٍ   إذا نزلت بين اللِّوى والعَرَائِسِ

اللوى: هو طرف عريق الدسم لأنه مُتَاخم للعرائس وشعر، والعرائس هي الهَضَبات المذكورة آنفاً، متاخمة لشعر المذكور، به يوم من أيام العرب بين بني عامر وغَطَفان، عَطِشَ في ذلك اليوم غلام شاب يقال له الحكم بن الطفيل فخشى أن يؤخذ فَخَنق نفسه فسمى ذلك اليوم «يوم التخانق».

* * *

٢٥ ــ وقال ذو الجوشن الضبابي[2] :

أمْسَى بكودَ أُثالٌ لا بَرَاح له   بعد اللقاء، وْأمسى خائفاً وَجِلَا

---

(١) المعجم ١٣٦/٦، وذكر خلافا في نسبة هذه الأبيات.

(٢) المعجم ٢٩٣/٧

كود هذا الموضع قتل فيه الصميل بن الأعور الضبابي، وهي هضبة حمراء يقال لها في هذا العهد «الكودة» وهي هضبة شاهقة، وهي التي يقول فيها الراجز:

* **مثل عَمُود الكود، لا، بل أعظما** *

وهي معروفة عند عامة أهل نجد بهضبة الكودة. لم يتغير اسمها إلى هذا العهد، لاتبعد عن هضبات العرائس أكثر من ساعتين، وشعر والعرائس والكودة متصلٌ بعضُها ببعض.

* * *

٢٦ ــ وقال عدي بن الرقاع العاملي[١]:

فَذَرْذا، ولكن هل تَرَى ضَوْء بارق   وَميضاً ترى منه على بُعْده لمْعَا
تَصَعَّدَ في ذات الأرانب مَوْهِناً   إذا هَزَّ رعْداً خِلْتَ في وَدْقِهِ شفعا

ذات الأرانب ذات الأرانب: على اسمها إلى اليوم لم تتغير إلا قليلاً فإنها تعرف اليوم باسم «أرينبة» وهي هضبات صغار قريبَ العرائس المذكورة، وهي أصغر منظراً من الهضبات التي مر ذكرها، إذا خرجت من مَنْهل عفيف سائراً نحو الشرق، وكنت في أودية أبقار، فالْتَفتْ على شمالك فإنك ترى جبل شعر، وإذا خرجت من أبقار وهبطت وادي المعلق فالتفت على شمالك فإنك ترى الكودة والعرائس وأرينبة: العرائس هضبات حمر شامخة، والكودة: هضبة واحدة، وأرينبة: هضبات صغار، وهذه الهضبات المذكورة يطوف عليها الراكب في أقل من نصف يوم، لاتزال كلها بهذه الأسماء إلى هذا العهد، وجميعُها على شمالك وأنت خارج من عفيف.

* * *

(١) المعجم ١/١٧٠

٢٧ ــ وقال سالمُ بن دَارَةَ[1]:

تَرَكَنِـــي فَرَقُــهُ فِي مَعْلَـــقِ أنــزل جبــل مُرَّة وأرتقـــى

عن مرة بن دافـع وأتَّقِــي

المعلق

صار اسم هذا الموضع اليوم «المعلَّق» فشددوا لامَه، وابن دارة قصد في أجوزته وادي المعلق، وجبل المعلق، وهذا الوادي إذا أنت قطعت أودية أبقار وجبالَها وأنت قاصد القاعية من عفيف رأيته هناك، يقطعه الطريق، ثم إذا التفتَّ صَوْبَ شمالك رأيت جبيلاً ململما شاهقاً إلى السماء يقال له جبل المعلق.

* * *

٢٨ ــ وقال نصيب[2]:

وَقَدْ كان في أيامنا في سُوَيْقَةٍ ولَيْلَاتِنا بالجزْعِ ذِي الطَّلح مَذْهَبُ
إذ العيشُ لم يمرُر علينا، ولم يَحُلْ بنا بَعْدَ حينِ وردُه المتقلبُ

وقال ذو الرمة :

أقول بذي الأرْطى عشية أتْلَعَتْ إلىّ نباسِرْبُ الظباء الخواذل
لأدْمَائِةٍ من بين وَحْش سُوَيقة وبين الطوال العُفْر ذات السلاسل
أرى فيك ياخرقاء من ظبية اللوى مَشَابِهَ من حيث اعتلاق الحبائل

سويقة

سويقة: هضبة معروفة تقع جنوبي جبال حليت، معروفة بهذا الاسم عند عامة أهل نجد، وكانت بها وقعة من وقعات بكر وتغلب، وهي التي قال فيها مهلهل:

(١) المعجم ٩٩/٨

(٢) المعجم ١٨٠/٥ وكل ما ذكر معه من الشواهد.

غَدَاةَ كأَنَّنَـا وبنـى أبينـا بجَنْب سُوَيقـة رَحَيا مُدِيـر[1]

وقال كثير:

لعمرى لقد رُعْتم غَدَاةَ سُوَيقة ببينكُم ياعـزَّ حَقَّ جَزُوع

وقال ابن هَرْمة :

عفت دَارُهَا بالبُرْقتين فأصبحت سُوَيقة منها أقفرت فنظيمُهَا

وقالت تماضر بنت مسعود أخي ذو الرمة :

لعمرى لجو من جِواء سُوَيقة أو الرمل قد جَرَّتْ عليه سيولُهَا
أحبُّ إلينا من جداول قَرْية تعوض من رَوْض الفلاة فسيلُها
ألا ليت شعرى لاحُبِست بقَرْية بقيةَ عمرٍ قد أتاها سبيلُها

وقالت تماضر أيضاً :

لعمرى لأصوات المَكَاكِيِّ بالضحى وصوت صَباً في مجمع الرِّمْثِ والرمل
وصَوْت شَمال هَيَّجت بسُوَيقـة ألاءً وأسباطا وأرطىً من الحبل
أحَبُّ إلينا من صياح دجَاجَة وديكٍ وصوت الريح في سَعَف النخل

وكانت تماضر بنت مسعود قد تزوجت في مصرٍ من الأمصار فحنت إلى وطنها فقالت هذا الشعر.

وقال الغَطَمَّش الضبى :

لعمرى لجوٌّ من جِواء سُوَيقة أسافُله ميثٌ وأعـلاه أجـرع
أحَبُّ إلينا أن نُجَاور أهلَهَا ويصبح منا وَهْو مرأى ومَسْمَع
من الْجَوسق المَلْعون بالرىّ لَا يَنِي على رأسه داعى المَنية يَلْمَعُ

---

(١) هكذا وقع في ١٨٠/٥ من المعجم، وورد في ٢٣٤/٦ «بجنب عنيزة».

قد أطلنا الكلام على سويقة. ففي بلاد العرب التي أعرفها مواضع كثيرة بهذا الاسم: الأول سويقة، جُبَيْلٌ في جنوبي الحمار الواقع في عالية نجد. والموضع الثاني: سويقة، جُبَيْلٌ في وسط العبلة بين سجا ووادي خنثل. الموضع الثالث: جُبَيل في غربي الحناكية يقال له سويقة، وعنده موضع يقال لها النظمان في هذا العهد، وهذه المواضع هي التي عناها ابن هَرْمة حين قال:

* سويقـــــة ونظيمهـــــا *

والموضع الرابع هو الذي ذكرنا أنه في طرف حليت الجنوبي، وأنه هضبة طويلة يقال لها «سويقة» منقطعة من جبل حليت، لكن جبل حليت أسود كأنه غُرَاب، وتلك الهضبة لونُها أشقر بين الْحُمرة والسواد، وهناك هضبات تقع جنوبي ضَرِية على مسافة أقل من نصف يوم، يقال لها «النظيم» وفي شرقي الدهناء كثيب أحمر مما يلي حُزْوى موضع يقال له سويقة، وهو الذي عناه ذو الرمة، وتماضر ابنة أخيه، وهو الذي عناه الغطمش الضبى، وهناك موضعان بين شقرا وثرمداء، قصران يزرعان يقال لأحدهما «سويقة» وللآخر «النظيم» وقرأت على الشيخ ناصر بن سعود بن عيسى رحمه الله وهو من سكان شقرا وله اليد الطُّولىٰ في فن اللغة وأشعار العرب هذا البيت بيتَ إبراهيم بن هَرْمة :

عفت دارُهَا بالبرقتين فأصبحت سُوَيقة منها أقفرت فنظيمُهَا

فسألته: هل تعلم سُوَيقة والنظيم؟ فقال: أعلم هذين القصرين سويقة والنظيم الواقعين بين شقرا وثرمداء، فقلت: إن هذين القصرين حديثان، فقال: لعل هذه الأسماء قديمة وقد أحدث القصران في موضعيها، أو لعلهما بثران جاهليان بُعثا اليوم، فقلت له: أنا أعلم موضعين في بلاد العرب يقال لكل منهما سويقة والنظيم، أما أحدهما فهي الهضبة المجاورة

لحليت والنظيم الهضبات المجاورات لضرية، يقال لها سويقة، وقريب منها جبيلات بها ماء يقال لها النظمان، فقال: الآن صح أن ابن هرمة قصد الموضع القريبَ من الحناكية؛ لأنه شاعر حجازي، وهناك وطنه.

* * *

٢٩ ــ وقال جرير[١] :

لِمَنْ رَسْمُ دَارٍ هَمَّ أن يتغيَّرَا ... تُرَاوِحُهُ الأرواح والقَطْر أعصُرَا
وكنا عهِدْنَا الدارَ والدارُ مرةً ... هي الدار إذ حَلَّتْ بها أم يَعْمُرَا
ذكرتُ بها عهداً على الهَجْر والبِلىٰ ... ولابدَّ للمشْغُوف أن يتذكَّـرَا
أجِنُّ الهوىٰ مآأنْسَ لاأنْسَ موقفاً ... عشيةَ جرعاء الصريف ومنظراَ
تَبَاعَدَ هذا الوصلُ إذ حل أهلُنَا ... بقوّ، وحلت بطن عرق فعرعرا

الصريف الصريف: موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، به قصور تُزْرع، يقع شرقي مدينة بريدة على مسافة أقل من اليوم، وكان في هذا الموضع يوم من أيام العرب في الجاهلية، وكان به يوم بين العرب المتأخرين في أوائل القرن الرابع عشر، قال الأعشى وقد نسب الخمر إلى هذا[٢]:

صريفيـــــة طيبٌ طعْمهَـــــا ... لها زَبَدٌ بيـن كوزٍ وَدَنْ

ولكنى لا أطمئن إلى أن الأعشى عنى ذلك الموضع؛ فإن بيع الخمور في نجد نادر في الجاهلية، وظنى أن الأعشى عنى موضعاً يقال له صريفون في سواد العراق على ضفة نهر دجيل إذا أذن بها المؤذن سمعوه في عكبراء، وبينها وبين مسكن وقعت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير ساعة من نهار، وظنى أن الأعشى إنما نسب الخمر إليها؛ لأنه لم يُذْكر في كتب اللغة ولا في المعاجم أن صريفاً الواقع في

(١) المعجم ٣٥٣/٥
(٢)) ذكر ياقوت أن الخمر منسوبة إلى «صريفين» قرية كبيرة غناء بالعراق.

جهة القَصيم تباع فيه الخمور، ولأن المعروف عن عرب نجد في جاهليتها أنهم يستهجنون شرب الخمر والاتجار فيه.

* * *

٣١ ــ وقال شاعر من الضباب يخاطب بني جعفر[١]:

قد علمَتْ مطرَّف خضابُهَا تزِلُّ عن مثل النَّقَا ثِيابُهَا
أن الضِّباب كرمَتْ أحسابُهَا وعلمَتْ طخفة مَنْ أربابُهَا

طِخْفَة: هضبة حمراء شاهقة إلى السماء، لها رؤوس كثيرة متفرقة، طخفة
موقعها بين نفي وضرية تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد، ووادي الريَّان الذي ذكره لبيد في معلقته حين قال:

فمدافع الريَّان عُرِّى رسْمُهَا خلقا كما ضمن الوحيَّ سلامُهَا

يأتي سيلُه من جَنبات طِخْفَةَ أو قريباً منها، وهو أيضاً باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، يسير بين طخفة وغَوْل، قال الأحوص بن عمرو بن قيس بن عتاب:

وقَادُوا بكُرْه من شهاب وحاجب رؤوسَ معدٍّ بالأزمَّةِ والخُطَّمِ
علا جدُّهم جدَّ الملوك فأطلقوا بطخفة أبناء الملوك على الحُكْم

وعلى هذه القصيدة التي منها هذان البيتان أخبار طويلة في ذكر أبناء الملوك.

وقال ربيعة بن مَقْروم الضبى :

وإذ لقَيتْ عامرٌ بالنسا رِ منهم وطَخْفة يوماً غَشُوما
به شاطَروا الحيَّ أموالهَم هوازنَ ذا وَفْرها والعَديما
وساقت لنا مذحجٌ بالكُلَاب مواليَهَا كلَّهَا والصَّميما

---

(١) المعجم ٣٢/٦

وقالت أم موسى الكلابية، وقد تزوجت بحجر اليمامة:

لله درى أيَّ نظرة ناظـر نظرتُ ودوني طِخفة ورجامُهَا
هلِ البابُ مفروج فأنُظُرَ نظرةً بعينيَ أرضا عَزَّ عندى مَرامُهَا
فياحبذا الدَّهنا وطيبُ تُرابها وأرض فضاء يصدح الليلَ هامُهَا
ونَصُّ العَذارَى بالعشيَّات والضحىٰ إلى أن بدت وَحْى العيون كلامها

وقال جرير:

بطخفة جالَدْنَا الملوك وخيلنُا جَرَين ببسطام بن قيس على نَحْب

وقال جرير أيضاً :

وقد جعلت يوما بطخفة خيلنُا لآل أبي قابوس يوماً مكدَّرا

وفي طخفة يوم من أيام العرب مشهور، وهو الذي تشير فيه شعراء بني تميم إلى أسر الملوك، وفيها يوم بين العرب المتأخرين في سنة ١٣٤٨هـ بين حرب وعتيبة، انهزمت فيه العتبان، وانتصرت فيه حرب.

* * *

٣١ ــ وقال الأزْوَرُ البجلي(١) :

لقد علمت بَجيلةُ أنَّ قومى بني سعدٍ أولُو حسبٍ كريم
همُ تركُوا سَراة بني سُلَيـم كأن رؤسهـم فَلَقُ الهَشيمِ
بكـلِّ مهنَّـدٍ وبكـل عَضْب تركناهُـمْ بشُقْـرة كالرَّمِيـم
وأُبْنَا قد قَتَلنا الخير منهم وآبُوا موتَرِيـن بلا زعيـم

الشقرة الشُّقرة: موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقع شماليَّ

---

(١) المعجم ٥/٢٨٢

الحناكية على مسافة يوم، وادٍ به دَوْم، وبه جبال شُقْر، سمى ذلك الوادي بشقرة تلك الجبال، كان به يوم بين بَجيلة وبني سليم.

وقال مصنف هذا الكتاب: وردتُ هذا الماء ماءةَ الشُّقْرة في رجب سنة ١٣٤١ هجرية، متجهاً إلى المدينة للاتجار، وخرجت من بلدى، وكان طريقى على القَصيم ثم الحائط الذي كان يقال له في الجاهلية فَدَك، وبتٌّ في الحويّط، ثم خرجت من الحويّط صباحا، وبتنا على مَنْهل يقال له «صفيط» ونحن ثلاثة نفرٍ: المصنف، وصاحب لي شريك في البضاعة يقال له عبد الله بن فاضل، ومعنا رجل من عوف من قبائل حرب اتخذناه أخاً يمنعنا من قبائل حرب، وهذه عادة جارية بين قبائل نجد، إذا أَخَذْتَ رجلاً من قبيلة فهو يمنعك من جميع بطون هذه القبيلة، وكنا في ذلك العهد نخشى الخطر من غزوات الحجاز التي يبعثها الشَّرِيف، وعلينا خطر آخر من السرايا التي يبعثها جلالة الملك لمصادمة ركبان الحجاز أن تعتدي علينا، وذلك قبل أن يتأكد الأمن، ثم مشينا من ماء صفيط صباحا، ودليلُنا الرجلُ الذي من حرب، وهو يقول: نبيتُ على ماءة الشقرة، فلما كنا في المنتصف بين ماءة الشقرة وماءة صفيط وجدنا أَثَرَ ركبٍ قد أَجَدُّوا في الغارة متجهين إلى جهة الحناكية، على ما ظهر لنا من الأثر، تبلغ ركابهم مائة، فتوجسنا الشر ولكن الله لطيف بعباده، وعلمنا أن الجيش الذي هذه آثاره يقوده راشد السحيمى أحد بني حرب ومعه غزاة قد بعثهم شريف المدينة للنهب والسلب، وهو أجرأ رجل في الحجاز، فلما رأونا على بعد ظنوا أنا من سَرَايا جلالة الملك، فانهزموا إلى الحناكية، وتحصنوا بها، فأتينا ماءة الشقرة قبل غروب الشمس، ونحن خائفون، ومنعْنَا إيقادَ النار، فسمعنا صوتاً في أعلى الوادي، فقلت لصاحبي: سأذهب في سواد الليل الآن وآتيك بخبر هذا الصوت، فأخذت بندقيتى وذهبت أتحسس الصوت قليلاً قليلاً، حتى قربت منه، فوجدتها هامةً على حَجَرٍ، وهي التي تسمى البومة فرجعت إلى صاحبي فقلت له: كأن صدرك ضائق، قال:

كيف أخاف؟ والله لايمسنا سوء إن شاء الله؛ فلما ذهب من الليل ثلثُه ركبنا رواحلنا وأدلجنا ليلَتَنا ويومنا وأول ليلتنا الثانية حتى نزلنا «العوالي» في المدينة على رجل من بني علي يقال له دغيمان بن جعيدان، وهو رجل شُجاع كريم مَهِيب في قومه: فأقمنا في المدينة سبعة أشهر في أمور التجارة وما يتعلق بها، ثم حُبِست بتهمة أن لى دخلاً في الأمور السياسية، وأمْرُ الحبس صادر من الحسين شريف مكة، ولكن لم يثبت عليّ شيء مما اتهمت به، وأقوى معين لى على الخروج من الحبس هو الرجل الذي كنت عنده ضيفاً لأن السلطة في المدينة في ذلك العهد لقبائل حرب، وليست للدولة.

* * *

٣٢ ــ وقال عنترة(١) :

بكلِّ هَتُوفٍ عُجْسُها رَضوِيَّةٍ وسَهْمٍ كسير الْحِمَيرى المؤنَّفِ
فإن يَكُ عِزٌّ في قُضَاعة ثابتٌ فإنَّ لنا برَحْرَحَانَ وأسْقُف
كَتَائِبَ شُهْباً فوق كلِّ كتيبة لواءُ كظلِّ الطائر المتصرِّف

رحرحان: جبل عظيم أسود، يقع جنوبي الحناكية، يبعد عنها مسافة نصف يوم، وبه يومان من أيام العرب، وأشهرهما الثاني، وهو لبني عامر بن صَعْصَعَةَ على بني تميم، وأسر فيه معبد بن زُرَارة وأخوه حاجب بن زرارة رئيس تميم، وكان سببه أن الحارث بن ظالم قتل خالدَ بنٍ جعفر بن كِلاب، وهما ضيفان عند النعمان بن المنذر، ثم هرب الحارثُ بني ظالم فأتى بني زرارة بن عدس فاستجارهم، فأجاره معبد بن زُرَارة بن عدس، رحرحان

---

(١) ديوان عنترة ص ١٠٧ وأراد بالهتوف القوس، وأصل الهتوف ذات الصوت، ورضوية: أي منسوبة إلى رضوى، والسهم المؤنف : الذي قد على استواء.

فخرج الأحوص بن جعفر ثائراً بأخيه خالدٍ، فالتقوا برَحْرَحَان، فهزمت بنو تميم، وقال عوف بن عطية التميمي(١) :

هلا فوراسَ رَحَرْحَانَ هجرتهم عشرا تَنَاوَحَ في سِرارة وادِ

يعنى لقيط بن زرارة وكان قد انهزم عن أخيه معبد وأسر يومئذ. قال جرير:

أتَنْسَون يَوْمَىْ رحرحانَ كليهما وقد أشرع القومُ الوشيجَ المؤمَّرا
تركتُمْ بوادي رَحْرحان نساءكم ويومَ الصفا لاقيتُم الشعبَ أوعرا
سمعتمْ بنى مجد دعَوْا يالَعَامِرٍ فكنتم نَعَاماً في الجزيرة مُنْفَرا
وأسلمتم لابنى أسيدةَ حاجباً ولاقى لقيطا حَتْفُه فتقطرا
وأسلمتِ القلحاءُ للقوم معبداً تجاذب مخموسا من القِدِّ أسْمَرَا

ومعبد بن زرارة بقى في أسره في يدي بني عامر لم يفلت، فمات في أيديهم، فعيرت العرب حاجباً وقومه لذلك وقول جرير.

تركتم بوادي رحرحان نساءكم ويوم الصفا لاقيتم الشعب أوعرا

الشعب يشير إلى شعب جبلة الذي كان فيه يوم عظيم بين بني عامر وبني تميم فانهزمت بنو تميم وقتل لقيط بن زرارة. ورحرحان باق بهذا العهد، لم يتغير، وهو في بلاد غطفان وبه يوم ثالث عظيم بين العرب المتأخرين في أوائل القرن الرابع عشر بين حرب وبني عبد الله بن غطفان، وبه يوم متأخر أيضاً لكنه أقل من الذي قبله، وكان فيما بين رحرحان وماء الهميج، بين حرب ورئيسهم ناهس الذويبى وبني عبد الله بن غَطَفان ورئيسُهم جهز بن شرار، فانهزمت حرب، وعزوة قبيلة الذوبة «إخوان نوره» قال جهز بن شرار أبياتاً نبطية منها:

---

(١) معجم ٢٣٩/٤

إخوان نوره شافوا المكرهيه ركبوا على قب سوات الشياهين[1]
ماذمهم والله رقيب عليّه ومعين الله والقبائل معيّين
خلوك ياقاسم زبون الونيه ياماشعي قطعان بدومنيسين
وخلف ربيع الضيف والآهليه ياريف اهل هجن عن الزاد مبطين
خلوه يوم الملح ينقاد فيه وارخوا جلامدها مع الدومقفين
ماوالموا للعزوة العبدلية هابلهم اليوم الذي من وراتين
وش علم ناهس مالتفت في خوية هو يحسب اللقوات شل البعارين
جتهم اقصصها كلها بالسوية والخيل مجنونة واهلها مجانين

هذا كلام رئيس من بني عبد الله جهز بن شرار، ورئيس حرب في ذلك اليوم ناهس الذويبي وهو رئيس عام لبني عمرو بطنٍ من حرب، أما قاسم الذي يقول فيه الشاعر:

* خلوك ياقاسم زبون الونية *

فهذا قاسم بن براك رئيس هتيم وصاحب غزوات الجيوش يجرها من جهة إلى جهة أخرى، وعند أهل نجد اسم حديث للذي يغزو بالجيش يسمونه (عقيد) مشتق من انعقاد أمرهم على يده، وصادف أن قاسما المذكور نهار المعركة حاضر مع الذويبي، والذي يقول فيه الشاعر:

* وخلف ربيع الضيف والآهلية *

هو خلف بن ناحل من رؤساء حرب، وهو أكرم أهل زمانه، سئل فاجر الذويبي أبو ناهس المذكور في بعض المجالس، قيل له: مَنْ أكرمكم ياحرب؟ ومن أفرسكم على الخيل؟ فقال للذي سأله أكرمنا خلف بن ناحل، وأفرسنا مانع بن مريخان، فالتفت إليه عبد الله الفرم رئيس بني علي

(١) الشياهين: نوع من الصقور، فصيحه «الشواهين»، والقب: الخيل الضامرة البطون.

فقال: يافاجر، كيف تجعل الرجلين من بني سالم؟ لو جعلت لنا يامسروح واحداً منهم إما الكريم وإما الفارس! فالتفت إليه وقال: والله إني لأحب الصدق، لما سألني الرجل وأنا رجل من مسروح لم أرض الكذب، وجميع بني حرب القاطنون في نجد على بطنين: بني سالم، ومسروح، والبطنان أفخاذ كثيرة، فلما ظفر جهز بن شرار وقومه بالغنائم وهزموا بني عمرو أخذوا قاسمَ بن بّراك وخلفَ بن ناحل، ثم منوا عليهما وبعثوا بهما إلى أقرب قبيلة من حرب.

٣٣ ــ وقال الشماخ[١] :

وأحمى عليها ابنَا يَزِيدَ بْنِ مِسْهَرٍ ... ببطن المَرَاضِ كلَّ حِسْى وساجر

وقال سلمة بن الخُرْشُب :

وأمسوا خَلاء ما يُفرق بينهم ... على كل ماء بين فَيْدَ وساجر

ساجر: منهل معروف من أودية السر، يتَّجِهُ سيلُه من الغرب إلى جهة الشرق، وهو الذي يقول فيه عمارة بن بلال بن جرير : ساجر

فإني لعُكْل ضامن غير مُخْفِر ... ولا مكذب أن يَقْرَعوا سنّ نادم
وألّا يحلوا السر مادام منهمُ ... شريد، ولا الخثماء ذاتَ المخارم
ولا ساجراً أو يطرحوا القوسَ والعَصَى ... ولا عدلهم أو يُوطَؤا بالمَنَاسِمِ

ذكر هذا الشاعر السر، وذات المخارم، وساجرا، وكل هذه المواضع باقية على أسمائها إلى هذا العهد، وقد مضى الكلام على السر في أبيات لامرىء القيس، وقد مضى الكلام على ذات المخارم في أشعار زهير، وأوضحنا أنها تسمى اليوم «الخرما، وخريمان» وقال السمهري اللص:

---

(١) معجم البلدان ٧/٥، وليس في ديوان الشماخ.

تمنت سليمى أن أقيم بأرضها وأنى وسلمى وَيْبَهَا ماتمنَّتِ
ألا ليت شعري هل أزورَنَّ ساجراً وقد رَويت ماء الغَوَادي وعَلَّتِ

ساجر: منهل معروف في الجاهلية والإسلام من مناهل السر، يقع من البرود في الجهة الغربية الشمالية، والبرود وساجر يقعان من ماءة خف التي تمر بها السيارات شمالاً على مسافة أقل من نصف يوم، بُعِث ساجر في العهد الحديث في أوائل القرن الرابع عشر، ونزله جماعة من الروقة، وأغلبهم الحفاة والحناتيش، وهاجروا إليه، وتركوا البادية، وتعلموا القرآن، وشرائع الإسلام ولكن فيهم جماعة من الغلاة يدعون إلى الاجتهاد، وأحسن حاصلات هذه البلد التمر، فإنك لتجد نخلة ساجر ممتازة على جميع النخيل بضخامة المنظر وكثرة التمر.

* * *

٣٤ ــ وقال لبيد بن ربيعة العامرى[1] :

فأسرع فيها قبل ذلك حِقْبَةً رُكَاحٌ فجنبا نقدة فالمَغَاسِلُ

هذه الأسماء لم تتغير منذ العهد الجاهلي إلى هذا العهد.

نقدة — أما نقدة فهي روضة كبيرة تسمى اليوم «روضة النقد» سميت بهذا الاسم لأن أغلب نباتها النقد، وشجرة النقد شجيرة صغيرة، أصغر من العرفجة وأكبر من القفعاء، زهرها أصفر يمر بهذه الروضة سالكُ الطريق من مرات إلى مكة فيجدها على يمينه.

المغاسل — والمغاسل: أودية ذات غسل، وهي بلد المصنف من مقاطعة الوشم، والأودية المذكورة مجاورة لهذه الروضة، لاتبعد عنها أكثر من ساعة، ونبات النقد مذكور في كتب اللغة كالقاموس وغيره.

* * *

(١) معجم البلدان ٢٧٨/٤ وديوان لبيد ٣٠ ليدن.

٣٥ ـــ وقال لبيد[١] :

ألم تلْمِم على الدِّمَنِ الخوالي لسَلْمىٰ بالمَذَانب فالقَفَــال
فَجَنْبَىْ صَوْءَرٍ فنعــافِ قَوٍّ خَوَالِدِ مَا تحدَّث بالزوال

قد مضى الكلام على أكثر هذه المواضع، إلا المذانب.

المذانب المذانب باقية على اسمها لم تتغير إلا تغيراً بسيطاً فإن اسمها الآن «المذنب[٢]» وهو بلد كبير عامر كثير النخيل والمياه، وهي واقعة بين عنيزة وقرى السر، تبعد عن عنيزة أقل من مسافة يوم وهي في الجهة الجنوبية من عنيزة، وتعد تلك الناحية من قرى القصيم.

* * *

٣٦ ـــ وقال طفيل الغنوى[٣] :

* **تربَّعَتْ مابين مِذْعا وكَبِـدْ** *

وقال الراعي :

غَدَا ومِنْ عالِجٍ ركنٌ يُعَارضه عن اليمين وعن شرقيه كَبَدُ

كبـد كبد: جبل في عالية نجد الجنوبية، أسود المنظر عليه شهبة، وبه ماءة مرة يقال لتلك الماءة «ماءة كبد» ويقال لذلك الجبل كبد، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، لم يتغير، يعد من جبال العبلة التي كان يقال لها في الجاهلية المطلى.

* * *

(١) هما مع ثالث في المعجم ١٣٤/٧

(٢) ورد المذنب في شعر لبيد أيضاً، وذلك قوله:

سفهاً ولو أني أطيع عواذلي فيما يشرن به بسفح المذنب

(٣) المعجم ٢١٢/٧

٣٧ ـــ وقال النَّمرِ بن تَوْلب العُكْلى شاعر جاهلي :

تأبَّدَ من أطلال عَمْرة مأسِلُ وقد أَقْفرتْ منها شراء فَيذْبُلُ
فبرقة أرمام فجنبا متَالــع فوادي سليل فالنَّدِيّ فأنجـل
ومنها بأعراض المحاضر دمنة ومنها بوادي المسلهمة منزل

أكثر هذه المواضع قد مضى الكلام عليها في كتابنا، ومما لم يجر ذكره أنجل، والمسلهمة.

أنجل أما أنجل فهو منهل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقال له «الأنجل» واقع في كثيب السر الممتد من جهة الجنوب إلى جهة الشمال، والأنجل في القطعة الجنوبية منه ماءه همج، وهو صالح للإبل، في المنتصف بين تبراك وبلد القويعية.

المسلهمة أما «المسلهمة» فهي باقية بما يقرب من ذلك، لأنها تغيرت بتقديم بعض حروفها على بعض يقال لها اليوم «السلهميّة» وهي بئر جاهلية كثيرة الماء، بين قرى السر والمذنب، يراها سالك الطريق الذي مر ذكره بعينه، أحدث في هذا العهد الأخير فيها قصر ومزارع.

* * *

٣٨ ـــ وقال عنترة :

ذات الحرمل

طال الثَّوَاء على رُسُوم المنزل بين اللكيك وبين ذات الحَرْمَلِ
فوقفتُ في عَرَصَاتها متحيِّـرا أَسَلُ الديارَ كفعل مَنْ لم يذهل
لعبت بها الأنواء بعد أَنِيسها والرامساتُ وكلُّ جونٍ مسبل

ذات الحرمل: باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، إلا أنه قد زيد عليه ياء النسب فقيل «الحرملية» ذات الحرمل وهو منهل عظيم في غربي المروت وشرقي عرض شمام في واد أغلب نباته حَرْمل.

* * *

٣٩ ــ وقال أوس بن بجير يرثي أباه(١) :

لَعَمْرُ بني رياحٍ ما أصابوا بما احتملوا وغيرُهُمُ السقيمُ
بقتلهـم امـرأ قد أنزلَتْـهُ بنـو عمـرو وأوهته الكُلُومُ
فإن كانت رياحاً فاقتلوهـا وآل بجيلة الثـأر المُنِيـمُ
فإنهـمُ على المَـرُّوت قوم ثَوَى برماحهـم مَيْتٌ كَرِيـمُ

وحدث ابن سلام قال: قال جرير وهو بالكوفة :

لقد قادني من حُبِّ ماويَّةَ الهَوَى وما كنت ألقى للجنيبة أقْوَدَا
أحِبُّ ثَرَى نجدٍ وبالغَوْر حاجةٌ فغار الهوى ياعَبْدَ قيسٍ وأنجَدَا
أقول له: ياعبدَ قيسٍ صبابَةً بأيٍّ تَرَى مستوقَدَ النارِ أوقَدَا
فقـال: أراهـا أرّثت بوَقُودهـا بحيث اسْتَفَاضَ الجزع شيحاً وغَرْقَدَا

فأعجب أهل الكوفة بهذه الأبيات، فقال لهم جرير: ياأهل الكوفة، كأني بابن القَيْن ــ يعني الفرزدق ــ إذا بلغته هذه الأبيات يقول :

أعِدْ نَظَرا ياعَبْدَ قيس لعلما أضاءت لك النارُ الحمارَ المُقَيَّدَا

فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق، يقول هذا البيت نفسه وبعده :

حمارٌ بمَرُّوتِ السخامة قاربت وظيفيهِ حَوْلَ البيت حتى تَرَدَّدَا
كُلَيبيةٌ لم يجعلِ الله وَجْهَهَا كريماً، ولم يَسْنَحْ لها الطيرُ أسْعُدَا

المَرُّوت: أرض متسعة بين نفود السر وعرض ابني شمام، وصفراء السر طرفها الجنوبي محاذٍ أسفَلَ وادي القويعية، وطرفها الشمالي يتصل إلى ماءة خف التي تَقِفُ عليها السياراتُ، وفي جهتها الواقعة بين الحرملية وماءة الأنجل كان يوم من أيام العرب بين بني قُشَير وبين بني يربوع من تميم، المروت

(١) المعجم ٣١/٨

ومعهم قوم من تميم، فكانت النصرة في ذلك اليوم لبني تميم، وقتل في ذلك اليوم رئيس بنى قُشَير بجير بن سلمة، قتله يزيد بن أزهر المازنى، فقال يزيد بن أزهر الصَّعِق يرثى بجيرا:

أواردة علـيَّ بنـو ريـاح بفخرهـم وقـد قَتَلُوا بُجَيْرَا

فأجابته العوراء من بني سليط بن يربوع، وهي تقول:

قَعِيدَك يايزيدُ أبا قبيس أتنذر كي تُلاقِيَنا النذورا
وتوضع مجمر الركبان أنا وجُدِنَا في مِرَاسِ الحرب خُورَا
إلم تعلم قعيدَك يايزيد بأنا نقمع الشيخَ الفَجُورا
ونفقع ناظريه، ولا نبالي ونجعل فوق هامته الدرورا
فأبلغ إن عَرَضْتَ بني كلاب فإنا نحن أقعصنا بجيرا
وضَرَّجْنَا عبيدَةَ بالعَوَالي فأصبح موثَقاً فينا أسيرا
أفَخْراً في الْخلاَء بغير فَخْرٍ وعند الحرب خَوَّارا صَخُورَا؟

هذا اليوم الذي مر ذكره في المَرُّوت من أعظم أيام العرب، والمروت خالية من الجبال والمعاقل، إلا جبيل واحد متاخم لماءة الحرملية التي مر ذكرها وهي واقعة في أعلى المروت، وهذا الجبل يقال له «سوفة» لايزال يعرف بهذا الاسم الذي أطلق عليه من العهد الجاهلي وهو الذي يقول فيه جرير، وهو يشير في هذا البيت إلى اليوم الذي انتصرت فيه قبيلة بنو يربوع على بني قشير:

بنو الخَطَفَى والخيلُ أيام سوفة جَلَوْا عنكُمُ الظَّلماء وانشَقَّ نورها

سوفة

قال في معجم البلدان: سوفة موضع بالمروت، وأنا أعرفها، جبيل صغير تراه وأنت في أقصى المروت.

وهذا الموضع بعينه الذي كانت فيه الموقعة في الجاهلية بين تميم

وبين بني قشير قد حدثت به وقعة أعظم من الأولى في أوائل القرن الرابع عشر، بين عتيبة وبين مطير ومن معهم ومَنْ والاهم من قبائل قحطان، وكان من عادة العرب في الجاهلية أنه إذا نزل المطر في جهة من الجهات. أخصبت انتقل إليها مَنْ لم تخصب منازلهم، فإن منعهم أهل تلك الناحية رعوه رغماً عنهم واقتتلوا عليه كما قال شاعرهم في ذلك:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

فإن شاء أهل الخصب ألا يقاتلوا أذنوا للقادمين أن يجاوروهم ويرعوا معهم، على أن يصنعوا ذلك معهم إذا أخصبوا، أما يوم المروت[1] الأخير فاجتمع من عتيبة جمع عظيم من برقا والروقة، ورؤساء برقا يومئذ: محمد بن هندي بن حميد وهذال بن فهيد الشيباني وابن حجنة والهيظل وأبو العلا والدهنية وأبو رقبة والمهرى، وقد حضر أغلب برقا ذلك اليوم، ورؤساء الروقة الرباعين والمحيا، والمياه التي تشربها عتيبة: صميغان، والخيس، وأبو مروة، والسديري، وجميع هذه المناهل في أسافل عرض ابني شمام مُتَاخمة للمَرُّوت، ورئيس مطير نايف بن هذال بن بصيّص، ومعه جماعة من برية، وهم بطن من مطير، ليس بالكثير، والحاضرون من قحطان آل روق، ورئيسهم محمد بن حشيفان، وكلا الفريقين على ماءة الحرملية التي مر ذكرها، وأنا لاأعلم أن عتيبة هُزمت في يوم من الأيام التي تقع بينها وبين أعدائها في نجد، إلا في ذلك اليوم، وهو معروف عند أهل نجد «مناخ الحرملية» ولكن نايف بن هذال بن بصيص من أهل الثبات في الحرب، وعدد مطير قريب ثلث عدد العتبان، وقد انهزمت في أيام الحرب الاولى المطران القحطانيون هزائم يسيرة، وفي بعض هزائم المطران مر فيحان بن زريبان رئيس الرخمان من مطير على ضيدان العارضي مذبوحةً راحلتُه،

(١) هذا وما ماثله من جل ماروى المؤلف رحمه الله كان في زمن الاضطرابات قبل عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، أما في عهده فقد نشر الامن وكف الناس عن بعضهم.

فعرف فيحان بن زريبان فقال بعدما ندبه: لاتتركني، وضيدان المذكور من أرمىٰ أهل زمانه بالبندقية، فعرف فيحان ضيدان، وقال: أركب، فلما استوى على ظهرها رماها رجل من رُمَاة العتبان، فسقط الاثنان مع سقوط الراحلة، فمشيا على أقدامهما، فالتفت فيحان بن زريبان إلى ضيدان العارضي، فقال: ياعمرى عمراه، خشية من القتل، فقال له ضيدان لاتخف مادام في حزامي رصاصة واحدة، فتقدمهم رجل من آل محيّا على جواده، فرماه ضيدان فجندله، وما لحقهم من الخيل رماه، فقدمهم رجلُ يقال له «فلّاج البراق» من جماعة ابن ربيعان من الروقة، فسد الثنية، ومعه بندقية، فجلس له ضيدان، فضربه برصاصة من بندقيته، وهي من الصمع، فيما بين عينيه فجندله، فاتسع أمامهما الطريق، وانفرج لهما فسارا حتى وصلا أهلهما على ماءة الحرملية، فقال فيحان بن زريبان أبياتاً نبطية يذكر فيها قتل راحلته، ويذكر ما أصاب ضيدان ببندقيته:

يافاطري ماأرخصت فيها بلا ثمان — إلا بيوم ما يقلب صويبه
رديتها لَمْنَجِّي الحرد ضيدان — مانيب من بالضيق ينسى أصحيبه
رديتها من ربع سوفة على شان — تنجيه وقت الضيق وإلا تجيبه
قلت استرج في كورها يآبو سلطان — وللناس مع هاك الثنايا حطيبه
صبيت وغطّانا من الملح دخان — وعج كثير ولا نشوق الظريبه
قال ابتجح بالنصر يابن زريبان — والطير يبشر بالعشا من عتيبه
يازين ذبحه والملح له ترنّان — لبن محيًّا عند خشم الجذيبه
ثمن ذبح عندك جوادين وحصان — وفلاج بالدشه وراها رمى به
هذا عشى للضبع والذيب سرحان — أيام بالمروت يرفع قنيبه

أنظر تَرَ شعراء الجاهلية ذكروا المروت، وذكر جرير سوفة في قصيدته، لما ذكروا اليوم الواقع في هذا الموضع، ومنه تعرف أن المروت في جانب سوفة، وانظر هذا الشاعر العربي المتأخر تجده لما ذكر اليوم الأخير في الواقع ذلك الموضع نفسه ذكر المروت، وذكر سوفة أيضاً. أما الهزيمة

الشنعاء فقد كانت في آخر الأيام على عتيبة، وانتصر الحاضرون من مطير ومن معهم من قحطان، لما شاء القضاء والقدر أن ينزل الهزيمة بالعتبان اجتمع رؤساء مطير وقحطان، يدبر أمر مطير نايف بن هذال بن بصيص ويدبر أمر قحطان محمد بن حشيفان شيخ آل روق، فقال نايف بن هذال: ياقوم تعلمون أن عتيبة أكثر عدداً منكم، ولكني سأعرض عليكم رأياً لا ينجح أمركم إلا به، إني أرى أن نتناوش في القتال مع العتبان نحن معشر مطير، ويبقى من فرساننا قوم يجتمعون إليكم يامعشر قحطان وليكن رئيسكم محمد بن حشيفان، فإذا التحمت بيننا وبين العتبان فائتوهم مِن خَلْفهم، فإذا توجهوا إليكم كررنا عليهم كرة واحدة، قالوا: سمعاً وطاعة، هذا هو الرأى، فدبروا هذا التدبير، فلمّا التحموا جاءت قحطان ومَنْ معها من المطران فأول مَنْ وقعوا عليه الشيابين ورئيسهم هذال بن فهيد، فانهزموا، وليست الهزيمة لهم عادة، بل هم أشد وأجْلَد الناس في الحرب، فلما رأى العتبان أن الميمنة اختلفت اختلف القلب، وتزعزع، ثم تزعزعت الميسرة، ثم كانت الهزيمة.

حدثني رجل ممن حضر هذه المعركة يقال له غايب بن معية من قبيلة العصمة، قلت له: هل صحت هزيمتكم يوم الحرملية، أو أنكم كنتم متراجعين لتتحيّزوا لقتالٍ؟ قال: لا والله، بل هزيمة شنعاء، ولم نتراجع إلا على ماءة عروى، وهي تبعد عن موقع المعركة مسافة يوم أو أكثر، وقال في حديثه: لما انهزمنا كان رئيس قحطان محمد بن حشيفان على فرسه المشهورة، وعليه جوخة حمراء، وهي عادة الفرسان في المعارك، يلبسون شيئاً يمتازون به على غيرهم، وكان على أثر العتبان، بيده سيف، ومعه رمح، فإذا لحقهم قريباً أخذ يجالد بالسيف، وإذا بعدوا عنه أخذ يرمى بالرمح، فقال مزيد بن مغيرق من قبيلة العصمة وهو من الفرسان ومن الرماة لأصحابه: إني قد عزمت على قتل هذا الفارس الذي أهلك القوم، ومع مزيد بن مغيرق بندقية من الصمع فأعَدَّها ومال بجواده، وأخذ يراقب

غريمه، فلما حانت له الفرصة انتهزها، وسَدَّد بندقيته إليه، فكان فيها حتفه، فسقط جواده، وأخذ مزيد الجواد، وذلك أكبر شاهد له على أنه هو الذي تولى قتله، فلم ينازعه في جواده أحد، وهذا الجواد من أعرب خيل نجد وأكرمها، واسمها الطرقاء.

كان فارسُ الدويخ من الروسان من قبائل عتيبة قد جلا عن وطنه من دم وغرم كانا عليه، فنزل جاراً لصاحب هذا الجواد محمد بن حشيفان، وكان فارساً زريّ الهيئة قبيح المنظر، وبعد نزوله عليهم بخمسة أيام أصبحوا فإذا الطرقاء ليست في مربطها، ثم وجدوا أثر رجلٍ علموا أنه قد أخذها بليل واتجه بها إلى بلاد عتيبة، وكان من عادتهم أن هذا العتيبي يمنع عنهم في سلمهم، فالتفت ابنُ حشيفان إلى ابنه فقال: ما ظَنُّك بهذا الجار؟ يعيد إلينا الطرقاء أم لا؟ قال: لاأعلم، وإن جارك لا يعجبني، والكلام كله في أذن جارهم فارسِ الدويخ، ولما أتاهم في مجلسهم قالوا: مارأيك في الفرس؟ قال: سَنَتْبَعُها، ونسير على قواعدنا، فركب الولد والجار على رواحلهما، وأخذوا يتبعون أثرها حتى أدركوها عند الشعراء، عند رجل من الدعاجين من جماعة ابن عقيل يقال له ابن عرويل فلما كانوا في وسط منازلهم رأى فارس الدويخ ابن عرويل يقود الطرقاء قاصداً حوض ماء يريد أن يسقيها منه، فلما رآها قال لصاحبه صاحب الفرس: أنا رأيت الفرس ولاأحتمل أن أتركها؛ ولكن اندفع أنت إلى تلك الأخبية فإنها أخبية قومي الروسان، وانتظرني عندهم حتى آتيك بفرسك أو تأتوني ميتاً فتنزلوني قبري، وهو محتزم بخنجر، وهي من سلاح الأعراب كالسكاكين، فاعترض سائق الطرقاء قبل أن يصل الحوض، فأمسك بزمامها، فقال له ابن عرويل: ماشأنك؟ قال : شأني أن أفتكها بيدي أو تقتلني أو أقتلك، وقانونُ قبائلنا بيني وبينك، فلما رأى ابن عرويل الجِدِّ، وخصمهُ شاهر خنجره بيده فكَّ حبلها بيده، وقال: بيني وبينك سلم القبيلة، فركبها واندفع إلى قبيلته فقال عند ذلك أبياتا نبطية منها:

ماروح والطرقاء تبوج الدواوير   والله ماجنب عن قصيرت عيالي
والله ماأجنب عن رسنها ولاسير   إلا حدينـا للمقابـــر يشال

فصح عندهم أن الفرس جارة له، فلم يُدَاعوه، فثبت أنه جار لأصحاب الفرس، وتركوا مطالبته، ورجع الولد القحطاني إلى أبيه، ومدح الجار عند والده، وذكر ما رأى منه من الجد، وبقيت كلمة الولد التي يقولها لأبيه حين سأله عن الفرس في نفس الرجل، فلما رجعوا ووصلوا منزلهم استأذن ابنُ حشيفان الدويخ أن يرحل إلى جهة أخرى، ولم يخبره بالسبب، فأعطاه ناقتين إكراماً له ورحل عنهم.

نرجع إلى رئيس مطير «نايف بن بصيص» فإنه رأس قوم من مطير ليسوا بالكثيرى العدد يقال لهم الصعران، وهم من قبيلة بريه، ومطير تنقسم إلى قسمين: قبيلة علوى، وهم الذين منهم الدوشان من أكبر رؤساء مطير، وليس يرأس الدوشان أحد، بل يرأسون قبائلهم، القبيلة الثانية بريه الذين منهم الصعران قبيلة بن بصيص، ورؤساؤهم كثيرون، ولا أعلم رئيساً من الرؤساء لامن الدوشان ولا من غيرهم من القبائل حارَبَ عتيبة وحادهم في بلادهم مثل هذا الرئيس نايف بن هذال بن بصيص، وكانت في أوائل القرن الرابع عشر أربعة مناخات بين عتيبة ومطير، وقد كان في هذه الأربعة كلها عمودَ مطير وعمادهم، وسمى الاجتماع في الحرب مناخاً من إناخة الإبل يومين أو ثلاثة في مراحلها وقْتَ المعارك خشية عليها أن تؤخذ، فيقال للاجتماع مناخ: المناخ الأول مناخ الحرملية، وفيه انهزمت عتيبة، والثاني مناخ الدوادمي، اجتمع عندها مطير قسم من علوى وقسم من بريه، أما رؤساء علوى فهم وطبان الدويش وعماش الدويش، ورئيس بريه هو الرئيس المذكور نايف بن هذال بن بصيص، وحربٌ بنو على بطنٌ من مسروح على ماءة عرجا رؤساؤهم عبد الله الفرم وصنيتان الفرم، وهم عضد للمطران على عتيبة، وعتيبة على ماءة الشعراء رؤساؤهم محمد بن هندي

بن حميد ومناحى الهيظل وخزام المهري وأبو العلا وابن جامع وأبو رقبة، وفي يوم من هذه الأيام تناوشت فرسان مطير وعتيبة ورجع كل عن صاحبه من غير أن يهزم أحدهم الآخر، ورجع العتبان، ومحمد بن هندي بن حميد قد نالته إصابة، ومناحى الهيظل قد نالته إصابة، وخزام المهرى قد نالته إصابة، وجزا أبو العلا قد نالته إصابة، هؤلاء الرؤساء الأربعة أصيبوا في يوم واحد برؤوس الرماح، ولم ير أحد منهم بأساً، وامتد المناخ قريباً من عشرين يوماً، ثم رحل المطران من الدوادمي لم ينقص أحد منهم، غير أنهم رأوا العتبان كل يوم في ازدياد، لأن البلاد بلادهم، فلما رأوا ذلك ارتحلوا، وحين بلغ رحيلهم العتبان المقيمين على ماءة الشعراء ارتحلوا عن بكرة أبيهم ينوون الصباح على ماءة عرجا ونهب الذي عضد المطران على حربهم، ولم يعلم برحيلهم الفرم رئيس بني علي، فجدُّوا أول ليلهم وقطعوه في السرى، فوصلوا عرجا صباحاً، ولكن ردَّهم الحربيون ردًّا عنيفاً، وتواقفوا إلى قريب الظهر، والحربيون لا يبلغ عددهم خمس العتبان، فلما زالت الشمس أو قرب زوالها أغار العتبان غارةَ رجلٍ واحد، وهزموا حرباً بعد قتال عنيف ذهب فيه عدد من الفريقين، وقال التويجر من شعراء الروقة من عتيبة أبياتاً نبطية منها:

ليت نايف حاضر دقلت جملنا　　　والله ان يخلي نجد بالقلب النظيف
رديفكم شلناه من عرجه لاهلنا　　　وأكبر عليكم يا مخلية الرديف

وقول الشاعر «ليت نايف» يعني به نايف بن هذال الذي رحل من الدوادمي ولم يحضر. انتهي،

والمناخ الثالث: مناخ الجنيفاء، وهو بين عتيبة ومطير، ولكن مطيراً لم يحضر منهم إلا قوم من بريه يرأسهم الرئيس المذكور نايف بن هذال، وعتيبة لم يحضر منهم إلا قسم من برقاء وقسمٌ من الروقة، وحضر هذا المناخ تريحيب بن شرى بن بصيص، وهو أفرسُ رجلٍ عرفه الناسُ في

زمانه، وحدثت في هذا المناخ مناوشات وقتال، ولم ينهزم أحد، بل بعد مضى عشرين يوماً تصالحوا، والمطران يشربون من روضة مطربة ممتلئة من المطر الواقعة شمالي العيون عيون السر، وعتيبة يشربون خباري ومياه العيون، فتصالحوا على السلم، فرحل المطران وجعلوا كثيب السر بينهم وبين العتبان، وقصدوا الجهة الجنوبية لأجل المرعى، ورحلت عتيبة قاصدة عالية نجد، فلما وصل العتبان الضال والتسرير قريبَ الدوادمي عارضهم الأعداء والغزاة يدفع بعضهم بعضاً، ورئيس الأمداد من برقاء هذال بن فهيد الشيباني، وقسم من الروقة كلٌّ قبيلةٍ برئيسها، ولما التقى هؤلاء القومُ الغازون بأولئك العائدين قالوا لرئيس برقاء محمد بن حميد: ارجعوا معنا، فأجابوهم بأنا تصالحنا مع ابن بصيص وقبائل مطير التابعة له وتهادنا أياماً معلومة، فلا نستبيح لكم أن تغاروهم قبل مضي هذه الأيام، فتريثوا حتى إذا انقضت مدة الهدنة فاجأوا مطيراً وهم غارون يشربون من غدير الحَور بينَ ضرمىٰ ومراة، فاجتلد الفريقان ساعة من نهار، وانتهت بقتل الفارس تريحيب بن شرى بن بصيص ابن عم نايف بن هذال، ولم يكن عمره قد بلغ اثنين وعشرين عاماً، على أنه يقتل إلا وقد ذاع صيته وعرف بالشجاعة النادرة، عرفته فرسان عنزة وفرسان شمر وفرسان حرب وفرسان عتيبة وفرسان قحطان، وفارسُ عتيبةَ على الإطلاق في مناخ الجنيفاء الذي مر ذكره خزام المهرى رئيس الدغالبة اعترف لتريحيب هذا بالمنزلة العالية في الفروسية.

وهذه المعركة التي قتل فيها تريحيب هي المناخ الرابع.

ذكر الحوادث المتعلقة بذلك المناخ الرابع الذي قتل فيه تريحيب: لما توجه الغزاة بعد لقائهم لمحمد بن هندي بن حميد وقومه الراجعين من مناخ الجنيفاء ساروا يلتمسون المطران وهم عتيبة: أقسام من برقاء والروقة، وكان معهم امرأة على مركب من مراكب النساء هودجٍ صغير وهي من قبيلة النفعة من عتيبة، فالتفت إليها فاجر السلاة رئيس القساسمة من ذوي عطية من الروقة، فقال: ماشأنك أيتها المرأة؟ قالت: أنا امرأة موتورة قَتَل تريحيبُ

بن شرى أخاى بالأمس في المناخ، ولما أجد في قلبي من الحرارة والأسى على أخى رغبتُ في السير مع هؤلاء الغزاة طلباً لثأر أخي، فقال لها فاجر السلاة: تقتلينه أنتِ؟ قالت: لا والله تقتله أنت إن شاء الله، ثم التفتت إليه ثانية فقالت: أتكفى أنت فتقتله؟ فقال: والله إن رأيته لأذبحنه، فكانت منية تريحيب على يده، وفي اليوم الأول الذي قبل مقتل تريحيب بيوم اجتلدت الخيلُ، فلحق تريحيب خيل الروقة، فعثرت جواد ابن تنيبيك رئيس المراشدة، وسقط عنها، فأخذها تريحيب، فطلب إليه العفو، فعفا عنه وخلى سبيله، فلما كان اليوم الثاني وجاء تريحيب على عادته أدبرت خيل الروقة وهو على أثرها، وكان فاجر السلاة قد عرفه بالأمس وأحب أن يفى بوعده للمرأة فأعدَّ بندقيته من الصمع وهو من الرماة المشهورين، فلما أسند تريحيب واعترضت جواده رماه فأصاب ساقه فكسرها وأنفذ السهم في الفرس فسقطت، وسقط تريحيب معها، فجاءه ابن تنبيك الذي مَنَّ عليه تريحيب بالأمس فقال له تريحيب: امنعنى كما مننت عليك بالأمس، فقال له ابن تنيبيك: لا والله بل أقتلك وأريح عتيبة منك، ثم قتله وأخذ سيفه وما معه من السهام، وبعد يومين أخذ جميعَ ذلك فاجرُ السلاة الذي كان أصابه، وهذا عُرْفٌ عند قبائلهم، يجعلون السلاح والسلبَ وما يمتلكه القتيل من الفرس وغيرها لمن ضربه أولاً فعاقه عن الحرب، لا لمن أجهز عليه، وفي اليوم الثالث من أيام مناخ الجنيفا وحوادثها كان الفريقان قد ملّ بعضُهما بعضاً، فبعث نايفُ بن هذال بن بصيص ابنَ عمه شرى بن بصيص أبا تريحيب الفارس المذكور لطلب الصلح بين الفئتين، فأتاهم على جواده في غَلَس الصبح حتى وقف عند بيت رئيس العتبان محمد بن هندي فسلم عليه وعرفه بنفسه، وكانت خيل العتبان عند غروب الشمس اشتبكت مع خيل المطران وقتل ناحى الضرة من فرسان عتيبة المشهورين وهو من الدَّغالبة جماعة خزام المهرى، قتله تريحيب بن شرى بن هذا الذي يطلب الصلح، فطلب من محمد بن حميد أن يتصالحا ويكف

بعضُهما عن بعض، ويرعى أرضَ الله كلُّ آمن، فقال: نعطيك ذلك، فلما قَرُب من فرسه ليركب بعد أن اتفقا على الأمان مع الرئيس محمد بن هندي بن حميد إذا فارسٌ قد أقبل عليهما مسرعا، فقال ابنُ هندي لشري بن بصيص: لاتركب جوادك حتى نرى خبر هذا الفارس، فلما وصلهم عرفوا أنه خزام المهري الفارس المشهور من عتيبة، فبقى على ظهر جواده، ثم قال للأمير محمد بن هندي: أيها الأمير لماذا لم تركب لتسير إلى حَوْمة الوغى؟ فقال: لقد تصالحنا وأمناهم، وهذا شرى بن بصيص يطلب الصلح، فقال له: اللعنة على شرى بن بصيص وابنه تريحيب، أما علمت أن ابنه تريحيبا قتل ناحى الضرة البارحة؟ ولن نصالحهم حتى نثأر بفارسنا؛ فصاح بأعلى صوته، وشق جيبه، وقال عتيبة: يارفاقة ناحى، ياثائر، وهذا نداء جرت به عادتهم، ثم اندفع خزام إلى جهة المعركة التي كانت بالأمس فاندفعت الخيل في إثره، ثم ركب محمد بن حميد بكوكبةٍ من الخيل على إثرهم، والتفت عند ركوبه إلى شرى بن بصيّص الذي يطلب الصلح فقال: اعذرني لقد رأيت بعينك وسمعت بأذنك، فأغارت خيل العتبان، فالتفت شرى بن بصيص إلى خالد بن حميد وهو باقٍ عنده لم يركب مع أهل الخيل فقال: إن الذي وجدوه أمسِ سيجدونه اليوم، فلما قربوا من خيل مطير إذا هي قد استعدت للجلاد، فكانت ميمنة مطير هي التي تلى ميسرة العتبان وفيها تريحيب ابن شرى وجملة من فرسان قومه وفيها طامي القريفة وهو فارس مقدام رام بالبندقية، وقد اتفق مع تريحيب أن يكون هو على جانب فإذا هُزمت الخيل فهو يحفظها، ومن اعترض أو أسند رَمَيْتَه بالبندقية، وحدثني فارس من عتيبة شهد هذه الغارة الأخيرة قال :

لما اختلطنا بهم وعرفنا أنه تريحيب منحناه أظهرنا، فندب بعضنا بعضاً، فأسند شبيب بن حجنة، وهو من الفرسان والرماة وبندقيته صمعاء، فلما اعترضت جواده رماه طامى القريفة ببندقيته فقتلها، فنزل وسار على قدميه، وندب فرسان قومه، فأركبه سرحان بن ثويمر من رؤساء المقطّة

على جواد عريب، فانهزمت خيل عتيبة، وكان معهم رجل يقال له غايب بن معية على حصان، وهو من قبيلة العصمة، فكأن الحصان انقطع به، فرفع صوته يندب شبيب بن حجنة أدركني؛ فقال شبيب لما سمعه لابن ثويمر: أردع الجواد، فأبى خشية أن يصيبها مثل ماأصاب جواد شبيب، فلما مر بحجر قليلٍ وظن شبيبٌ أنه يُخْفيه نزل، فكمن في وسطه والخيلُ قريب، أولهُم صاحبُ الحصان والذي يليه طامى القريفة على جواد حمراء، فرماها شبيب بن حجنة فأصابها، وَاخْتفى طامى خشية أن يقتله شبيب لأنه يعرفه من الرماة، وكلما جاء صاحب فرس ووقف عند طامى لإركابه رماها شبيب فقتلها، فقتل أربعاً من الخيل في موضع واحد، حتى نجا صاحب الحصان، فلما انتهى قتال ذلك اليوم وشرى باقٍ في بيت ابن حميد صالحوهم صلحاً جديداً وافترقوا، وفي الأمداد الذين عارضوا ابن حميد بعد مفارقتهم العصمة من الرؤساء أبو العلا والعقيلي وابن مغيرق قبل أن يلتقوا بابن حميد، وقبل أن ينتهي القتال سكب مشعان أبو العلا فنجالاً من الدلة ووضعه في مجلسه بين الفرسان وقال: هذا فنجال تريحيب، اشربوه، فأبوا، ثم نَدب بنيه سلطان وجزا، ثم ندب العقيلي. ثم ندب مزيد ابن مغيرق قاتل محمد بن حشيفان، فأخذ الفنجال فشربه، ثم قال له: يامشعان أنا أعلم أنك تحب أن أقتل، ولكني قد شربت هذا الفنجال، ووالله لئن رأيت تريحيبا لأقتلنه أو يقتلني، ولتريحيب إخوة هم غالب وغلاب، وهما أخواه لأبيه، وله أَخَوَانِ لأمه: أحدهما متعب بن جبرين من أفرس أهل زمانه من مطير من بني عبد الله، والثاني من غير تثبت غلام من قبيلة الملاعبة من مُطَير، ذكروا أنه في مناخ الدوادمي لما اجتلد العتبان والمطران، قصد إلى محمد بن حميد بين الفرسان واشتبكا على ظهور خيلهما حتى نزلا في الأرض، وذكروا أن الثلاثة من أفرس العرب.

ذكر الحوادث المتعلقة بالمناخ الذي قبل هذا، وهو المناخ الثاني من الأربعة، عتيبة تسميه «مناخ الشعْرا» ومطير تسميه «مناخ الدوادمي» وأهل

نجد يسمونه «سنة عرجا» حدثني خلف بن إبراهيم بن خلف من سكان الشعرا قال: أخذ لنا إبل وأخونا من مطير عماش الدويش، وخرجت من الشعرا إلى بلد الدوادمي طلباً للإبل يسترجعها أخونا عماش الدويش ، فجئت ناديه، فوجدت رجلاً جميلاً مرجّلا شعره جالساً متكئاً على رحل له موضوع ومجلسه مليء بالرجال، فقلت: السلام عليك يادويش، وأنا أحسبه عماشاً، فقال: وعليكم السلام، فجلست فالتفتَ إليّ فقال: ماشأنك؟ فقلت له: أنا أخوك من أهل الشعراء، أخذت مطيرٌ قبيلتُك إبلي، وقصدي أنك تؤديها إليّ[1]، فالتفت إلى بعين مغضبة فقال: نَبَا نأكل إبلك ونأخذكم؛ لأنكم عتبان في وسط عتيبة، ولا لك عندنا وجه ولا عانى، فسُقِط في يدي، ولم يكن هذا عماشا، وإنما هو ابنه، فالتفت إليّ رجل قريب من مجلسي فقال: هذا ابن عماش، أما عماش فهو هذا الرجل الراقد، فالتفتُّ إليه فإذا رجل قبيح المنظر نصف شعره أشيب، كأنه نائم وليس بنائم، ملتف في عَباءة برقاء، فلبثنا قليلاً ثم تحرك وجلس، فنهض القوم إكراماً له حتى جلس، فلما استوى جالساً نهضتُ إليه وسلمت عليه، فرد على السلام أحسن رد، ثم التفت إلى صاحبٍ له ورمى إليه عظما، فقال: املأه من التتن، فملأه وأشعله، فلما خلص من تتنه التفت إلى ابنه فقال: ياعبد الله، فقال: لبيك ياأبتِ، فأول كلمة تكلم بها أنه قال: حسبى الله على والدتك، غرتني بحسنها، والله ماأنت عَريب، لقد سمعت كلامك مع راعى الشعراء، كيف تجرؤ على هذا الكلام؟ أما علمت أنه أخوك صاحب قرية لايشد ولايمد ولاينير، وتقول له: نبَا نأخذك أنت عتيبى في وسط عتيبة، ولكن يُعْفيك مما استوجبه كلامك هذا أن تركبوا الآن لتجمعوا له إبله، ومن امتنع من تسليمها فأتوني برأسه، فمكث قليلاً، فجاءت الإبل تحدوها الخيل، فاستلمتُهَا، وعزمت على السير إلى

---

(١) في كثير مما روى المؤلف عن العامة لحن تركناه كما هو، لأنه ـــ فيما يبدو ـــ رواه عنهم بنصه.

بلدي، فقال، إن لي بك حاجة، أقم عندنا اليوم، فلما كانت الغداة جاءت الخيولُ لتتوجه إلى قتال عتيبة، وجاء ابنه عبد الله، وحضر جواده، ورحل على ذَلُول من أعرب جيشه، وقصده أن تكون زاملةً لفرسه، فالتفت عماش إلى ابنه فقال: ضع عَنْها الرَّحل وضعه على جمل، فإنى أظن ركابكم لايرجع منها شيء، فأخذ الرحلَ، فوضعه على جمل، ومشوا إلى جهة الشعراء، فلما غربت الشمس جاءت الخيل وقد أخِذت الركابُ، ولم يرجع الجمل، فلما أصبحت وعزمت على الرحيل دعاني وقال: إذا وصلت بلادك فزِنْ وزنتين من القهوة وانطلق بهما إلى محمد بن هندي بن حميد وقل له: هذه لك من عماش الدويش تجديداً لما كان بيننا وبينه من العملة السابقة؛ فإن أحب أن تبقى فإنه يأخذها تجديداً لها، وإن أحب أن تنقطع فسيتركها، قال: فجئت وأخذت القهوة وذهبت بها إلى ابن حميد وأخبرته بما دار بيني وبين عماش، فأخذ القهوة وقال: بل نجدِّدها، وهذه تكون عملة خاصة بين الرئيسين فقط، لو أغارت مطير على إبل عتيبة المقيمين في بلاد الشعراء وأخذت إبل ابن هندي مع تلك الإبل يجب على عماش الدويش أن يردها، ولو أخِذَت إبلُ عماش وجب على ابن حميد أن يردها، وافترقت ثلاث قبائل من هذه القطعة المتوسطة في نجد، فكانت الهزيمة فيها على حرب القاطنين على ماءة عرجاء.

الحوادث الواقعة في مناخ الحرملية، وهو المناخ الأول؛ لأنه في السنة التاسعة من القرن الرابع عشر، وقتلُ تريحيب كان في السنة السابعة عشر من القرن الرابع عشر من الهجرة، وكان تريحيب أيام مناخ الحرملية صغيراً لم يحسن ركوب الخيل، وفي مناخ الدوادمي كان يركب الخيل ويرغب أن يحضر المعارك، ولكن أهله كانوا يمنعونه؛ فكان يحضر المناوشات الخفيفة، فلما بلغ سبعة عشر سنة ظهرت مخايله، وقتلَ لما كمل إحدى وعشرين سنة من عمره.

فمن حوادث مناخ الحرملية أنه لما انهزم العتبان وقحطان على أثرهم

عشر جواد محمد بن هندي به وسقط، وكان الذي يليه من الفرسان فارساً مقداماً يقال له «دهنين» من آل روق، من قبيلة محمد بن حشيفان، فنزل عن جواده وتطاوله ووضع نفسه عليه، وقال: ياقوم، والله إني قد أمنته وهو كاذب، ولكنه رغب أن يصنع جميلاً مع هذا الأمير العاقل، فتنازع القحطانيون فيه: قسم يحب قتله، وقوم دهنين عزموا على منعه، وعندهم شك في صاحبهم، أنه لم يؤمنه، ولكن أحبوا تثبيت كلامه، فمنعوه، فكان الذي أخذه دهنين من الإبل من محمد بن هندي بن حميد مقابلة الجميل مائة وعشرين ناقة، غير أنه لم يأخذ ذلك دفعة واحدة، بل كان إذا أتاه أعطاه المتيسر: تارة عشرا، وتارة أقل، ولكنه لم يعطه أقل من ثلاث، وهذا الرئيس من دُهاة الرجال، وعنده تروٍّ في الأمور، وأناة في مهمات الأمور، إذا رأيت بعض حيله لم تشك أنه من أدهى الدهاة، حدثني حشر البواردي من أهل شقرا قال: كنت مع محمد بن هندي بن حميد، وكنا ضيوفاً عند الشريف الحسين في مكة، فكأن الشريف قصر في إكرامه، وعنده بعض شيوخ الروقة، وظن ابنُ حميد أنه قد وشى به واشٍ عند الشريف، فلما أحس تقصير الشريف قال لنا: هذا الشريف أنا في الصبح أرميه بخبر يحمله على إكرامي، وقد بقيت متحيراً فيما عسى أن يكون هذا الخبر، فكانت إقامتنا في المعابدة، فركبنا رواحلنا صباحاً نقصد الشريف، فلما دَخلنا عليه، وكان يُدْني مجلسَ ابن حميد من مجلسه، وأخذنا مجالسنا، وتجاذبنا الحديث، حتى خضنا في ذكر الجيش، فقال ابن حميد: نظرت اليوم ذَلُولا نجيبةً معروضة للبيع لم أر مثلها، فالتفت إليه الشريف فقال: أين هي؟ فقال: مررت بها تحت قصر سعود بن عبد العزيز الأول الذي ملك مكة، فاضطرب الشريف في مجلسه وقال له: ليس له قصر ولم يملك مكة، قال ابن حميد: هذا خبر أكيد، فسكت، فافترقا والشريف مُغْضَب، فوالله ما وصلنا منزلنا إلا وقد جاءت الحلَل والنقود والكرامات الزائدة، فتعجبت من هذا الاستنباط البعيد المرامى، وله أمور

عجيبة، حدثني رجل من قومه يقال له راشد بن هذلى قال: قصدنا ماءة الشبيكية الواقعة في جهة المخامر ــ وهي اليوم مسكن الذويبى، عمرت في هذا العهد ــ ونحن قليلون، ولم نعلم حولنا من قبائل حرب أحداً، فجاءنا المرتاد فقال : إن على الماء عرباً كثيرين، فرأينا صاحب غنم، فأمرني أن أركب جوادي وأسأله عن أولئك القوم، فركبت جوادي وأتيته فسألته، فقلت: من هؤلاء العرب؟ فقال: هذا الذويبى ومعه قبائل حرب، وابن حميدٍ ومن معه لايستطيعون ردهم وليس له بهم طاقة، فرأيتّ الرجل قد اهتم واختلط فيه الطمع والخوف، فقال لي: اركب جوادك، واقصد الماء، وقل لناهس الذويبى ــ وهو رئيس القبيلة ــ في وجه مَنْ وردت هذا الماء؟ فإذا قال لك «من أين أتيت» فقل له: أرسلني محمد بن هندي بن حميد ومعه قبائل عتيبة، وأنا الآن بحيث لو صحت بأعلى صوتي لسمعوني، فركب راشد جواده، وقصد ماءة الشبيكية، فقال لناهس الذويبي ماقاله محمد بن هندي، ورد عليه ناهس كما ظن ابن هندي، فأخذ عقال راشد من فوق رأسه فوضعه في رقبته وقال: جِنّا دخلاك من عتيبة، وترانا في وجهك، وقال له: أنتم آمنون، فرجع إلى صاحبه، فأركب الجيش يستنهض عتيبة أن تأتيه، وانكف بعدما شرب الماء إلى جهة قومه، ولكنه مع هذا الدهاء والزكانة كان يخطىء في بعض الأوقات، ويتجبر على بعض الأعداء، يدفعه إلى ذلك كثرة أنصاره، وأنه مُطَاع في قومه لايردون له مقالاً.

حدثنى رجل من فرسان المقطة قال: كنا قريب ماءة عروى، وجاءنا خبر أن قنيفذ بن لبدة رئيس آل سعد من قحطان، وهو من الفرسان المشهورين، نَزَلَ عند جبيل سوفة الذي مرَّ ذكره فقال لقومه: إن الله أخرج هذا الفارس من جباله ومن بلاد قومه وليس معه إلا شرذمة قليلة، وقد عزمنا أن نغزوه بكوكبة من الخيل لعل الله أن ينصرنا عليه فنقتله، فقال له رؤساء قومه: أرسل من يرتاد لك الخبر، فبعث حضرياً من سكان قرى العرض، فقال له: اعرف لي منزله، وكَمْ معه من الخيل، فقصده الرجل

واستضافه، وكأنه ينشُدُ ضالة، فلما رجع إلى ابن حميد قال: وجدته وليس معه من الفرسان إلا عشرة، قال: هل تعرف منهم أحداً؟ قال: أعرفه وأعرف أخاه منيفا وضويحى وجديع آل الجرو من قحطان، فقال: هؤلاء الأربعة يعدلون أربعين فارساً، ولكني سأسير إليهم بستين فارساً من باب الاحتياط، فمشى بستين فارساً كلهم على صهوة جواده، ومعهم ركاب تحمل الماء والكلأ للخيل، فأغاروا عليهم بجانب سوفة وهم حلول: المرأة منهم تبني الخباء، والرجل عند إبله أو جواده، وكان قبل أن يسير من عند أهله بيوم قال: عُدُّوا لي الرماة، فإني أحببت أن آخذهم، وأمر بهم على طريق قنفيذ في المعركة، فيرموه بالبندقية قالوا: نعرف هضال بن درية الذي ينزل الأروى من شعاف الجبال وهي تعدو لايخطيء سهمه، والثاني ابن خشيبان، والثالث طريخم بن حريش من الشلاوى، فجمعهم وأخبرهم بحاجته، فاضطلعوا بها وكل قال: إذا رأيته قتلته، فأخذهم معه، فلما شن الغارة بجانب سوفة واجتلدت الفرسان أخذ الرماةَ ووضعهم في موضع.

وقال لهم : سأستطرد له وأمر به عليكم، ولكن اجتهدوا في قتله، فلما اجتلدوا انهزم ابنُ حميد ليمر به على الرماة، فتبعه قنيفذ يريد قتل ابن هندي، وكانت هزيمته حيلة لم ير منها فائدة؛ فمر على هضال ولم يرم، ومر على ابن خشيبان ولم يرم، فالتفت ابنُ هندي إلى قنيفذ فرمى رمحه قريباً من ظهره، وصاح يزهم طريخما أعنى ابن حريش ويوميء إليه بيده، ويقول أرم أرم، ثم ترك التنبيه على الاسم، وقال أرم ياشلوى باسم القبيلة، فلم يرم، فالتفت إلى خيله فقال: امنعوني من هذا الفارس، وكان زايد بن حريميس[1] من فرسان الروقة يسمعه، وهو من الفرسان التابعين لابن حميد، فجاءه مسرعاً عرضاً، فضرب قنيفذاً برمحه على قفاهُ وأُذُنَيه، فشرم إحدى أذنيه، وجرح مؤخر رقبته، فصاح قنيفذ وزاد جَلَادة، وقال: الكلب

---

(١) زايد بن حريميس من خيالة الحفاة جماعة جعيلان الحافى، وهو من ذوى صقر من الحفـاة بطن من الروقة.

لايغُلث حتى تقطع أذناه، وهذه قاعدة عند الأعراب في كلابهم، إذا أحبوا أن الكب تزيد حمايته للبيت قطعوا أذنيه ووضعوها في تمر حتى يأكلها، حتى إنه بقى مثلا عند عامة أهل نجد في عهدنا هذا، إذا زاد لَجَاج رجل في منازعته قالو «إن هذا أكل أذنيه» ورجع ابن هندي من غزاته هذه بدون طائل، لم يقتل قنيفذا ولم يقتله قنيفذ، وقنيفذ هذا من أشجع قبائله، ولكنه جِلْف من أجْلاف الأعراب، فيه خِصال لاتحمد، ذكروا أن معركة من المعارك حدثت بين قحطان وعتيبة قُتل فيها سحمى بن حشر، وأخذ القحطانيون من العتبان سبعة عشر رجلاً كأسرى، فلما ثبت عند قنيفذ قتل سحمى بن حشر قَتَلَ السبعة عشر رجلاً المأخوذين وهم في ذمتهم، وتعد هذه الفعلة نقطة سوداء في تاريخه، قال له رجل يخاصمه: ما أكثر كلامَكَ ياقنيفذ؟ قال: صدقت، ولكن شرى أكثر.

المعارك في نجد ــ والغاراتُ في الجهة الجنوبية في نجد أكثَرُها بين برقاء من عتيبة وبين قحطان وسبيع أهل رنية والخرمة، والمعارك التي تكون في شمالي نجد إنما تقع بين حرب والروقة من عتيبة، أو بين الروقة وبني عبد الله بن غَطَفان، والمعاركُ العظامُ بين عتيبة ومطير. سئُل راجح بن لبدة أبو قنيفذ المذكور: كم قلعت من الخيل؟ قال: والله إني لاأحفظ عددها، ولكن الذي قلعت وأنا أنظر رأس جبلة ثلاثون فرساً.

أما محمد بن هندي بن حميد فهو مُطَاع في قومه، محبوب عند الناس، محبوب عند الملوك، سمعته يتحدث وهو يقول: والله ماأخذت الحضري ولاأرضى بأخذه. ونَدِيدُهُ في مطير نايف بن هذال بن بصيص للميز والعقل وحب قبيلته له.

كان ضيدات العارضي الذي قال فيه فيحان بن زريبان يوم الحرملية.

رديتها لمنجى الحرد ضيدان نازلاً على ماءة قريب الكويت مع الدوشان،

وهم قوم أهل تَجَبُّر، وهم رؤساء علوى، وهذا الجار من بريه فرأى منهم ما يغيظه، وهو من شعراء النبط فقال قصيدة نبطية منها:

هات الدلال وهات من ماء الثميلة نبغي نسوى تالى الليل فنجال
عدٍّ سمج لو كثر رعيه وكيله لعاد ما قطان ماه بن هذال

يعني نايف بن بصيص، وهذا الماء الذي كانوا عليه مشاش الطويل بين ماءة الجهري وماءة الصبيحية، وهو محبوب عند عامة أهل نجد وعند الملوك. لقيتُه ثلاث مرات: المرة الأولى في السنة التي قُتل فيها ابن عمه تريحيب بن شرى سنة ١٣١٧هـ، ولي من العمر سبع سنوات، ولكني كنت بحيث أفهم الحديث، رأيته عند والدى وأعمامي في بلدنا «ذات غسل» المجاورة لبلد شقرا في مقاطعة الوَشْم، منيخاً ركائبه ضَيْفاً عندنا، واتسع الحديث بينه وبين والدي رحمه الله وذكروا الحروب التي تقع بينه وبين عتيبة، فسمعته يومئذ يقول يخاطب والدي: يا عبد الله، والله لو يتبعني عُشَيْرُ عتيبة لأخرجنهم من نجد، ولكن الذين معى شرذمة قليلون من قبيلتي الصعران وسّامة الهلال ([]) وقد جرى علينا نقص عظيم بقَتْل هذا الغلام الذي كنت أحارب به، وكان وحده يقوم مقام العدد العديد، ذلك هو تريحيب؛ فقد كان إذا سمع الصائح قال لي: أعطِنِى السيف والعبية، أو البندقية والكحيلة، طلب السيف والعبية لأنها فرس سابق تَلْحق ولا تُلْحق، وطلب البندقية مع الكحيلة لأنها وَانِية، فإذا أدركته الخيلُ رماهم. ورأيته المرة الثانية في بلد الشعراء مع جلالة الملك في بعض غزواته في نجد، وذلك في مجلس عبد الرحمن بن خلف من أهل الشعراء، وكان جلالة الملك قد شرف داره ليشرب القهوة عنده ومعه ابن عمه عبد الله بن جلوي الذي تأمر على مقاطعة الأحساء ومات بها رحمة الله عليه، ومعه نايف بن هذال المذكور، وكان أهل الشعرا قد اضطرب أمرهم واقتتلوا مرتين: الأولى انتهت بقتل حمد الزير وأخيه عبدالرحمن، وفيما هما يتصاولان رمى

عبدالرحمن لما رأى مقتل أخيه حمد رميتين قتل فيهما أربعةَ رجالٍ وأصاب خامساً ثم قتل هو، وأما المعركة الثانية فكان آل ضويان سطوا على آل مسعود، والجميع حمولة من قبيلة واحدة، وأخرج آل ضويان من البلد، وانتهت المعركة بقتل رئيس آل ضويان خالد بن حمد بن ضويان، فلما شرب جلالة الملك القهوة وعزم على النهوض قال له عبد الرحمن بن خلف: ياطويل العمر، لاتزال مسألة اختلاف آل مسعود وآل ضويان، ولئن لم تصلحهما أنت لم يتم صلحهم، فقال: أنا معتزم إنفاذ ذلك إن شاء الله، ومتى بلغت الرياض أرسلت إليهم وسويت ما بينهم وما أشكل عليهم فإن مرجعنا فيه إلى حكم الشرع، فالتفت نايف بن هذال بن بصيص إلى جلالة الملك فقال: ياطويل العمر، يقولون ابن ضويان بان له قصيرا فوق العبسة يريد أن يغير وينير، فالتفت إليه جلالة الملك قائلاً: على عثرة ونثرة، ورأيت جلالة الملك يراعيه ويحترمه. وأما المرة الثالثة فقد لقيته في شقراء مع جلالة الملك، رأيتهما يمشيان في سوق شقراء وجلالَةُ الملك آخذ بيده يمشي وهو يباريه، فهذا دليل على أن جلالته يكرمه ويرى له منزلة.

وكان رئيس مطير في هذه المعارك الأربعة التي مر ذكرها هو هذا الرئيس، وأنا لاأعلم أن عتيبة انهزموا في المعارك التي تقع في نجد، بل هم الغالبون دائماً، أما هزيمة الحرملية فإنهم لايرغبون في ذكرها، ولو أنك سألت العتيبي وقلت له: أخبرني عن مناخ الحرملية، قال: إني لم أحضره ولاأعلم حديثه، ولو سألته عن مناخ عرجا اندفع يحدثك حتى تقول له: اسكت، وقد عرف أهلُ نجد إنك إذا أردت أن تغضب العتيبي أو تلقمه الحجر فما عليك إلا أن تذكر يوم الحرملية، ومن الحوادث أن أهل قرية نفي كانوا يتفاخرون ذاتَ ليلة مع جماعة من شعراء العتبان، فقال شاعر من عتيبة أبياتا نبطية وهم وقوف، منها:

ياحضران دايم في البلاد ماترعون في الدار العذيه
ولا تدرون عن ركب الجياد دايم حاضره في كل هيّه

فقال شاعر أهل نفي المعارض لذلك الشاعر:

أخبار القبائل في فؤادي وأدرى بالكثيرة والشويه
لاتكثر على من الدوادي فأذكرك يوم الحرمليه

فانقطع الشاعر العتيبي ولم يرد جوابا؛ لأن الهزيمة صحيحة، ولا يقدر أن يقول من هزمنا فأما ذكر التويجر الشاعر الروقي في شعره وقعة عرجا، وقد ذكرنا منها بيتين في أول هذه العبارات، وقوله :

ليت نايف حاظر دقلت جملنا والله أن يخلى نجد بالقلب النظيف

ذكر هذا الشاعر الجمل، وتلك عادة عند جميع عرب نجد، إذا سارت الكتائب بعضُها إلى بعض فكل قبيلة تنتخب جاريةً من أجمل نساء رؤساء القبيلة، وتنتخب لها جملاً أوضح تضع عليه هَوْدَجا، ويُحَلَّى ذلك الهودج بالْحُلَل من الجوخ وغيره، ثم تركب فيه الجارية، وجميعُ رجال القبيلة والرُّماة والفرسان على خيولهم. وأهلُ الركاب يكونون عند هذا الجمل، والجارية حاسرة، لاتضع على رأسها ولا على وجهها شيئاً، وهي واقفة تندب قومها إلى القتال وتحضهم عليه، وقد ورد عرجا من الجمال في اليوم الذي كانت فيه الموقعة ثلاثَةَ عشر جملاً ، كلُّ جمل يتبعة أكثر من ألف رجل مابين راكب وراجل، وكانت قبيلة العصمة وقبيلة الدغالبة تابعين لجمل الهيظل، فلما كان يوم عرجا انفصلت كل قبيلة بجملها، حدثنى رجل ثقة حضر هذه الموقعة قال: جاء مناحي الهيظل ولحق جزا أبا العلا رئيس قبيلة العصمة، فتهدَّده وقال: ردوا جملكم وارجعوا إلى جملنا، فقال: إنا من حين زايلنا أهلنا ونحن عازمون أن نَرِد به عرجا أو نرجع نحن وجملنا، فزاد بينهما اللجاج، فجاءهم الرئيس العام محمد بن هندي بن حميد فقال: لقد نشبت الحرب وأنا أشير عليك أنت يامناحى الهيظل ألا تردَّ جملاً يتبعه ألف رامٍ، وإنما تكون الملاحاة والدعاوي في غير هذا

الموضع، فطلب إليه أن يعدل عن هذا الطلب ذلك الوقت، وقد كان أبو العلا مصمماً على أنهم لو رجعوا جمله يرجع بقومه، فتركهم واندفع إلى خزام المهري رئيس الدغالبة فقال له: ياخزام، ما الذي حملك على أن سيرت هذا الجمل وأنتم وجميع قبائلكم الدغالبة إنما تتبعون جملي؟ فقال له: تعلَّمْ أن هذا الجمل لو رجع رجعنا معه، وكانوا لايخاطبون خزاماً باللهجة التي يخاطبون بها أبا العلا؛ لأنه في زمانه فارس عتيبة على الإطلاق، فتركه الهيظل ثم أتى ناصر بن عقيل فقال له كما قال لصاحبه، وناصر من قبيلة الدعاجين التي رئيسها العام هو مناحى الهيظل، فقال له: اردُدْ جملَكَ وكونوا مع جملنا، فرده من دون منازعة، وقد انقطعت هذه العادة في هذا العهد الزاهر عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود؛ لأن هذا الملك ــ حفظه الله! ــ قمع الظالم، وأعطى كل ذي حق حقه، وقدم الشرع، فسكنت بهمته وبتوفيق الله جميعُ الحركات.

وعربُ نَجدٍ لهم عادات حميدة أخذوها عن آبائهم وأجدادهم، ولكنها انقطعت كما انقطع غيرها؛ لأن الحاجة لاتدعو إليها، وسأذكر القليل منها.

عند عرب نجد ثلاث يسمونها «الثلاث البيض». فإذا قلت: ماالثلاث البيض؟ قالوا: الضيف السارح، والطنب السابح، والبطن، أما الضيف السارح فيعنون به أنه إذا أضاف رجلٌ من مطير رجلًا من عتيبة، ثم سَرَحَ من عنده واعترضه قوم من أقصى عتيبة منعه منهم صاحب الخباء الذي سَرَح الضيف منه، ويردُّ عليه جميعَ مايؤخذ منه، وأما الطنب السابح فهو الجار، إذا كان رجلٌ من مطير مثلاً قد جاور رجلاً من عتيبة، وجاء المطران وأغاروا عليهم، وأخذوا إبل العتبان؛ فإنه يجب على الجار أن يرد إبل مَنْ أجاره من قبيلته مطير وما أخذوا له، وأما البطن فإذا كان رجل من عتيبة قد مر على رجل من مطير فناوله فنجال قهوة أو كأسَ حليبٍ وأخذت عتيبة إبلَ صاحب الخباء الذي شرب العتيبي فيه القهوة أو

الحليب فإنه يجب على العتيبي أن يثور بما في بطنه ويؤدي الإبل إلى صاحبها، وله حق الثأر مادام لم ينقض هذا الطعام أو القهوة بمثله، حتى أن بعضهم قد يصنع حيلةً إذا جاءه أجنبي يظن أنه قد يحتاج إليه، وذلك بأن يخلط بهار القهوة بنوع من اللبان الذي يظُنَ أنه يبطىء فقد تمس الحاجة إلى ذلك الرجل بعد شهر.

وفيه مسألة أخرى، وهي الخوى، إذا جاء السفّار ومن قصدهم أن يجيزوا بلاد عتيبة أخذوا عتبيا، وكذلك إذا قصدوا أن يجيزوا بلاد مطير أخذوا مطيرياً، وكذلك إذا كان قصدهم أن يجيزوا بلاد قحطان أخذوا قحطانياً، ومن ذلك أن أهل شقرا أخذوا ولداً لعبد الله بن سجوان من قبيلة الروسان خويا من عتيبة، وهم على جمال وحَمير يجمعون الكلأ، فجاءهم ركب من الحناتيش بطنٍ من الروقة، ورئيسهم رجل يقال له حنيان، فأغاروا عليهم، فاعترضهم ولد ابن سجوان، وقال: إن هؤلاء خوياي، فلم ينتهوا، وأخذوا ماكان معهم من زاد وماء فقط، وتركوا الركاب والحمير! وأبو هذا الغلام الذي أخذوه خويا كبير السن، فركب إلى قبيلته وقال لرئيس القبيلة، حسين بن جامع: إني لاأرضى حتى تقتل حنيان، فقال: إنه لم يأخذ إلا زاداً قليلاً وماء قليلاً، وقد دفعه إلى ذلك الجوعُ والظمأ، فغضب الشيخ ورحل إلى بلد قَحْطان وجاور في قحطان سنتين ومعه ابن له آخر يقال له دحيم، وقال قصيدة نبطية وشكا حاله إلى ابنه دحيم منها:

يا دحيم ديران الرفاقة امريفه والى مع الأجناب كنّه على نار
والطير بالجنحان ما حسن رفيفه والى انكسر بعض الجناحين ماطار
ويمنى بلا يسرى تراها اضعيفه ورجل بلا ربع على الغبن صبار

فلما سمع ابنه دحيم شعره قال له: ارجع ياأبت إلى وطنك، وأنا الذي أقتل حنيان، ولا تستشير حسيناً في ذلك، وهو يريد حسين بن جامع رئيس القبيلة، فأعجب الشيخ ماقاله ابنه وجاء إلى بلاد قومه وسكن الشعرا

لتصيد الفرصة في صاحبه، لأنها بلد تنتابه الأعراب لأغراضها، فما شعروا إلا برجل أتاهم فقال: انظر حنيان الحنتوشي في قصر الرفائع يتغدى عند صاحب القصر، إبراهيم العجاجى، فندب الشيخُ ابنَه وندب معه ابن عم لهم يقال له حمود، فركبا راحلة وقصَدَاه فوجداه قد مشى من قصر الرفائع، وهو على جمل، ومعه رفيق له ليس من قبيلته، فأدركاه قائلاً تحت شجرة ومعهما سيف ورمح، فقالا لصاحِب حنيان الذي ليس من قبيلته: إن أحببت السلامة فأعرض عنا وإلا فإنا نصنع بك مثل ما نصنع به، فتناولاه بالسيف ولم يبق فيه موضع إلا أكل السيف منه قسماً، ثم ارتدا على راحلتهما وتركاه على أنه ميت، فمرا على العجاجى وقالا له: قتلنا حنيان، انظره هناك، ادفنوه، فرحل أهل القصر فوجدوا فيه رَمَقاً، فحملوه إلى قصرهم، فبقى سنتين بين الحَيَاة والموت، ثم سَلِم، فرأيته يركب الخيل وقد جعل في كفه الأيسر كلاليب يمسك بها حبال الفرس.

أخذت قحطان حميراً لأهل القويعية، وهي في عانية، فركب فهاد بن حصيص أحد آل روق من قحطان مع أصحاب الحمير إلى القحطانيين الذين أخذوها، فقالوا له: مانسلمها لك حتى تداعينا عند محمد بن هادي رئيس قحطان، فركب معهم، فوصلوا عند محمد بن هادي، فكل عرض عليه ماعنده من الحجج، فالتفت ابن هادي إلى ابن حصيص وقال: هوانى مرخوص اتحاكى، وهذه لغة قحطان، قال له: تحاك بالحكى الذي تؤدى فيه الحمير، قال: أعطوها إياه.

ومن عاداتهم إذا جئت عند قبيلة وأنت ضارب في الأرض وليس معك رفيق منهم فقل لهم: خذوا عصاى فضَعُوا وَسْمكم عليها، فمن جاءني من قبيلتكم عرضتها عليه، فإذا فعل ذلك فإنه لايمسه أحد بسوء.

قال محرر هذه الأحرف: جئت من الحناكية في سنة ١٣٣٧ هجرية، وليس معي خوى، فصحبت عيراً قاصدةً القَصيم، فلما كنت عند طمية

عجت إلى قرية مسكة فجئت قبيلة من الدلابحة رئيسهم رجل يقال له ملافخ، فبت عند غيره، فلما أصبحت قلت عند توجهى: أنا رجل منقطع، وليس معي رفيق من عتيبة، وما معي إلا رفيق حضري، ونخشى أن يعترضنا أحد من عتيبة قبل أن نصل مقصدنا، ولكن خذ عصاي فضع وَسْمَك عليها، فوضع عليها الوسم[1] على هيئة المغزل وهو وسم قبيلته، فانطلقت إلى بلد مسكة ومعي صاحبي الحضري فلما كنا في عريق الدسم أغار علينا جيشٌ فناديتهم: ليس فينا طَمَاعة، فقال رئيسهم: إن كنت من عتيبة أو في وجيه عتيبة فأنتم آمنون، فأتونا فإذا ركائبهم عليها هذا الوسم(١) وإذا هم من قبيلة الحماميد التي يجمعها هذا الوسم كما يجمع قبيلة طلحة وقبائل نجد الموجودون في العهد الأخير ممن أدركناهم: قبيلة عتيبة، وهم اليوم أقواهم وأكثرهم، وقبيلة قحطان، وقبائل مطير بنو عبد الله، مساكنهم من القصيم إلى المدينة، وعلوى وبريه مساكنهم من سدير إلى الكويت، وقبائل حرب من القصيم إلى المدينة إلى جبلى طى، هذه القبائل عرفناها وعرفنا قواعدها وعاداتها، فأما القبائل التي سكنت نجداً في الزمن القديم فالقبيلة التي كانت لها الشوكة والقوة والغلبة على جميع القبائل هي بنو لام، قال صاحب الروضة رميزان التميمى وهو في القرن العاشر، في قصيدة له نبطية عند حكره لوادي سدير ووضعه لسبعين العرصة التي تسيل منها بلاده الروضة:

حكرنا لها وادي سدير غصيبة — بسيوفنا إلى مرهفات حدودها
حكرنا لها الوادي وسالت نخيلها — وفي القيظ من جم البطاحى برودها
إلى صدر اللاهى والأجناب قلطت — حيضانها فإما نزدها ترودها

وهذا الشعر يدل على أن بني لام هم أهل البلاد في القرن العاشر، والدليل على ذلك قول رميزان:

*** إلى صدر اللاهى والأجناب قلطت ***

صاروا هم أهلَ الوطن ومن عداهم أجانب عنه، وامتد بقاء بني لام في نجد في أواخر القرن التاسع وجميع القرن العاشر، وبنو لام ثلاثة بطون عظيمة: كثير، ومغير، وفضل، فأما آل مغيرة فهم في عالية نجد يرأسهم عجل بن حنيتم، ويسكن وادي الشعرا، ويتجول في بقية بلاد العرب، ويوجد الآن قصر له آثار في وادي الشعرا يعرف عند عامة أهل تلك الناحية بقصر عجل بن حنيتم، ولايسكن بتلك النواحي أحد من الأعراب إلا في جواره، تقول ابنة عجل في قصيدة لها نبطية:

ألا يابلاد جنب تيما مقيمة ... مادامت الشعرا هيام قليبها
أخذنا على ولد الشريف بن هاشم ... على الحوض حقه من وردها يجيبها

تيما: جبل في أعلى وادي الشعرا.

والرئيس الثاني من رؤساء بني لام: ابن عروج، يرأس آل فضل وآل كثير، ومساكنهم في أسافل نجد، ولا ينازعه فيها أحد، لاعند الكلأ ولا عند غيره، وتقول امرأة ابن عروج من قصيدة نبطية:

مشى منْ العارضْ بجيْش يهيفي ... يتلُوْنْ بنْ عرّوجْ مقدمْ بني لامْ
ياما انقطعْ في سَتْهْ منْ عسيفي ... ومنْ فاطرٍ تلقطْ على الهجنْ قدَامْ

فلما انقضى القرن العاشر أخذ نجمهم في الأفول. وبلغنى عن الثقات في تاريخهم أن سبب ذلك هو الخيانة، وعدم المبالاة بالعهود والمواثيق والجوار، وما يتصل بها من عاداتٍ حميدة وقد انقرضوا وجَلَوْا عن نجد، ولا يوجد لهم اليوم فيها لا قليل ولا كثير؛ فلما دخل القرن الحادى عشر امتد جناحُ عنزة على نجد، أَلْقَوا بجرانهم فيه، فلم ينازعهم فيه أحد إلى آخر ذلك القرن؛ فظهرت مطير، فشاركتهم في نجد، فلما دخل القرن الثاني عشر نازعتهم مطير، وعزموا على إخراجهم منها، وبدأ النزاع بين الطائفتين عنزة ومطير، وامتد ذلك النزاع حتى انقضى هذا القرن، وكانت الانتصارات فيها لمطير، وابتدأ النزاع الحاسم في أوائل القرن الثالث عشر،

وإليك عبارةً من عبارات ابن بشر في تاريخه في حوادث سنة ١٢٢٨ الهجرية قال فيما ذكره عن الإمام سعود بن عبد العزيز رحمه الله وتأديبه للأعراب: وإذا أرادت قبيلة من قبائل بَوادي نجد العظامِ كمطير وعنزة وقحطان (تأمل في هذه العبارة فإنك لاتجد فيها لعتيبة ذكراً بخصوصها) أو غيرهم، وهم في أقصى الشمال يرحلون وينزلون في أقصى الجنوب أو الشرق أو الغرب لم يمكنهم مخالفته، نشأ على ذلك الصغير، وشاب فيه الكبير ثم قال: وجلس يوماً فيصل بن وطبان الدويش رئيس أعراب مطير، والحميدي بن عبد الله بن هذال رئيس عنزة، وكان هؤلاء أشدَّ البوادي عداوةً بعضهم لبعض، عند سعود في صيوانه، وهو مقيم على الرس — البلدِ المعروف في ناحية القصيم — وذلك في غزوة الحناكية سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف، وتنازعوا بين يديه، وتفاخروا، وأظهروا نخوة الجاهلية فقال أحدهما للآخر: أحمد الله على نعمة الإسلام، وسلامة هذا الإمام الذي أطال الله عمرك بسببه، وكساك الشيب، بعد أن كان آباؤك لا يَشيبون ولاينتهون إلى حده، بل كنا نقتلهم قبل ذلك، فقال الثاني: أحمد الله على نعمة الإسلام وسلامة هذا الإمام الذي كثر الله بسببه مالَكَ، وسَلَّم عيالَكَ، ولولا ذلك لم تملك ماهنالك، ولانزلت في تلك الدار، ولا استقر بك فيها قَرار؛ فنهض الإمام وزَجَرهم وذكرهم ماأنعم الله به عليهم من الإسلام والجهاد والجماعة والاجتماع على الصلوات. انتهت عبارة ابن بشر. وانتهت دولة[1] عنزة في نجد؛ فقد بدأ النقص فيها حتى تقلص

---

(١) وآخر من غادر نجداً من عنزة: ابن مجلاد، ولما علمت مطير بتأخره تداعت إليه من كل جانب وهو في جهة الأسياح فأخبرته النذر بذلك، ثم بعث إلى قبيلته طالباً المدد، ثم توجه قاصداً بلاد قومه، وكان له صانع ماهر في صناعة الشعر وصناعة الحديد فقال هذين البيتين من قصيدة له نبطية :

ياهل المهار الصفر والضمر السود	الناس جتكم من جنوب وشام
أنا عليه ضبطت الخمس بالعود	وانتم عليكم ريها بالعسام

ضبطت الخمس بالعود: يقصد نوعاً من الرماح لها خمسة أسنة كل سنان منفرد عن الآخر، والعسام هو القتام. المؤلف.

ظلها، وتغلبت مطير على تلك النواحي من نجد على رَعْى الكلأ والماء، واستوطنوا أعلاه وأسفله، حتى إنّ قبيلة من مطير (من علوى) يقال لهم الجبلان يعتزون بصبحا في المعارك، فيقول فارسهم: «خيال صبحا جبلى» وصبحا هي الهضبة المعروفة في عالية نجد التي يقال لها في الجاهلية «يذبل».

ومحسن الهزاني الشاعر صَاحِب بلدة الحريق في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر صحب الدوشان، وأكثر من قرض الشعر فيهم، منهم في زمنه مِصْلَط الدويش، ووطبان الدويش، وعُلّيق الدويش، قال في قصيدة نبطية يذكر امرأة من نساء الدوشان:

شدّوالُهَا مَنْ فوْق وثناتْ الاجمالْ فوقْ أشْقَحْ زينْ الْمناكبْ اصعينْي
نَصوسْهومْ بَيْنْ أبَانَاتْ والخَال[1] حامينها بمذلقـاتْ الْعَرَيْنـي

وفي أوائل القرن الثالث عشر ظهر هادي بن قرملة رئيس قبائل قحطان، وامتد نفوذه في نجد واتفق مع الدويش في رَعْى الكلأ وشرب الماء، وله ذكر حسن مع الولاية في تاريخ ابن بشر، فلما مضى قليل من القرن الثالث عشر ظهر ابنه محمد بن هادي، وأخرج مطيراً جميعهم من نجد، فلم ينازعه في نجد أعرابى، وعند ذلك قالت شاعرة من مطير يقال لها «مْوَيْضى الْبرازِيّة» تؤلب قومها على قحطان:

نَجْداً حَمَيْنَاهَا مِنْ أولادْ وايلْ واليومْ عدّونا سَكَنْ وادي الراكْ
أما احتميناه بِحَدِّ السَّلايـلْ والا عطينا الشاة ذوْلا وذولاكْ

أما قول البرازية «سكن وادي الراك» فهي تعنى قحطان؛ لأن الراك لايوجد إلّا في بلادهم، وأما ذكر الشاة فهذه عادة عند العرب، كانوا إذا

(١) الخال هو خال الدفينة. انظر كيف توغلت قبيلة مطير في نجد، فقد سكنوا في جميع أنحائها.

ضعُفت القبيلة وهي في بلاد غير بلاد قومها، وعندهم قوم أقوياء، ذبحوا لهم شاة، ودَعَوْهم عليها وحالفوهم عند ذلك؛ فتكون تلك القبيلة منهم.

وبقى محمد بن هادي بن قرملة وقبيلته قحطان في نجد لا ينازعهم فيها أحد، وكان من أراد الرعى من مطير أو من عنزة أو من حرب أو من عتيبة المقيمين في الحجاز يأتى إلى هذا الشيخ، فيأخذ منه الأمان، ثم يرعى حيث شاء.

حدثنى عثمان الهاجرى ــ وهو إمام يصلى بمسجد بن هادي وجماعته ــ قال: كنا مقيمين في فيضة وادي أوراط في العتك أيامَ الربيع، فجاء في يومٍ واحدٍ خمسٌ من الخيل هَدَايا كلُّ فرس واحدة مع وَفْد على حِدَته يطلبون الجوار والامتداد في نجد، قال: وكنا يوماً عند «المضباعة»[1] أيام الربيع، فجاءه «تركى بن حميد» من رؤساء قبيلة عتيبة، وأناخ عند محمد بن هادي بن قرملة يطلب الجوار، فسأله عن أهله، فقال: تركتهم على ماءة بُرَيم الماء المعروف في أسفل جبل حضن، وحدثنى فراج بن طويق الحافي قال: ركبنا مع مِصْلَطِ بن ربيعان، وأهلُنا على ماء الشماس الواقع في حوى[2] كشب، وأتينا ابن هادي، ومعنا جيش وخيل هدايا، أتيناه على ماء الشعرا نطلب منه الجوار، فقال لنا: أنتم في وَجْهى، ارعوا حيث شئتم إلا جبل النيّر، مَنْ دخله فهو خارج من الأَمان الذي طلبه، وظني أن هذا الأعرابي يخشى أن يدخلوا هذا الجبل فلا يخرجوا منه.

انظر تقلب الدهر بأهله؛ فإنه ماكاد ينقضى نصف القرن الثالث عشر

---

(١) هي جبيل صغير يقع في الجلوة بين ماء الأنجل وتبراك. وهي لماء الأنجل أقرب. وتبراك هو الذي يقول فيه جرير :

إذا حلت نساء بنى نمير ... على تبراك خبثن الترابا

(٢) مياه الحوى تطلق على جميع المياه التي حوتها حرة كشب، الجبل المعروف في عالية نجد ومياه الحوى ثلاثون منهلا تقريباً.

حتى غاض معين مجده، وتقلص ظله، وأفل نجمه، ذلك لأنه لم يعبأ بنقض العهد، وخفر الذّمة، فاختلف مع قبيلة عتيبة، وكانوا إذ ذاك يخروجون من تهامة والحجاز كأرْجَالِ الجراد، ومَن استوطن نجداً لم يرجع، وكان رئيس برقا تركى بن حميد، ورئيس الروقة مصلط بن ربيعان، وكان سبب هزيمة ابن هادي ورَدّهِ إلى حدوده التي خرج منها في جهة الجنوب في بيتٍ واحدٍ من قصيدة نبطيّة لتركي بن حميد وهي طويلة يخاطب فيها ابن هادي حين تغيّر عليهم، وعزم على ألا يفي بما بينه وبينهم، وهو أن يؤدى ابن حميد ماتأخذه عتيبة، ويؤدى ابن هادي ماتأخذه قحطان، ولكنَّ ابن هَادي لم يؤد ما أخذه القحطانيون، فقال تركى قصيدة منها هذا البيْت الذي ذكر فيه خفر الذمّة:

ادّيْتْ انـــا ارْبـــع قحص°[1] خامَسْهـــنْ التـــومْ
وقعـــودْ[2] زبـــنْ اللّــــى بغــــىٰ ماحصل له

وقد دارت بينهم معارك عظيمة، وكانت الانتصارات فيها لعتيبة، ورئيسهم في تلك المعارك تركي بن حميد، وكان الذي هدم هذا العز الشامخ الذي لم يرمثله في جميع الأعراب هو تركى ابن حميد، هَدَمه من أسه، فلم يبق له ذكر.

فأما في عهد جلالة الملك عبد العزيز فقد انطمستْ تلك العوائد جميعها، فلا يحتاج أحد إلى (خوى) ولا إلى (اخاوه) ولاإلى (جار) ولا إلى (عاني) ولا إلى (عِلْقَه) جميع تلك العوائد انقطعت، وكلها من الله سبحانه وتعالى ثم من حكمة جلالة الملك وتأديبه لمن خالف، فإنه لايعرف مثيلٌ لهذا الأمان لا في الأوائل ولا في الأواخر.

---

(١) القحص هي الخيل. والتوم: حصان.
(٢) وزبن: رجل من جماعة الشاعر أخذ بعيره فلم يرجع عليه. وهو في خفارة ابن هادي.

ذكروا أن الناس كانوا في زمن الإمام سعود بن عبد العزيز الكبير في أوائل القرن الثالث عشر يعيشون في هدوء وأمان في جميع الأنحاء التي امتدَّ عليها رِوَاقُ ملكه، فقالوا : إنه كان في وادي العقيق أعراب قاطنون على ماء عشيرة، وعندهم شعراء من البقوم والشلاوي، فجعلوا هم وأهلُ الماء يَتَسَاجلون، فقال شاعر الشلاوى:

نَبَا نقضى اللازمْ ونركبْ ركايينا   واهَلْنا مَنْ الجوبةْ[1] إلَيْن القطانيةْ
نَبَا شاعر منكم إلى الصّبْحْ يطْربْنا   قمرْ عَشَرْ واضحْ والثريا رقابيةْ

فقال الشاعر الثاني الذي من العرب القاطنين على ماء عشيرة وهم من عتيبة:

أنا خايِفْ إن الْعِلمْ ياصَلْ مْعَزّبْنا   يشيله طريْقِىّ عَلَى كورْ عمليّةْ[2]
تضيعونْ في نَجْدْ وحنا يعاقْبنا   وحنا على المالاشْ نَجْعَةْ ولا نيةْ

لاشك أن هذا دليل على الامان، فقد خاف الشاعر ــ وهو على ماء عشيرة ــ من إمام في الدرعيّة، ولكنه أمان معتدل، وأما أمان عهدنا الزاهر فلم أر مثله، ولم أقرأ عن نظيره في جميع ماقرأت من صفحات التاريخ، إذ قد مد الأمان جناحه على مقاطعة نجران، والطرف الثاني على الحدود الشماليّة، فجميع تلك الأقطار لايوجد فيها قاطع طريق، وكان اللص يبقى الشهر في قمم الجبال خشية أن يرى أثره إذا نزل فيؤخذ، فيقذف في السجن، فإذا احتاج إلى طعام بعث امرأته، والحمد لله الذي أحيانا حتى رأينا هذه الحال.

وقد أطلنا الكلام على ذكر الحرمل والأنْجَل والمرُّوت وسوفة لكثره مايتصل بها من المعارك والأخبار.

* * *

---

(١) الجوبة هي : جوبة ركبة المشهورة، والقطانية: بئر تردها الأعراب في وادي قطان في الجهة الجنوبية منه.

(٢) العملية : نوع من نجائب الجيش. سميت العملية لاستعمالها وإرسالها في الأمور الهامة. والطريقى: تصغير طرقى، وهو المتجه من جهة إلى جهة أخرى.

٤٠ ـ وقال الأعشى صاحب منفوحة(١):

مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسُؤَالِي وَمَا تَرُدُّ سُؤَالِي
دِمْنَةٌ أَقْفَرَتْ تَعَاوَرَهَا الصَّيْـ ـفُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صباً وَشَمَالِ
حَل أهلي وَسْط الغمِيْس فَبَادُو لىٰ وَحَلَّتْ عُلْوِيَّةٌ بِالسِّخَالِ
ترتع السفح فالكثيب فذاقا ر فروض الغضا فذات الرئال

هذا مطلع قصيدة قالها الأعشى في الأسود الكندى أحدِ رؤساء اليمن.

الغميس الَغِميس: موضع معروف في جهة القَصيم، ما كان عن بلدة عنيزة غربا وجنوبا جميعُ تلك الناحية إلى قرب رامة يقال لها «الغميس» وهو من المواضع التي يحميها أهل عنيزة، ويدخرون فيها الكلأ لأغنامهم وإبلهم، وفيه يوم من أيام العرب، قال شاعر أعرابي:

أيا نَخْلَتى وادي الغميس سقيتما وإن أنتما لم تنفعا من سقاكما
فعما تسود الأثل حسناً وتنعما ويختال من حسن النبات ذراكما

وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، تعرفه عامة أهل نجد.
أما بادولي فهي معروفة هي والسخال إلى هذا العهد بهذا الإسم.

السخال السخال: هضبات متصل بعضها ببعض، حمر، في حدود الهضب الشرقية، طرفها الشرقي خارج من الهضب، وطرفها الغربي منعقد فيها، وهي الهضبات التي بها منهل «مأسل» و«مويسل». ومأسل هذا هو الذي يقول فيه امرؤ القيس:

* **وجارتها أم الرَّبَابِ بمأسل** *

وهي معروفة بهذا الاسم إلى عهدنا هذا، يقال لها «السخال» قال ابن مقبل:

حَيِّ دارَ الحى لادار بها بسخالٍ فأثالٍ فخرم

(١) معجم البلدان ٣٠٧/٥.

وأما بادولي فهي هضبات قرب السخال، يقال لها إذا جمعت «بدوات». ويقال لمفردها «بدوة» معروفات بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقال: بنى بدوة، وبني بدوات، وذكروا أن بلاد الروقة كوادي الجرير وجهة كشب أجدبت، وأخصبت تلك الناحية التي فيها السخال وبنو بدوة، فانتجعت الروقة الكلأ، فلما وصلوا إلى بدوة والسخال كأنهم كرهوا البلاد، فقال شاعر من شعراء الروقة أبياتاً نبطية منها: بادولى

وصلتْ بدوهْ وهضباتْ السخالْ وشِفْتْ مشعابْ
ووداني ارجعْ ولا لى بالديارْ اللــى وراهــا

وقودْ أهلْها الدمنْ وإن شاف أبو قبَّاسْ مشهابْ
رمى بعمرهْ عليهْ وَنَارهــم يطفــى سناهــا

أبو قباس: نوع من الفراش يسقط في النار، أما مشعاب الذي ذكره فهو جبل يقع في شمالي الهضبات المذكورة على مسافة يومين. والسفح: يطلق على كل سفح جبل أو على كل سفح وادٍ والكثيب: يطلق على كل ماارتفع من الرمل، وربما كان «السفح» علما على مكان بعينه، وذو قار: موضع، وقد تقدم الكلام عليه، وروض الغضا: في شرقي القصيم، ولا أعرفه بهذا الاسم اليوم، وذات الرئال كذلك، وقد مضى الكلام عليهما، وهضبات السخال متاخم لها جبل الْحَمَل، يقع عنها مما يلي مطلع الشمس.

* * *

٤١ ــ وقال لبيد بن ربيعة[(١)] :

وأضحى يقتري الحومان فرداً كنَصْل السَّيْفِ حُودِثَ بالصِّقَالِ

---

(١) بيت لبيد وأبيات عامر في معجم البلدان ٣٧١/٣ وبيتا مليح الهذالي فيه ٣٧٢/٣.

وقال عامر بن الطفيل :

ألا ليت شعرى هل تَغَيَّرَ بَعْدنَا صَرَائم جَنْبَىْ مِحْيَطٍ وجنائبه
وهل تَرَكَ الحومان بعدي مكانه وهل زال من بطن الجوى تناضبه
فوالله ماأدري أيغلبنى الهوىٰ إلى أهل تلك الدار أم أنا غالبُهْ
فإن أستَطِعْ أغلِبْ، وإن يَغْلِبِ الهوىٰ فمثْلُ الَّذى لاقيْتُ يُغْلبُ صَاحِبُه

وقال مليح الهذلي :

وقام خراعِبٌ كالموز هزت ذوائبهـا يمانيـة زخـور
لهن خدودُ جِنَّةِ بطنِ حَوْمىٰ وللرمـل الـروادفُ والـخصور

الحومان هذه الأبيات المختلفة الموضعُ المشار إليه في كل منها واحد، فهناك في عالية نجد هضبات متصل بعضها ببعض، ويطلق عليها أسماء متعددة مادتها الأصلية واحدة، فيقال لها «الْحَوميّاتُ» ويقال لها «الْحَوَم» ويقال لها «الحومِيّة» إذا جاءنا أعرابىٌّ من جهتها فقلنا له: أين أهلك؟ وقال: بالحوميات، ثم جاءنا آخر وقلنا له: أين أهلك؟ قال: بالحومية، ثم جاءنا ثالث وقلنا له: أين أهلك؟ قال: بالْحَوَم؛ فمنزل هؤلاء واحد، وكلهم صادقون، وهي معروفة بهذه الأسماء عند عامة أهل نجد لم تتغيّر، ولون تلك الهضبات بين الحمرة والسَّوَاد.

مخيط أما مخيط فهو يقع شرقي الحوميات، موقعُه في كثيب الْصّخة، جبيل مرتكز طويل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهناك جبل آخر في عرق سبيع في القطعة الجنوبية منه يقال له «مخيط» ولا أعلم أيهما قصد الشاعر، وكلاهما متاخم لجبال الحَوَم.

قال كاتب هذه السطور: الحديث ذو شُجون يجر بعضُه بعضاً، صحبتُ صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدْ الْعَزيز آل سعود

أثناء خروجه للقنص في عالية نجد، في منزل من منازله على غدير[1] «برة المطلى» وأعراب نجد تسمى منزل الأمير فيصل هناك في ذلك العام «مرباع الأوادم» لأنه بذل جميع استطاعته من الزاد واللحم وحليب الإبل واللبن، وكل شيء تميل إليه النفس، فأخذت الأعراب تختلف إليه من جميع الجهات، وكان أكثر ما اصطدناه من أنواع الحبارى في اليوم الواحد يقدر بستين تقريباً، أما الظباء فقد اصطدنا منها في آخر يوم من أيام الصيد عدداً كبيراً، وكنا بين ماء الأيسرى وجبل الشهيلا شرقى عرق سبيع، وقد بلغ ما حملناه في السيارات مائة وستة وستين ظبياً من الآرام الكبار، وعند انصرافنا إلى منزلنا جاءنا صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل فقال لوالده: هنا خمسة وعشرون ظبياً لم نقدر على حملها، انظر إلى سياراتنا لاتقدر أن تحمل غير ماحملناها، فالتفت صاحب السمو الملكي الأمير فيصل إلى أعراب وقوف عندنا، وقال: خذوها، ثم ذهبنا إلى منزلنا وبتْنَا ونحن لاندري كيف نصنع بهذا الصيد، ولما حضرت السيارة التي ستقل سُمُوَّه الكريم إلى مكة دعا ـــ حفظه الله! ـــ حاجبه فهد بن غشيان وقال له: فرقوا هذه الظباء على الحاضرين هنا من الأعراب والفقراء، ولاتبقوا منها شيئاً، لم يزد على هذه الكلمات ولم ينقص، وسار إلى مكة.

وهضبات الحوم المذكورة لم تغب عنا يوماً واحداً في هذا المقنص.

فأما المقنص الثاني فقد كنا على ماءة سجا، وعنده عيد بن حويريش

---

(١) البرة : قد مضى الكلام عليها، وهي جبيل صغير منفرد من جبيلات المطلى، إذا نظرت إليه عن بعد رأيته منفرداً كاليتيم، وتسميها أعراب نجد اليتيمة، قال مخلد القثامي يذكر أبله ومرباعها من قصيدة له نبطية :

مرباعها يم الحصاة اليتيمة ومصيافها عردان تشرب خباريه

وعردان هنا: هو الذي ذكره عبيد بن الأبرص في معلقته بلفظ عردة.

رجلٌ من المقطة مضحك للملوك والأمراء، أذكر ليلةً خاطبَه الأمير فتكلم هو ثم نهض وقال: أنا ولد حراث، ندب أباه في خطابه، فسكت الأمير، وسكت الناس، فالتفتَ إلى الأمير وقال: ياطويل العمر، لم لم تقل إذ ذكرت والدي «ونعم»؟ فقال الأمير: إني لاأعرف والدك، ويمكن أن يكون في هؤلاء الحاضرين رجل يعرفه، فتكلم أعرابي من الحاضرين فقال: الذي يستأهل «ونعم» هو الذي أعطى أباك بعيره أيام كانوا في الحوميات، فقال الأمير: خبرنا من هو، فقال: إذا سمح عيد بن حويريش أخبرتكم بالموضوع، فقال ابن حويريش: أخبرهم، فقال الأعرابي: جاء عقيد من سبيع من بوادي رنية والخرمة ومعه ركب يبلغ عددهم خمسة عشر راكباً تقريباً، فأغاروا بعد غروب الشمس في جهة الحومية على إبل المقطة، ومن المصادفات أنها أخذت إبل حويريش. ثم فروا بها في سواد الليل.

وكان هذا العقيد مجرباً تام الحنكة، وكانت بلده في جهة الغرب، ولكنه قصد جهة الشرق اختفاء من الطلب، فلما قرب من أخبية حويرش وقومه ومنازلهم، وهو يقتنص الظباء، وكان على ظهره ظبى — اعترض حويرش الإبل والركب ومعه بندقيته ثم ألقى ظبيه عن ظهره، وقال: من أنتم أيها الركب؟ قالوا له: من جماعتكم الدعاجين، والدعاجين: بطن من عتيبة، فقال: الحذيّه يوم الله رزقكم، فالتفت رجل من الركب إلى رئيسهمْ وقال، أأقتله؟ فقال له الرئيس: إن البندقية إذا ثارت عليه جذبت إلينا قومه لاسترداد إبلهم، بل نعطيه بعيراً، فردوا إليه بعيراً، فلزمه، وأناخه، واندفع الغزاة تحت سواد الليل، ثم جمع الحبال التي معه، فعقل أَرْبَعَهُ: أي أربع قوائمه، وأخذ ظبيه وأخفى الجمل عن إخوته خشيةَ أن يطلبوه منه، واشتغل بالظبى وطبخه، وأكله، فلما مضى من الليل ثلثه جاءهم رجل على جمل من مَرْعى الإبل المنهوبة فقال لهم: هل بلغكم الصَّريخ؟ لم لم تفزعوا؟ قال له حويرش: ما الخبر؟ قال: إبلك أخذت، فقال: إني قد اعترضت إبلاً يَحْدُوها ركب، ولكنهم يقولون: نحن دعاجين، وقد أعطوني منها جملاً

فعقلته هناك، أظن أنه من إبلى، فانطلقوا إلى الجمل، فلما وصلوه وجدوه من إبل حويرش المأخوذة بعد غروب الشمس، فقال الأمير للمتكلم: هذا الحديث صحيح؟ قال: إي والله صحيح أيها الأمير.

أما البرة فتبدو للناظر إليها من بعيد جبلاً واحداً، فإذا وصلها ألفاها جبلين أحدهما أكبر من الآخر، وفي شعراء العرب من يذكرها مفردة، ومنهم من يذكرها مثناة، وهناك موضع آخر في طريق الذاهب من مراة إلى الرياض يقال له «البرة» ومنهم من يسميه «البرتين» كيحيى بن طالب حين قال:

خليليّ عوجا بارك الله فيكما على البرة العليا صدور الركائب

ولكن التمييز بينهما سهل؛ فالبرة الواقعة قرب سجا يقال لها «برة المطلى» والأخرى يقال لها «برة اليمامة» فإن كان الشاعر الذي ذكرها تميمياً أو حنفياً فهي البرة الواقعة في اليمامة، وإذا كان الشاعر عامرياً فهي برة المطلى، والبرة الواقعة جنوباً من ماء سجا بمسافة يوم يقع في شرقيها على مسافة يوم تقريباً جبالٌ سود منعقد بعضها ببعض، يقال لها رغبة والبرة الواقعة في اليمامة يقع في شرقيها الشّمالي بلد يقال لها رغبة، تبعد عنها بمسافة يوم تقريباً، وهذا من غرائب المصادفات.

* * *

٤٢ ــ قال ذو الرمّة(١):

سَرَتْ مِنْ مِنىً جُنحَ الظـلام فأصْبَـحَتْ
بِبُسْيَـانَ أيدِيهَـا مَعَ الْفَجْـرِ تَلْمَـعُ

(١) معجم البلدان ١٨٣/٢.

بسيان

بسيان: حزم أسود في ركبة يمر به الصَّادر من ماء المحدثة في وادي العقيق إلى ماء مُرّان، تراه من بعيد كأنه جبل، وإذا وصلته وجدته حزماً أسود صغيراً، وسبب ظهور ارتفاعه أنه في أرض مستوية وليس حوله جبال، وكانت به وقعة مشهورة من وقائع العرب، وهو الذي يقول فيه المساور بن هند:

ونحن قتلنا ابنى طهية بالعَصَا ونحن قتلنا بوم بسيانَ مسهرا

ومن التصَادف العجيب أنه عند مقتل مسهر الذي ذكره المساور كانت معركة بين العرب في العهد الحديث؛ فقد بعث الشريف حسين بن على آخر ولاة مكة سَرِية يرأسها «راقى الفرد» من المقطة ومحمد العبّود من القثمة، وكانت هذه السرية منتخبة من أفضل رجال الحسين في الشجاعة والرماية، وكان جلالة الملك عبد العزيز وفقه الله يبعث السرايا لمصادمة سرايا الحسين، فقد خرج خالد بن منصور بن لؤي أمير الخرمة من بلده لهذا الغرض، فلما ورد ماء المحدثة عرف أن سرية الشريف المذكورة قد وردت هذا الماء؛ لأنه وجد آثار استقائهم وفضلة المياه التي حملوها ظاهرة على وجه الأرض لم تنضب، ولما كان ذلك الأثر جديداً فقد عزموا على أن يسيروا في أثرهم، وبعد مضي ساعة ونصف ساعة من مسيرهم من ماء المحدثة وصلوهم قريب بسيان في موضع يقال له «الحرج» فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتلت سرية الشريف عن آخرها، ولم ينج منهم إلا واحد؛ فإنه لما رأى الأمر الذي ليس معه حيلة رمى بنفسه بين القتلى، ولما غاب عنه أعداؤه انسلَّ من بين القتلى على قدميه عَدْواً حتى وصل مناهِلَ وادي العقيق، ثم نجا بنفسه إلى مكة، وهو الذي أخبر بقتلهم، وهم في انتظار الغنائم، وقد قُتل راقى الفرد، وقُتل محمد العبّودى، وهذان الرجُلَان في عشائرهم يعدل الواحد منهما مائتي رجل، ولكنهما غودرا في ذلك الموضع جزر السباع كما ترك مسهر الذي يقول فيه المساور بن هند :

ونحن قتلنا ابنى طهية بالعصا ونحن قتلنا يوم بسيان مسهرا

خاتمــة

لقد انتهينا في هذا الكتاب الذي نزعناه من كتاب (صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار) للشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد، انتهينا في عملنا هذا إلى منتصف صفحة ١٣٧ من الجزء الثاني لأنه الموضع الذي ينتهي فيه الحديث عن الأماكـن والبقاع في الشعر قصداً، وأقول قصداً لأنه قد يرد فيما بقى من الكتاب وهو بقية الجزء الثاني والأجزاء الثلاثة الأخيرة، قد يرد فيها ذكر لأماكن في أشعار أتى بها للاستشهاد، ولم تورد مقصودة لذاتها، أو لما فيها من أماكن وبقاع.

ولا يعني عملنا هذا أن ما انتزعناه من الكتاب هو صفوته، ذلك أن ما تبقىٰ منه يشتمل على أعمال جليلة صنعها ابن بليهد بعضها يتصل بالأدب كحديثه عن الشعر العامي وصلته بالشعر العربي وهو فيما بقى من الجزء الثاني، وكبعض مذكراته التي ختم بها الجزء الخامس.

ومنها ما هو حديث عن الأماكن والبقاع كالحديث عما هو على طريق المسافر من جدة إلى الكويت، وكحديثه عن سوق عكاظ وهما فيما بقى من الجزء الثاني.

وكاستدراكاته على العالمين الجليلين (ياقوت) و (البكري) في معجميهما (معجم البلدان) و (معجم ما استعجم).

وأملي أن أكون قد أسهمت مع ابن بليهد بجهد خدمت به عمله الجليل الذي قدمه خدمة لفكر أمتنا، وهو عمل لم يُسبق إليه، ولم ينافس عليه، قدره المستشرقون قبل العرب، وأشادوا به واعترفوا بفضله، وقال بعضهم: (سيأتي يوم يكون هذا العمل أجدر عمل أدبي بالتكريم)[(١)].

---

(١) العبارة مروية بالمعنى عن الشيخ عبدالله بن خميس، الذي قال أنه قرأها في صحيفة نسي اسمها، ولم اظفر بها.

وما أراني في حاجة إلى ذكر ما بذلته في هذا الكتاب من جهد ووقت مُذ شرعت فيه في أخريات سنة ١٤٠٥هـ، إلى أن فرغت منه في يوم كتابة هذه الخاتمة في الساعة التاسعة والربع من يوم الخميس الثالث عشر من صفر الخير سنة ١٤٠٧هـ، السادس عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٦م.

غير أن مُتخذ الكتاب رفيقاً وسميراً يجد في التعب معه لذة صحبة الرفيق الشفيق، وأين ذلك مني وقد مضى من أَلِفت صحبته إلى حيث لا أوبة للذاهبين[١].

وأملي بعد هذا الجهد الجهيد أن يجد أدباء العربية في هذا السفر ما ييسر لهم طريق البحث، ويُدني إليهم ما ندّ من معرفة الأماكن والبقاع الواردة في شعر العرب مما نظم في الجاهلية والصدر الأول من تاريخ الإسلام، ثم أنه ما من عمل إلا وفيه منفذ لعين الناقد (ومن تطلب عيبا وجده)، ومن أسدى النصيحة ودعا بالمثوبة كان له من الخير نصيب.

وآخر دعوانا ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢] وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين وجعلنا منهم، آمين.

---

(١) في هذا إشارة إلى الصديق والصدوق الشيخ عبدالله بن عبد الكريم المفلح رحمه الله واسكنه فسيح جناته.

(٢) الآية ١٠ سورة يونس.

الفهارس الفنية

أولاً: فهرس الإعــلام.

ثانياً: فهرس الأماكن والمواضع.

ثالثاً: فهرس القبائل والجماعات والأمم.

رابعاً: فهرس الأشعــار.

خامساً: فهرس الموضوعــات

أولاً: فهرس الإعلام

(حرف الألف)

(حرف الباء)

(حرف التاء)

(حرف الثاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الخاء)

(حرف الدال)

(حرف الذال)

(حرف الراء)

(حرف الزاي)

(حرف السين)

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف الضاد)

(حرف الطاء)

(حرف الظاء)

(حرف العين)

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الواو)

(حرف الياء)

ثانياً: فهرس الأماكن والمواضع

(حرف الألف)

(حرف الباء)

(حرم الحاء)

(حرف الخاء)

(حرف الدال)

(حرف الذال)

(حرف الراء)

(حرف الزاي)

(حرف السين)

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف الضاد)

(حرف الطاء)

(حرف الظاء)

(حرف العين)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الواو)

(حرف الياء)

ثالثاً: فهرس القبائل والجماعات والأمم

(حرف الألف)

(حرف الخاء)

(حرف الدال)

(حرف الذال)

(حرف الراء)

(حرف الزاي)

(حرف السين)

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف الضاد)

(حرف الطاء)

(حرف الظاء)

(حرف العين)

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

حرف الواو

حرف الياء

رابعاً: فهرس الأشعـــار

أولاً ـــ الأشعار الفصيحة مرتبة ترتيباً ألف بائياً:

قافية الباء

الباء المفتوحة:

الباء المضمومة :

قافية التاء

التاء الساكنة :

التاء المفتوحة :

التاء المضمومة :

التاء المكسورة :

قافية الثاء

قافية الجيم

الجيم الساكنة :

الجيم المفتوحة :

الجيم المضمومة :

الجيم المكسورة :

قافية الحاء

الحاء الساكنة :

الحاء المفتوحة :

الحاء المضمومة :

الدال المكسورة :

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
مَعْبد	الطويل	زهير	٢٩٠
المتعمد	الطويل	زهير	٢٩٢
اليد	الطويل	طرفة	٢٩٧
معبّد	الطويل	طرفة	٣٠٢
مصعد	الطويل	طرفة	٣٠٤
من دد	الطويل	طرفة	٢٩٧
المهند	الطويل	طرفة	٣٠٦
بالسعد	الطويل	نصيب	٤٤٣
الأساود	الطويل	النابغة الذبياني	٤٥٨
معبد	الطويل	الحطيئة	٤٦٠
للتزود	الطويل	شاعر	٥٥٥
وحد	البسيط	النابغة الذبياني	٤٣٤
أسد	البسيط	عبيد بن الأبرص	١٥١
سودي	البسيط	الشماخ	٢٨١
الأبد	البسيط	النابغة	٤٣٣
أجد	البسيط	النابغة	٤٣٤
الثَّمد	البسيط	النابغة	٤٤٠
عندي	الوافر	الصمة بن الحارث الجشمي	٦٠
عهد	الوافر	عمرو بن معد يكرب	١٧٤
فرقد	الوافر	الصمة الأكبر	٢٣٧
عنود	الوافر	زيد الخيل	٣٩٤
القياد	الوافر	خداشى بن زهير	٤٦١
بعيد	الوافر	المثقب العبدي	٤٩٣
الركد	الكامل	مضرس الأسدي	٢٤١
أطرد	الكامل	عامر بن الطفيل	٣٠٦
منجد	الكامل	زيد الخيل	٣٢٢
غواد	الكامل	مرداس بن حشيش	٤٥٣

قافية الذال

قافية الراء

الراء الساكنة :

الراء المفتوحة :

الراء المكسورة :

قافية الزاي

الزي المضمومة :

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة

قافية العين

العين المفتوحة :

أربعا	الطويل	امرأة عبسية	٦١
مقنعا	الطويل	رجل من غامد	١٥٦
مضجعا	الطويل	رجل من غامد	١٥٦
مروعا	الطويل	امرؤ القيس	١٦٦
معا	الطويل	متمم بن نويرة	١٦٧
متالعا	الطويل	الراعي	٢٠٠
مربعا	الطويل	الفرزدق	٢١٢
شربعا	الطويل	متمم بن نويرة	٥٤٨
فأفرعا	الطويل	الراعي النجدي	٥٥٩
فضلفعا	الكامل	مالك بن نويرة	١٩٠

العين المضمومة :

وتفزع	الطويل	أوس بن حجر	١٥٧
نازع	الطويل	شاعر	١٧٤
الوقائع	الطويل	شاعر	١٩٢
مصرع	الطويل	أوس بن حجر	٢٢٨
تدافع	الطويل	النابغة	٣٧٦
نطاع	الطويل	ربيعة بن مقروم	٤١٣
قاطع	الطويل	النابغة	٤٥١
ولوع	الطويل	عروة	٤٥٣
الدوافع	الطويل	النابغة	٤٨٠
الأصابع	الطويل	النابغة	١٧٣
فالجزع	البسيط	ابن مقبل	٧٢

الفاء المكسورة :

قافية القاف

القاف المفتوحة :

القاف المضمومة :

اللام المضمومة :

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
الخزم	البسيط	ساعدة بن جؤية	٨١
الهام	البسيط	محرز بن المكعبر	٩٣
العلم	البسيط	ابن عنمه	١٢٨
الثلم	البسيط	عدي بن الرقاع	٢٢٤
الديم	مجزوء البسيط	المرقش الأكبر	١٤٧
بمنصرم	البسيط	النابغة الجعدي	٢٦٤
نعام	الوافر	شاعر من بني عقيل	٨٦
رام	الوافر	ابن نجدة الهذلي	١٩٦
شمام	الوافر	امرؤ القيس	٢٠٣
التمام	الوافر	لبيد	٢٠٤
القصيم	الوافر	زيد الخيل	٢٨٣
لام	الوافر	ابو براء	٣٢٦
النعام	الوافر	عمرو بن معد يكرب	٣٢٧
البغام	الوافر	النابغة	٥٠٤
والتمام	الوافر	النابغة	٥٠٧
فئام	الوافر	النابغة	٥٠٧
لعظام	الوافر	النابغة	٥٠٨
القتام	الوافر	النابغة	٥٠٨
للميلم	الوافر	النابغة	٥١٦
والقصيم	الوافر	النابغة	٥١٦
بالغيلم	الكامل	عنترة	٦٢
أقدام	الكامل	امرؤ القيس	١٩٤
صرام	الكامل	امرؤ القيس	١٩٧
الأجسام	الكامل	امرؤ القيس	١٩٧
بسلام	الكامل	امرؤ القيس	١٩٨
بشبام	الكامل	شاعر يماني	١٩٧
توهم	الكامل	عنترة	٣٧٣

قافية النون

النون الساكنة :

بالنون المفتوحة :

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
يحدوان	المتقارب	السري بن حاتم	١٥٢

قافية الهاء

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
الهاء الساكنة :			
محياه	الرجز	رويشد الأسدي	٣٩٢
الهاء المفتوحة :			
وأهناها	الطويل	أبو محمد بن عبدالله	٣٤٣
آها	الطويل	أبو محمد بن عبدالله	٣٤٣
رماها	الوافر	الرضى الموسوي	٤٨٥
فحيياها	الوافر	صاعد	٥١٧

قافية الواو

قافية الياء

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
الياء المفتوحة :			
تلاقيا	الطويل	عبد يغوث بن وقاص	٩٧
عنانيا	الطويل	السمهري اللص	١٠٥
السواقيا	الطويل	شاعر	١٧٠
ماليا	الطويل	الفرزدق	١٧١
هيا	الطويل	امرأة	٢١٣
اليمانيا	الطويل	جرير	٢٤٧
قاصيا	الطويل	جرير	٢٤٧
فؤاديا	الطويل	مزاحم العقيلي	٣٢٩
الجواريا	الطويل	الشريف الرضي	٣١٦
هيا	الطويل	مزاحم العقيلي	٢١٣

الياء المضمومة :

الألف اللينة

ثانياً ــ أشطر الأبيات مرتبة ترتيباً ألف بائياً:

حرف الهمزة

حرف الباء

خامساً: فهرس الموضوعـات

محتويات الجزء الأول

★ ★ ★

ذكر الأماكن التي وردت في المعلقات

محتويات الجزء الثاني

يبدأ الجزء الثاني بالمعلقة الخامسة من المعلقات

ما نشر من مؤلفات

الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن محمد آل حسين

١ ــ الأدب الحديث في نجد.
٢ ــ الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد وآثاره الأدبية جـ١، ٢.
٣ ــ المعارضات في الشعر العربي.
٤ ــ الشعر السعودي بين التجديد والتقليد.
٥ ــ تحقيق ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه للشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد.
٦ ــ كتب وآراء الكتاب الأول.
٧ ــ كتب وآراء الكتاب الثاني.
٨ ــ الأدب الحديث تاريخ ودراسات.
٩ ــ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه حياته وآثاره.
١٠ ــ من شعراء الإسلام.
١١ ــ حافظ إبراهيم ونظرات في شعره.
١٢ ــ الإلتزام الإسلامي في الأدب.
١٣ ــ تاريخ الأدب الحديث.
١٤ ــ ابتسامات الأيام ديوان الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد مراجعة وتصحيح وتعليق وتوثيق وتكملة.
١٥ ــ بقايا الابتسامات من الشعر العامي لمحمد بن عبدالله بن بليهد.
١٦ ــ كلثوم بن عمرو العتَّابي.
١٧ ــ المدائح النبوية بين المعتدلين والغلاة.
١٨ ــ الجغرافية الأدبية.
١٩ ــ الشاعر حمد الحجي.

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
المعذر ٤٨٢٤٩٨٣/ ٤٨٢٤٨٦٥